

سلسلة «نقض الأصول العشرة لتظريّة تفسير التوحيد عند ابن تيمية»

نقض الأصل الثاني: دعوى توحيد المشركين في الربوبية (٢)



البراهين الشرعية  
على

بطلان بدعة

«توحيد المشركين في الربوبية»

دراسة علمية شاملة تضمنت ثلاثة أمور:

أولاً: نقض أدلة ابن تيمية وأتباعه على دعوى توحيد المشركين في الربوبية  
ثانياً: أكثر من عشرين دليلاً من الكتاب والسنة على شركهم في الربوبية  
ثالثاً: نصوص للسلف واعترافات للسلفية بأن المشركين وقعوا في شرك الربوبية

تأليف  
الدكتور وليد بن صالح الدين الزبير



دار المنهل للطباعة والنشر

سلسلة نقض الأصول العشرة لنظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية

نقض الأصل الثاني: دعوى توحيد المشركين في الربوبية (٢)

## البراهين الشرعية على بطلان

### بدعة توحيد المشركين في الربوبية

دراسة علمية شاملة تضمنت ثلاثة أمور:

أولاً: نقض أدلة ابن تيمية وأتباعه على دعوى توحيد المشركين في الربوبية

ثانياً: أكثر من عشرين دليلاً من الكتاب والسنة على شركهم في الربوبية

ثالثاً: نصوص للسلف واعترافات للسلفية بأن المشركين وقعوا في شرك الربوبية

تأليف د. وليد بن صلاح الدين الزير

تقديم

الأستاذ الكبير: مهنا حمد المهنا

الدكتور عبد القادر الحسين ..... الدكتور سيف العصري

# كُلُّ الْحَقُّوقِ مَحْفُوظَةٌ

❖ الطبعة الأولى: ١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

❖ عنوان الكتاب: البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية

❖ اسم المؤلف: د. وليد صلاح الدين الزير

❖ قياس القطع: ١٧ × ٢٤

❖ عدد صفحات الكتاب: ٧٦٨



دار المنهل  
للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون إذن خطي سابق من الناشر.

## All Rights Reserved ©

No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher.

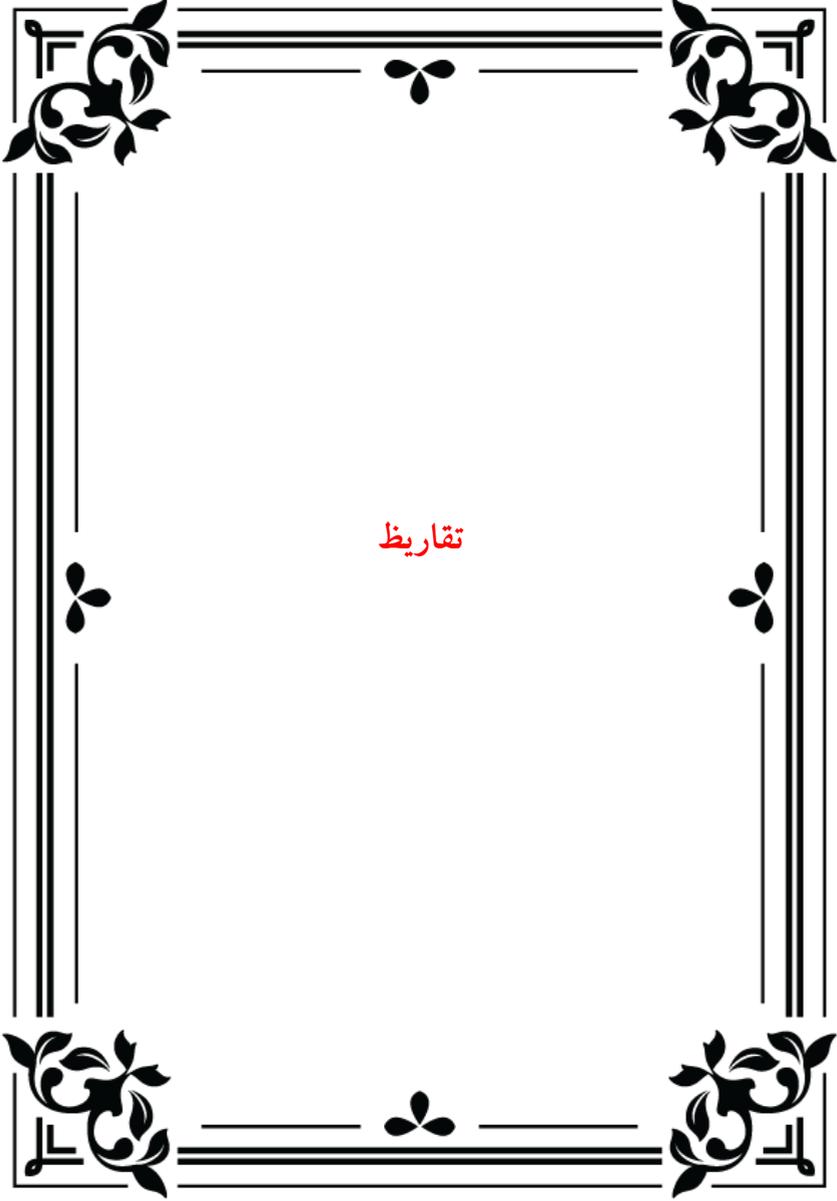






بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





تقاريف





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين،  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ربّ اشرح لي صدري ويسر لي  
أمرى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

وبعد، فما زال قلم مولانا الحبيب «وليد ابن الصلاح» يتحفنا  
بردوده القوية وكواشفه الجلية في نقد وتفنيدي نظرية التوحيد (الثلاثي)  
الذي ظهر في القرن الثامن الهجري، أي بعد عصر السلف الصالح  
بخمسة قرون!!

هذه النظرية التي أريقت بسبب عقيدتها الكثير الكثير من الدماء  
البريئة، وأزهقت لأجلها النفوس المسلمة الموحدة، ومُهبت تحت ضوء  
مسائلها المتدعة أموال و ثروات وديار المسلمين! كل ذلك تحت  
الشعار المزيف «الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك»!! ولم يكن  
التوحيد غائباً ولا ضائعاً من حياة وعقول المسلمين حتى تقتلوا  
المسلمين لتحقيقه، ولم يكن الشرك شائعاً ولا منتشرًا في بلاد المسلمين  
حتى ترفع السيوف وتسال الدماء لمحاربتة وقمعه، فلا يوجد شرك إلا  
في عقولهم وأحلامهم، ولم يُفقد التوحيد الحقيقي والصائب إلا في



وهمهم وظنونهم والظن لا يغني عن الحق شيئاً.

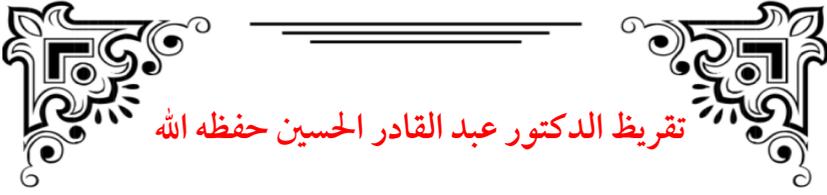
كتبه أبو محمد مهنا حمد المهنا

ليلة الثلاثاء / ٢ ذي الحجة ١٤٤٤ هـ

الموافق ٢٠ / ٦ / ٢٠٢٣ م

صباح الناصر - دولة الكويت





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن التعدد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله. والصلاة والسلام على سيد المرسلين وفخر الكائنات الذي حذّر من الخروج عن الدين بتكفير المسلمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وسار على نهجه ولا سيما العلماء العاملين أساطين الدين.

أما بعد، فإن أخطر فتنة كانت في الزمان الأول فتنة الخوارج التي اتهمت أئمة الأمة وسادتها بالكفر، وتقرّبت إلى معبودها بقتلهم واستباحة دمائهم، حتى أذن الله تعالى بانحسار فتنتهم وانطفاء نارهم التي أحرقت المؤمنين وسلّم منها سائر أعداء الدين.

إلى أن ظهر واحد من علماء الحنابلة في القرن الثامن شدّ عن طريقة آبائه الصالحين في مخالقات عديدة، وخرق إجماع المسلمين في عشرات المسائل؛ بعضها بيّن وبعضها خفي؛ فانبرى العلماء لظاھرھا وجليھا في عصره.

أما خفيها فكثير منهم لم يلتفت إليه حتى جاء النجدي إمام  
الفرقة الحشوية ابن عبد الوهاب فأحيا مسأله جميعا وجعل مخالفاته  
مقياسا للحق!

ومن أخطر تلك المخالفات والبدع بدعة تقسيم التوحيد التي  
تجعل كفار قريش موحدين في الربوبية في الوقت الذي تجعل أولياء الله  
الصالحين مشركين في الربوبية والألوهية! فكانت سببا لبعث طريقة  
الخوارج من جديد ففجرت المساجد، وقُتل الصالحون بتهمة الشرك  
والعياذ بالله تعالى! وقد تصدّى لنقض هذه النظرية التكفيرية عدد من  
علماء العصر وإن خفيت أخطارها على بعضهم!

ومن تصدى لها بالنقض من أهل عصرنا أخونا الباحث الفاضل  
المدقق الصبور على البحث والاستقصاء الدكتور وليد صلاح الدين  
الزير حفظه الله تعالى حيث فنّدها تفنيدا وأطال النفس في مناقشتها  
ونقضها نظريا وعمليا.

حيث نقضها نظريا في خمسة مجلدات تُطبع تباعا، وقد طبع  
المجلد الأول منها تحت عنوان «تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين  
كلمتي الرب والإله»، وطبع المجلد الثاني تحت عنوان «ولئن سألتهم»  
أو «الكافية الشافية لنقض استدلال ابن تيمية بآيات ولئن سألتهم

الثمانية»، والمجلد الثالث هو هذا الذي بين أيديكم وهو بعنوان «البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية».

وأخبرني بأنه سيتبع ذلك طباعة مجلدين آخرين، فيكون المجموع خمسة مجلدات، وأن هذه المجلدات الخمسة هي في الواقع نقض نظري لأصول بدعة تقسيم التوحيد التي تبلغ عشرة أصول، وأنه سيتبع ذلك خمسة مجلدات أخرى لنقض تلك النظرية عمليا، بحيث تنقض الآثارَ العقدية والفقهية التي بنيت على هذه النظرية الخطيرة؛ وهي مسائل الاستغاثة والتشفع والتوسل والتبرك وبعض المسائل المتعلقة بالقبور كالطواف بها والذبح والنذر لها وشد الرحال إليها، والدعاء والصلاة عندها، ونحو ذلك من مسائل كُفّر المسلمون وحُكم عليهم بالشرك من أجلها.

وقد أفرد الباحث كلا من هذه المسائل في رسالة أو أكثر، فبلغت تلك الرسائل حوالي عشرين رسالة أطلعني على عناوينها، وقال لي بأنها ستطبع غالبا في خمسة مجلدات تحت عنوان نقض الآثار العملية التي ترتب على نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، وهذا طبعا سوى المجلدات الخمسة التي نقضت بدعة تقسيم التوحيد نظريا، والتي تقدم الكلام عليها، فجزاه الله تعالى عن المسلمين خيرا.

وأترك الحكم للقارئ على عمله هذا كما أنصح كل طالب علم  
أن يقتني هذا الكتاب لإغلاق باب فتنة التكفير.  
حرره على عجل أفقر الورى وأحوجهم إلى لطف الله تعالى  
وعفوه

**عبد القادر بن محمد بن صالح الحسين**

الأشعري الماتريدي السلفي اعتقادا

الحنفي مذهباً، الشاذلي مشرباً

في مدينة يالوا من الديار التركية

عصر الخميس خامس ذي القعدة سنة ١٤٤٤ للهجرة

الموافق ٢٥ أيار سنة ٢٠٢٣ م





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالخلق والإيجاد والإمداد، المنعم على جميع الخلائق بنعم لا تحيطُ بها الأعداد، أرسل رسله بالتوحيد والانقياد، وأنزل كتبه هداية لأولي الرشاد، وأوعد من عصاه بالإبعاد، ووعد من أطاعه بالإسعاد، لم يكن له شريك في الملك فكيف يكون له شريك في الأمر والطاعة.

والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى إخوانه الأنبياء الذين اتفقت رسالاتهم على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فإفراد الله تعالى باستحقاق العبادة أصل الأصول، ولبُّ رسالات الأنبياء، ومدلول كلمة التوحيد، لا يمتري في ذلك مسلم، ولا يلتبس ذلك على مؤمن، بل يستوي في العلم بذلك العالم والجاهل، فكيف لهذه القضية بعد ذلك أن تخفى على أئمة المسلمين، ورؤوس الفقهاء والمتكلمين، وكيف تنبهم على أساطين المفسرين والمحدثين.

لا والله لا تخفى، وإنَّما خفيَ على أهلِ الجهالة والتكفير والتضليل التمييز بين توسلات الموحدين ودعوات المشركين، ولم يفرقوا بين نسبة الأفعال إلى الله خلقاً وإيجاداً ونسبتها إلى الخلق تسبباً واكتساباً.

والتبست عليهم آياتٌ من كتاب الله فزعموا أنَّ المشركين إنَّما كان شركهم في الألوهية لا الربوبية، ونَمَت هذه الخيالات والأوهام في عقولهم حتى قالوا: إن المشركين موحدون في الربوبية، لأنَّ القرآن قال عنهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وقال: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، مع أن القرآن أوضح لنا إخلالهم بالربوبية، وعدم توحيدهم في ذلك، قال تعالى: ﴿أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ثم إنَّ القرآن قد نسب إليهم التشكيك في القدرة الإلهية، وذلك كفر بالربوبية، فقال تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، وقال الله مبطلاً شكَّهم وربيبهم: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

ولن أطيل بتوضيح ذلك لأنَّ الأخ الكريم الدكتور وليد صلاح الدين الزير قد أوضح ذلك، واستوعب المسألة من نواحيها، وجمع

أطرافها، وكان قد طبع كتابه «تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله»، ثم طبع كتاب «ولئن سألتهم»، وهو الآن يتم مقصوده، وينشر بنوده في كتاب جديد، عنون له بـ«البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية»، وهذا التقسيم كان مطيةً لتكفير المسلمين، والحكم بإشراك الموحدين، ونحو ذلك مما يشيبُ له الولدان، ووصل الأمر إلى رمي الإمام المجتهد تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي بالشرك والضلالة من قبل أغلطة لا يفقهون سبباً، كيف وهو الموصوف على لسان الإمام الذهبي بأنه شيخ الإسلام، وقاضي قضاة المسلمين، وأنه الإمام المحدث الفقيه المفسر، أمثل هذا الإمام يجهل الفرق بين الإيوان والكفر والتوحيد والشرك؟ وما ذلك إلا لأنه فرّق بين استغاثات الموحّدين بالأنبياء والصالحين، وبين دعوات المشركين لأصنامهم وأوثانهم في كتابه الجليل: «شفاء السقام»، وهو الكتاب الذي امتدحه العلماء من المذاهب الأربعة، واغتبطوا به، فكلُّ تُهمة توجهت إلى الإمام التقي السبكي فهي موجهةٌ أيضاً لجمهور العلماء الذين تلقوا كتابه بالرضا والقبول.

فأرجو الله أن يكتبَ ثوابَ الأخ الكريم الدكتور وليد علي ما قدّمه في كتابه هذا من دفاعٍ عن أعراضِ خواص المسلمين وعامتهم



بدفع تهمة الشرك والكفر عنهم.

كتبه الأقل / سيف بن علي العصري

الاثنين ٢٣ ذو القعدة ١٤٤٤

١٢ يونيو ٢٠٢٣





## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله المصطفى وعلى آله وصحبه ومن بعده وفي.

وبعد، فإني أقدم للسادة القراء «البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية»، وهو الجزء أو المجلد الثالث من المجلدات الخمسة التي خصصتها لنقض تقسيم التوحيد عند ابن تيمية نظرياً، فقد سبق أن طبعت في دار الأصيلين المجلد الأول، وكان بعنوان «تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله»، ثم طبعت في دار المنهل المجلد الثاني بعنوان «ولئن سألتهم»، وسيتبع ذلك مجلدان آخران مع نهاية هذه السنة إن شاء الله.

وهذا المجلد الثالث وهو «البراهين الشرعية...» الذي بين أيديكم أتم فيه نقض الأصل الثاني لنظرية تقسيم التوحيد وهو: دعوى توحيد المشركين في الربوبية! وهذا الأصل بدأت بنقضه في كتاب «ولئن سألتهم»، وأتمه الآن بكتاب «البراهين الشرعية...» والذي تضمن ثلاثة أمور:

**الأول:** نقض أدلة ابن تيمية وأتباعه على دعوى توحيد المشركين في الربوبية، وتفنيده هذه الدعوى بالدليل والبرهان.

**الثاني:** إقامة أكثر من عشرين دليلاً عن أنهم مشركون في الربوبية، وهي أدلة من الكتاب والسنة والآثار والأخبار والأشعار، وجلّها - إن لم يكن كلها - مشفوعة بنصوص تفسرها من كتب السلف والسلفية، من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومن كتب ابن عبد الوهاب النجدي وكتب أتباعه الوهابية.

**الثالث:** نصوص للسلف واعترافات لكثير من السلفية والوهابية بأن المشركين لم يكونوا موحدين في الربوبية بل وقعوا فيما هو ناقض لها.

### منهجي في هذا الكتاب

بالنسبة لمنهجي في هذا الكتاب الثالث «البراهين الشرعية» هو نفسه المنهج الذي اتبعته في الكتاب الأول «تنوير الرب الإله»، والثاني «ولئن سألتهم»، والذي شرحته في مقدمة هذين الكتابين الأول والثاني، فلا داعي لتكراره.

### ترحم وشكر وتقدير

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أذكر بكل إجلال وتقدير صاحب دار المنهل السيد والأخ النبيل: مشعل بن هابس المطيري رحمه الله، والذي كان قد تولى طباعة الكتاب الثاني «ولئن سألتهم»، وكان من المفروض أن يتولى بنفسه أيضا طباعة الكتاب الثالث «البراهين الشرعية..»، لولا أن المنية وافته بكل أسف في ٢٦ نيسان/ إبريل ٢٠٢٣ م، وذلك إثر نوبة قلبية مؤلمة، تغمده الله برحمته الواسعة وجعله في عليين بمنه وكرمه، وقد كان متفانيا في الدعوة وفي نشر الخير بشكل عام، وكان داعما كبيرا لمشاريعي العلمية ونشر كتبي بشكل خاص، وكنا على تواصل دائم في سبيل ذلك، فرحمه الله رحمة واسعة وجعله في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

كما وأتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل مهنا حمد المهنا بالكويت حفظه الله، الذي كتب مقدمة لهذا الكتاب وللذي قبله، وأشكر أعضاء مجموعة الأستاذ مهنا أيضا، والذي كان السيد مشعل المطيري واحدا منهم، وهم الآن قد أبدوا استعدادهم لإكمال المسيرة ولحمل الراية من بعده، ولنشر كتبي ودعم مشاريعي العلمية، وأخص منهم بالذكر أخي الفاضل السيد عبد الله السبيعي حفظه الله، فجزاه الله هو وإخوانه الداعمين معي وعن المسلمين خير الجزاء، وبارك

فيهم وفي ذويهم، وعوضهم ما يبذلون قصورا وأنها را في جنة الفردوس بمنه وكرمه، وزادهم الله حرصا على الدعوة وحرقة على الأمة، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأسأل الله أن يوفقهم لكل ما فيه خير البلاد والعباد، وأن يدفع عنا وعنهم وعن المسلمين أجمعين البلاء والغلاء وتسلط الأعداء، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

كما وأشكر كل قدم لي العون وكل من ساعدني في مراجعة هذا الكتاب والكتابين الآخرين، وهم كثر قد لا أحصيهم عددا، وبعضهم تولى قراءة الكتاب كاملا مرة أو مرتين، فأسأل الله تعالى لي ولهم التوفيق والسداد، وأن يجزيهم عني خير الجزاء بمنه وكرمه، وأن يدخلهم الجنة من غير حساب ولا سابقة عقاب.

كما وأتقدم بالشكر والامتنان لمن قدم لكتابي وكتب له تقريرا سوى الأستاذ مهنا وفقه الله، وهما:

أولا: أخي الدكتور عبد القادر الحسين حفظه الله ووفقه لما يجبه ويرضاه.

الثاني: أخي الدكتور سيف العصري حفظه الله وأعانته ووفقه وسدده.

كما وأسأل الباري عز وجل أن يكتب النفع بهذا الكتاب وبالذي

قبله وبما سيطبع لاحقا، وأن يجعل كل ذلك خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقني وإياكم الإخلاص والقبول، وأصلي وأسلم على البشير النذير والسراج المنير سيدنا محمد سيد الخلق وحبیب الحق وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبها: وليد بن صلاح الدين الزير بتاريخ ١٧ شوال لعام ١٤٤٤ هـ، الموافق ٧ / ٥ / ٢٠٢٣ م، وتم مراجعة ذلك للمرة الأخيرة في ٢ / ٧ / ٢٠٢٣ م.





## الباب الأول:

مناقشة أدلة ابن تيمية وأتباعه

في أن المشركين موحدون في الربوبية

استدل ابن تيمية وأتباعه على أن المشركين  
موحدون في الربوبية، بالكتاب والسنة والآثار  
والأخبار والأشعار،

ولكن سنرى أن هذا الاستدلال هو

وفق فهم ابن تيمية،

وليس وفق فهم جمهور الأمة،

ولاسيما السلف الذين يزعم أنه يتبعهم.

وسوف نبسط ذلك في ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** مناقشة أدلة ابن تيمية من القرآن.

**الفصل الثاني:** مناقشة أدلته من السنة والآثار والأخبار.

**الفصل الثالث:** مناقشة استشهاده بأشعار العرب في الجاهلية.







## الفصل الأول:

### مناقشة أدلة ابن تيمية من القرآن

استدل ابن تيمية على أن المشركين موحدون في الربوبية بعدة آيات من القرآن، نخصص لكل منها مبحثاً. وبالله التوفيق

#### المبحث الأول:

#### آية ﴿وَلئن سألْتَهُم من خَلَقَهُم﴾ وأمثالها

قال تعالى ﴿وَلئن سألْتَهُم من خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولَنَّ اللهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال: ﴿وَلئن سألْتَهُم من خَلَقَهُم لَيَقُولَنَّ اللهُ فَأنى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وثمة آيات معها تبلغ ثمانى آيات، استدل بها ابن تيمية وأتباعه على أن المشركين موحدون في الربوبية، وقد أجبنا عنها باستفاضة في كتابنا «ولئن سألْتَهُم» الذي بلغ خمسمئة صحيفة بفضل الله، ولكن لا أخلي هذا الكتاب من ذكر بعض أبحاث منه بشكل مختصر وذلك في المطالب العشرة التالية:

**المطلب الأول: توقف هذا الاستدلال على ثبوت التباين بين الإله والرب**

إن استدلال ابن تيمية متوقف على ثبوت الفرق بين الإله والرب، وهذا غير مسلم كما أثبتناه بشكل مطول في كتابنا «تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله»، الذي بلغ ستمئة صحيفة بحمد الله، وقد بيّنا فيه أن اللفظين (أي الرب والإله) مترادفان! أو يأتي أحدهما بمعنى الآخر، كما سلم السلفية أنفسهم بذلك في بعض الآيات والأحاديث على الأقل، فبطل الاستدلال بتلك الآيات الثماني على أن المشركين موحدون في الربوبية دون الألوهية، لأن التفريق بين الربوبية والألوهية لم يثبت أصلا، وذلك لعدم ثبوت الفرق بين الأصلين الذي اشتق كل منهما، وهما كلمتا الرب والإله، فبطل ما بُني على هذا التباين المزعوم، وهو نظرية تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فهذه نظرية باطلة لبطلان ما بنيت عليه، وما بني على باطل هو باطل أيضا.

فقد أقرّ ابن عبد الوهاب النجدي نفسه أن الإله والرب ليسا متباينين مطلقا، فقال: «إذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه من إلهك؟ .. وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَدْبَعِي رَبًّا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، فالربوبية في هذا هي

الألوهية ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران<sup>(١)</sup>. اهـ.

ونقل الوهابية هذا النص مقرين به فقالوا: وهكذا فإن «الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان.. وذلك مثل لفظ (المؤمن والمسلم) (والفقير والمسكين) (والزكاة والصدقة).. وعند الأفراد يجتمعان». أي أن الرب إذا أُطلق دخل فيه الإله، والعكس بالعكس<sup>(٢)</sup>.

وقد نقلت في كتابي «تنوير الرب الإله» مزيداً من نصوص السلفية على أن الرب يأتي بمعنى الإله<sup>(٣)</sup>، ومنها قول النجدي «ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أرباباً من دون الله لأجل ذلك، أي لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إلهها<sup>(٤)</sup>، وقال السهسواني في آية «ألست بربكم»: .. أن المراد بالرب المعبود<sup>(٥)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾ [آل

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/٧٢، ٧٣).

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٣/١٥، ت. ش).

(٣) تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله ص ١٥٩، وليد بن صلاح الدين الزير، ط ١/ دار الأصلين.

(٤) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (١/٣٧٦).

(٥) صيانة الإنسان (ص: ٤٤٧)، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(ص: ٣٤١).

عمران: ٨٠]: «يحمل معنى الرب على معنى الإله فيكون بمعنى المعبود»<sup>(١)</sup>، و«أنه ليس المراد من لفظة الرب في مثل هذا السياق: الخالق الرازق مدبر الكون»<sup>(٢)</sup>، بل «المراد من الرب في مثل هذا السياق هو المعبود، فإنه قد يأتي بهذا المعنى.. فلفظة الرب في هذه الآية بمعنى المعبود»<sup>(٣)</sup>.

كما أتيت بنصوص السلفية على أن العكس صحيح، وهو أن الإله يأتي بمعنى الرب<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك قول ابن تيمية: فلو كان ربان لكان مخلوق كل واحد منهما متميزا عن مخلوق الآخر؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]<sup>(٥)</sup>، «فتبين بهذا البيان الباهر أن تقدير ربين للعالم، لا يكونان قادرين إلا حال الاجتماع: ممتنع لذاته»<sup>(٦)</sup>.

فضلا عن أني دللتُ على هذا الترادف بين الرب والإله، وذلك

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للسلمي ص ٤٨٧.

(٢) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٤٢).

(٣) الشرك في القديم والحديث (٢/ ١١٩٤).

(٤) تنوير الرب الإله، ص ٣٩٧.

(٥) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣١٢).

(٦) شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص: ١٣٧).

من الكتاب والسنة والآثار والأخبار والأشعار، فمن أراد التوسع فليرجع إلى كتابي «تنوير الرب الإله».

### المطلب الثاني: الآيات الثمانية تضمنت إقراراً مشروطاً بعدة شروط

لو سلمنا جدلاً بأن كلمتي الرب والإله متباينتان في المفهوم لغة، فإن تلك الآيات الثمانية ليس فيها إقرار محقق وإنما هو إقرار معلق على شروط؛ وهي أن يُسألوا عن الخالق ويتفكروا وينصفوا ويدعنوا فيقروا به تعالى حينها، فهذه عدة شروط لإقرارهم، وقد بينت كل شرط على حدة مفصلاً في كتابي «ولئن سألتهم»، ولكن أذكر خلاصة ذلك هنا في المرصد التالية:

### المرصد الأول: اشتراط أن يسألوا عن الخالق

إن قوله تعالى «ولئن سألتهم..» يدل على أن قولهم أو إقرارهم ليس واقعاً ولا هو متحقق بل هو معلق ومشروط بسؤالهم، وهذا يعلم من إعراب «ولئن سألتهم»، فإن: «الواو استئنافية، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وسألتهم فعل ماضٍ .. وهو في محل جزم فعل الشرط»<sup>(١)</sup>.

(١) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، دار ابن كثير (٧ / ٤٥٧)

فصار حاصل الآية «هو تقريرهم على ما كانوا يعترفون به من انفراده سبحانه بخلق السماوات والأرض واعترافهم بذلك إن سئلوا، ثم أتبع ذلك .. بقوله: (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء .. ليقولن الله ..)، فأعلم تعالى أنهم لو سئلوا أيضا عن هذا لاعترفوا»<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يعتبر إقرارا محققا من المشركين بوجود الله، ولا بأنه خالقهم ولا بأنه ربهم، فضلا عن أن يعتبر إقرارا بتوحيد الربوبية، وإنما هو إقرار معلق على شرط سؤلهم، ولم يثبت أنهم سئلوا وبالتالي لم يقرؤا.

تماما كقوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فالآية تتحدث عن فرضية اتباع الرسول للأهواء حاشاه عليه الصلاة والسلام، «فلو فرض وقوعه كما يفرض المحال لم يكن له ولي ولا نصير يدفع عنه العذاب .. وقيل: الخطاب هناك وهنا، وإن كان ظاهرا للنبي إلا أن المقصود منه أمته»<sup>(٢)</sup>.

فالآية لا تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم اتبع أهواءهم فعلا،

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (٢ / ٣٩١)

(٢) روح المعاني (١ / ٣٧٢)

بل هو مجرد فرض، وكذا سؤالهم عن الخالق لا يعني أنهم سئلوا فعلا وأقروا، بل إن توقف إقرارهم على سؤالهم يدل على أنهم لا يقرون بالله قبل سؤالهم، أي أنهم لا يقرون بالله من تلقاء أنفسهم ابتداءً، وإنما لا بد أن يسألهم النبيُّ نفسه عن الخالق حتى يقروا به.

وذلك لأن سؤاله لهم عن الخالق سيكون سؤال محاجة وليس سؤالاً عابراً أو مجرداً، أي أنه سيكون سؤالاً مقروناً بالحجة على وجوده تعالى، بمعنى أنه عليه الصلاة والسلام سيقيم الدليل والبرهان على وجوده عز وجل، ثم يعملون عقولهم في تلك الحجة ويدعون لها فيقرون بالله.

وبيّن في كتابي<sup>(١)</sup> أن ابن تيمية أخطأ هنا، فنزل «ولئن» في آيات الباب منزلة «إذ»، فجرّده ذلك إلى أن يعتبر آية «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله..» وأمثالها، كما لو كانت بلفظ: «وإذ سألتهم من خلقهم فقالوا: الله!!»

وهذا خطأ وخلط فاحش بين أداتي «إن» و«إذ»، فثمة فرق ظاهر بين الأداتين، إذ لو كانت الآية بلفظ «وإذ سألتهم..» فحينها تفيد أن المشركين قالوا فعلا: الله هو خالقهم وخالق السموات والأرض وما

(١) انظر «ولئن سألتهم» ص ١٣١

بينهما، وأن هذا الإقرار وقع منهم فعلا في الماضي، لأن «إذ» تفيد أن الفعل الذي تقترن به قد حدث وانتهى، بخلاف «إن» فهو يقترن بفعل ربما يحدث في المستقبل، فحدوثه محل شك، كما قرر ذلك النحاة، ونقلت نصوصهم في كتابي<sup>(١)</sup>.

كما بينت في كتابي<sup>(٢)</sup> أنه ليس المقصود بالآيات الثمانية سؤالهم فعلا، وإنما أتت الآيات لإقامة الحجة عليهم في وجود الله أولا، ثم في قدرته على البعث، ثم في وحدانيته مطلقا؛ كما دل على ذلك سياق آيات سورة المؤمنون وغيرها من آيات الباب.

ومما يدل على أن إقرارهم بالله في المستقبل محل شك هو آيات أخرى جاء فيها السؤال عن الخالق والرازق ونحو ذلك من صفات الربوبية، ولكن الجواب لم يكن من المشركين، بل أمر الله رسوله بالجواب بأنه الله بعد أن أمره بالسؤال عن الخالق، طبعاً هذا الأمر هو أمر من حيث الظاهر لتشريف الأمة كما سيأتي بيانه<sup>(٣)</sup>، وإلا فالمراد هو تلاوة هذه الآيات على مسامع المشركين، وإليكم طائفة من تلك

(١) انظر كتابنا: «ولئن سألتهم» (ص ١٣٣).

(٢) انظر كتابنا: «ولئن سألتهم» (ص ١٤٠).

(٣) انظر كتابنا: «ولئن سألتهم» (ص ١٤١).

الآيات:

الآية الأولى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤] أمره سبحانه أن يقول لهم «قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون» أي هو الذي يفعل ذلك لا غيره، وهذا القول الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر الله سبحانه له هو نيابة عن المشركين في الجواب، إما: على طريق التلقين لهم، وتعريفهم كيف يجيبون، وإرشادهم إلى ما يقولون، وإما: لكون هذا المعنى قد بلغ في الوضوح إلى غاية لا يحتاج معها إلى إقرار الخصم، ومعرفة ما لديه، وإما: لكون المشركين لا ينطقون بما هو الصواب في هذا الجواب فرارا منهم عن أن تلزمهم الحجة، أو أن يسجل عليهم بالعناد والمكابرة إن حادوا عن الحق<sup>(١)</sup>.

الآية الثانية: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤] «يعني: إن لم يقولوا: إن رازقنا هو الله تعالى، فقل أنت إن رازقكم هو الله تعالى»<sup>(٢)</sup> فقد «أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله. وذلك بالإشعار بأنهم مقررون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به ... ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنْ

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٠٥).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٣٣٢).

السما والارض ... فسَيَقُولُونَ اللهُ... فكأنهم كانوا يقرّون بألستهم مرّة، ومرّة كانوا يتلعثمون عناداً وضراراً وحادراً من إزام الحجّة»<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي: «أي لا يمكنهم أن يقولوا هذا فعل آهتنا - فيقولون لا ندرى، فقل إن الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم. وإن قالوا: إن الله يرزقنا، فقد تقررت الحجّة بأنه الذي ينبغي أن يعبد»<sup>(٢)</sup>، أو «فإنهم لا بد أن يقرّوا أنه الله، ولئن لم يقرّوا فـ ﴿قل الله﴾ فإنك لا تجد من يدفع هذا القول»<sup>(٣)</sup>، «وربما يتوقفون في نسبته إلى الله مخافة أن تقوم عليهم الحجّة، فأمر الله رسوله بأن يجيب عن ذلك فقال: قل الله أي: هو الذي يرزقكم من السموات والارض»<sup>(٤)</sup>.

الآية الثالثة: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا﴾ [الرعد: ١٦]: «قل الله، حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم... ويجوز أن يكون - أي قوله: قل الله - تلقينا، أي: إن كعوا عن الجواب فلقنهم، فإنهم

(١) تفسير الكشاف مع حاشية الطيبي (١٢ / ٥٥١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٧ / ٣١٢)

(٣) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص ٦٧٩)

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٧٣)

يتلقنونه ولا يقدرّون أن ينكروه<sup>(١)</sup>. اهـ. وقوله «كعوا عن الجواب» أي امتنعوا جبنا أو احتبسوا<sup>(٢)</sup>. اهـ. يقال «كع الرجل وكعكعه الخوف فتكعكع، أي: حبسه فاحتبس»<sup>(٣)</sup>، «وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم»<sup>(٤)</sup>، «والذي حملهم على السكوت عن الجواب أو التلعثم فيه مخافة الإلزام أنهم لو أجابوا وقالوا رازقنا هو الله وحده توجه إليهم أن يقال لهم فما بالكم لا تعبدون الذي تفرد في ترزيقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على أن يرزقكم»<sup>(٥)</sup>.

الآية الرابعة: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]

- (١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٥٢٢)
- (٢) انظر: حاشية محمد عليان المرزوقي على الكشاف (٢ / ٥٢٢) ط/ دار الكتاب العربي. ومن طبعة العبيكان ٣ / ٣٤٤.
- (٣) انظر فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٨ / ٤٩١).
- (٤) تفسير البيضاوي (٤ / ٢٤٧)
- (٥) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (٣ / ٦١٢)

الآية الخامسة: ﴿قُلْ مَنْ يُنجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلْ اللَّهُ يُنجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٥]

ففي هذه الآيات الخمسة سؤال عن المغيث المنجي وعن الخالق والرازق والرب والمالك، وليس فيها جواب من المشركين مطلقا، أي لا جواب محقق ولا معلق، ولا جواب حالي ولا مستقبلي، وهذه الآيات الخمسة تتفق مع آيات الباب الثمانية، حيث كلها - أي الآيات الخمسة والثمانية - لا جواب فيها محقق من المشركين، وإنما تزيد الآيات الثمانية على الخمسة أن فيها جوابا مستقبليا معلقا على سؤالهم وعلى أعمال عقولهم وإذعانهم كما سيأتي.

والحاصل من نصوص المفسرين في الآيات الخمسة السابقة هو أن المشركين قد يتلكؤون أو يترددون أو يمتنعون عن الجواب لو سئلوا عن الرب أو عن الخالق أو عن الرازق، فأمر الله نبيه أن يجيب حينها بأن الرب والخالق والرازق هو الله.

وبالتالي فإن ما جاء في آيات الباب الثمانية - كقوله: ولئن سألتهم من خلقهم .. - من أن المشركين إن سئلوا عن الخالق فسيقولون بأنه الله: يجب فهمها على ضوء الآيات الخمسة السابقة التي أمر الله نبيه

فيها بأن يجيب بأن الرب الرازق هو الله.

فيكون معنى آيات الباب الثمانية حينئذ على ضوء الآيات الخمسة الأخرى أن المشركين سيقولون بأن الخالق هو الله إن لم يترددوا أو لم يجمعوا، فإن ترددوا أو أحجموا فقل أنت يا محمد بأن الخالق هو الله.

وثمة آيات أخرى كثيرة مماثلة للخمسة السابقة، أي فيها سؤال عن الخالق ولكن لا جواب فيها من المشركين، ويمكن تصنيفها إلى أربع مجموعات:

المجموعة الأولى: آيات فيها أمرٌ بالسؤال عن الخالق ثم أمرٌ بالجواب بأنه الله، وذلك كآيات الخمسة السابقة كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ [سبأ: ٢٤]

المجموعة الثانية: آيات فيها أمرٌ من الله لرسوله أن يسأل عن الخالق، ولا جواب فيها! مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿﴾ [الأنبياء: ٤٢، ٤٣]

المجموعة الثالثة: آياتُ الله نفسه يسأل فيها عن الخالق، ولا

جواب فيها! وذلك كقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

المجموعة الرابعة: آيات تسأل: هل ثمة إله أو رب معه؟ ولا جواب فيها أيضا. كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

وقد توسعت في الكلام على هذه الآيات في كتابي «ولئن سألتهم»<sup>(١)</sup>، ثم خلصت إلى القول: والحاصل أن الآيات السابقة بمجموعاتها الأربعة كلها تشترك في أنها تسأل عن الخالق وصفات الربوبية كالتدبير والحفظ والإنعام ونحو ذلك، ولكن لا جواب فيها من المشركين بأنه الله، وإنما يكون فيها الجواب من الرسول، أو لا جواب فيها أصلا، وهذا يُضعف زعمكم بأن السؤال عن الخالق في آيات الباب الثمانية كقوله «ولئن سألتهم من خلق..» يُراد به أن يتدرج بالمشركين ليقروا بتوحيد الألوهية بعد أن يقروا بتوحيد الربوبية بحجة أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية!!

(١) «ولئن سألتهم» ص ٤٩

وسبب ضعفه أنه على فرض صحته في آيات الباب الثمانية فليس صحيحا في الآيات الأخرى بمجموعاتها الأربعة؛ لأنه لا إقرار فيها بتوحيد الربوبية إذ لا جواب فيها أصلا من المشركين بشيء قط!! فأنتى يلزم من هذا إقرارهم بتوحيد الألوهية؟! فهل العدم يستلزم توحيدا أو يستلزم شيئا<sup>(١)</sup>!!؟

### المرصد الثاني: اشتراط أن يتفكروا في أدلة وجود الله وينصفوا

وهذا قرره المفسرون وإليك نصوصهم:

- (١) قال البيضاوي: «ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود»<sup>(٢)</sup>. اهـ.
- (٢) ونحوه قول الألويسي: «ليقولن الله» لظهور الدليل ووضوح السبيل فقد تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات إلى واجب الوجود»<sup>(٣)</sup>. اهـ.
- (٣) وكذا قول القاسمي: «ليقولن الله» لما تقرر في الفطر والعقول من

(١) «ولئن سألتهم» ص ٧٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٤ / ١٩٨)

(٣) روح المعاني (٦ / ٢٤)

استيقان ذلك. ولوضوح الدليل عليه<sup>(١)</sup>. اهـ.

لاحظ أقوال هؤلاء المفسرين كيف علّقوا الإقرار بالله على حكم العقل وإعماله، وعليه فما لم يُعملوا عقولهم فلن يقرأوا، وسيأتي أنهم معطلون لعقولهم بسبب تقليدهم لآبائهم.

وقال الشوكاني - وكذا صديق خان<sup>(٢)</sup> -: فسيقولون الله، أي: سيكون قولهم في جواب هذه الاستفهامات: أنّ الفاعل لهذه الأمور هو الله سبحانه إن أنصفوا وعملوا على ما يوجبه الفكر الصحيح، والعقل السليم<sup>(٣)</sup>. اهـ.

فتأمل قوله «إن أنصفوا وعملوا على ما يوجبه الفكر الصحيح» حيث نصّ على شرطي الإنصاف والتفكير معاً، بيد أنهم غير منصفين بل معاندون، وكذا هم غير متفكرين لأنهم مهملون لعقولهم بسبب التقليد كما سننسطه في المرصد التالي.

**المرصد الثالث: بيان أنهم لا يتفكرون ولا يُعملون عقولهم لأنهم**

**مقلدون لآبائهم**

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٨ / ٤٠٤)

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٦ / ٥٧)

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢ / ٥٠٤)

بعد أن ثبت أن إقرارهم متوقف على شروط، هي أن يعملوا عقولهم وينصفوا، ثم يدعنا كما سيأتي، فالسؤال: هل تحققت هذه الشروط؟ والجواب أن هذه الشروط المشترطة لإقرارهم بالله غير متحققة، فهم لم يتفكروا ولم يعملوا عقولهم لأنهم مجرد مقلدين لآبائهم في الضلال والكفر، وأيضا لم ينصفوا ولم يدعنا بل كابروا وعاندوا، ولذا جاء لحاق بعض آيات الباب نفسها ليشير إلى أنهم لا يؤمنون به تعالى، حيث قال تعالى ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧، ٨٨]، فتأمل قوله «إن هؤلاء قوم لا يؤمنون حيث أشار إلى أنهم لا يؤمنون به تعالى.

وهم لو تفكروا أصلا وتركوا التقليد لما عبدوا الأوثان، ولذلك فإنهم «وُصِفُوا فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»<sup>(١)</sup>، حيث قال تعالى ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

ولذا جاءت آيات كثيرة تنعى عليهم هذا التقليد الأعمى وتنعى عليهم وعلى آبائهم إغفال عقولهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٢٦٥)

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿البقرة: ١٧٠﴾.

وما داموا لا يتفكرون، ولا يعملون عقولهم؛ فلا يبعد أن ينكروا وجود الله، ولذا خاطبهم القرآن بأدلة تدل على وجود الله، فقد قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يقول ابن تيمية: «بين سبحانه باستفهام الإنكار الذي يتضمن أن الأمر المنكر من العلوم المستقرة، الملازمة للمخاطب، التي يُنكر على من جحدتها؛ لأنه سفسط بجحد العلوم البديهية الفطرية»<sup>(١)</sup>.

فتأمل قول ابن تيمية «التي ينكر على من جحدتها؛ لأنه سفسط بجحد العلوم البديهية ..» فهذا يشير إلى أنه ثمة من قد يكابر وينكر وجود الله حتى لو كان ذلك من العلم البدهي الضروري!!

**المطلب الثالث: إشارة بعض آيات الباب الثمانية نفسها إلى شكهم في الخالق**

إنّ بعض آيات الباب فيها نفي أو تشكيك بعلمهم بالخالق كما بيّنه السمعاني والشوكاني وغيرهما من المفسرين، وإليك نصوصهم:

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٨٢)

أولاً: آية العنكبوت، يقول السمعاني في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]: أي: «لا يعلمون أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله تعالى»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثانياً: آية «المؤمنون»: قال الشوكاني في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥] قوله: «أي: إن كنتم تعلمون فأخبروني. وفي هذا تلويح بجهلهم وفرط غباوتهم»<sup>(٢)</sup>، أو المعنى «أجيبوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم، وفيه استهانة بهم وتجويز - لفرط جهالتهم بالديانات - أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين»<sup>(٣)</sup>، «فيكون استهانة بهم وتقريراً لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح إلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره»<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الرابع: غاية ما تدل على الآيات الثانية هو معرفتهم القلبية بالله

إن غاية ما تدل عليه الآية أن الله يعلم أنهم سيقرّون لو سئلوا

(١) تفسير السمعاني (٤ / ١٩٣)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٥٨٦)، وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن (٩ / ١٤٣)

(٣) الكشاف (٣ / ٢٠٢)

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٤ / ٩٣)

عن خالقهم، وأن هذا يدل على إيمانهم القلبي بالله، ولكن هذا الإيمان القلبي - إن سلّم - هو مجرد معرفة فطرية مبدئية، قد تتغير إذا انحرفت الفطرة إلى الشرك وهو فعلاً ما حدث، بل قد تتحول الفطرة إلى إنكار وجود الله أصلاً كما مرّ آنفاً من كلام ابن تيمية.

ثم هم لم يدعنوا لهذه المعرفة القلبية بل فعلوا عكس ذلك فأنكروا الحساب والبعث فضلاً عن شركهم وشكّهم في وجود الله وربوبيته وعلمه وسمعه وإرادته وقدرته وحكمته، وبعضهم أنكر وجود الله بإقرار ابن تيمية، وهذا كله بسطته في كتابي مع أدلته وأقوال المفسرين والسلفية<sup>(١)</sup>، وسيأتي طرف من ذلك.

ثم بيّنت في كتابي<sup>(٢)</sup> أن آيات سورة المؤمنون «قل لمن الأرض ومن فيها ..»، كآيات سورة النمل «ألله مع الله» كلاهما ليس فيه إقرار المشركين بالتوحيد في الربوبية ولا في الألوهية، وأنه لو عددنا ما في سورة المؤمنون إقراراً من المشركين بتوحيد الربوبية لصحّ أن نعدّ ما في سورة النمل إقراراً منهم بتوحيد الألوهية، وما هو جوابكم هنا هو جوابنا هناك.

(١) «ولئن سألتهم» ص ٨٨

(٢) «ولئن سألتهم» ص ٢١٣

## المطلب الخامس: لا دلالة في تلك الآيات على التوحيد الذي تبرعتم به للمشركين

سَلَّمنا جدلاً بأنهم أقروا بألستهم بأن الله خالق السموات والأرض ونحو ذلك، ولكن لا نسلّم بأنهم وحدوا الله في إقرارهم، لا في الربوبية ولا في الألوهية، لأن التوحيد يجب أن يتضمن النفي والإثبات ونحو ذلك من أساليب الحصر والقصر والتوكيد، كما قرّرتم أنتم أنفسكم، فقلتم «إن التوحيد له ركنان: النفي والإثبات؛ فمن لم يكفر بالطاغوت، ولم يبرأ من الشرك، فتوحيده باطل فاسد»<sup>(١)</sup>، «فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

ومعلوم أن آيات الباب ليس فيها أيّ من تلك الأساليب، ولذا قدّر ابن تيمية محذوفاً وهو كلمة «وحده» في الآية! فصار المعنى عنده «ليقولن الله وحده»!! ومعلوم أن التقدير نوع من المجاز، وهو باطل عنده، بل هو طاغوت عند تلميذه ابن القيم، وأطال هو والسلفية في

(١) جهود علماء الحنفية (١ / ٣٤٤)

(٢) بدائع الفوائد (١ / ٢٣٦)، ونقله في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٧)

إبطاله، فكيف لجؤوا له هنا<sup>(١)</sup>!!!؟

حيث زعموا أن الآية دلت على أن المشركين أقروا «بأن الله وحده خالق السماوات والأرض»<sup>(٢)</sup>، فأين كلمة «وحده» في تلك الآيات الثمانية؟! أين فيها ما زعمه النجدي: «فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو... فإذا أردت الدليل.. فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.. فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>. فأين ذلك في هذه الآية ومثيلاتها من آيات الباب الثمانية!!! أين فيها: الله وحده لا شريك له؟! أين فيها لفظ «إلا هو»؟

إن غاية ما في تلك الآيات الثمانية كلها أنهم إن سألتهم عن الخالق ليقولن الله؟ وأما زيادة «وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو..» فهذه من ابتداع ابن عبد الوهاب النجدي هبةً منه للمشركين ليكفر المسلمين، فنعوذ بالله من الخذلان! وذلك بأن يعتبر المشركين موحدين في الربوبية بحجة أنهم «يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا

(١) «ولئن سألتهم» ٣٣٥

(٢) منهاج السنة النبوية (٥ / ٣٢٧)

(٣) كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤.

شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو..!»!

واعتبر النجديُّ أن هذا هو ما دلت عليه الآيات الثمانية «ولئن سألتهم من..»، وأنَّ من يقول بأن تلك الآيات لا توحيد فيها فهو - عند النجدي طبعاً - من المحرفين لتلك «الآيات الصريحة الناصعة على اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية»<sup>(١)</sup>!!

ثم يصل النجدي إلى النتيجة المرجوة الغالية عنده: أن من يقتصر على توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية كما هو الحال عند المتكلمين والصوفية فحكمه حكم مشركي قريش الذين أقروا بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية، أي أنه مشرك! وبالتالي يكون قد وصل النجدي إلى تكفير كل من ليس من أتباعه، مستدلاً في ذلك بنصوص لابن تيمية

(١) جهود علماء الحنفية (١ / ١٨٦)، وجاء في نفس الكتاب (١ / ١٩١): الطامة الثامنة: تحريفهم لتلك الآيات الصريحة الناصعة على أن المشركين كانوا يعترفون بتوحيد الربوبية - تحريفاً معنوياً قرمطياً -، ولهم في هذا التحريف القرمطي طرق عجيبة غريبة، كل هذه التحريفات لمحاولة إثبات أن المشركين لم يكونوا معترفين بربوبية الله تعالى. اهـ.

وانظر أيضاً موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ١٤٩)، وانظر أيضاً: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٦.



كما سيأتي بسط ذلك<sup>(١)</sup>.

## المطلب السادس: فهمُ ابن تيمية لتلك الآيات الثانية يخالف فهم السلف الذي دعا هو إليه

يقوم مذهب السلفية الذي دعا إليه ابن تيمية على وجوب اتباع فهم السلف للكتاب والسنة، وأنه «من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين»<sup>(٢)</sup>، «فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل»<sup>(٣)</sup>

وأن «من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا وإن كان مجتهدا مغفورا له خطؤه»<sup>(٤)</sup>، و«لا يكفي الاعتماد على القرآن والسنة

(١) انظر: (ص ٢١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٧).

(٣) الموافقات للشاطبي (٣ / ٢٨٩)، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان حسن (ص ٥٢٤).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ٣٦١).

دون منهج السلف المبين لهما في الفهم والتصوير، والعلم والعمل...»<sup>(١)</sup>.

فإذن ابن تيمية قرر - هو وأتباعه - وجوب الرجوع لفهم السلف، فهل رجع لفهم السلف لهذه الآيات الثمانية «ولئن سألتهم من...» فالتزم به؟ أو هل هو موافق لهم في ذلك؟!

لدى الرجوع إلى التفسير بالمأثور المروي عن الصحابة والتابعين وأتباعهم رضي الله عنهم، لا نجد أحدا منهم عند تفسير الآيات الثمانية ونحوها نسب إلى المشركين كلمة «وحده» أو «لا خالق إلا الله»، وإليكم الآثار في ذلك:

(١) قال البخاري في صحيحه: وقال عكرمة ❖ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ❖، ❖ ولئن سألتهم من خلقهم ❖. و ❖ من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ❖، فذلك إيمانهم، وهم يعبدون غيره<sup>(٢)</sup>. قال الحافظ: وصله الطبري... عن عكرمة في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون، قال: يسألهم من خلقهم

(١) المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني ص ٢١، ص ٢٦، ص ٢٧، تأليف:

عمرو عبد المنعم سليم، دون بيان دار وتاريخ النشر.

(٢) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٦/ ٢٧٣٣)

ومن خلق السماوات والأرض؟ فيقولون الله، فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره. ومن طريق يزيد بن الفضل عن عكرمة في هذه الآية ... قال: هو قول الله: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله، فإذا سئلوها عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولدا وأشركوا به.

(٢) وبأسانيد صحيحة عن عطاء وعن مجاهد نحوه، وبسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن بن عباس قال من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماوات، وبسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن بن عباس قال من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماوات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال قالوا الله، وهم به مشركون<sup>(١)</sup>. اهـ.

(٣) وروى ابن أبي حاتم بسنده عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾: تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره<sup>(٢)</sup>.

فهل ترون في كل هذه الآثار الواردة عن السلف المفسرة

(١) فتح الباري (١٣ / ٤٩٤) وانظر أيضا: تغليق التعليق على صحيح البخاري

(٣٦٠ / ٥)

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٠٧)

لآيات الباب الثمانية، أو هل تجدون فيها كلمة «وحده» أو نحوها من أساليب الحصر والقصر: منسوبة للمشركين؟! طبعاً لا!!! والسؤال هنا لماذا لم يتبع ابن تيمية والسلفية فهم السلف لهذه الآيات كلها؟! وأين أتباع فهم السلف الذي لطالما نادى به ابن تيمية وبدّع خصومه على أساسه؟!!!

### المطلب السابع: السلفية يهبون التوحيد للمشركين ليسلبوه عن المسلمين؟!!

لاحظ كيف شهد السلفية الوهابية للمشركين بأنهم يقولون: إن الله هو الخالق وحده لا شريك له...، وهم أنفسهم يقتصرون حين يُسألون عن الخالق بقول كلمة واحدة وهي: «الله»<sup>(١)</sup>! أي لن يقولوا: «الله وحده لا شريك له»، وإنما هذا هبة منكم وتبرّع! فكيف تنسبون للمشركين ما سلبتموه عن المسلمين؟!

(١) طبعاً هذا لو سلمنا أنهم قالوا: الله أي خالقنا، وإلا فهذا غير مسلم كما سبق بيانه مطولاً. انظر: «ولئن سألتهم» (ص ١١٧).

إذا كنتم قد شرطتم على المسلم سبعة شروط<sup>(١)</sup> لتعدّوه موحدًا فمن باب أولى أن تتشدّدوا بالشروط على المشركين الأصليين، لأنّ المسلم ينطق بالشهادتين صباح مساء، فهو دائماً مصرّح بإيمانه بالله الواحد الأحد في ربوبيته وألوهيته، فضلاً عن إيمانه بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وقدره، والمشرك بخلاف ذلك كله!

بيد أنكم عكستم فشددتم الشروط على المسلمين في توحيد الألوهية؛ فمن نطق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لا عبرة بنطقه بها ما لم يحقق الشروط السبعة أو الثمانية لها عندكم!! وأما المشركون فلم شرطوا عليهم حتى مجرد النطق لكي تشهدوا لهم بالتوحيد في الربوبية! بل تبرّعتم أنتم بالنطق نيابة عنهم فقلتم «فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو،

(١) وهذه الشروط يطول شرحها عند السلفية، ولذا لهم في ذلك أبحاث وتصانيف لبسطها، من ذلك بحث بعنوان «شروط لا إله إلا الله»، د. عواد المعتق، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العددان (١٠١، ١٠٢)، ١٤١٤/١٤١٥هـ.

ولا يجيى ولا يميمت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو..»<sup>(١)</sup>!!

### المطلب الثامن: خطأ تقدير السلفية لكلمة وحده في آيات الباب الثانية

وهذا هو الأهم، وهو أن تقديركم لكلمة «وحده» في آيات الباب الثانية غايته أن يكون مفهوم تلك الآيات، ولكن عارضه منطوق ست آيات صريحة في أن المشركين كانوا يرفضون كلمة «وحده» ويشتمزون منها إذا قرنت مع «الله»، وإليكم تلك الآيات:

- (١) ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]
- (٢) ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]
- (٣) ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]
- (٤) ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤]

(١) كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤، وانظر أيضا معنى لا إله إلا الله، محمد بن عبد الوهاب (ص: ٢، ت.ش)، وشرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص: ٣٠).

(٥) ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤].

(٦) ﴿قَالُوا أَاجْتَنَّا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]

فهذه ست آيات بيّنت موقف المشركين من العرب ومن غيرهم من كلمة «وحده» التي تنسبونها لهم، وهو أنهم يرفضونها ويكفرون بها وليس هذا فحسب بل يشتمزون من ذكر الله حينها كما في آية الزمر، فكيف يصح بل كيف يُعقل بعد هذه الآيات الصريحة أن تقدروا كلمة «وحده» في آيات الباب «ولئن سألتهم من..؟!». كيف تقدرون شيئاً قضت عليه ست آيات وأبطلته؟! وأنتم أصلاً ضد تقدير محذوف لأنه نوع من المجاز الذي تعتبرونه طاغوتا كما سبق؟!!

### المطلب التاسع: نقض المشركين لتوحيد الربوبية وعدم إذعانهم له

لو سلّمنا جدلاً أنهم أقرّوا نطقاً بأن الله وحده هو خالق السموات والأرض ونحو ذلك، ولكن هذا الإقرار لا يفيدهم لما

يعتريه من أمور تفسده، ككونهم غير موقنين بل شاكين ومكرهين على الإقرار، لأن الإقرار بالله هو ضرورة عقلية على قول ابن تيمية، فضلا عن أنهم غير مدعين بل ناقضون له، ليس هذا فحسب بل جاءت آيات تفيد أنهم منكرون لربوبية الله من أصلها فضلا عن إنكارهم لتوحيد الربوبية، وإليكم بيان عدم إيقانهم وعدم إذعانهم من كلام المفسرين:

### أولا: بيان عدم إيقانهم

قال الطبري: «إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السماوات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته، وأن هذا القرآن تنزيله، ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حق يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حيان: (بل لا يوقنون: أي إذا سئلوا: من خلقكم وخلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون)<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان ط هجر (٢١ / ١٢)

(٢) البحر المحيط (٨ / ١٤٩)

وقال القاسمي عند قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿[الدخان: ٧ - ٩]: «أي بل ليسوا بموقنين في إقرارهم بربوبيته، لأن الإيقان يستتبع قبول البرهان، وإنما هو قول ممزوج بلعب، لغشيان أدخنة أهوية نفوسهم، بصائر قلوبهم وأرواحهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الشوكاني فهم «في شك من التوحيد والبعث، وفي إقرارهم بأن الله خلقهم، وخالق سائر المخلوقات، وأن ذلك منهم على طريقة اللعب والهزو»<sup>(٢)</sup>، «وإنما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم»<sup>(٣)</sup>، «فهم في شك وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة»<sup>(٤)</sup>، وهذا كله يبين «أن إقرارهم غير صادر عن علم

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٨ / ٤٠٨)، دار الكتب العلمية.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٦٥٤)، وانظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٩ / ١٠٥).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان (١٢ / ٣٩٢) وانظر أيضا الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ١٠٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (١٩ / ١٠٥).

وتيقن، ولا عن جد وحقيقة»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: بيان عدم إذعانهم

إن عمل القلب من ضمن «خمسة أمور اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمله، وعمل الجوارح .. عمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد»<sup>(٢)</sup>، وهذا الانقياد والإذعان للقلب ركن ركين في الإيمان إذ الإيمان «إنما يكون نافعاً إذا كان الإذعان والعمل»<sup>(٣)</sup>.

«ولا تنفعه المعرفة القلبية من غير إذعان وقبول، فإن من الكفار من كان يعرف الحق يقيناً، وكان إنكاره عناداً واستكباراً، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾»<sup>(٤)</sup>؛ فمثلاً اليهود كانوا ((يُحَدِّثُونَ رِسَالَتَهُ وَيُحْسَدُونَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَإِنْ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ فِي قَرَارَةِ أَنفُسِهِمْ، كَمَا قَالَ

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤ / ٢٧٢)، وانظر: تفسير البيضاوي (ص: ١٥٨).

(٢) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (ص: ٢١)، عبد الرزاق البدر، مكتبة دار القلم بالرياض، ط ١ / ١٩٩٦ م.

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٨٠).

(٤) الإيمان بين السلف والمتكلمين (ص: ١٥٢).

تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فهم يعلمون أنه رسول الله، وأنه نبيُّ الله، ولكنهم جحدوا هذا تكبراً وحسداً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحسداً للعرب))<sup>(١)</sup>.

### المطلب العاشر: آياتُ الباب الثمانية عارضها آياتُ أخرى وأحاديثُ أصرح منها.

حيث دلَّ بعضُ الآيات والأحاديث بظاهرها على أن المشركين منكرون لربوبية الله، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿[الحج: ٣٩-٤٠]، وحديث البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال بينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه

(١) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (٢/ ٤٤٩)، وانظر أيضا (١/ ٣٦٠). وانظر:

التوحيد أولا يا دعاة الإسلام للألباني (١٤)، القول السديد في الرد على من أنكروا

تقسيم التوحيد (ص: ٦٣)، الرد الشامل ص ١٠٢.

ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] (١).

فدلت آية الحج وحديث البخاري هذا على أن المشركين كانوا ينازعون في قول النبي وأصحابه «الله ربنا»، وأن «المشركين لم يقاتلوا المسلمين ويخرجوهم من ديارهم إلا لذلك» (٢)، ولو كانوا يؤمنون ويقولون «ربنا الله» لما أخرجوهم بسبب قولهم هذا، وهذا يعني أن المشركين كلهم أو جلهم أو عتاتهم فقط إما أنهم ينكرون وجود الله أصلاً، وهذا يؤكد ما قلناه من أن آيات الباب الثمانية لا إقرار محققاً فيها منهم بالله، وإنما إقرار معلق على شروط كما سبق، وأنه إن حدث هذا الإقرار منهم فقد كانوا مضطرين إليه، أو غير موقنين بسبب تقليدهم لأبائهم ونحو ذلك، فضلاً عن أنهم نقضوه بأقوالهم وأفعالهم، وقد سبق بيان ذلك كله والله الحمد.

وهكذا أكون قد أتيت في المطالب العشرة السابقة على خلاصة كتابي «ولئن سألتهم»، والذي أثبت فيه بشكل مسهب أن آيات الباب الثمانية لا حجة فيها على أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية، وقد بينت ذلك من خلال أربعة فصول، فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه،

(١) صحيح البخاري (٤٥٣٧)، كتاب التفسير باب تفسير سورة المؤمن (غافر).

(٢) كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثي للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص ٢٧.

والله من وراء القصد.



### المبحث الثاني:

## آية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

أكثر ابن تيمية<sup>(١)</sup> وأتباعه<sup>(٢)</sup> من الاستدلال بقوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] على أن توحيد الربوبية «قد أقر به المشركون»<sup>(٣)</sup>. ودلت أيضا على أنهم «مع إقرارهم

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٥٠) و(٣ / ٩٧) و(٢ / ١٢٩)، بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٥٣٣)، الفتاوى الكبرى (٥ / ٢٣٨)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١ / ٣١٨) و(٩ / ٣٤٤).

(٢) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٤٢)، القول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد (ص: ٥٩)، الرد الشامل للموجان ص ١٠٤.

(٣) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٠)

بأن الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى<sup>(١)</sup>. وعلى أنهم «ما كانوا يقولون: إن العالم خلقه اثنان، ولا أن مع الله ربا ينفرد دونه بخلق شيء»<sup>(٢)</sup> بل دلت آية يوسف على أنهم «كانوا يقرون بأن الله وحده هو الذي خلق السموات والأرض كما أخبر الله بذلك عنهم»<sup>(٣)</sup> وليس هذا فحسب بل دلت على أنهم قد «سَلَّمُوا الخلق والملك والرزق والإحياء والإماتة، والأمر كله لله وحده لا شريك له»<sup>(٤)</sup>. «وكانوا مع هذا مشركين»<sup>(٥)</sup>.

فصار معنى الآية «أنهم لا يؤمنون بالربوبية إلا وهم مشركون في الألوهية، لأن المشركين كلهم يقرُّون بالربوبية، ولكنهم يشركون في الألوهية»<sup>(٦)</sup>. و«إيمانهم هو إقرارهم بأن الله خالقهم ورازقهم، وشركهم هو في عبادتهم غير الله تعالى»<sup>(٧)</sup>، «فأثبت لهم إيماناً وهو

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٦٤)

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٦٤)

(٣) بيان تليس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣ / ١٣٨)

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٨٥)

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٣)، وانظر نحوه في موقف ابن تيمية من

الأشاعرة (٣ / ٩٧٤)

(٦) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١ / ١٩٥)

(٧) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢١٦

إقرارهم بربوبيته سبحانه وأثبت لهم شركا، وهو عبادتهم غيره»<sup>(١)</sup>.

وما قاله الشعبي ومجاهد وغيرهما في هذه الآية يدل «على أن الكفار كانوا مقرين بأمر دون أمر، فالذي أقروا به هو وحدانية الله تعالى في ربوبيته، والذي خالفوا فيه هو توحيدِه في عبادته»<sup>(٢)</sup>.

والجواب: إن هذا غير مسلّم وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول: هذه الآية نصٌّ على أنهم مشركون مطلقا، وجاءت آثار عن السلف تؤكد ذلك، وهذا كله يخالف قولكم بأنهم موحدون في الربوبية، فاستدلّ لكم بها هنا هو من أعجب العجب.

الوجه الثاني: جاءت آثار أخرى عن السلف تفيد أن المقصود بالشرك هنا ليس شرك العبادَة، وروي عنهم أيضا أنها لم تنزل في مشركي العرب أصلا، وإنما في النصارى والمنافقين.

الوجه الثالث: يدل مفهوم المخالفة للآية على أن بعض المشركين لا يؤمنون بالله أصلا، وهذا خلاف قولكم بأن المشركين بل البشر كلهم مؤمنون بالله.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادَة ص ٢٠٩

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادَة ص ٢١٧

وفيما يلي بسط هذه الوجوه الثلاثة في ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: الآية نصّ على أنهم مشركون مطلقا

وقد جاءت آثار عن السلف تؤكد ذلك، وهذا كله يخالف قولكم بأنهم مشركون في الألوهية فقط، وموحدون في الربوبية، فاستدلّالكم بها هو من أعجب العجب! إذ الآية أطلقت أنهم مشركون دون تقييد، فكيف تخالفونها وتقولون بأنهم موحدون في الربوبية، وتستنبطون ذلك من هذه الآية؟!!

فليت شعري أين ذكر التوحيد في الآية أصلا حتى يُذكر أقسامه من ربوبية أو ألوهية، لتستنبطوا أنها أثبتت للمشركين القسم الأول وهو توحيد الربوبية، دون الثاني وهو توحيد الألوهية؟! أين ما يدل فيها على التوحيد من أساليب الحصر والقصر الذي لا بد للتوحيد من اشتماله على أحدها، ولاسيما أسلوب النفي والإثبات، وقد بسطنا ذلك مطولا من كلام ابن تيمية نفسه ومن كلام أتباعه<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قول ابن تيمية: توحيد الربوبية هو الاعتقاد بـ«أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر كتابي: ولئن سألتهم ص ٢٧٦-٢٨٠.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٣١)

غاية ما في الآية أنها أثبتت لهم الإيمان بالله مع الشرك به، وهذا ما أقر به ابن القيم حيث قال: فأثبت لهم إيماناً به سبحانه مع الشرك<sup>(١)</sup>. اهـ. كما سيأتي كلامه مبسوطاً، وهذه حقيقة المشركين، فالمشركون - في معظمهم - مقرون بالله غير جاحدين لوجوده، وإنما الذي يجحدونه هو التوحيد كما ذكرنا ذلك سابقاً<sup>(٢)</sup>، فأين في آية يوسف هذه أنهم موحدون في الربوبية ومشركون في الألوهية؟ وأين فيها هذا التقسيم للتوحيد إلى ربوبية وألوهية أصلاً؟

وأما الآثار التي ذكرتموها عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما، من أن إشراكهم كان في العبادة؛ فالجواب عنها في المراسد التالية:

**المرصد الأول: الجواب عن أثر ابن عباس وغيره «فيقولون: الله وهم يعبدون غيره»**

قال السيوطي: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ قال: سلهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض

(١) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم (ص: ٦١)، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة. وانظر: (ص ٧٢) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: «ولئن سألتهم» (ص ٣٦)، وانظر: (ص ٣٢٥) من هذا الكتاب.

فيقولون: الله، فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره<sup>(١)</sup>.

وهذا الأثر قد استدل به ابن تيمية فقال «.. فأما «توحيد الربوبية وهو الإقرار بأنه خالق كل شيء فهذا قد أقر به المشركون الذين قال الله فيهم: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ قال ابن عباس: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون الله وهم يعبدون غيره»<sup>(٢)</sup>.

فهنا نسب ابن تيمية هذا الأثر لابن عباس، ومرة نسبة لابن عباس ومجاهد معاً<sup>(٣)</sup>، وأحياناً نسبة لعكرمة<sup>(٤)</sup>، وأحياناً نسبة ابن تيمية

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٥٩٣)

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٠)، «مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد

رضا» (١/ ٣٤)، «جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم» (٧/ ١٦٣)

(٣) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية» (١/ ٣٦٠)

(٤) جاء في «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٠١):... وأن مجرد الإقرار بأن الله رب كل شيء

لا يكون توحيداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله كما قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم

بالله إلا وهم مشركون﴾. قال عكرمة: تسألهم من خلق السموات والأرض

فيقولون الله، وهم يعبدون غيره. اهـ.

هو وبعض السلفية<sup>(١)</sup> لطائفة من السلف<sup>(٢)</sup>، هذا وقد استدل أيضا بأثر ابن عباس ابن القيم<sup>(٣)</sup> وكثير من السلفية<sup>(٤)</sup>.

### والجواب:

أولاً: أن ابن عباس لم يقل إنهم قالوا حين سئلوا عن الخالق: هو الله وحده، كما ينسب لهم ابن تيمية في عبارته السابقة، حيث قال تعليقا على آية يوسف: «وكانوا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى»<sup>(٥)</sup>.

### المرصد الثاني: قول عكرمة فذلك إيمانهم بالله ولم يقل فذاك

- (١) «كتاب التوحيد وقرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» (ص ٣٧)، «الأربعون العقدية» لأيمن إسماعيل (٢ / ٩٣٧)، «آراء ابن عجيبة العقدية عرضاً ونقداً» (ص ٣٣٦ ت.ش)
- (٢) «جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم» (٣ / ١٥١)، «مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى» (ص ١٣٨)، «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (الجزء الرابع، القسم الثاني)» (ص ٥٩٤)، «المجموع الثمين في حكم دعاء غير رب العالمين» (ص ٢١ ت.ش)
- (٣) «مدارج السالكين» (١ / ٢٤٥ ط عطاءات العلم)
- (٤) «تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد» لعبد الهادي العجيلي (١ / ١٢٤)،
- (٥) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٦٤)

## توحيدهم

ثانيا: روى الطبري بسنده عن عكرمة في قوله: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: «تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض، فيقولون: الله، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره»<sup>(١)</sup>، وهذا الأثر عن عكرمة علّقه البخاري عنه في صحيحه، ورواه ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس، ومن طريق ابن أبي حاتم وصله الحافظ في التعليق<sup>(٢)</sup>.

فتأمل قوله: «فذلك إيمانهم بالله» ولم يقل فذلك توحيدهم، وهذا ما جعل الغنيان - أحد التيمية - يؤول كلام عكرمة ويقول «أن إيمانهم هو إقرارهم بتوحيد الربوبية، وعلمهم بأن الله هو المتفرد بالخلق»<sup>(٣)</sup>!!!

ولكن قد قلنا غير مرة أن هذا لا يصلح لأنه حمل لكلام المتقدمين على مصطلحات المتأخرين! ومن جملتها مصطلحات ابن تيمية التي استخدمها في نظريته لتقسيم التوحيد!! حيث يحمل هو

(١) جامع البيان ط هجر (١٣ / ٣٧٣)

(٢) انظر: صحيح البخاري بتحقيق د. البغا (٦ / ٢٧٣٣)، فتح الباري (١٣ / ٤٩٤)،  
تعليق التعليق (٥ / ٣٦٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٠٧).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيان (٢ / ٤٩٥)

وأتباعه كثيرا من كلام الشارع وكلام السلف على مصطلحاته هو،  
والمفارقة أن هذا السلوك أول من ينكره على غيره هو ابن تيمية نفسه  
وكذا أتباعه !!

فقد قال السلفية: ((يجب الرجوع إلى ما قاله الصحابة والسلف  
حول النصوص، لأن أقوالهم هي التي تفصل الخلاف في هذا الباب،  
يقول شيخ الإسلام «والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن تعرف  
ألفاظه الصحيحة، وما فسر بها الذي تلقوا عنه اللفظ والمعنى،  
ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من  
الاصطلاحات»<sup>(١)</sup>. ومعنى ذلك أنه لا بد من ثلاثة أمور: .. لا بد من  
معرفة اللغة والمصطلحات التي كانوا يتخاطبون، حتى لا تختلط  
بالمصطلحات الحادثة التي جاءت عند المتأخرين وهي تحمل معاني  
ودلالات خاصة))<sup>(٢)</sup>. ولذا فإن «حمل نصوص الكتاب والسنة على  
المصطلحات التي اصطُح عليها بعد عهد التنزيل بدهور - زيغ عن  
منهج الكتاب والسنة، وتنكبُّ عن سبيل السلف الصالح، ومنازعة  
للغة التخاطب»<sup>(٣)</sup>، «تخاطب العرب وتفاهم السلف، واللسان

(١) نقض التأسيس المطبوع (١/١٥٩).

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٧٦٧).

(٣) جهود علماء الحنفية (٣/١٤٨٩).

العربي»<sup>(١)</sup>.

## ابن القيم يقرّ بأن الآية أثبتت لهم إيماناً به وليس توحيداً بل شركاً

ثالثاً: إن ما قاله عكرمة أكده ابن القيم، حيث قال: ومعلوم أن أعداءه المشركين لن تخلو قلوبهم من الإيمان به، قال الله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ فأثبت لهم إيماناً مع الشرك، وهذا الإيمان وإن لم يؤثر في إخراجهم من النار، كما أثار إيمان أهل التوحيد، بل كانوا معه خالدين فيها بشركهم وكفرهم، فإن النار إنما سعّرها عليهم الشرك والظلم، فلا يمتنع في الرحمة والعدل أن يطفئها ويذهبها<sup>(٢)</sup> بعد أخذ الحق منهم<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أثبت لهم الإيمان به مع مقارنة الشرك<sup>(٤)</sup>. وقال: ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة. قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ

(١) «عداء الماتريدية للعقيدة السلفية» ٣ / ٢٠٦.

(٢) وفي هذا إشارة من ابن القيم إلى ما رجحه ومال إليه من قوله بفناء النار، وقد أطلال في ذلك وانتصر لهذا القول! ولكنه قول باطل كما بيّن ذلك الألباني نفسه.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٢٧٠)

(٤) مدارج السالكين (١ / ٢٩٣)

إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١﴾ . فأثبت لهم إيماناً به سبحانه مع الشرك (١) . اهـ .

فتأمل قول ابن القيم: «فأثبت لهم إيماناً به سبحانه مع الشرك»، فيبين أن الآية تثبت لهم إيماناً وليس توحيداً، وفرق بين الأمرين! بل أشارت الآية إلى أن إيمانهم مشوب بالشرك؛ وهذا نص الآية أصلاً وهو «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»، فالعجب منكم كيف فهِمتم من الآية أنها تثبت للمشركين توحيداً، ولو كان توحيداً مقيداً بالربوبية، فإننا أصلاً لم نسلّم لكم بعدُ بتقسيم التوحيد إلى توحيد في الربوبية وتوحيد في الألوهية، بل هذا هو محل النزاع! ونحن نقول هذا تقسيم مبتدع فكيف تحملون الآية عليه؟!!

والحاصل أن الآية لا ذكر للتوحيد فيها البتة، فضلاً عن أن يكون فيها تقسيم للتوحيد، بل الآية أثبتت لهم إيماناً مخلوطاً بالشرك، وهذه هي حقيقة الشرك أصلاً، إذ لا معنى للمشرك إلا أنه يؤمن بالله ولكن يتخذ مع الله آلهة وأرباباً دونه، ولو أنه كان يؤمن بالله وحده ولا يتخذ آلهة أو أرباباً معه لُسِّمَ موحداً، ولو أنه كان ينكر الله طُراً لُسِّمَ معطلاً للصانع أو دهرياً كما هو التعبير القديم، أو ملحداً كما هو التعبير المعاصر.

فنحن لو أردنا أن نصنّف الخلق بحسب إيمانهم بالله وعدمه، لوجدنا أن بعضهم مؤمنون وبعضهم ملحدون، ثم المؤمنون منهم موحدون ومنهم مشركون، أي لدينا في المحصلة ثلاثة طوائف، وهي باختصار: موحدون، ومشركون، وملحدون. ومشركو قريش أو معظمهم هم من الثاني أي هم مشركون، فلا هم موحدون ولا ملحدون، فمن أين أتيتم بقسم رابع جمعتم فيه بين نقيضين فجعلتموهم موحدين ومشركين في الوقت نفسه؟! ثم لكي تخرجوا من هذا التناقض أتيتم ببدعة تقسيم التوحيد فقلتم هم موحدون في الربوبية ومشركون في الألوهية.

### نصوص الطبري وغيره على أنهم اتخذوا الأرباب والآلهة شركاء

مع الله

رابعاً: إنّ آية يوسف تصف واقع المشركين من كونهم مؤمنين بالله، لا أنهم مؤمنون به وحده بل مشركون كما سبق لأنهم يتخذون من دونه الأرباب والآلهة، وإليكم نصوص الطبري وغيره في ذلك:

قال الطبري: وعاد للشرك ودعوى الآلهة والأوثان أرباباً معه<sup>(١)</sup>.

اهـ.

(١) جامع البيان (١٢ / ١٣٣)

وقال: والآلهة التي يدعونها المشركون أربابا وآلهة<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال الطبري: ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ يقول: فلما خلصهم.. إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضا: .. مقيما على عبادة وثن أو صنم ... ومتخذة دون مالكة وخالقه إلهها وربا أنه مقيم على ضلالة<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: ألا تتقون الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله وإلهها سواه<sup>(٤)</sup>. اهـ.

فالطبري نص في هذه المواضع وغيرها على أن المشركين اتخذوا الأصنام أربابا وآلهة معا، ولم يقل إنهم وحده في الربوبية فاتخذوا ربا واحدا هو الله، وأشركوا معه في الألوهية فعددوا الآلهة والأوثان ليعبدوها، كما زعم ابن تيمية في نظريته في تقسيم التوحيد. وفي نصوص الطبري السابقة هذه رد على من استشهد من الوهابية

(١) جامع البيان (١٣ / ٤٨٦)

(٢) جامع البيان ط هجر (١٨ / ٤٤٠)

(٣) جامع البيان ط هجر (٥ / ١٧٠)

(٤) جامع البيان ط هجر (١٩ / ٦١٢)

بالطبري على أنه ممن سبق ابن تيمية إلى تقسيم التوحيد، وهذا بسطناه ونقضناه في كتابنا الكبير من وجوه عديدة. وبالله التوفيق

ويقول السرخسي: وعبد الأوثان كانوا يقرون بالله تعالى . قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾، ولكن كانوا لا يقرون بالوحدانية قال الله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾. وقال فيما أخبر عنهم: ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب﴾<sup>(١)</sup>. اهـ. فأثبت السرخسي أن المشركين يقرون بالله لكن لا يقرون بالوحدانية.

وقال الكاساني: وإن كان الحالف كافرًا فإنه يحلف بالله عز وجل أيضًا ذميا كان أو مشركًا، لأن المشركين لا ينكرون الصانع، قال الله تبارك وتعالى جل شأنه: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عادل الحنبلي: والوثني لا يحلف إلا بالله تعالى؛ لأن الكفرة بأسرهم يعتقدون الله، قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من

(١) شرح السير الكبير (١ / ١٦٠)

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٦ / ٢٢٧)

خلقهم ليقولن الله ﴿١﴾. اهـ

فتأمل كيف نصّ هؤلاء العلماء من المفسرين والفقهاء على أن المشركين يؤمنون بالله ولكن ينكرون توحيدَهُ، ولم يقل أحد من هؤلاء العلماء بأن المشركين موحدون في الربوبية ومشركون في الألوهية كما تزعمون!

**الآية ليست بلفظ «وما يوحد الله أكثرهم إلا وهم مشركون»!!!**

وكان الخصم قرأ الآية هكذا: «وما يوحد الله أكثرهم إلا وهم مشركون»! ففهم منها أن المكلف يمكن أن يجمع بين التوحيد والشرك معا! ومعلوم أن هذا تناقض، فراح الخصم يفك الجهة! يعني يزعم أنهم موحدون من جهة ومشركون من جهة أخرى!! ولذا قال إنهم موحدون في الربوبية ومشركون في الألوهية! وهكذا خرج علينا بنظرية تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية!!

لو أن الآية فعلا كانت بلفظ «وما يوحد الله أكثرهم إلا وهم مشركون»، لحق له يفهم منها هذا الفهم، ولربما كُنّا أول المتابعين له لكي نفك التعارض السابق الموهوم في الآية لو كانت بهذا اللفظ، ولكن الآية ليست كذلك، فلا ذكر للتوحيد فيها قط حتى تبحثوا عن

(١) اللباب في شرح الكتاب (٤ / ٤١)

تقسيمات له، وإنما الآية كما قلنا تصف واقع المشرك حيث يؤمن بالله ولكن يشرك به غيره فيتخذ من دونه تعالى أربابا وآلهة كما ذكر ذلك الطبري مرارا وكما أشار إلى ذلك السرخسي والكاساني وابن عادل، حتى ابن القيم نفسه أشار إلى ذلك في قوله.

وبالتالي فما الداعي لهذا التفسير للآية، وهو أنهم لا يؤمنون بربوبية الله إلا وهم مشركون بألوهيته! أقل ما يقال عنه بأنه تفسير متكلف مخالف لظاهر هذه الآية التي تستدلون بها حيث فيها «وهم مشركون»؟! فضلا عن مخالفته لسائر آيات القرآن التي ذكرت أنهم مشركون بإطلاق كما سيأتي بسطه!

**قول ابن تيمية إنهم مشركون في الألوهية فقط مصادرة على**

**المطلوب**

وأما تقييدكم لشركهم هنا بشركهم في توحيد الألوهية لا في

توحيد الربوبية، فجوابه فيما يلي:

أولا: هذا مصادرة على المطلوب، لأنه مبني على أن الشرك قسمان شرك في الألوهية وشرك في الربوبية، وهذا مبني على أن التوحيد قسمان توحيد في الربوبية وتوحيد في الألوهية، وهذا مبني على الفرق بين

الربوبية والألوهية، وهو مبني على الفرق بين الرب والإله، وهذا غير مسلم، بل هذا ما خصصنا كتاباً مطولاً لنقضه وهو كتاب «تنوير الرب الإله في دعوى تباين كلمتي الرب والإله». والله الموفق

وما دام الأصل غير مسلم وهو التباين بين الرب والإله فنحن لانسلم بما بني عليه من الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ولا بالفرق بين الشرك في الربوبية وبين الشرك في الألوهية، بل نرى أن من وحد الله ربا فقد وحده إلهها، والعكس صحيح، وكذلك نرى أنه من أشرك في الألوهية فقد أشرك في الربوبية والعكس صحيح.

وهذا ما صرح به بعض الوهابية أنفسهم، وفي ذلك يقول أحمد الحازمي: «التوحيد، الأنواع الثلاثة كلها متلازمة يعني داخل بعضها في بعض، ولا يمكن أن يتصور أنه يوجد نوعٌ دون الآخر.. ولذلك إذا وقع الشرك الأكبر في أحد هذه الأنواع الثلاثة لزم منه الوقوع في الثاني والثالث.. إذا قيل: بأن هذا شرك في الألوهية المراد أنه أصابه مباشرة، بمعنى أنه أول من ينزل على إفساده توحيد الألوهية وهو كذلك يلزم منه أنه ماذا؟ أنه شركٌ في الربوبية، والعكس بالعكس، فهي

متلازمة من حيث الوجود، ومتلازمة من حيث الانتفاء»<sup>(١)</sup>.

## المرصد الثالث: إشارة بعض الآثار في تفسير الآية إلى أنهم مشركون في الربوبية

ثانيا: جاءت آثار في تفسير هذه الآية تفيد أنهم مشركون بإطلاق دون تقييد لشركهم، بل أشارت تلك الآثار إلى أنهم مشركون في الربوبية، وإليكم بعض تلك الآثار:

روى الطبري بسنده عن مجاهد قال: «يقولون: الله ربنا، وهو يرزقنا، وهم يشركون به بعد».

وروى الطبري عن قتادة: «لا تسأل أحدا من المشركين: من ربك، إلا قال: ربي الله، وهو يشرك في ذلك».

وروى عن عطاء: «يعلمون أن الله ربهم، وهم يشركون به بعد»،  
وروى أيضا عنه: «يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم، وهم يشركون

---

(١) شرح كتاب التوحيد لأحمد الحازمي، وهو عبارة عن دروس مفرغة له. انظر النص أعلاه على الرابط:

به»<sup>(١)</sup>.

فأفادت هذه الروايات عن التابعين أن كفّار العرب مع إيمانهم بأن الله ربهم هم مشركون مطلقاً، وليس في هذه الآثار نسبة المشركين للتوحيد أياً كان نوعه، فلم يقل هؤلاء التابعون بأن الآية دلت على أن المشركين أقروا أو قالوا بأن الله وحده ربهم، كما فهم ذلك منها ابن تيمية وجماعته.

بل على العكس! ففي الآثار الأخيرة السابقة إشارة إلى شركهم في الربوبية كما في أثر قتادة: «لا تسأل أحداً من المشركين من ربك، إلا قال: ربي الله، وهو يشرك في ذلك»، فلاحظ قوله «وهو يشرك في ذلك»، يقصد أنه يشرك في قوله «ربي الله» كما هو ظاهر، أي أنه يشرك في الربوبية.

وهذا ما أكدته بعض الآيات الأخرى وهو أن المشركين ينازعون في مجرد القول «ربنا الله»، كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، فدلّت على أنهم أخرجوا المؤمنين من ديارهم بسبب قولهم «ربنا الله»، ولو كان المشركون يقولون «ربنا الله» ويكتفون بذلك ولا يشركون به في

(١) انظر هذا الأثر والأثرين قبله في تفسير الطبري ط هجر (١٣ / ٣٧٤)

الربوبية، لما أخرجوا المؤمنين لأجل قولهم «ربنا الله!» وسيأتي بسط ذلك<sup>(١)</sup>.

### المرصد الرابع: الجواب عن الروايات في أن شرك العرب كان بعبادتهم غير الله

فإن قلت: ولكن روى الطبري عن هؤلاء التابعين أيضا وغيرهم من السلف في تفسير آية يوسف أن شرك العرب كان بعبادتهم غير الله كما في النصوص التالية:

فروى الطبري عن ابن عباس: ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض؟ ليقولن الله، وهم مع ذلك يشركون به، ويعبدون غيره، ويسجدون للأنداد دونه »

وروى عن ابن زيد: «ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به.

وروى عن عكرمة «تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض، فيقولون: الله، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره».

وروى عن مجاهد «إيمانهم قولهم: الله خالقنا، ويرزقنا، ويميتنا،

(١) انظر (ص ٥٨١)، و(ص ٦٠).

فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره.»

وروى عن قتادة: «في إيمانهم هذا، إنك لست تلقى أحداً منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه، ورزقه، وهو مشرك في عبادته»<sup>(١)</sup>.

فأفادت هذه الروايات كلها أن مشركي العرب كان شركهم بعبادة غير الله لا بقولهم: إن الخالق اثنان فأكثر، وهذا هو ما عبّرنا عنه بأن المشركين كانوا موحدين في الربوبية مشركين في توحيد العبادة أو توحيد الألوهية.

قلنا: هذا غير مسلم، وبيان ذلك فيما يلي:

ستأتي آثار عن السلف أيضا أن المقصود بالشرك هنا ليس شرك العبادة، وروي عنهم أيضا أنها لم تنزل في مشركي العرب أصلا، وإنما نزلت في النصارى والمنافقين<sup>(٢)</sup>.

لم يقل ابن عباس ولا مجاهد ولا عكرمة ولا أحد من السلف أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية كما تزعمون، غاية ما قاله ابن

(١) تفسير الطبري ط هجر (١٣ / ٣٧٣) وما بعده. مجموع الفتاوى لابن تيمية

(١١ / ٥٠) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢١٦

(٢) انظر (ص ٩٠) من هذا الكتاب.

عباس وغيره أن المشركين مع إيمانهم بالله يعبدون غيره، وأما قول ابن عباس «وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره» فهذه رواية ضعيفة، ثم هي حجة عليكم كما سيأتي بيانه<sup>(١)</sup>.

إنّ الشرك في العبادة لا يكون إلا بعد أن يزعم المشرك أن لغير الله من كوكب أو شجر أو حجر أو بشر القدرة على الخلق والإيجاد! أو على الأقل يزعم أن له القدرة على التدبير والتأثير!! إما الكلي أو الجزئي، وإما الاستقلالي أو التبعية، وسواء اعتقد أن ذلك بإذن الله أم بدون إذنه تعالى، أو أنه بتفويض من الله أم بغير تفويضه!! ثم بعد ذلك يتخذ المشرك الكوكب أو الشجر أو الحجر أو البشر: آلهة وأربابا من دون الله، ثم يتقرّب المشرك لآلهته المزعومة بالعبادات خوفا من بطشها وضرها، وطمعا في رحمتها ونفعها!! بعد أن زعم أن لها القدرة على الخلق أو التدبير!! وسيأتي تقرير نحو ذلك من كلام ابن القيم وغيره من السلفية<sup>(٢)</sup>.

الشرك في العبادة هو نقض لتوحيد الربوبية، وهو ما اعترفت به فقلتم: «إن أهل السنة لا ينازعون في أن المشركين واقعون فيما هو قادم في توحيد الربوبية ومناقض له، وذلك بصرفهم العبادة لغير الله.. فكل

(١) انظر (ص ١٤٨) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ٣٣٢) و(ص ٤٧١) من هذا الكتاب.

ما وقع فيه المشركون من صرف العبادة لغير الله تعالى، ومساواتهم له بالله تعالى كما في هذه الآية، وكمحبتهم آهتهم كحب الله تعالى، لازمه القدح في جناب الربوبية<sup>(١)</sup>. اهـ. وبالتالي فإن «إقرار المشركين بربوبية الله تعالى لا يعني أنهم محققون لمقتضاها، بل هم واقعون بما هو مناقض لذلك من عبادة غيره سبحانه ونسبة الولد إليه وتقديم آهتهم فيما يندرونه ويذبحونه ونحو ذلك»<sup>(٢)</sup>. اهـ. وسيأتي المزيد من هذه النصوص ومن الأدلة على ذلك إن شاء الله<sup>(٣)</sup>.

### المرصد الخامس: بيان أن شرك قريش كان في الربوبية أيضا

على التسليم بالفرق بين الشركين والتوحيدين في الربوبية والألوهية، فإنَّ شرك كفار قريش ليس فقط في شرك العبادة والألوهية، بل في شرك الربوبية أيضا، إذ كانت قريش تدعي لله الولد، وهذا ما صرح به عكرمة عند تفسيره لآية يوسف فقال: «هو قول الله: ﴿وَلئن سألْتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾، فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدا، وأشركوا

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٣٠٢

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٣

(٣) انظر (ص ٦٧٦) من هذا الكتاب.

به»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً كانت قريش تتخذ الأصنام أرباباً وآلهة، وهذا ما صرح به الطبري في مواضع كثيرة من تفسيره كما سبق<sup>(٢)</sup>، هذا فضلاً عن أن قريشاً كانت تستبعد قدرة الله على البعث والنشور، وكانت تنسب إلى أصنامهم الملك والقدرة والتدبير، وتنسب للأنواء المطر، وتنسب للدهر التصرف، وتنسب للكهان علم الغيب، علاوة على اعتقادها بالتمائم والرقى الشركية، وهذا كله طعن في توحيد الربوبية كما سيأتي ذلك مفصلاً حينما نقيم الأدلة على أن المشركين غير موحدين في الربوبية<sup>(٣)</sup>.

فإن قلت: إن المشركين اتخذوا الأصنام آلهة ولم يتخذوها أرباباً.

قلنا: أولاً: أثبتوا لنا الفرق بين الرب والإله، ثم قولوا هذا الكلام، وأنى لكم ذلك وقد نقضناه في كتابنا «تنوير الرب الإله» كما سبق؟! وأثبتنا فيه أن الأرباب تطلق على الآلهة، وكذا العكس صحيح، وهذا شائع جداً وقد أتينا فيه بشواهد كثيرة على ذلك<sup>(٤)</sup> من الكتاب

(١) جامع البيان ط هجر (١٣ / ٣٧٤)

(٢) انظر (ص ٨٦ و ٩١) من هذا الكتاب.

(٣) انظر (ص ٢٥٨) من هذا الكتاب.

(٤) انظر (ص ٣٤٥) من هذا الكتاب.

والسنة والآثار والأخبار والأشعار، ورددنا القول بتغاير الرب والإله.

ثانياً: لم يُفرّق السلفُ بين مفهوم الأرباب والآلهة، كما في قول ابن عمر «ولا أعلم من الإشراك شيئاً أكبر من أن تقول المرأة: ربها عيسى، وهو عبد من عباد الله»<sup>(١)</sup>!! وكان المفروض يقول بناء على مذهبكم «إلهها عيسى»، وسيأتي بسط ذلك<sup>(٢)</sup>، وكما في قول الضحاك عن المشركين أنهم: «اتخذوا أرباباً وصوروهن صور الجوارى»<sup>(٣)</sup>، وكما في قول الطبري في آية يوسف السابقة: «إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»<sup>(٤)</sup> في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً، تعالى الله عما يقولون»<sup>(٥)</sup>.

### الحراني والنجدي يقرّان باتخاذ المشركين أرباباً من دون الله

ثالثاً: هذا ابن تيمية الذي أقام نظريته الخطيرة على دعوى أن المشركين اتخذوا الأصنام آلهة ولم يتخذوها أرباباً، للتباين الذي زعمه بين الرب والإله، يقرّ في مواضع أخرى عديدة أن المشركين من قوم إبراهيم اتخذوا الكواكب أرباباً، وكذا ابن عبد الوهاب وبعض أتباعه

(١) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٥ / ٢٠٢٤)

(٢) انظر (ص ٥١٨) من هذا الكتاب، و(ص ١٠٤) من كتابنا «تنوير الرب الإله».

(٣) الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٢٠)

(٤) جامع البيان (١٦ / ٢٨٦)

يقرون بنحو ذلك، وإليك نصوصهم في ذلك:

يقول ابن تيمية: «بل قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم كانوا يتخذونها أربابا يدعونها ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود والقرايين وغير ذلك وهو دين المشركين»<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضا: فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أرباباً، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا هم ولا أحد العقلاء يعتقد أن كوكباً من الكواكب خلق السماوات والأرض<sup>(٢)</sup>. اهـ

ويقول أيضا: ولكن «إبراهيم عليه السلام» لم يقصد بقوله ﴿هذا ربي﴾ رب العالمين ولا كان أحد من قومه يقول: إنه رب العالمين، حتى يرد ذلك عليهم؛ بل كانوا مشركين مقرين بالصانع؛ وكانوا يتخذون الكواكب والشمس والقمر أربابا يدعونها من دون الله ويبنون لها الهياكل<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٣١١)، وانظر أيضا: بيان تلبيس الجهمية (١ / ٥٣٠)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٩٩٢.
- (٢) اقتضاء الصراط المستقيم - (٢١ / ٣٤)، ط/ عالم الكتب
- (٣) جامع الرسائل - رشاد سالم (٢ / ٥١)

وهذا ابن عبد الوهاب يقول: ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أرباباً من دون الله لأجل ذلك أي لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إلهها<sup>(١)</sup>.

وهذا محمد رشيد رضا حين يقول السهسواني: «إنه ليس في شيء من الآيات المذكورة أن مشركاً قال في حق غير الله تعالى إنه رب»<sup>(٢)</sup> يتعقبه رضا بقوله: هذا النفي العام غير مسلم، فإن بعض البشر اتخذوا أرباباً من دون الله، ومن اتخذ رباً سماه رباً إن كانت هذه التسمية لغة قومه، وقريش ما كانت تتخذ آلهتها أرباباً، والنصارى يسمون المسيح ربه ولا يطلقون اسم الرب على من عبدوهم من دونه، وإن اتخذوهم أرباباً وآلهة، وكذلك من اتبع سننهم من مبتدعة المسلمين كما تقدم.. وقوم إبراهيم اتخذوا الكواكب أرباباً والأصنام آلهة<sup>(٣)</sup>. اهـ.

فإذا كان القرآن والسلف ومشركو العرب لم يفرّقوا بين الإله والرب، بل أطلقوا أحدهما على الآخر، فأطلقوا على الأصنام أرباباً وآلهة، فمن أين أتيتم بهذا الفرق بين الأرباب والآلهة، وكيف زعمتم أن المشركين كانوا يتخذون أصنامهم آلهة لا أرباباً، مع أن ابن تيمية

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (١/ ٣٧٦)

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: ٤٥٦)

(٣) حاشية رشيد رضا على صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: ٤٥٧)

نفسه وابن عبد الوهاب أقرّا بخلاف ذلك كما نقلنا عنها أنفا؟!!!!

### المطلب الثاني: تفسيرات أخرى كثيرة للشرك في آية يوسف

وهذا هو الوجه الثاني، وهو أنه قد وردت آثار أخرى عن السلف أن المقصود بالشرك في آية يوسف هذه ليس شرك العبادة، وإنما هو الشرك بادعاء الولد له تعالى، وروي عنهم أيضا أنها لم تنزل في مشركي العرب أصلا! وإنما في النصارى والمنافقين والمرائين والمشبهة والناظرين إلى الأسباب، وإليك بعض هذه الآثار:

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن أحدهم يشرك حتى يشرك

بكلبه: لولا الكلب لسرقنا الليلة<sup>(١)</sup>.

وجاء عن ابن عباس أنه قال: قوله: ﴿إلا وهم مشركون﴾ يعني

النصارى<sup>(٢)</sup>.

وروي عن ابن عباس بلا إسناد أنه قال: هم الذين يشبهون الله

(١) نقله ابن رجب عن ابن عباس فقال في فتح الباري (١ / ١٤٧): وتأول ابن عباس على ذلك قوله تعالى ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) قال: إن أحدهم يشرك حتى يشرك بكلبه. اهـ ونقله في تيسير العزيز الحميد (ص: ١٠١٥)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا، وهو في الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا بتحقيق الحويني، دار الكتاب العربي - بيروت (ص: ١٩٧)، ولكن ضعفه المحقق. وفي تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٦٢) بسنده عن ابن عباس في قوله: فلا تجعلوا لله أندادا قال: الأنداد هو الشرك اخفى من ديب النمل على صفاة سوداء، في ظلمة الليل. وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي. ويقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان، فان هذا كله به شرك. اهـ وأورد هذا الأثر الأخير ابن كثير في تفسيره (١ / ٣٠٩)، والغنيان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢ / ٤٢١).

(٢) جامع البيان ط هجر (١٣ / ٣٧٥)

بخلقه<sup>(١)</sup>.

يقول عطاء: «يعلمون أن الله ربهم، وهم يشركون به بعداً»<sup>(٢)</sup>.  
فقوله: «وهم يشركون به بعداً» أي يشركون بربهم باتخاذهم الأصنام  
أرباباً وآلهة، كما قال الطبري في تفسير الآية نفسها حيث قال كما سبق  
«(إلا وهم مشركون)، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من  
دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً»<sup>(٣)</sup>، طبعاً وهذا شرك في الربوبية.

وقال الضحاك: كانوا يشركون به في تلبيتهم<sup>(٤)</sup>. وتلبيتهم هي:  
«ليك اللهم ليك، ليك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما  
ملك»<sup>(٥)</sup>. وهو ما مال إليه ابن إسحاق حيث قال: فكانت كنانة وقريش  
إذا أهلوا قالوا: «ليك اللهم ليك، ليك لا شريك لك، إلا شريك هو  
لك، تملكه وما ملك». فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم  
ويجعلون ملكها بيده. يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه

(١) «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (٢ / ٥٠٨)، مفاتيح الغيب (١٨ /

٢٢٨)، «البحر المحيط في التفسير» (٦ / ٣٣٢)

(٢) جامع البيان (١٦ / ٢٨٩)

(٣) جامع البيان ط هجر ١٣ / ٣٧٢

(٤) جامع البيان (١٦ / ٢٨٩)

(٥) جامع البيان (١٦ / ٢٨٩)

وسلم ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أي ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا من خلقي<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال الحسن البصري: ذاك المنافق يعمل إذا عمل رياء للناس، وهو مشرك بعمله ذاك<sup>(٢)</sup>.

وعن الحسن أيضا: أنهم أهل كتاب معهم شرك وإيمان، آمنوا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلا يصح إيمانهم، حكاه ابن الأنباري<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد الباقر: شرك طاعة قول الرجل: لولا الله وفلان، ولولا كلب بني فلان<sup>(٤)</sup>. اهـ

وهكذا نرى أن آية يوسف لها كل هذه التفسيرات عند السلف، فبعضهم حمل الآية على النصارى، وبعضهم حملها على المنافق، وبعضهم حملها على قولهم: لولا الكلب لسرقنا الليلة، وبعضهم قال إنهم الذين يشبهون الله بخلقه، وبعضهم قال إنهم الذين ادّعوا بأن الله

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٧٨)

(٢) تفسير ابن أبي حاتم الرازي - (٨ / ١١١)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١١ / ٤٦٧)

(٤) تفسير ابن أبي حاتم الرازي (٨ / ١١١)

ولدا، إلى غير ذلك من التفسيرات التي لا علاقة لها أصلاً بما يرومه ابن تيمية من آية يوسف، وهو أنها دالة على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، وأن المشركين موحدون في الأول دون الثاني!

وما دامت الآية محتملة لكل هذه المعاني فلا يصلح أن تتمسكوا ببعضها دون بعض إلا بمرجح، وبالتالي لا يصلح أن تستدلوا بها أصلاً على محل النزاع؛ لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، وألْبَسَ ثوبَ الإجمال: بطل به الاستدلال، كما سلّمتم بذلك<sup>(١)</sup>.

### ابن تيمية يقتصر على تفسير من أربعة عشر تفسيراً لآية يوسف

اقتصرنا فيما سبق على التفاسير المنقولة عن السلف في آية يوسف هذه، ولو أردنا أن نسوق كل ما قيل فيها عن السلف والخلف لكانت الآية محتملة لمعان أخرى كثيرة أوصلها الألوسي إلى أربعة عشر قولاً، وإليك كلامه مرقماً:

«ما يؤمن أكثرهم» إلا في حال إشراكهم، قال ابن عباس ومجاهد: هم أهل مكة آمنوا وأشركوا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك

(١) قال شكري الألوسي: وأنت تعلم أن الدليل متى طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال. انظر: فتح المنان ص ٤٩٩، لشكري الألوسي، ط/ أنصار السنّة المحمدية، مصر ١٣٦٦هـ.

اللهم ليبيك، ليبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .  
 وقيل: هم أولئك آمنوا لما غشيهم الدخان في سني القحط،  
 وعادوا إلى الشرك بعد كشفه.

وعن ابن زيد وعكرمة وقتادة ومجاهد أيضاً أن هؤلاء كفار  
 العرب مطلقاً أقروا بالخالق الرازق المमित وأشركوا بعبادة الأوثان  
 والأصنام.

وقيل: أشركوا بقولهم: الملائكة بنات الله سبحانه .

وعن ابن عباس أيضاً أنهم أهل الكتاب أقروا بالله تعالى  
 وأشركوا به من حيث كفروا بنيه صلى الله تعالى عليه وسلم أو من  
 حيث عبدوا عَزِيرًا والمسيح عليهما السلام .

وقيل: أشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً.

وقيل: هم الكفار الذين يخلصون في الدعاء عند الشدة،  
 ويشركون إذا نجوا منها وروى ذلك عن عطاء .

وقيل: هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة.

وقيل: هم المنافقون جهروا بالإيمان وأخفوا الكفر، ونُسب ذلك  
 للبلخي.

وعن الخبر أنهم المشبهة آمنوا مجملا وكفروا مفصلا.

وعن الحسن أنهم المراءون بأعمالهم والرياء شرك خفي .

وقيل: هم الناظرون الى الأسباب المعتمدون عليها.

وقيل: هم الذين يطيعون الخلق بمعصية الخالق.

وقد يقال نظرا إلى مفهوم الآية: إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلا وكان مرتكبا ما يعد شركا كيفما كان، ومن أولئك عبدة القبور الناظرون لها المعتقدون للنفع والضرر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها<sup>(١)</sup>. اهـ.

وبعد، فهذه أربعة عشر معنىً للآية، ومعظمها منقول عن السلف كما رأينا، فهل يستقيم أن يُقتصر على معنى واحد منها ثم يبنى عليه نظرية خطيرة يُكفر بها الناس ويستحل دماؤهم وأعراضهم؟!!

**ابن عاشور: وهذا إبطال لما يزعمونه من الاعتراف بأن الله**

**خالقهم**

بل إن الطاهر ابن عاشور يرى أن في هذه الآية تهكما بالمشركين

(١) روح المعاني (١٣ / ٦٦)، وقد ورد بعضها في الجامع لأحكام القرآن، للإمام

القرطبي، ط/ الرسالة (١١ / ٤٦٧).

وبإيمانهم المزعوم بالله ! حيث يقول: والمراد بـ «أكثر الناس» أهل الشرك من العرب . وهذا إبطال لما يزعمونه من الاعتراف بأن الله خالقهم كما في قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)، وبأن إيمانهم بالله كالعدم لأنهم لا يؤمنون بوجود الله إلا في تشريكهم معه غيره في الإلهية .. والمقصود من هذا تشنيع حالهم . والأظهر أن يكون هذا من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده على وجه التهكم <sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: دلالة الآية على عدم إيمان بعض المشركين بالله

وهذا هو الوجه الثالث وهو أن مفهوم المخالفة للآية يدل على أن بعض المشركين لا يؤمنون بالله أصلاً، وهذا خلاف قولكم بأن المشركين بل البشر كلهم مؤمنون بالله.

وبيان ذلك أن آية يوسف تصرّح بأن أكثر المشركين يؤمنون بالله مع شركهم، فدلّت بمفهوم المخالفة على أن بعض المشركين لا يؤمنون بالله أصلاً، وهذا يؤيده آيات كثيرة منها قوله تعالى عن بعض كفار قريش: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣]، وقول بعض المشركين أنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ

(١) التحرير والتنوير (١٣ / ٦٣)

وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴿ [الجاثية: ٢٤]، وقوله عن المنافقين ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٥] وكذا قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وقوله في سورة يوسف نفسها ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧].

بل هذا قد يدل عليه أيضا سياق آية «وما يؤمن أكثرهم ..» نفسها، إذ قبلها بثلاث آيات قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] وهذه تدل على أن معظم الناس غير مؤمنين بالله، إذ معنى الآية «وما أكثر الناس المعاصرين لك يا محمد، أو ما أكثر الناس على العموم ولو حرصت على هدايتهم، وبالغت في ذلك، بمؤمنين بالله لتصميمهم على الكفر الذي هو دين آبائهم»<sup>(١)</sup> ونحوه قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٧] «إلى غير ذلك من الآيات»<sup>(٢)</sup>.

وظاهر هذه الآيات خلاف ما يقوله ابن تيمية وأتباعه من أن توحيد

(١) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٧٠)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨ / ٨٢)

الربوبية «قد أقر به المشركون، ولم ينكره أحد من بني آدم»<sup>(١)</sup>، بل معرفة الربوبية «تعم مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورة أيضا»<sup>(٢)</sup> فجميع «الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به»<sup>(٣)</sup>.

### الجواب عن القول بأن المراد وما أكثر الناس بمؤمنين بك يا محمد

فإن قيل المعنى «وما أكثر مشركي قومك يا محمد، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدقوك، ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بمصدقيك ولا متبعية»<sup>(٤)</sup>، «ولو حرصت أي جهدت كل الجهد على إيمانهم، وبالغت في إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك، بمؤمنين أي بالكتب والرسول، لميلهم إلى الكفر، وسبيل الشر»<sup>(٥)</sup>.

ويؤيده ما قيل من «أن قريشا واليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وإخوته فشرحها شرحا شافيا، وهو يؤمل أن يكون ذلك سببا لإسلامهم، فخالفوا ظنه، وحزن رسول الله

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ٩٤٩)

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (٨ / ٥٠٨)

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ / ٤٧٩)

(٤) جامع البيان ط هجر (١٣ / ٣٧٠)

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٦ / ٢٢٥)

صلى الله عليه وسلم لذلك، فعزاه الله بقوله: وما أكثر الناس الآية»<sup>(١)</sup> وذلك أن النبي «ظن أن العرب لما سألته عن هذه القصة وأخبرهم يؤمنون، فلم يؤمنوا، فنزلت الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي ليس تقدر على هداية من أردت هدايته»<sup>(٢)</sup>، «ولو حرصت وتهاكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم»<sup>(٣)</sup>.

قلنا: الآية مطلقة، أي نفت عن أكثر الناس الإيـان مطلقا، ولم تقيد نفي الإيـان بالله أو بالرسول أو بالقرآن أو بالبعث، فتبقى على إطلاقها ليتناول النفي كل ذلك، ثم إنه قد جاءت آيات أخرى بينت أنه ثمة من لم يؤمن بالله كما في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾، على أنه إن سلمنا بأن المراد هو أنهم لا يؤمنون بالرسول فإن الله جعل تكذيبهم للرسول تكديبا له تعالى كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وهؤلاء المقصود بهم «مشركو قريش»<sup>(٤)</sup> الذين «لم يُقِرُّوا لمحمد بأنه رسول الله مع تحققهم صدقه، وتيقنهم

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٧٠)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١١/ ٤٦٥)

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٠٨)

(٤) الرد الشامل للموجان ص ١٠٢.



صحة رسالته بالبراهين التي شاهدها وسمعوا بها في مدة عشرين سنة<sup>(١)</sup>.

## الخلاصة أنه لا دلالة في آية يوسف على توحيد المشركين في

### الربوبية

والحاصل أنه لا دلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] على أن المشركين موحدون في الربوبية ومشركون في الألوهية، ولا فيها ذكر للربوبية ولا للألوهية أصلا، بل الآية وسّمتهم بالشرك مطلقا ولم تصفهم قط بالتوحيد لا مقيدا ولا مطلقا، لا في هذه الآية ولا غيرها، وبالتالي فالآية حجة على الخصم وليست له.

غاية ما في هذه الآية أنها جعلت المشركين يجمعون بين الإيـان والشرك، أي يؤمنون بالله ولكن يشركون به، وهذه هي حقيقة المشركين أصلا، فلا هم موحدون ولا هم ملحدون، أي لا هم يقولون بإله ورب واحد، ولا هم معطلة ينفون الإله من أصله، وإنما هم مشركون يقولون بأرباب وآلهة متعددة!!

هذا كل ما في الأمر، ولكن ظنّ الخصم أن الإيـان في الآية هو

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٣١٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٥).

التوحيد! ثم خصصه بتوحيد الربوبية، ثم خصص الشرك في الآية بالشرك بالألوهية، فنتج معه أنهم موحدون في الربوبية، ومشركون في الألوهية، وأنت خبير بأن هذا مصادرة على المطلوب؛ لأنه ينطلق من أن التوحيد قسمان ألوهية وربوبية، وهذه المقدمة هي عين النزاع أصلاً فكيف يجعلها الخصم مقدمة مسلّمة ينطلق منها ويبني عليها؟!

هذا كله على القول بأن المقصود بالآية مشركو العرب، وإلا فقد قيل في الآية أقوالٌ أخرى كثيرة، فقيل بأنها تتكلم على أهل الكتاب الذي اتخذوا أحبارهم أرباباً، وقيل: هم المشركون القائلون بأن الملائكة بنات الله، وقيل: تتكلم عن المنافقين، وقيل تتكلم عن المشبهة، وقيل المراد بها: الثنوية، وقيل: هم المعتمدون على الأسباب، وقيل: المرأؤون، إلى غير ذلك من الأقوال التي بلغت أربعة عشر قولاً، ومعظمها أو كثير منها مروى عن السلف كما سبق تفصيله، فلماذا اقتصر الخصم على قول منها؟! وهو ما جاء عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد أيضاً أن المراد بالآية كفّار العرب، حيث أقروا بالخالق وأشركوا بعبادة الاوثان! حتى لو اقتصرنا على هذا القول، فليس فيه أن المشركين أقروا بأن الله هو الخالق وحده حتى يفهم منه الخصم أن المشركين موحدون في الخالقية أو الربوبية، وهذا كله سبق تفصيله.

والخلاصة أن الآية فيها بضعة عشر قولاً، اختار الخصم أحدها، وهو أن المشركين أقروا بالخالق وأشركوا بعبادة الاوثان، فزاد الخصم كلمة

«وحده» من خياله على هذا القول كما زادها على آيات الباب الثمانية كما بيناه في كتابنا «ولئن سألتهم»<sup>(١)</sup>، فصار معنى الآية عند ابن تيمية: وما يؤمن أكثرهم بربوبية الله وحده إلا وهم مشركون بألوهيته وعبادته!! وبالتالي فالآية تدل عنده على أن المشركين موحدون في الربوبية!! ودون ذلك خرط القتاد لما سبق بيانه.



(١) انظر «ولئن سألتهم» من ص ٢٣٨ إلى ٢٨٥.



### المبحث الثالث:

#### آية ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾

استدل ابن تيمية رحمه الله على أن المشركين موحدون في الربوبية، ومشركون في الألوهية بقوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وجه الدلالة منها «أنه لم يقع من الكفار التعجب والإنكار من أنه سبحانه رب وإله، وإنما تعجبت وأنكرت التوحيد بالإلهية»<sup>(١)</sup>، ودلت أيضا على أنهم «كانوا معترفين بأن آهنتهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض ولا خلق شيء؛ بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط»<sup>(٢)</sup>. وعلى أنهم «أبوا أن يقولوا ﴿لا إله إلا الله﴾ مع أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية، لكن أبوا أن يعترفوا بتوحيد الألوهية، الذي هو إفراد الله بالعبادة»<sup>(٣)</sup>.

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ / ٥٢٣)، وهذا الكلام نقله ابن تيمية عن أبي محمد البصري (وهو ابن كلاب) في كتابه أصول السنة والتوحيد، فقد نقل عنه كلاما طويلا أوله في (٨ / ٤٩٤)، وأقره ابن تيمية بعد ذلك بقوله (٨ / ٥٣٠): «قلت: ويستدل على ما ذكره أبو محمد بن عبد وغيره من أن المعرفة الأولية الفطرية تحصل بلا دليل...». اهـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٧٥)

(٣) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (١ / ٢٦)

ودلت الآية أيضا على أن المشركين كانوا يعلمون أنه ليس المقصود من كلمة لا إله إلا الله: إفراد الله بالخلق بل «كانوا يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتبرؤ مما يعبد من دون الله، والكفر به»<sup>(١)</sup>.

والجواب عن ذلك من وجوه:

### مطلب في قول المشركين كيف يسع الخلق كلهم إله واحد

أولا: إن آية «ص» هذه لا تدل على أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية دون الألوهية، لا من قريب ولا بعيد! وليس فيها هذا التقسيم للتوحيد أصلا! غاية ما تدل عليه هو تعجب المشركين حيث قالوا «(إن هذا لشيء عجاب) أي الأمر بالغ في العجب إلى الغاية، تعجبوا من هذا القصر والحصر، وقالوا: «كيف يسع الخلق كلهم إله واحد، ومنشؤه أن القوم ما كانوا أصحاب نظر واستدلال، بل كانت أوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد أن الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) انظر: جهود علماء الحنفية (١ / ١٦٦) نقلا عن كتاب الخجندي «مفتاح الجنة».

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢ / ١٣)

أي أنهم إنما رفضوا فكرة الإله الواحد؛ لأنهم استبعدوا أن يكون إله بمفرده يستطيع تدبير العالم بدليل أنه حين «نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة: ﴿وَأَهْكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟<sup>(١)</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ - إِلَى قَوْلِهِ - آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

بل هم أنكروا البعث لكونهم استبعدوا قدرة الله على ذلك كما سيأتي أيضا<sup>(٣)</sup>، أي أن سبب رفضهم لتوحيد الألوهية هو عدم تسليمهم بتوحيد الربوبية، إذ لو كانوا يسلمون بهذا الأخير فكيف يستبعدون أن يدبر العالم إلهً واحداً؟! بل كيف يستبعدون قدرة ذلك الإله على مجرد إحياء الموتى مع أنه خلقهم من العدم؟! وهذا كله يؤكد التلازم الشديد بين توحيد الربوبية والألوهية بحيث أن أحدهما

(١) انظر: «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٣ / ٥)، «العظمة لأبي الشيخ

الأصبهاني» (١ / ٤١٥)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٤ / ١١٢٣)

(٢) «آثار حجج التوحيد في مؤاخذاة العبيد» (ص ١٢٩)، مدحت بن حسن آل فراج

(ت ١٤٣٥ هـ)، دار الكتاب والسنة، كراتشي / ط ١ / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(٣) انظر (ص ٥٤٣) من هذا الكتاب.

يسلتزم الآخر، والخلل في أحدهما خلل في الآخر، كما سبق بيانه حتى من كلام بعض السلفية أنفسهم.

ثانيا: أما قولكم بأنه «لم يقع من الكفار التعجب والإنكار من أنه سبحانه رب وإله! وإنما تعجبت وأنكرت التوحيد بالإلهية»: فهذا مبني على التباين بين لفظي الإله والرب، وقد سبق بيان أن هذه المقدمة غير مسلّمة بإقراركم، حيث سلمتم في آخر المطاف أن العلاقة بينهما كالعلاقة بين لفظي الفقير والمسكين إذا تفرقا اجتماعا وإذا اجتمعا تفرقا<sup>(١)</sup>، وإذا طبقنا هذه القاعدة على آية «ص» هذه، فإنّ الإله أو الآلهة فيها تشمل هنا معنى الإله والرب معا، لأنّ الإله فيها جاء منفردا عن ذكر الرب، فيصير معناها أن المشركين تعجبوا وأنكروا أن يكون الرب واحدا، وفي الوقت نفسه تعجبوا وأنكروا أن يكون الإله واحدا، وهذا ينقض قولكم هذا من «أنه لم يقع من الكفار التعجب والإنكار من أنه سبحانه رب وإله واحد».

ثم إن كانت آية ص قد جاءت بلفظ «الآلهة» وأنهم يرفضون أن يكون الإله واحدا، فقد جاءت آيات أخرى يرفضون فيها أيضا أن يكون الرب واحدا كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ

(١) انظر (ص ٢٨) من هذا الكتاب.

يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْآ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوُوا عَلَى  
 أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ [الإسراء: ٤٦] بل كانوا يشمئزون من مجرد ذكر الله  
 وحده ولو لم يقرن بكونه إلهًا أو بكونه ربا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ  
 وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ  
 دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وثمة آيات أخرى، وكلها تفيد  
 رفض المشركين فكرة توحيد الله أيا كان نوعه كما سيأتي<sup>(١)</sup>.

### المراد بآية الإسراء عند الطبري: وإذا قلت: لا إله إلا الله انفضوا

فإن قلت: المقصود بآية الإسراء أنه «وإذا قلت: لا إله إلا الله في  
 القرآن وأنت تتلوه» ﴿وَلَوُوا عَلَى أَذْبَارِهِمْ نَفُورًا﴾ يقول: انفضوا، فذهبوا  
 عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحد الله  
 تعالى<sup>(٢)</sup>. وبالتالي فآلت الآية إلى إنكارهم توحيد الألوهية!

قلنا: هذا مصير منكم إلى الترادف بين الرب والإله، وهذا يُبطل  
 احتجاجكم بآية «ص» إذ هي قائمة على التباين بينهما، لأنه على القول  
 بترادفهما سيكون معنى «أجعل الآلهة إلهًا واحدا» هو نفسه معنى  
 «أجعل الأرباب ربا واحدا» أي أن عجبهم من كون الإله واحدا يعني

(١) انظر (ص ٥٥) من هذا الكتاب.

(٢) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٤ / ٦٠٩)

عجبهم من كون الرب واحداً، لأن الرب والإله بمعنى واحد كما اخترتم في آية الإسراء السابقة، وبالتالي فهم عجبوا من توحيد الألوهية كما عجبوا من توحيد الربوبية، وهذا خلاف قول ابن تيمية أنف الذكر: «لم يقع من الكفار التعجب والإنكار من أنه سبحانه رب وإله، وإنما تعجبت وأنكرت التوحيد بالإلهية»<sup>(١)</sup>.



(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ / ٥٢٣)

## المبحث الرابع:

### الآيات التي فيها ذكر الله على لسان المشركين

استدل بعض السلفية على توحيد المشركين في الربوبية بالآيات القرآنية التي فيها ذكر الله على لسان المشركين وإقرارهم بربوبيته، بل على لسان فرعون وإبليس ومنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت ١٤]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِثًا ذَرَأً مِنَ الْحُرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي

(١) جامع البيان ط هجر (١٩ / ٤٤٩): وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكتكم، قال الذين أنكروا وحدانية الله وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه؟

الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ  
وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ لَيْنَ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ [يونس: ٢٢].

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى  
الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ  
نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا  
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ  
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:  
١٨]<sup>(١)</sup>.

((وقال قوم عاد لأنبيائهم ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا  
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت ١٤]، فأثبتوا لله الربوبية مع أنهم

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٢/ ٣٣٨)

مشركون.

وقال أصحاب القرية الذين في سورة يس ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فلم يجهلوا أن الرحمن من أسماء الله الحسنى.

«وهذا فرعون مع غلوه في كفره، ودعواه أقبح دعوى، ونطقه بالكلمة الشنعاء، يقول الله في حقه، حاكياً عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال إبليس: ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦] وقال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩] وقال: ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ [الحجر: ٣٦]»<sup>(١)</sup>

وهذا إبليس يقول كما حكى الله عنه ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وقال ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر ١٥] «بل شهد الله بالعزة قائلاً ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾»<sup>(٢)</sup>، وهذا دليل على أن «خصائص الربوبية .. يشترك في معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، حتى

(١) «تسهيل العقيدة الإسلامية» (ص ٤٥ ط ٢)، عبد الله الجبرين، دار الصميعي،

ط ٢ / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٢) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ١٣٥)

إبليس عليه اللعنة معترف بها في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(١)</sup>

والجواب عن هذه الآيات ونحوها من وجهين:

الأول: ذكرهم الله لا يدل بالضرورة على إقرارهم به

الثاني: لا توحيد في الآيات التي استدللتم بها

وفيا يلي بسط ذلك في مطلبين كل منهما في مطلب.

### المطلب الأول: ذكرهم الله لا يدل بالضرورة على إقرارهم به

وهذا هو الوجه الأول وهو أنّ هذا كله لا يعني أنهم يقرون بالله خالقا على وجه القطع، فضلا عن أن يقرّوا بأنه هو الخالق وحده، وتقرير ذلك في مطلبين:

#### تقليد المشركين لأبائهم تقليدا أعمى حتى إطلاق كلمة الله

أولا: إن كلمة «الله» الواردة في كلامهم وأشعارهم - كما سيأتي - هي عندهم مجرد كلمة تراثية ورثوها عن آبائهم وأجدادهم يقلدونها

(١) «رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبد العزيز بن محمد بن سعود» (ص ٣٦)،

المؤلف: الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود (ت ١٢١٨ هـ)، أشرف على الطبع:

حسن بن غانم الغانم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

فيها مجرد تقليد لا أكثر، فهم كما أخذوا عبادة الأصنام عن آبائهم وقلدوهم في ذلك تقليداً أعمى أخذوا أيضاً عنهم فكرة أو كلمة «الله» والإيمان به، فهم أو معظمهم أو كثير منهم يؤمنون بالله تقليداً لآبائهم فقط، ولو أن آبائهم أنكروا الله لأنكره هؤلاء، تماماً كما أنكروا البعث واليوم الآخر، فقط لأن آبائهم أنكروه!! مع أنهم لو عقلوا لآمنوا بالبعث وما استبعدوه، ما دام أنهم آمنوا بالخالق، بل آمنوا بأنه الخالق وحده كما تدعون! لأن البعث أهون عندنا من الخلق من جديد! كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي «ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة»<sup>(١)</sup>.

وكما عبدوا الأصنام؛ لا لشيء إلا لأنهم وجدوا آبائهم على ذلك من عبادة الأصنام وإنكار اليوم الآخر، دون أن يفكروا ولو لحظة أكان آبائهم على حق في ذلك أم لا؟! بل هم يعتقدون أن ما يقوله آبائهم وأجدادهم هو الحق بعينه، لذلك كذبوا الرسل حين دعواهم إلى غير ما كان عليهم آبائهم من الكفر والشرك والضلال، وشككوا في رسالتهم، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤١٨)

[هود: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، و«هذا هو التقليد الأعمى.. (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا) [وجدنا] أي لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء والأقدمين، وهذه حجة كل كافر مشرك منذ أن وجد إلى يومنا هذا، ومما حكاه الله تعالى عن الأمم مع التقليد»<sup>(١)</sup>. اهـ.

### قول العقاد: «الله» الذي وصفه المشركون والذي وصفه الإسلام

#### لا يتشابهان بغير الحروف!

وبما أن العرب كانوا ينطقون باسم الله تقليدا لآبائهم فحسب؛ فإنه لم يكن عندهم عقيدة سليمة في الله تعالى حيث كانوا ينسبون له الولد - سبحانه -، وكانوا يشكّون في علمه وسمعه وقدرته، وكانوا يعدلون به الأصنام ويسوونها به، ويسبونه إذا سببوا أصنامهم، إلى غير

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي (٤/٢٠)

ذلك مما سبق بسطه<sup>(١)</sup>، ولعل هذا ما حدا بالأستاذ عباس العقاد إلى القول: وقد كان عرب الجاهلية مثلاً يعرفون اسم الله كما نعرفه اليوم، ولكن «الله» الذي وصفوه، و«الله» الذي وصفه الإسلام لا يتشابهان بغير الحروف، وبينهما من الفارق كما بين أبعاد الأرباب<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ثانياً: لم يكن عندهم قداسة لله تذكر، وإنما القداسة هي لأصنامهم ومعبوداتهم، ألا ترى كيف كانوا يسبون الله إذا سب المسلمون أصنامهم وأحجارهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وانظر إلى قول شعيب عليه السلام ﴿... يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: ٩٢]، أي «يا قوم أعززتم قومكم، فكانوا أعز عليكم من الله، واستخفتم بربكم، فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره، ولا تحافون عقابه، ولا تعظمونه حق عظمته»<sup>(٣)</sup>، حتى إنكم جعلتم «مكان رهطي

(١) انظر (ص ٤٧٠) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: كتاب «الله»، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، للأستاذ عباس محمود العقاد، باب «مصر» ص ٦٩، منشورات المكتبة العصرية.

(٣) جامع البيان ط هجر (١٢/٥٥٥)

عندكم أهيب وأمنع من الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

### قول ابن تيمية بأن المشركين كانوا يفضلون أنفسهم على ربهم

بل كانوا «يفضلون أنفسهم على ربهم ويجعلون له ما يكرهون..»<sup>(٢)</sup>، «وكان المشركون يقولون: إن الملائكة بنات الله.. مع هذا يجعلون البنات نقصا وعيبا ويرون الذكر كمالا، فقال لهم: كيف تصفون ربكم بأنقص الوصفين وأنتم مع هذا لا ترضون هذا لأنفسكم»<sup>(٣)</sup>، «فتبين فرط جهلهم وظلمهم إذ جعلوا الله ما لا يرضونه لأنفسهم، فكانت أنفسهم عندهم أعظم من الله سبحانه»<sup>(٤)</sup>.

ثالثا: كان العرب يعيشون في جاهلية جهلاء ساد فيها الاعتماد على السحر والكهانة والخرافات الكثيرة كالتطير وغير ذلك مما هو طعن في ربوبية الله كما سيأتي<sup>(٥)</sup>، لذا ذكرت الجاهلية في القرآن على أنه مضرب المثل في الجهل والظلام والتخلف، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال ﴿وَلَا تَبْرَجَنَّ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

(١) تفسير السمعي (٢/ ٤٥٤)

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ٣٦٣)

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ٣٦٢)

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٦٤)

(٥) انظر (ص ٤٤٧) من هذا الكتاب.

الأولى ﴿ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ حُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

وكانت الرسل قد فترت عنهم فزاد الجهل، كما قال تعالى:  
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسْلِ﴾  
[المائدة: ١٩] والمعنى «أنه انقطع الرسل قبل بعثه صلى الله عليه وسلم  
مدة من الزمان»<sup>(١)</sup>، «وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي؟  
والمشهور .. أنها ستمئة سنة.. والمقصود أن الله بعث محمدا صلى الله  
عليه وسلم على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الأديان  
وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به أتم النعم،  
والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد والطغيان  
والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين  
الأنبياء الأقدمين من بعض أحبار اليهود وعباد النصرى  
والصابئين»<sup>(٢)</sup>.

رابعا: كان العرب أمة أمية، وهذا قلل من الوعي الثقافي لديهم،  
وجعلهم عرضة لتقبل الخرافات والأساطير ونسج الأوهام حول  
فكرة وجود الخالق برمتها، وفي ذلك يقول ابن عاشور في قوله تعالى

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٠)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ١٤٠)

﴿أَوْ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾  
 [الجاثية: ٢٤]: .. وهذه كلمات كانت تجري على ألسنتهم لقلة التدبر في الأمور وإن كانوا يعلمون أن الله هو الخالق للعوالم، وأما ما يجري في العالم من التصرفات فلم يكن لهم فيه رأي! وكيف وحالتهم الأمية لا تساعد على ذلك؟ وكانوا يخطئون في التفاصيل حتى يأتوا بما يناقض ما يعتقدونه<sup>(١)</sup>. اهـ.

خامسا: لو سُلم هذا في البعض فلا يُسلم في الكل، لأن بعض العرب كانوا ينكرون الله أصلا كما سبق<sup>(٢)</sup>.

### الجواب عن شبهة دعاء المشركين الله عند الغرق

وأما دعاءهم الله عندما يخشون الغرق في البحر كما قال تعالى:  
 ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فليس لأنهم يعتقدون اعتقادا راسخا أن الله هو الخالق وكاشف الكربات والقادر على كل شيء، كيف وهم ينكرون قدرة الله على إحياء الموتى كما حكى الله عنهم في

(١) التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٦٢)

(٢) انظر كتابنا «ولئن سألتهم» (ص ٣٥).

آيات كثيرة<sup>(١)</sup>؟! ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥] فقد «حكم عليهم بأمر ثلاثه: الأول: أولئك الذين كفروا بربههم، أي أولئك المنكرون لقدرته سبحانه على البعث هم المتعادون في الكفر الكاملون فيه...»<sup>(٢)</sup>.



(١) كما في قوله تعالى: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) ﴿ [المؤمنون: ٣٥ - ٣٨]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩].

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٨١)

## أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلِّ

إذن فهم لا يعتقدون بأن الله قادر على شيء وإنما هم يدعون في تلك الأوقات تقليدا إما للحنفاء الذين كانوا لا يعبدون سوى الله، أو تقليدا لأبائهم الذين كانوا على بقايا دين إبراهيم، ومن دينه دعاء الله وحده في السراء والضراء<sup>(١)</sup>، ولا سيما أنهم لا يجدون حلا ولا مُنقذا آخر ينقذهم من الغرق الذي هم على وشكه، وكما يقال في المثل «الغريق يتعلق بقشة»، فلذلك هم يُجربون أن يدعوا الله دعاء لا يكلفهم شيئا، فإن استجيب لهم فقد نجوا من الهلاك المحقق، وهو ما كانوا يتمنونوه وهو أن يبقوا على قيد الحياة ليستكثروا من ملذاتها حلالها وحرامها مع الاستمرار على شركهم وكفرهم، وإن لم يستجب لهم وغرقوا فعلا فلم يخسروا شيئا بهذا الدعاء لأنه كما قال المتنبي: «أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنِّي نَزَّلْتُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتُ مِنْ حَيْثُ شَاءْتُ نَبَاتًا فَأَخْرَجْتُ مِنَ الْخَلْقِ إِنْسَانًا شَكُورًا (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَادِعِ عَدْنِ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٧].

البَلَلِ»<sup>(١)</sup>، وثمة احتمالات أخرى يمكن أن تقال في هذا المقال<sup>(٢)</sup>.

ثم هم أصلاً يعتقدون أن الموت هو نهاية المطاف، ولا بعث لا نشور ولا حساب ولا عقاب بعده، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، وهذا مناف لتوحيد الربوبية كما سيأتي بيانه<sup>(٣)</sup>، وبالتالي فهم يدعون الله أن ينجيهم من الغرق ليزدادوا تمتعا بالدنيا ويستمروا في شركهم وكفرهم، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: ٢٤٥)

(٢) مثل ما قاله لي بعض الإخوة الأفاضل: ربما كانوا يدعون الله من غير شعور منهم تلبية منهم لنداء الفطرة التي طمستها الجاهلية فظهرت في هذه الشدة. قال وليد: وهذا يمكن أن يكون تلبية للميثاق الذي أخذ علينا في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال ابن تيمية: فقولهم: بلى شهدنا، هو إقرارهم بربوبيته، وهو شهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم.. ولهذا جميع بنى آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم. وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق. انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٤٨٨). وقد ناقشت كلام ابن تيمية هذا في كتابي «ولئن سألتهم» ص ٤٤٨، ١٠٤.

(٣) انظر (ص ٥٤٦) من هذا الكتاب.

آتِنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿العنكبوت: ٦٥-٦٦﴾.

## قول البيضاوي «وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها»

فتأمل قوله «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»، أي «فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه.. إذا هم بعد أن صاروا إلى البر يشركون بالله الآلهة والأنداد ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ يقول: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم»<sup>(١)</sup>، «وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها»<sup>(٢)</sup>، وهذا التفسير على أن اللام في «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا» هي «لام كي أي لكي يكفروا ولكي يتمتعوا»<sup>(٣)</sup>، وقيل هي «لام العاقبة لأنهم لا يقصدون ذلك، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه إياهم لذلك فهي لام التعليل»<sup>(٤)</sup>، «وقيل: هما لام أمر معناه التهديد والوعيد؛ أي أكفروا بما أعطيناكم

(١) جامع البيان ط هجر (١٨ / ٤٤١).

(٢) تفسير البيضاوي (٤ / ١٩٩)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٦ / ٣٨٨)

(٤) تفسير ابن كثير (١٠ / ٥٢٩)

من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا»<sup>(١)</sup>، «ويؤيده قراءة ابن كثير وحزمة والكسائي وقالون عن نافع (وليتمتعوا) بالسكون»<sup>(٢)</sup>، وهو ما رجحه الطبري حيث قال «وأولى القراءتين .. قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد»<sup>(٣)</sup>.

### المشركون لم يكونوا صادقين في دعائهم الله في الغرق لرجوعهم إلى شركهم بعد نجاتهم

ومما يؤيد أنهم غير صادقين في دعائهم الله حينئذ هو أنهم عندما ينقذهم الله وينجيهم من الغرق يرجعون إلى شركهم من جديد كما في آية العنكبوت السابقة «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ»، وكما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٦ / ٣٨٨)

(٢) تفسير البيضاوي (٤ / ١٩٩)، وانظر: تفسير البغوي (٦ / ٢٥٥).

(٣) جامع البيان ط هجر (١٨ / ٤٤٢)

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ [يونس: ٢٢ - ٢٣].

### الطبري «إذا نجوا وصاروا إلى البر اتخذوا الأوثان آلهة وأربابا»

قال الطبري في تفسير آية العنكبوت السابقة: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ يقول: أخلصوا الله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بألهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ يقول: فلما خلاصهم مما كانوا فيه وسلمهم، فصاروا إلى البر إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا<sup>(١)</sup>. اهـ.

### أبو السعود والألوسي والشوكاني: دعوا الله مخلصين له الدين أي كائنين في صورة من أخلص دينه

قال الشوكاني: «فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون» فأجابهم عند ضرورتهم وإخلاصهم، مع علمه بأنهم سيعودون إلى شركهم<sup>(٢)</sup>. اهـ. وقال عند قوله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]: أي:

(١) جامع البيان ط هجر (١٨ / ٤٤٠)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٦٩)

إذا انقطع رجاءهم من الحياة، وخافوا الغرق رجعوا إلى الفطرة، فدعوا الله وحده كائنين على صورة المخلصين له الدين بصدق نياتهم، وتركهم عند ذلك لدعاء الأصنام، لعلمهم أنه لا يكشف هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون أي: فاجئوا المعاودة إلى الشرك، ودعوا غير الله سبحانه<sup>(١)</sup>. اهـ.

فتأمل قوله «دعوا الله وحده كائنين على صورة المخلصين له الدين بصدق نياتهم»!! فكان إخلاصهم نفسه في دعائهم لله في الضيق والشدة والقرب من الغرق: إخلاصا صوريا كما ذكر الشوكاني وغيره من المفسرين كما سيأتي، أي كان دعاؤهم تمثيلا، بدليل أنهم سرعان ما كانوا يعودون إلى الشرك بُعيد أن ينجيهم الله.

وما قاله الشوكاني قاله الألويسي<sup>(٢)</sup> أيضا، ومن قبلهما قاله أبو السعود حيث قال في تفسيره: «فإذا ركبوا في البحر ولقوا شدة ❖ دعوا الله مخلصين له الدين ❖ أي كائنين على صورة المخلصين، لدينهم ... ❖ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ❖ أي فاجئوا المعاودة إلى

(١) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٤٤)

(٢) جاء في تفسيره «روح المعاني» (١١ / ١٤) «حتى إذا ركبوا في الفلك ولقوا الشدائد

دعوا الله مخلصين له الدين أي كائنين في صورة من أخلص دينه وملته...»

الشرك»<sup>(١)</sup>. وأبو السعود أخذ ذلك من البيضاوي حيث قال في تفسيره: «دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَاتِنِينَ فِي صُورَةٍ مِنْ أَخْلَصَ دِينَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ..»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: لا توحيد في الآيات التي استدلتتم بها

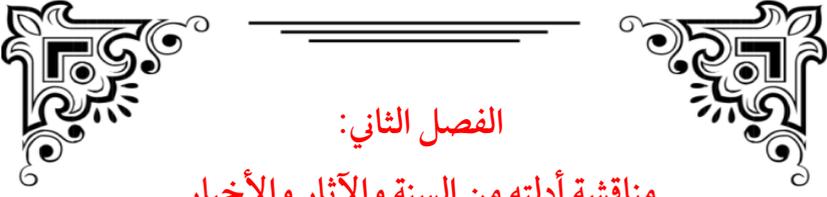
وهذا هو الوجه الثاني وهو أننا لو سلّمنا بأن هذه الآيات فيها إقرار من المشركين بالله وبربوبيته فأين فيها أنهم مقرون بتوحيد الربوبية كما تدعون؟! كيف وهي خالية من أساليب الحصر والقصر للربوبية والخالقية في الله تعالى؟! تماما كما هو الحال في قوله تعالى ﴿وَلَيْتَنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ونحوه، فلا يوجد فيه إقرار من المشركين بأن الله وحده هو الخالق وبالتالي فلا دليل فيها على أنهم مقرون بتوحيد الربوبية كما بسطنا ذلك مطولا في كتابنا «ولئن سألتهم»، وبالله التوفيق.



(١) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (٧ / ٤٧)

(٢) «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٤ / ١٩٩)





## الفصل الثاني:

### مناقشة أدلته من السنة والآثار والأخبار

#### المبحث الأول:

#### الأدلة من السنة والأحاديث المرفوعة

**المطلب الأول:** حديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..»

استدل ابن تيمية وأتباعه على أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية بحديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعاً «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، وجه الدلالة أن قول «صاحب الشرع أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، لم يقل حتى يقولوا إن لهم رباً، إذ هم عارفون بذلك، وإنما أمرتهم الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية والوحدانية فأبوا»<sup>(١)</sup>، «ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم قد قاتل كفار قريش مع إقرارهم بوحدانية الله تعالى في ربوبيته، فدل ذلك على أن هذا الإقرار منهم ليس هو تحقيق قول لا إله إلا الله، فدل على أنهم أقرؤا بتوحيد

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (٨ / ٥١٠)

## الربوبية دون توحيد الألوهية»<sup>(١)</sup>.

والجواب: أن هذا مبني على مقدمات عديدة لنظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، وكلها غير مسلمة، وبيان ذلك:

أولاً: قول ابن تيمية «لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا» إن هذا كله مبني على المقدمة الأولى للنظرية وهي الفرق بين الإله والرب، وقد بنا بشكل مطول أن الأمر ليس كذلك في كتابنا «تنوير الرب الإله»، وبالتالي بطل ما بني عليه من أن التوحيد قسماً ربوبية وألوهية

ثانياً: وقوله «إذ هم عارفون بذلك «مبني على مقدمة ثانية للنظرية وهي أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية، وهذا محل النزاع أصلاً، فيكون قوله مصادرة على المطلوب كما سيأتي بيانه»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: وقوله «وإنما أمرتهم الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية والوحدانية فأبوا «مبني على مقدمة ثالثة؛ وهي أن الرسل أتت بتوحيد الألوهية دون توحيد الربوبية، وهذا ما نقضناه بشكل مطول في كتابنا الكبير، وسيطبع هذا القسم منه في كتاب مستقل لاحقاً إن شاء الله.

(١) شبهات المتدعة في توحيد العبادة ص ٢١٤

(٢) انظر (ص ٤٨١) من هذا الكتاب.

فهذه ثلاث مقدمات يتوقف عليها استدلال ابن تيمية بحديث «أمرت أن أقاتل الناس..» على كون المشركين مقرّين بتوحيد الربوبية، والطريف أن إحدى هذه المقدمات الثلاثة، وهي أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية، هي ما يريد ابن تيمية أن يثبت من خلال هذا الحديث، على اعتبار أنهم لم يقاتلوا على توحيد الربوبية لأنهم مقرون به على زعمه، وإنما قاتلوا على توحيد الألوهية وهي شهادة أن لا إله إلا الله!! بيد أن هذا متوقف على الفرق بين الرب والإله، فكيف يُجعل مقدمة مسلّمة مع أنها محل النزاع؟! لا جرم أن استدلال ابن تيمية بهذا الحديث في غاية الضعف، لأنه مصادرة على المطلوب!

## المطلب الثاني: حديث مرض أبي طالب

أخرج الإمام أحمد<sup>(١)</sup> والترمذي<sup>(٢)</sup> وحسنه عن ابن عباس، قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعند أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه، وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم العرب، وتؤدي لهم العجم الجزية، قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة، قال: يا عم يقولوا لا إله إلا الله، فقالوا: إلهها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق، قال: فنزل فيهم القرآن ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ إلى قوله ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾. اهـ.

وجه الدلالة هو أن هؤلاء «هم الذين قال الله تعالى عنهم: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، وهم الذي قال تعالى فيهم: «قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله». فلاي شيء - وهم على الإقرار للربوبية - رفضوا تلك الكلمة، إلا أنهم فهموا أنها لا تقف عند إثبات الربوبية فقط، بل هناك معنى زائد وهو توحيد الله

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٤٥٨ ط الرسالة)

(٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٣٦٦ ت شاكر)

تعالى في ألوهيته<sup>(١)</sup>».

### والجواب من وجوه:

أولاً: حديث الترمذي هذا وإن قال عنه: حسن صحيح، بيد أن الإمام أحمد أعلمه بالاختلاف في سنده ولم يترجح له فيه شيء «قال عبد الله: قلت لأبي: قال يحيى بن سعيد: عن سفیان، عن الأعمش، عن يحيى بن عمار، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس أن أبا طالب مرض فعاده النبي صلى الله عليه وسلم».

وقال أبو أسامة: حدثنا الأعمش قال: حدثنا عباد، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس مثله.

قال أبي: وقال الأشجعي: عن سفیان، عن الأعمش، عن يحيى بن عباد أبي هبيرة.

فقلت: من أصاب؟

قال: لا أدري.

---

(١) انظر شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٣٢

### «العلل» رواية عبد الله<sup>(١)</sup>

ولذا ضعفه الألباني وجعله في ضعيف الترمذي<sup>(٢)</sup>، وضعفه أيضا شعيب الأرنؤوط ورفاقه في تحقيقه لمسند أحمد<sup>(٣)</sup>. وسبب ضعفه أن فيه «يحيى بن عمار، ويقال: يحيى بن عباد، ويقال: عباد بن جعفر الكوفي، لم يرو عنه غير الأعمش، ولم يوثقه غير ابن حبان، ولذا قال الحافظ: «مقبول» أي عند المتابعة. وقد روي مرسلًا، فالإسناد لا يخلو من كلام، غير أن القصة اكتسبت شهرة في كتب التاريخ والسيرة، وتتبعوا على نقلها، فاستغنى عن الإسناد»<sup>(٤)</sup>.

### إذا روينا في الحلال والحرام والسنن والأحكام شددنا في الأسانيد

قوله «القصة اكتسبت شهرة في كتب التاريخ ... فاستغنى عن الإسناد» فالجواب أن هذا يمكن أن يصلح في أحاديث الفضائل والمناقب والسير والمغازي لا في الفقه والعقيدة، قال الإمام أحمد:

(١) «الجامع لعلوم الإمام أحمد - الرجال» (١٩/٤٩٨)، «العلل ومعرفة الرجال

لأحمد رواية ابنه عبد الله» (١/٣٢٨)

(٢) ضعيف سنن الترمذي للألباني - (١/٤٠٩)، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٩١ م.

(٣) انظر شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٣٢

(٤) «الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه»

(١١/٤٠)، للضيء الأعظمي، دار السلام، ط ١، ٢٠١٦ م.

«يقول إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والسنن والأحكام شددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الأعمال وما لا يرفع حكماً فلا نصعب»<sup>(١)</sup>، «ولفظ أحمد في رواية الميموني عنه: (الأحاديث الرقائق يُحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حكم). وقال في رواية عباس الدوري عنه: (ابن إسحاق رجل تكتب عنه هذه الأحاديث - يعني: المغازي - ونحوها، وإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا، وقبض أصابع يديه الأربع)»<sup>(٢)</sup>.

بل أكثر من ذلك! إذ يقول ابن تيمية بعد سرد ما سبق: «ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يحتج به؛ فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي»<sup>(٣)</sup>.

فتأمل قول ابن تيمية «فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي»، فإذا كان الاستحباب لا يثبت بأحاديث الفضائل

(١) «المسودة في أصول الفقه» (ص ٢٧٣)، مطبعة المدني.

(٢) «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسخاوي (١ / ٣٥٠)، مكتبة السنة،

ط ٢٠٠٣ / ١م.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٦٥).

والمغازي الضعيفة فما بالك بأمر العقيدة والتوحيد والشرك؟! فهذه الأمور هي من باب أولى ألا يثبت بها حكم بحديث ضعيف ولو اشتهر، فثمة «أحاديث كثيرة مشتهرة على الألسنة، لكن إذا بحثت قد لا تجد لها إسناد البتة، وقد تجد لها إسناداً لكنه ضعيف»<sup>(١)</sup>، ومن «هنا كان الحديث المشهور منقسماً من حيث القبول أو الرد إلى ثلاثة أقسام: الصحيح، والحسن، والضعيف..»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: إن قريشا كذبت النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته ونبوته قبل أن يدعوهم إلى التوحيد أصلاً؛ كما في حديث البخاري «لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطن قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي). قالوا: نعم، ما

(١) «شرح ألفية العراقي - عبد الكريم الخضير»، شرح صوتي مفرغ على المكتبة الشاملة (٤٠ / ١٣ ت.ش).

(٢) منهج النقد في علوم الحديث (ص: ٤٠٩)، لشيخنا د. نور الدين عتر رحمه الله، دار الفكر دمشق، ط ٣ / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، وأول كلامه: «ربما تظن أن الحديث المشهور ملازم للصحة...».

جر بنا عليك إلا صدقا، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا، فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾<sup>(١)</sup>. وهذا بسطناه في كتابنا الكبير بحمد الله.

ثالثا: قولكم «وهم على الإقرار للربوبية» مصادرة على المطلوب، وكذا قولكم «بل هناك معنى زائد وهو توحيد الله تعالى في ألوهيته» فأين في الحديث أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بأننا نشهد أنه لا رب إلا الله ولا نشهد أنه لا إله إلا الله!! حتى تستنبطوا منه أنهم أقرؤا بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية؟!

وأما قولكم: «هؤلاء هم الذين قال الله تعالى عنهم: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، وهم الذي قال تعالى فيهم: «قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله». فلا أي شيء - وهم على الإقرار للربوبية - رفضوا تلك الكلمة، إلا أنهم فهموا أنها لا تقف عند إثبات الربوبية فقط، بل هناك معنى زائد وهو توحيد الله تعالى في ألوهيته»<sup>(٢)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (٤ / ١٧٨٧ ت البغا)

(٢) انظر شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٣٢

فالجواب: أولاً: هذا مبني على أن قوله تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» المراد به أنهم مشركون في الألوهية لا الربوبية، وهذا غير مسلم أصلاً، لأن الآيات محتملة لمعان أخرى كثيرة سبقت<sup>(١)</sup>.

ثانياً: هذا متوقف على التباين بين كلمتي الرب والإله، وأن العرب كانت تتخذ الأصنام آلهة لا أرباباً، وأنه ثمة فرق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية، وهذا كله نقضناه بالتفصيل في كتابنا «تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله»، وقد بينا فيه أن السلفية أنفسهم أقرروا في نهاية المطاف بأن كلمتي الرب والإله إذا اجتمعتا افرقتا وإذا افرقتا اجتمعتا مثل كلمتي المسكين والفقير، وبناء على هذه القاعدة يسقط احتجاجكم هنا، لأن الإله في الآية جاء مفرداً، وعليه فإنه يراد به ما يشمل الإله والرب، وبالتالي فهم حين رفضوا أن يقولوا لا إله إلا الله بحجة أن الإله لا يكون واحداً، فهم رفضوا أيضاً أن يكون الرب واحداً، فانقلب الدليل عليكم، والحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: هذا مبني على أن قوله «قل لمن .. سيقولون لله» - ونحو

(١) انظر (ص ٩٥) من هذا الكتاب.

ذلك من الآيات - فيه إقرار بتوحيد الربوبية، وهذا ما نقضناه مفصلاً في كتابنا «ولئن سألتهم»، وبالله التوفيق.

رابعاً: قوله «إلا أنهم فهموا أنها لا تقف عند إثبات الربوبية ..» ونحوه قول آخر «بقي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مكة ثلاثة عشر عاماً، يدعو العرب قائلًا: قولوا لا إله إلا الله، فقالوا إلهًا واحدًا ما سمعنا بهذا؟ لأن العرب فهموا معناها، وأن من قالها لا يدعو غير الله، فتركوها ولم يقولوها»<sup>(١)</sup>.

فالجواب عنه: هذا مبني على أن فهم المشركين حجة!! وهذا من أعجب العجب! فأنتم قررتم أن فهم السلف الصالح حجة، ولم تقبلوا بفهم الخلف وهم مسلمون فما بالك بفهم المشركين أهل الجاهلية الجاهلاء؟! فلا أدري كيف صار فهمهم حجة على تقسيم التوحيد؟!!

ثم إن كان فهم المشركين فعلاً حجة وأن «العرب فهموا معناها، وأن من قالها لا يدعو غير الله» فأنتم أيضاً خالفتهم فهمهم! لأنكم تدعون غير الله، حيث أجزتم دعاء الحي القادر! فما جوابكم عن ذلك هو جوابنا. وأما قوله «فتركوها ولم يقولوها» فالعرب قد رفضت

(١) «مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع» (٣/ ٣٩)،

محمد بن جميل زينو، دار الصميعي، ط ٩/ ١٩٩٧ م.

دعوة النبي قبل أن يدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله كما سبق.

### المطلب الثالث: حديث تلبية المشركين «..إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»

استدلوا على أن المشركين موحدون في الربوبية بحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويلكم، قد قد» فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت<sup>(١)</sup>.

قالوا: فدلّ هذا الحديث على أن المشركين كانوا «يعتقدون أن الله يملكهم»<sup>(٢)</sup>، «ويجعلون ملكها بيده ويقرّون بأنها لا تملك شيئاً»<sup>(٣)</sup>، و«يقرون أن الشريك مملوك له»<sup>(٤)</sup> تعالى، وأصنامهم جعلوها «مملوكة له مربوبة مخلوقة»<sup>(٥)</sup>. و«يعترفون بأن الله تعالى هو المالك وأن آلهتهم لا

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٤٣)

(٢) بيان تليس الجهمية (٣/ ٧٩)

(٣) مقال بعنوان: التلبية بالتوحيد، للشيخ عبد الرزاق البدر، انظره على:

<https://www.youtube.com/watch?v=22228>

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٩٦)

(٥) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٥)

تملك شيئاً»<sup>(١)</sup>. أو يكون المعنى «أن الله تعالى هو مالك آلهتهم ومالك ما تملك آلهتهم أيضاً»<sup>(٢)</sup>. و«لم يدعوا الاستقلال»<sup>(٣)</sup> فيما تملكه الأصنام.

### تناقض المشركين في توحيد الربوبية

والجواب عما تقدم أن نقول: قول المشركين: «ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، هو من تناقضهم وجهلهم وإفكهم وكفرهم وتليس الشيطان عليهم، هذا فضلاً عن أن فهم ابن تيمية لهذا الحديث هو فهم صادم؛ إذ كيف يكون المملوك شريكاً لمالكه؟! وإليك بسط ذلك:

أما أن هذا من تناقضهم؛ فلأنهم ما داموا قد اعترفوا بأن الله هو المالك لكل شيء، وبأن أوثانهم لا تملك شيئاً قط، بناءً على أن «ما» نافية في قولهم «وما ملك»، أو أنه تعالى يملك ما تملكه أوثانهم بناءً على أن «ما» موصولة، فلماذا إذن كانوا يعتقدون - كما سنرى ذلك مفصلاً - بأن أصنامهم تجلب النصر والعزّ لهم؟ وأنها تصيب عدوها وعدوهم

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢١٣)، وانظر القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم

التوحيد (ص: ٦٠)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٣/ ٢٨٦).

(٢) جهود علماء الحنفية (١/ ٢١٣)، وانظر القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم

التوحيد (ص: ٦٠)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٣/ ٢٨٦).

(٣) جهود علماء الحنفية (٢/ ١٠٣٦)

بالضر والخبل والجنون؟! ولماذا كانوا ينسبون المطر إليها وإلى الأنواء؟ ولماذا كانوا ينسبون الحوادث إلى الدهر؟! أليس هذا ناقضا لتوحيد الربوبية كما أقرتم بذلك في كتبكم؟! وسنأتي بنصوصكم في ذلك في الباب الثاني بحول الله.

ولماذا كانوا يُعَجِّزون الله عن بعث الأموات يوم القيامة؟! فقد كانوا «يَدَّعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم»<sup>(١)</sup>، ولذا قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] أي «ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم»<sup>(٢)</sup>، ويخوفون الرسول بأهتهم المزعومة كما قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦]، ويطلبون منها العز والنصر كما سنرى.

إلى غير ذلك مما هو قادح في توحيد الربوبية، ومناقض لقولهم «تملكه وما ملك»، وسيأتي كل ذلك مفصلاً إن شاء الله<sup>(٣)</sup>، وقد أقر بعض السلفية بوقوع المشركين في التناقض هنا فقال: «إن المشركين كانوا مقرّين بربوبية الله تعالى ووحدانيتها في ذلك، هو في إثبات ذلك

(١) القيامة الكبرى (ص: ٧١)، عمر الأشقر، دار النفائس بالأردن، ط ٦، ١٩٩٥ م.

(٢) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٩ / ٢٠٩)

(٣) انظر (ص ١٤٠) من هذا الكتاب.

الإقرار مع وقوع التناقض بعدم عملهم بمقتضاه»<sup>(١)</sup>.

**اتخذوا الأصنام آلهة لتنصرهم وتدفع عنهم وليست هي مجرد**

**شفعاء كما تزعمون**

فإن قلت: هم اتخذوها مجرد شفعاء كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وقال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، قلنا: أولاً: هم اتخذوها آلهة من دون الله، وليست هي عندهم مجرد شفعاء فقط، قال تعالى ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، وهذا - أي اتخاذها آلهة - هو بحد ذاته شرك وكفر؛ لأن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤]، وقال ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢]، وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فالمشركون رفضوا التوحيد حين ادعوا أن مع الله آلهة أخرى، كما

قال تعالى ﴿بِئْسَ مَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥)

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٣٨٦

وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]،  
 ومجرد قولهم بأن الأصنام آلهة لهم فهذا شرك ولو لم يعبدوها، فما بالك  
 إذا عبدوها وادعوا أنها تنصر وتُعزّز وتضرّ وتنفع، فزادوا على ذلك كفرا  
 على كفر، وشركا على شرك حين اتخذوها آلهة لتنصرهم وتعزّهم، كما  
 قال تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]،  
 وقال ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤].

وقال ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]،  
 إذن آلهتهم المزعومة تضرّ من لا يؤمن بها فتصيبه بخبل وجنون كما قال  
 السلف في تفسير هذه الآية كما سيأتي بسط ذلك<sup>(١)</sup>، إذن هم اتخذوها  
 آلهة وليس فقط شفعاء، وإلا فاتخاذ الرسل شفعاء لا شرك فيه، فنحن  
 وأنتم نقول: الرسل شفعاؤنا عند الله، فهل هذا كفر أو شرك؟!!

### من حمقهم اتخاذهم الأصنام شفعاء

ثانيا: لو سلمنا أنهم اتخذوها مجرد شفعاء فهذا من جهلهم،  
 وإفكهم الذي أشرنا إليه آنفا، وبيان ذلك أن هذه الأوثان مجرد حجارة  
 نحتوها بأيديهم، فمن أين جاءت تلك الشفاعة التي أضفوها عليها؟!  
 ومن أين لهم أنها تشفع لهم؟! قال تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه

(١) انظر (ص ٢٦٣) من هذا الكتاب.

السلام: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿[الصفات: ٩٥-٩٦]، ومما يدل على جهلهم وسذاجتهم ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاردي يقول: كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به<sup>(١)</sup>. اهـ.

## الرد المختصر على الزعم بأن أوثانهم رموز عندهم للأنبياء عليهم السلام

فإن قلتم: هم رمزوا بهذه الأوثان الجهادات إلى ما يعقل من الأنبياء - عليهم السلام - والأولياء والملائكة التي يعبدونها. قلنا: هذه دعوى باطلة، ينقضها صريح قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣] فصرّح بأنها لا تعقل، كما أن المشركين من كل الأمم كانت تنكر فكرة النبوة والرسالة من أصلها قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] فكيف سيعبدون الأنبياء ويتخذونهم شفعا ما دام أنهم ينكرون نبوتهم، ولذلك هم كذبوهم كما قال تعالى ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ

(١) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٤/١٥٩١)، الشرك في القديم والحديث

مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ [ص: ٤]، وقال: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقد بسطنا الكلام على بطلان هذه الدعوى في كتابنا الكبير بحمد الله.

### فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان فقال: إلا شريكا هو لك

وأما أن هذا من تلبس الشيطان عليهم، فلما ورد في بعض الآثار، قال السهيلي: وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لبيك، لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ قل: تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب<sup>(١)</sup>. اهـ.

لو كانوا صادقين لما اشمأزت قلوبهم من ذكر الله، ولما سبوه عند سب آلهتهم.

(١) الروض الأنف ت الوكيل (١ / ٣٥٧)، العقيدة في الله (ص: ٢٨٨)، لعمر الأشقر، ط ١٢ / دار النفائس بالأردن، حاشية فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٢٠)، مطبعة السنة تحقيق الفقي.

المشركون كانوا يزعمون أنهم يتخذون الأصنام شفعاء لتقربهم إلى الله! ولو كانوا صادقين في ذلك لما اشمأزت قلوبهم من ذكر الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، ولما كانوا يسبون الله إذا سببت آلهتهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ولما أحبوها كحب الله كما قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فدلّت على «أن المشركين قد يحبون آلهتهم كما يحبون الله أو تزيد محبتهم لهم على محبتهم لله؛ ولهذا: يشتمون الله إذا شتمت آلهتهم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

فهل من يتخذ الشفعاء ليشفعوا له عند عظيم يسبّ العظيم نفسه إذا سبّ الشفيع؟! أو يشمئز من مجرد ذكر العظيم وحده؟! طبعاً هذا لا يكون، ولذا بعد أن حكى الله عنهم قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ كذبهم فقال في آخر الآية نفسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فلا جرم أن قولهم «تملكه وما ملك» يجمع بين تناقضهم وجهلهم وإفكهم وكفرهم كما سبق بيانه.



## المبحث الثاني:

### الأدلة من الآثار والأخبار غير المرفوعة

**المطلب الأول: أثر ابن عباس «وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره»**

استدل السلفية أيضا على أن المشركين موحدون في الربوبية، استدلوا بأثر ابن عباس<sup>(١)</sup> عند الطبري حيث قال في تفسيره: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «نزل ذلك في الفريقين جميعا من الكفار والمنافقين. وإنما عنى بقوله: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه

(١) القول السيد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٥٨)، شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٠٩، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ١٢٩)، آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٦ / ١٥٨).

الرسول من توحيدِهِ هو الحق لا شك فيه»<sup>(١)</sup>.

قالوا: فهذا يدل على أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية لقولهم لا رب غيره كما في هذا الأثر<sup>(٢)</sup>. قلنا: أولاً: سند هذا الأثر ضعيف، لأنه من رواية محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وفي السند علتان:

العلة الأولى: ابن إسحاق مدلس، ولم يصرح هنا بالسماع فلا يحتج بروايته هذه، قال أحمد: هو كثير التدليس جداً<sup>(٣)</sup>، وقد ذكره

(١) جامع البيان ط هجر (١/ ٣٩٣)

(٢) انظر استدلال السلفية بهذا الأثر: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٥٨)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١١)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ١٢٩)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/ ٤٢١)، آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الرسالة الخامسة: عقيدة العرب في وثنيته (٦/ ١٥٨)، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام للرحيلي (١/ ١٠٣).

(٣) ضعفاء العقيلي (٤/ ٢٨)

العلائي<sup>(١)</sup>، وتبعه ابن حجر<sup>(٢)</sup> فجعله في الطبقة الرابعة من المدلسين وهم: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسمع لغلبة تدليسهم وكثرته عن الضعفاء والمجهولين<sup>(٣)</sup>، وذكره أيضا من المدلسين سبط ابن العجمي<sup>(٤)</sup>. ولكن ابن إسحاق صرح بالتحديث عند ابن أبي حاتم<sup>(٥)</sup>، وابن كثير<sup>(٦)</sup>، فبقيت:

**العلة الثانية:** إن مولى زيد هذا مجهول لم يرو عنه سوى ابن

- (١) حيث قال في جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص: ١٠٩): ٤٢ - محمد بن إسحاق بن يسار الإمام المشهور ممن أكثر منه وخصوصا عن الضعفاء. اهـ.
- (٢) قال ابن حجر في تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس في الطبقة الرابعة (ص: ٥١): محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني صاحب المغازي صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما. اهـ.
- (٣) «التبيين لأسماء المدلسين» (ص ٦٦)، برهان الدين الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي (ت ٨٤١هـ)، ت يحيى شفيق حسن، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- (٤) حيث قال في التبيين لأسماء المدلسين (ص: ٤٧): ٦٠ - محمد بن إسحاق بن يسار الإمام المشهور صاحب المغازي ممن أكثر منه خصوصا عن الضعفاء. اهـ.
- (٥) «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٦٢) وفيه: عن محمد بن إسحاق، قال: فيما حدثني محمد بن أبي محمد...
- (٦) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (١/ ١٩٥)

إسحاق كما في التقريب<sup>(١)</sup>.

ثانيا: إن صح الأثر فليس فيه أن المشركين أقروا بألستهم بأنه لا رب إلا الله، وإنما فيه أنهم يعلمون أنه لا رب لهم سواه، والعلم بالشيء من دون إذعان له لا يسمى إقرارا، وبعض أهل اللغة يسميه اعترافا<sup>(٢)</sup>، أيضا العلم ما لم يقترن بالإذعان والخضوع والانتقياد فهو لا ينفع صاحبه، كشأن أهل الكتاب الذين علموا بصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يخضعوا لعلمهم هذا فكفروا به عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، أصلا الإيذان «يراد به إذعان النفس للحق

(١) جاء في «تقريب التهذيب» (ص ٥٠٥): «محمد ابن أبي محمد الأنصاري مولى زيد

ابن ثابت مدني مجهول من السادسة تفرد عنه ابن إسحاق»

(٢) جاء في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١/٦٥): الفرق بين الإقرار

والاعتراف: الإقرار: هو التكلم بالحق، اللازم على النفس، مع توطين النفس على

الانتقياد والإذعان. ويشهد له قوله تعالى: «ثم أقررتم وأنتم تشهدون»،

والاعتراف: هو التكلم بذلك وإن لم يكن معه توطين، أو إن الاعتراف هو ما كان

باللسان، والإقرار قد يكون به، وبغيره، بل بالقرائن، كما في حق الأخرس. وينطبق

على الوجهين تسمية الشهادة بالتوحيد: إقرارا، لا اعترافا، كما لا يخفى. وأهل

اللغة لم يفرقوا بينهما.

على سبيل التصديق»<sup>(١)</sup>، «وأصل الإيمان قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو المحبة على سبيل الخضوع»<sup>(٢)</sup>، «وعمل القلب الذي هو الانقياد - تصديق الرسول»<sup>(٣)</sup>. وهذا بسطناه في غير هذا الموضوع<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: كلام ابن عباس حجة عليكم، بل هو يبطل نظرية تقسيم التوحيد برمتها!! لأنه قال: «وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيدِهِ هو الحق لا شك فيه»؛ فكلمة «توحيدِهِ» هنا لا يخلو من أن يقصد بها توحيد الألوهية، أو توحيد الربوبية، أو لم يقصد بها أي قسم من أقسام التوحيد ولم يكن يخطر بباله أن التوحيد له أقسام أصلاً!!

فإن كان ابن عباس يقصد بالتوحيد توحيد الربوبية فهذا يعني أن الرسول دعاهم إلى توحيد الربوبية، وهذا خلاف مذهب ابن تيمية من أن الرسل جاؤوا بتوحيد الألوهية وليس بتوحيد الربوبية، ولذا قال بأن قول «صاحب الشرع أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨).

(٤) انظر كتابنا «ولئن سألتهم» ص ٤٥٣.

إله إلا الله، لم يقل حتى يقولوا أن لهم ربا، إذ هم عارفون بذلك»<sup>(١)</sup>.

وإن كان ابن عباس يقصد هنا بالتوحيد توحيد الألوهية - وهو مذهب ابن تيمية كما رأينا - فهذا يعني أن المشركين كانوا عالمين بتوحيد الألوهية ويعلمون أنه الحق وكانوا مقرّين بذلك، لا يرتابون في ذلك، لأنه قال «وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيد هو الحق لا شك فيه»؛ أي أنهم مقرون بتوحيد الألوهية تماما كما أنهم مقرون بتوحيد الربوبية! طبعاً وهذا خلاف مذهبكم من أنهم أقرّوا بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية!

وإن لم يكن ابن عباس قد قصد بالتوحيد أي قسم من أقسامه، وربما لم يخطر بباله أن التوحيد له أقسام أصلاً، فهذا دليل على أن تقسيم التوحيد أمر مبتدع أصلاً، وبالتالي فالأثر حجة عليكم في جميع الأحوال، وينقض نظرية تقسيم التوحيد كما رأينا.

فإن قلتم: علمهم بتوحيد الألوهية لا يلزم أنهم مقرون به بل هو كعلم أهل الكتاب بنبوّة النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يؤمنوا به. قلنا: وكذا نقول هنا وهو أن علمهم بتوحيد الربوبية لا يلزم منه أنهم مقرون به، إذ إنهم اتخذوا الأصنام أرباباً - كما سيأتي - كما اتخذوها آلهة

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (٨ / ٥١٠)

من دون الله، وبالتالي فهم عالمون بتوحيد الربوبية والألوهية كليهما، ولكن غير مقرّين بهما، فما الداعي إذن لتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية ما دام أنهم مشركون فيهما كليهما؟!

### المطلب الثاني: خبر «اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفتّين..»

استدل بعض السلفية<sup>(١)</sup> على أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية بأن «المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر تعلّقوا بأستار الكعبة، قالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفتّين، وأكرم الحزبين»<sup>(٢)</sup>، «وفي رواية: أن أبا جهل قال حين التقى الجمعان: اللهم ربنا! ديننا القديم، ودين محمد الحديث، فأبيّ الدّينين كان أحب إليك، وأرضى عندك فانصر أهله اليوم»<sup>(٣)</sup>.

وهذا «مما يؤكد أنهم لم يكونوا يعتقدون استقلال شركائهم مع الله بالنعف والضر، ولقد استفتح أبو جهل يوم بدر بالرب دون اللات

(١) ممن استدل بهذا المعلمي اليماني في رسالة له بعنوان «عقيدة العرب في وثنيّتهم»،

يقول فيها تحت عنوان: جمعهم بين الإيوان والشرك: ومما يناسب هذا ما روي أنّ

المشركين لما أرادوا الخروج.. انظر آثار الشيخ المعلمي اليماني (٦/ ١٦١).

(٢) لم أجد هذه الرواية إلا في السيرة الحلبية (٢/ ٢٣٥)، وفي الكشف للزخشري

(٢/ ١٩٨).

(٣) روح المعاني (٩/ ١٨٧).

والعزى وهبَل فقال «اللهم أقطعنا الرحم، وأتانا بها لا نعرف فأحنه الغداة» فكان ذلك استفتاحاً منه، فنزلت ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾<sup>(١)</sup>. اهـ.

والجواب: أولاً: هذه الروايات ونحوها لا يثبت منها شيء، وإليك بيان تلك الروايات:

(١) أما رواية «اللهم انصر أعلى الجندين ..» فقد أقر محقق كتاب المعلمي<sup>(٢)</sup> بأنها من قول السدي والكلبي. وعزاها ابن كثير في تفسيره إلى السدي من قوله<sup>(٣)</sup>.

(٢) وذكر السيوطي نحو رواية السدي فقال: وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير .. عن عطية قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الفئتين وخير الفئتين. فنزلت إن تستفتحوا

(١) موسوعة أهل السنة لدمشقية (ص: ٣٤)، والرواية في جامع البيان ط هجر (١١) / (٩٤).

(٢) حيث قال محقق كتاب المعلمي عن هذه الرواية: ذكرها كثير من المفسرين من قول السدي والكلبي، كما في «تفسير البغوي» (٣ / ٣٤٢)، و«تفسير ابن كثير» (٤ / ٣٣) وغيرهما. انظر: آثار الشيخ المعلمي اليماني (٦ / ١٦١).

(٣) تفسير ابن كثير ٧ / ٤٤.

فقد جاءكم الفتح<sup>(١)</sup>. وهو مرسل لأن عطية هذا تابعي<sup>(٢)</sup> فضلا عن أن فيه كلاما طويلا ومطاعن عديدة لخصها الحافظ بقوله «صدوق يخطئ كثيرا، وكان شيعيا مدلسا»<sup>(٣)</sup>.

(٣) ونحوها ما أخرجه الطبري عن يزيد بن رومان، وغيره، «قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أحب الدينين إليك، ديننا العتيق، أم دينهم.. الحديث، فأنزل الله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾<sup>(٤)</sup>. وهو مرسل لأن يزيد بن رومان من التابعين<sup>(٥)</sup>.

(٤) وأما رواية: «أنَّ أبا جهل قال حين التقى الجمعان: اللَّهُمَّ رَبَّنَا..» فعزاها المعلمي إلى البيهقي في الدلائل عن موسى بن عقبة في

(١) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (٧/ ٧٨)

(٢) جاء في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٥): عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي أبو الحسن من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث. اهـ.

(٣) انظر: تقريب التهذيب - عوامه (ص: ٣٩٣). وفي تهذيب الكمال (٦/ ٢١١): قال البخاري ليس بذلك، وقال أبو حاتم ضعيف الحديث، وذكره أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات، وقال: وأحاديث عطية ليست بنقية. اهـ.

(٤) جامع البيان ط هجر (١١/ ٩٤).

(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٢/ ١٢٢).

مغازيه<sup>(١)</sup>، والبيهقي يرويه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري مرسلًا<sup>(٢)</sup>، والحديث المرسل ضعيف ولا سيما مراسيل الزهري كما هو مقرر عند علماء الحديث<sup>(٣)</sup>.

٥) وأما رواية «اللهم أقطعنا للرحم..» فقد أخرجها كما قال السيوطي «ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والنسائي.. والحاكم

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٦ / ١٦١). وانظر الرواية في السيرة الحلبية (٢ / ٢٣٥)، مرويات الإمام الزهري في المغازي (١ / ٢٢٧) لمحمد عواجي.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣ / ١٠١).

(٣) جاء في شرح علل الترمذي لابن رجب ١ / ٢٨٤، ت د. عتر: وخرج البيهقي من طريق أبي قدامة السرخسي، قال سمعت يحيى بن سعيد يقول: «مرسل الزهري شر من مرسل غيره، لأنه حافظ، وكلما يقدر أن يسمي سمي، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه». وقال يحيى بن معين: «مراسيل الزهري ليست بشيء». وقال الشافعي: «إرسال الزهري عندنا ليس بشيء». اهـ.

وصححه والبيهقي في الدلائل<sup>(١)</sup> عن ابن شهاب عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُعَيْر»، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير هذا مختلف في

(١) جاء في حاشية «مسند أحمد» (٣٩ / ٦٦ ط الرسالة): وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٥٩-٣٦٠، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٣١)، والطبري في «تفسيره» ٢٠٨/٩، والحاكم في «المستدرک» ٣٢٨/٢ من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد - وزادوا فيه: فأُنزل الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح... [الأنفال: ١٩]. والحديث في «سيرة ابن هشام» ٢/٢٨٠، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري ٢٠٨-٢٠٩، والبيهقي في «الدلائل» ٣/٧٤. وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٢٠١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٣٢)، والطبري ٢٠٨/٩، والحاكم ٣٢٨/٢ من طريق صالح بن كيسان، والطبري ٢٠٧-٢٠٨ من طريق عقيل بن خالد، كلاهما عن الزهري، به. وأخرجه الطبري ٢٠٧/٩ من طريق معمر، عن الزهري - لم يجاوز به.

صحبته وسماعه<sup>(١)</sup> من النبي صلى الله عليه وسلم، والحافظ ابن حجر لخص ذلك بقوله «له رؤية ولم يثبت له سماع»<sup>(٢)</sup>. اهـ. وروايته عن النبي مرسلة كما قال البخاري والدارقطني<sup>(٣)</sup>، وحكم

(١) وبسط ذلك فيما يلي: جاء في الإصابة في تمييز الصحابة (٤ / ٢٨): وقال البغوي: رأى النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه عنه، له صحبة. وذكره ابن حبان في الصحابة. وقال ابن السكن: يقال له صحبة. وقال غيره: مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه ورأسه عام الفتح ودعا له.. قال أبو حاتم: رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير». اهـ. ونحوه في معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣ / ١٦٠٢)، وتهذيب الكمال (١٤ / ٣٥٣)، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣ / ٥٠٣): مسح النبي صلى الله عليه وسلم رأسه، فوعى ذلك. اهـ. وقال الذهبي في تذهيب تهذيب الكمال (١٧ / ٤٤): وقد حَفِظَ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مَسَحَ رأسه، ودعا له زمن الفتح. اهـ. وقد أشار بذلك إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الدعوات/ باب الدعاء للصبيان بالبركة، ومسح رؤوسهم، قال: حدثنا أبو اليان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عبد الله بن ثعلبة ابن صُعَيْرٍ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد مسح عنه: إنه رأى سعد بن أبي وقاص يُوسِّئُ بِرِكَعَةٍ.

(٢) تقريب التهذيب - عوامة (ص: ٢٩٨)

(٣) جاء في الإصابة في تمييز الصحابة في ترجمة ابن صغير هذا (٤ / ٤٤): وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال البخاري: وهو مرسل. وقال ابن السكن: وحديثه في صدقة الفطر، يعني الذي أخرجه الدار الدارقطني - مختلف فيه. والصواب أنه مرسل، ولم يصرح في شيء من الروايات بسماعه. اهـ.

مراسيل من له رؤية «حكم المرسل لا الموصول، ولا يجيء فيه ما قيل في مراسيل الصحابة لأن أكثر رواية هذا وشبهه عن التابعي بخلاف الصحابي الذي أدرك وسمع فإن احتمال روايته عن التابعي بعيد جدا»<sup>(١)</sup>، نعم رجح العلائي أن مرسل ابن صُغير ملحق بمراسيل الصحابة<sup>(٢)</sup>، ولكن هذا مرجعه إلى تحقيق المناط في الخلاف في صحبته، فمن رأى أن له صحبة وسماعا جعل مرسله مرسل الصحابي الذي له حكم الاتصال، ومن جعل له رؤية فحسب جعل مرسله كمرسل التابعي.

ولذا قيل في الحديث «إسناده ضعيف»<sup>(٣)</sup>، ولكن هذا فيما يخص

(١) انظر تدريب الراوي للسيوطي (١ / ٢٩٦)، ونحوه قول الذهبي في الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص: ٥٨) أن من «لم يكن له إلا مجرد رؤية.. محمول على الإرسال كمحمود بن الربيع..». اهـ. وقول ابن رجب في شرح علل الترمذي (١ / ٥٨): وكذلك كثير من صبيان الصحابة رأوا النبي ولم يصح لهم سماع فرواياتهم عنه مرسله كطارق بن شهاب وغيره. اهـ ونحوه قول السخاوي في التوضيح الأبر (ص: ٣٩): والصواب فيما يجيء عن الصحابة من ذلك كحديث عائشة في بدء الوحي، أن حكمه الوصل، إلا فيما يرسله من له رؤية فقط. اهـ.

وانظر <http://www.alukah.net/subject/233244>

(٢) حيث جاء في جامع التحصيل للعلائي (ص: ١٥٢): ثعلبة بن أبي صعير.. وأثبت الدارقطني وغيره له الصحبة ولائنه عبد الله أيضا، ولعل هذا هو الأظهر. اهـ

(٣) «صحيح وضعيف تاريخ الطبري» (٢ / ١٠٤):

سند الطبري «فالطبري أخرج هذه الرواية بسند ضعيف مرسلًا كما نرى إلا أنه أخرجها في تفسيره بإسنادين مرسلين صحيحين (عن عروة وقتادة). وقال العمري معقبًا على الروایتين المرسلتين: وهما يعتضدان لأن المرسل إذا تعددت مخارجه يقوى»<sup>(١)</sup>.

ولذا قيل رجال حديث الحاكم «رجال ثقات، ابن إسحاق صرح بالتحديث، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي»<sup>(٢)</sup>، «وإسناده صحيح ومحمد بن إسحاق وإن كان حسن الحديث إذا صرح ولكنه رواه أيضا صالح بن كيسان - وهو ثقة حافظ - عن الزهري به مثله»<sup>(٣)</sup>.

والحاصل أنه حديث «صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق، وقد توبع. يزيد: هو ابن هارون.

**ضبط «اللهم أقطعنا الرحم، وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة»،**

**وتوجيهها**

(١) «صحيح وضعيف تاريخ الطبري» (٢ / ١٠٤):

(٢) محقق كتاب «جامع المسانيد لابن الجوزي» (٤ / ٢٦)

(٣) «الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه» (٨ /

قال السندي: قوله: «أقطعنا» اسم تفضيل للقطع. «وأتانا» اسم تفضيل من الإتيان. «فأحنه» من أحانه الله، أي: أهلكه ولم يوفقه للرشاد<sup>(١)</sup>. اهـ. قلت: هذا هو الضبط الصحيح، وضبطه دمشقية هكذا «أقطعنا.. وأتانا»<sup>(٢)</sup> بمعنى أن أبا جهل يدعو على النبي عليه الصلاة والسلام لأنه - بزعم أبي جهل - جعلهم يقطعون الرحم وأتاهم بما لا يعرفون، وهذا ضبط غير صحيح، بل الصحيح ضبطه كما يلي «أقطعنا.. وأتانا» وبذلك ضبطه السندي كما رأينا، وكذا ضبط في طبعة هجر من تفسير الطبري<sup>(٣)</sup>.

ويكون الفعلان حينئذٍ على صيغة أفعال التفضيل، وبه يتم معنى الاستفتاح فهو يدعو على مَنْ هو من الفريقين يوم بدر أكثر قطيعة وأكثر إتيانا بما لا يعرف، ويؤكد الروايات الأخرى كرواية الطبري وغيره «اللهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الفئتين»، ورواية مصنف ابن أبي شيبة: «اللهم أينما كان أفجر بك وأقطع لرحمه فأحنه اليوم»<sup>(٤)</sup>، بل يؤيده رواية الحاكم في المستدرک التي عزا إليها دمشقية، ونصّها كما

(١) حاشية «مسند أحمد» (٣٩/ ٦٦ ط الرسالة)

(٢) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ٣٥)

(٣) جامع البيان ط هجر (١١/ ٩٤)

(٤) مصنف ابن أبي شيبة تحقيق عوامة (٢٠/ ٣١٤)

في المستدرک «اللهم أيّنا كان أقطع للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنيه الغدا، فكان ذلك استفتاحه».

(٦) وثمة رواية أخرى، قال السيوطي: وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد رضي الله عنه في قوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال: كفار قريش في قولهم: ربنا افتح بيننا وبين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ففتح بينهم يوم بدر<sup>(١)</sup>. اهـ. وهو مرسل لأن مجاهد من التابعين كما هو معروف.

والحاصل أن هذه الروايات لا يكاد يثبت منها شيء مرفوع متصل، وإنما هي مراسيل أو مقاطيع، وكذلك فيها علل أخرى كما سبق، ولعل أمثلها رواية ابن صغير، وإن صحت فهي محمولة على أنها قالوها عنادا واستهزاء، كما في قوله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾. اهـ.

(١) الدر المشهور للسيوطي، ط/ هجر (٧/ ٧٨)

قال الحافظ: قوله: «قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا الخ» ظاهر في أنه القائل ذلك، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة فعله بدأ به ورضي الباقر فنسب إليهم، وقد روى الطبراني من طريق ابن عباس أن القائل ذلك هو النضر بن الحارث قال: فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، وكذا قال مجاهد وعطاء والسدي، ولا ينافي ذلك ما في الصحيح لاحتمال أن يكونا قالاه، ولكن نسبه إلى أبي جهل. وعن قتادة قال: قال ذلك سَفَهَةٌ هذه الأمة وجهلتها. وروى ابن جرير من طريق يزيد بن رومان أنهم قالوا ذلك ثم لما أمسوا ندموا فقالوا غفرانك اللهم، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال القسطلاني: «والمراد نفي كونه حقًا، وإذا انتفى كونه حقًا لم يستوجب منكره عذابًا، فكان تعليق العذاب بكونه حقًا مع اعتقاده أنه ليس بحق، كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقًا فأمطر علينا حجارة، وهذا من عنادهم وتمردهم. روي أن معاوية قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة؟ فقال: أجهل من قومي قومك حين قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا فاهدنا له. وروي أن النضر بن الحارث

(١) فتح الباري (٨ / ٣٠٩)

لعنه الله لما قال: إن هذا إلا أساطير الأولين، قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ويلك إنه كلام الله» فقال هو وأبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، وإسناده إلى الجمع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم»<sup>(١)</sup>

**استعجال المشركين لعذاب الله هو استهزاء منهم وعناد وليس**

**إيماناً بالله**

فأفادت آية الأنفال (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ...) وحديث البخاري أن المشركين كانوا يدعون الله أن يعذبهم إن كان ما جاءهم به النبي حقاً، وهذا من استهزائهم وعنادهم كما رأينا، فمن خصال الجاهلية «استعجالهم العذاب كقوله تعالى عنهم ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾<sup>(٢)</sup>»، وكقوله ﴿وَلَكِنَّ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُوا مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود: ٨] أي «من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء» ويقولون: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧ / ١٣٤)

(٢) زوائد مسائل الجاهلية (ص: ١١)

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾. وهكذا كان المشركون من الأمم السابقة يستعجلون رسلهم العذاب، وإليك الآيات في ذلك:

(١) فقال تعالى عن قوم نوح ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢] وقال عنهم أيضا: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

(٢) وقال عن عاد قوم هود: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

(٣) وقال عن ثمود: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

(٤) وقال عن أصحاب الأيكة قوم شعيب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

(٥) وقال عن قوم لوط: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

(١) المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية (ص: ٥٢)، وانظر فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، لشكري الألوسي، ت بحب الدين الخطيب (١/ ٢١٧)

ففي كل هذه الآيات نرى كيف يدعو المشركون أن يعجل الله لهم العذاب في الدنيا إن كان ما جاء به الرسل حقاً!! ولكن هذا لا يدل بالضرورة على أنهم يؤمنون بالله، فضلا عن أن يدل على أنهم يوحّدونه في الربوبية بحجة أنهم يدعون، فإن هذا الدعاء منهم لله ما هو إلا تعبير عن عنادهم واستهزائهم منهم بربهم كما سبق.

### الدعاء لا يدل على توحيد الربوبية أصلا

ثانياً: بفرض صحة هذه الروايات فإنه ليس فيها أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية، غاية ما فيها أن المشركين دعوا الله بقولهم «اللهم انصر أعلى الجندين»، ويقول أبي جهل «اللهم أقطعنا..»، والدعاء عندكم ليس هو من توحيد الربوبية أصلا بل هو من توحيد الألوهية لأنه عبادة بل مخ العبادة<sup>(١)</sup>.

ألا ترون أنهم كانوا يدعون آلهتهم أيضا فقد «كانوا يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنما يخلصون لله وحده، كما قال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم

(١) جهود علماء الحنفية (٣/ ١٣٩٨)، و(٣/ ١٤٠٨)، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٧٠)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ٤٣)، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٢٠٦).

يشركون ﴿١﴾!!!؟

فهل دعاؤهم لأصنامهم في الرخاء يدل على أنهم يعتقدون بربوبيتها فضلا عن أن يوحدونها في الربوبية؟ كيف وأنتم تقولون إنهم يوحدون الله في الربوبية؟! إذن فالدعاء لا يدل بالضرورة على أن الداعي يعتقد فيمن يدعوه أنه رب خالق فضلا عن أن يكون عنده الرب الخالق وحده!! وعليه فإن دعاء المشركين الله لا يدل على أنهم يوحدونه في الربوبية.

ثالثا: ثمة تفسير آخر للآية هو أولى مما سبق، وهو ما رواه الطبري بسنده عن ابن زيد عند آية ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ قال: إن تستفتحوا العذاب، فعذبوا يوم بدر قال: وكان استفتاحهم بمكة، قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ قال: فجاءهم العذاب يوم بدر. وأخبر عن يوم أحد: ﴿وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ (٢). اهـ. وإنما قلنا هذا أولى لموافقته آية الأنفال الأخرى وهي «اللهم إن كان هذا هو الحق..». اهـ.

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٩)

(٢) جامع البيان ط هجر (١١ / ٩٣)

رابعاً: وأما قول دمشقية: «ولقد استفتح أبو جهل يوم بدر بالربِّ دون اللات والعزى وهبل»، فهذا لا يعني أنهم ما كانوا يستنصرون بأصنامهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤] أي أنهم اتخذوا «الأنداد آلهة مع الله، يتبعون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم»<sup>(١)</sup>، وكذلك فإنهم يوم أحد قالوا على لسان أبي سفيان «اعلُّ هُبلُ اعلُّ هبل»، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبونه. قالوا يا رسول الله: ما نقول؟ قال قولوا: الله أعلى وأجل. قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبونه.. قالوا يا رسول الله: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»<sup>(٢)</sup>، فقوله (اعلُّ هبل): «معناه زاد علوا»<sup>(٣)</sup>، «أراد علو الشأن»<sup>(٤)</sup>، «أي ظهر دينك»<sup>(٥)</sup>، و«ليرتفع أمرك، ويعزّ دينك، فقد غلبت»<sup>(٦)</sup>، فلم يقل المشركون حينها: لنا الله، بل قالوا: لنا العزى! فرد

(١) تفسير ابن كثير (ج ٦ / ص ٥٩٣)

(٢) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٣ / ١١٠٥)

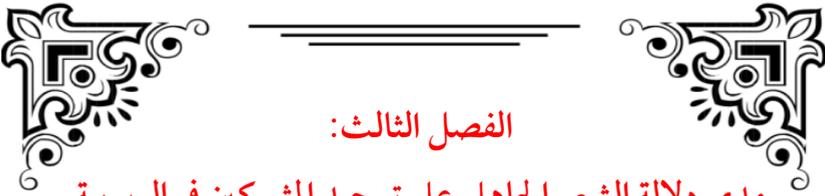
(٣) فتح الباري لابن حجر (٧ / ٣٥٢)

(٤) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٦ / ٤٧)

(٥) فتح الباري لابن حجر (٧ / ٣٥٢)

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢١ / ١٥٢) وانظر عمدة القاري

عليهم النبي: الله مولانا ولا مولى لكم، ولا قالوا: اعلُ يا دين الله، بل قالوا: اعلُ هبل!! فرد عليهم عليه الصلاة والسلام بقوله: الله أعلى وأجل، فكيف ترك دمشقية آية يس وترك هذا الحديث الثابت



### الفصل الثالث:

#### مدى دلالة الشعر الجاهلي على توحيد المشركين في الربوبية

استدل السلفية على أن المشركين مقرّون بالربوبية بأبيات من شعر العرب في الجاهلية، فما هي تلك الأبيات؟ وهل هي ثابتة؟ وهل كان أصحابها موحدون في الربوبية أم حنفاء؟ وإليكم بيان ذلك في



ثلاثة مباحث:

#### المبحث الأول:

#### أبيات من الشعر الجاهلي التي استدلوا بها على توحيدهم في الربوبية

فقد «جاء مرويا عن العرب في جاهليتهم من نظم ونثر ما يدل دلالة ظاهرة صريحة على ما كانوا عليه من الإقرار بوجود الله تعالى وأنه سبحانه بيده تصرف الأمور، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة - وذلك

قبل إسلامه -

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ومن ذلك قوله:

فَأَقْعُ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ قَسَمَ الْخَلَائِقِ بَيْنَنَا

ومن ذلك قول عبد المطلب:

لا همَّ إن المرء يمنع فامنع حلالك

لا يغلبن صليهم عدوا محالك

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدالك

ومن ذلك قول طرفة بن العبد في معلقته:

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن

وقول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب ليوم حساب أو يعجل

قال البدر: قال ابن كثير وقد أورد هذين البيتين: «فقد اعترف

هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء  
وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة»<sup>(١)</sup>

وقال د. الهذيل: «وفي أشعار أمية بن أبي الصلت ما يدل الدلالة  
البيّنة على إقراره بوحداية ربّه، وإثباته المعاد حتى قال فيه النبي صلى  
الله عليه وسلم: وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم.

ومن شعره:

إن آيات ربّنا ثاقبات لا يباري فيهن إلا الكفور  
خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور  
ثم يجلو النهار ربّ رحيم بمهارة شعاعها مبشور<sup>(٢)</sup>  
وقال البدر: قال ابن جرير: «وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة ألا قضب الرحمن ربي يمينها  
وقال سلامة بن جندل الطهوي:

(١) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٦٢) نقلا عن تفسير ابن

كثير (٢٣٨/٤)

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٨٠

عجلتم علينا عجلتينا عليكم وما يشأ الرحمن يعقد  
والشواهد على هذا كثيرة، ومع ذلك فهم مشركون لأنهم  
يعبدون مع الله غيره.

### دعوى أن العرب كانت موحدة في الربوبية لأنها كانت تحلف بالله وتحج البيت

فضلا عن أن «العرب كانت تحلف بالله، وتجعل له نصيبا من  
النذر، وكانت تحج وتعظم البيت، وهذا أمر واضح في سير العرب  
وأخبارهم، فإذا كانوا ينكرون وجود الله تعالى، فإلى من يحجون وبيت  
من يعظمون؟»<sup>(١)</sup>.

«وقد ورد اسم الجلالة في أشعار كثير من الشعراء الجاهليين:  
ورد في شعر امرئ القيس وغيره. فامرؤ القيس يقول: «من الله»  
و«الله»، و«تالله»، و«قبح الله»، و«والله»<sup>(٢)</sup>.. وأمثال ذلك مما يرد في

(١) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٦٢)

(٢) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص ٤٩٢

(٣) فمثلا امرؤ القيس يقول: «من الله» كما في قوله:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل

ويُقسم بلفظ «تالله» كما في قوله:

أشعار الشعراء الجاهليين، يخرجنا تدوينه وحصره في هذا المكان عن حدود الموضوع»<sup>(١)</sup>.

قال وليد - أسبغ الله عليه نعمه -: كذا قالوا، ولكن هذا كله لا ينهض للقول بأن العرب كان توحد الله في الربوبية، بل ربما لا تنهض للقول بأن العرب تقرّ بالله ربا - وذلك لوجوه:

أولاً: ثمة من شكك بصحة هذه الآيات أصلاً.

ثانياً: الآيات التي يقسم فيها عرب الجاهلية بالله لا تدلّ - إن صحّت - على شيء إذ هم كانوا يُقسمون أيضاً بألهتهم وبكل شيء.

ثالثاً: قد يقال إن ما ورد في تلك الآيات خاص ببعض الشعراء الموحدين الذين كانوا على الحنيفية التي تنبذ عبادة الأصنام.

تالله قد علمت قيس إذا قذفت ريح الشتاء بيوت الحي بالعنن  
وبلفظ: و«يمين الله» و«يمين الإله»، كما في قوله:  
كلا يمين الإله يجمعنا.. شيء وأخوانا بنو جشما  
ويحمد الله كما في قوله:

أرى إبلي والحمد لله أصبحت ثقلاً إذا ما استقبلتها صعودها

انظر المزيد من ذلك في الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٧)

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٧)

رابعاً: الآيات التي ورد فيها الإيمان بالآخرة معارضة بآيات أخرى فيها إنكار للبعث.

خامساً: كل تلك الآيات لا توحيد فيها قط، وغاية ما فيها إثبات وجود الله.

سادساً: أنها معارضة بأشعار لهم يصرحون فيها بأن الأصنام أرباب لهم، وينسبون فيها التأثير لغير الله.

سابعاً: أما عن نذرهم فكان لأصنامهم كما سيأتي<sup>(١)</sup>، وكذا حجهم<sup>(٢)</sup>، وتعظيمهم للبيت كان لأجل ما أحاطوا به من أصنام، فقد «دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمئة وستون نصبا» كما في حديث الشيخين، وسيأتي<sup>(٣)</sup>، فضلا عن أنّ «العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة»<sup>(٤)</sup>. وهذا الوجه السابع بسطناه في كتابنا الكبير في فصل خاص، فنفضّل هنا الوجه الستة بحول الله في المباحث والمطالب التالية.

(١) سيأتي ذلك في المجلد الرابع من نقض نظرية تقسيم التوحيد إن شاء الله.

(٢) سيأتي ذلك في المجلد الرابع من نقض نظرية تقسيم التوحيد إن شاء الله.

(٣) انظر (ص ١٧٥) من هذا الكتاب.

(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٢١٩) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٨٣)

## المبحث الثاني: التشكيك بالشعر الجاهلي الذي فيه ذكر اسم الله

وهذا التشكيك من وجوه:

الوجه الأول: ثمة من شكك بصحة كثير من الأبيات الجاهلية التي فيها ذكر الله، بل ثمة من شكك بكل أبيات الشعر الجاهلي التي فيها ذكر الله، كالمستشرقين الذي درسوا «موضوع ورود اسم الجلالة في الشعر الجاهلي؛ فذهبوا في ذلك مذاهب: منهم من أيد صحة وروده في ذلك الشعر، وآمن بأن الشعر الذي ورد فيه هو شعر جاهلي حقاً. ومنهم من ذهب إلى أنه شعر صحيح، غير أن رواية الشعر أدخلوا اسم الجلالة فيه، ولم يكن هو فيه في الجاهلية، بأن رفعوا أسماء الأصنام، وأحلّوا اسم «الله» بدل اللات..<sup>(١)</sup>. ومن هؤلاء المستشرقين «نولدكه» فقد ذهب إلى أن رواية الشعر وحملته في الإسلام هم الذين أدخلوا اسم الجلالة في هذا الشعر، وذلك بأن حذفوا منه أسماء الأصنام، وأحلّوا محلها اسم الله. فما جاء فيه اسم «اللات» حلّ محله اسم «الله». وقد ذهب أيضاً إلى أن رواية الشعر في الإسلام حذفوا من شعر الجاهليين ما

(١) انظر تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٤٦٨).

لم يتفق مع عقيدتهم، وما وردت فيه أسماء الأصنام<sup>(١)</sup>.

## لا عبرة بتشكيك المستشرقين ومن لفّ لفهم في الشعر الجاهلي

برمته

بيد أن هذا التشكيك المطلق من المستشرقين لا عبرة به، إذ «فيه شيء من التكلف، فليس كل شعر فيه اسم الأصنام بصالح لقبول لفظ الجلالة، فقد لا يستقيم من حيث الوزن أو المعنى بإدخال تلك اللفظة في موضع اسم الصنم. ثم إن من الشعر الجاهلي المروي في الإسلام ما بقي محافظاً على اسم الصنم دون أن يمس ذلك الاسم بسوء.. ثم ما هي الفائدة التي يجنيها الرواة من طمس أسماء الأصنام، وهم يعلمون أن أهل الجاهلية كانوا وثنيين، يدينون بالأصنام، وكانوا يُقسمون بها..»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

## تشكيك جواد علي بأبيات لامرئ القيس وغيره فيها ذكر الله

نعم ثمة من شكك من غير المستشرقين في بعض تلك الأبيات، فهذا جواد علي بعد أن يورد أبياتاً كثيرةً لامرئ القيس في ذلك<sup>(٣)</sup>،

(١) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١١٤)

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١١٥)

(٣) كقوله:

يقول: «ونفهم من هذه الآيات ومن آيات أخرى، أن امرأ القيس رجل مؤمن يعتقد بالله الواحد، مؤمن بالله الواحد.. ثم ما يلبث جواد علي أن يقول: ثم لا أدري إذا كان أسلوب هذا الشعر من أسلوب الشعر الجاهلي وطرازه؟ وإذا كان هذا الشعر صحيحًا؟»<sup>(١)</sup>.

**التشكيك بقول عبيد بن الأبرص في معلقته: والله ليس له**

**شريك..**

ويقول جواد علي أيضا عن عبيد بن الأبرص - أحد أصحاب المعلقات العشر -: «وقد أهمل بعضُ رواة هذه المعلقة البيت الآتي:

فقالَت يمين الله ما لك حيلة      وما إن أرى عنك الغواية تنجلي  
وقوله:

فاليوم أسقى غير مستحقب      إثما من الله ولا واغل  
وقوله:

جزى الله خيرا كما ذكر اسمه      أبا مالك إن ذلك الحي اصعدوا  
وقوله:

قعيدك عمر الله، هل تعلميني      كريما إذا اسود الأنامل أزهرها

انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٨).

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٩).

والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب  
وكأنهم فطنوا إلى أنّ من غير المعقول نسبته إلى رجل وثني، مهما  
كان رأيه في الأوثان والتوحيد، لا يمكن أن يستعمل هذه الألفاظ التي  
لم يستعملها العرب بهذا الشكل إلا في الإسلام<sup>(١)</sup>.

### التشكيك بقول النابغة الجعدي: والحمد لله لا شريك له

ويقول جواد علي أيضا: ونجد «طفيل بن عوف» الغنوي يُقسم  
بـ«الإله» في شعره. غير أن هناك رواية تضع «رضي» موضع «الإله»  
فيكون القسم به، ورضي اسم صنم كان لطبيء<sup>(٢)</sup>. «ونجد في شعر  
النابغة الجعدي، أبو ليلى عبد الله بن قيس، الشاعر المخضرم المتوفى سنة  
٦٥ للهجرة، قصيدة مطلعها:

والحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما  
يلي هذا المطلع قصة نوح والسفينة، وهي سفينة مصنوعة من  
خشب الجوز والقار. وفي هذه القصيدة اعتراف بالتوحيد، وبوجود إله  
واحد لا شريك له، لا يحمد إلا هو، وهو شعر لا يمكن أن يكون إلا  
من شعر شاعر مسلم، إن صح أنه من شعره، فيجب أن يكون مما نظمه

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١١٠).

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١١٠).

## في الإسلام<sup>(١)</sup>.

إذ «النابغة الجعدي هو عبد الله بن قيس، من جعدة وكان يكنى أبا ليلى، وهو جاهليّ.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده:

أتيت رسول الله إذ جاء      ويتلو كتاباً كالمجرّة نيراً  
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا      وإنا لنرجو فوق ذلك  
وهو القائل:

الحمد لله لا شريك له      من لم يقلها فنفسه ظلماً  
المولج الليل في النهار وفي اللّيل      يل نهاراً يفرّج الظلماً  
الخافض الرّافع السماء على ال      أرض ولم يبين تحتها دعماً<sup>(٢)</sup>

ولكن ورد ما يدل على أنه قاله في الجاهلية وهي قصة حدثت في خلافة عثمان ذكرها ابن سلام وفيها أنه استأذنه أن يذهب إلى البادية فنهاه عثمان وقال «يا أبا ليلى أما علمت أن التعرب بعد الهجرة لا يصلح... فخرج من عنده فدخل على الحسن بن علي فودعه فقال له

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١٢ / ١١)

(٢) «الشعر والشعراء» (١ / ٢٨٠):

(٣) «الشعر والشعراء» (١ / ٢٨٤)

الحسن أنشدنا من بعض شعرك فأنشده:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما  
فقال له: يا أبا ليل ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي  
الصلت. قال: يا بن رسول الله، والله إني لأول الناس قالها، وإن  
السروق من سرق أمية شعره»<sup>(١)</sup>.

### قصيدة النابغة الجعدي التي استوحاها من القرآن في تقرير النشأة الأولى والآخرة

ذكر الدينوري في المجالسة قصيدةً للنابغة الجعدي بكاملها وفيها  
إقرار بالخالق المصور الخافض الرافع المصور مولج الليل في النهار،  
ويخلق الإنسان في الأرحام من نطفة ثم تتحول إلى دم وأعصاب إلى  
أن تصير عظاما يكسوها لحما، وفيها أيضا إقرار بالبعث<sup>(٢)</sup>، ما حدا

(١) «طبقات فحول الشعراء» (١ / ١٢٧)

(٢) جاء في «المجالسة وجواهر العلم» (٢ / ٣٩٣): «حدثنا أحمد؛ قال: أنشدنا  
إسماعيل بن إسحاق السراج؛ قال: أنشدنا محمد بن سلام الجمحي لنابغة الجعدي:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما  
المولج الليل في النهار وفي اللّ يل نهارا يفرج الظلما  
الخافض الّرافع السّماء على ال أرض ولم بين تحتها دعما

بالكتّاب أن يجعلوا القصيدة مستلهمة من القرآن.

«والنابغة في مطلع هذه العظة يثني على الله بما هو أهله، مقررًا إيمانه بوحدانيته وأنه لا شريك له، ونحس أنه يستعير لفظه من الذكر الحكيم، فهو يستهل قوله بكلمة «الحمد لله» ولا يلبث أن يستلهم مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. ويتحدث في البيت الثاني عن نظام الكون المنبئ عن قدرة الله وجليل صنعه له وتقديره على نظام بديع، مستعيرا من القرآن نفس لفظه في قوله جل وعز: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ...﴾. ﴿بيدك الخير

الخالق البارئ المصور في	الأرحام ماء حتى يجور دما
ثم عظاما أقامها عصبا	ثمت لحما كساه فالتأما
ثم كسا الريش والعقائب	أبشارا وجلدا تخاله أدما
من نطفة قادر مقدرها	يخلق منها الإنسان والنسا
واللون والصوت والخلائق	والأبصار شتى وفرق الكلم
ثمت لا بد أن سيجمعكم	الله جهرا شهادة قسا
فأتمروا الحق ما بدا لكم	واعتصموا إن وجدتم عصا
في هذه الأرض والسماء ولا	عصمة منه إلا لمن رحما

إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ﴿

وفي البيت الثالث<sup>(١)</sup> مضى ينظم قوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ وخرج في البيت الرابع من خلقه للكون إلى خلقه للإنسان واستمر ينظم مثل قوله جل وعز: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وهو يمضي فيتحدث عن البعث والنشأة الثانية محذرا مخوفا. وما يلبث أن يتحدث عن القرون والأمم البائدة مكملاً بذلك العظة والعبرة، بالضبط على نحو ما نقرأ في القرآن من حديث عما أصاب الأمم الباغية من هلاك، وقد اقتبس منه ما جاء فيه عن دولة سبأ اقتباسا تتطابق فيه الألفاظ وقرأ قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال. .﴾ ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا. .﴾ ﴿وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث

(١) وهو قوله:

الخافض الرافع السماء على الأرض	ولم	يبين	تحتها	دعما (١)
--------------------------------	-----	------	-------	----------

ومزقناهم كل ممزق) ❁، فإنك تجده قد نظم الآيات الكريمة في أبياته  
الثلاثة الأخيرة<sup>(١)</sup>.

«وأكبر الظن أنه قد اتضح اتضاحاً لا لبس فيه أن أهل نجد  
والبوادي كان مثلهم مثل أهل الحواضر حين دخلوا في الإسلام فقد  
تمثلوه وتألقت أضواؤه في صدورهم وفي أشعارهم، حتى لتتحول  
جوانب منها إلى مواضع خالصة ينفرون فيها الناس من الدنيا ونعيمها  
الفاني، حاثين لهم على التزود بالتقوى والعمل الصالح»<sup>(٢)</sup>.

«ولعل أكثر الطوابع الإسلامية مباشرة وأبرزها ظهوراً في  
شعر الفتوح محاولة تمثل بعض المعاني الإسلامية الخالصة، تمثلاً قريباً  
من صورتها في أي الذكر الحكيم، كما حدث في شعر النابغة الجعدي،

(١) يشير إلى قول النابغة:

أو سبأ الحاضرين مأرب إذ      بينون من دون سيله العرما  
فمزقوا في البلاد واعترفوا ال      هون وذاقوا البأساء والعدما  
وبدلوا السدر والأراك به ال      خط وأضحى البنيان منههما

«تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف» (٢/ ١٠٤)

(٢) «تاريخ الأدب العربي» (٢/ ١٠٤)، د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ١،

١٩٦٠-١٩٩٥ م.

الذي اتخذ زوال دولة الفرس موضوعاً له<sup>(١)</sup>، فصوره معجزة من المعجزات الباهرة، التي وفق الله المسلمين إليها، حتى ليجعلنا نعتقد أنه وضع أمامه آيات بعينها من الكتاب العزيز، وراح ينظمها نظماً، حافظ خلاله -جاهداً- على ألفاظها.

وهي محاولة طريفة، إذا تتبعنا أبياته لنرى إلى أي مدى تمثل هذه المعاني. يقول النابغة:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما  
وهذا معنى يتردد كثيراً في القرآن الكريم، من مثل قوله عز وجل  
على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ  
عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ثم يأخذ في تعداد الآيات الكونية فيقول:

المولج الليل في النهار وفي اللّ يل نهارا يفرج الظلما  
وكأنه يعني قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ

(١) يشير إلى قول النابغة:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ تَرَوْنَ إِلَى فَارِسَ بَادَتْ وَأَنْفَهَا رَغِمَا  
أَمْسُوا عَيْبِدَا يَرْعُونَ شَاءَكُمْ كَاتِمًا كَانَ مُلْكُهُمْ حُلْمًا

«المجالسة وجواهر العلم» (٢/٣٩٣).

النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿٢٩﴾ [لقمان: ٢٩].

ثم ينتقل إلى آية أخرى من الآيات الكونية فيقول:

الخافض الرافع السماء على ال أرض ولم بين تحتها دعما  
وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا  
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠] وينتقل إلى معنى  
آخر فيقول:

الخالق البارئ المصور في ال أرحام ماء حتى يصير دما  
من نطفة قدرها مقدرها يخلق منها الأبخار والنسما  
ثم عظاما أقامها عصب ثم لحمًا كساه فالتأما  
ثم كسا الريش والعقائق أبشـ ارا وجلدا تحاله أدما  
وهو يقصد بهذه الآيات، إلى التدليل على أن البعث حق، وكأنه  
يعني قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا  
خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ  
مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥].

أو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ، ثُمَّ  
جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً  
فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ

الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿المؤمنون: ١٢-١٦﴾ .

ثم يتحدث عن أنعم الله على الإنسان من كساء يوارى به سواته، مصداق قول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

ثم يتحدث من بعد ذلك عن قدرته تعالى في اختلاف الخلق، وأصواتهم، وألوانهم، فيقول:

والصوت واللون والمعاش أخلاق شتى و فرق الكلام ذلك المعنى الذي تعبر عنه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢] .

وهذا كله من أجل أن يدل على صحة البعث والنشور ليقول:

ثمت لا بد أن سيجمعكم والله جهراً شهادة قسماً<sup>(١)</sup>

**النابغة الجعدي شاعر إسلامي أو هو من حنفاء الجاهلية**

(١) «شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام» (ص ٢٦٦)، د. النعمان عبد المتعال

الفاضي، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١ / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

فالنابغة إذن بحسب الرأي السابق إنما نظم قصيدته في الإسلام مقتبسا معانيها من القرآن، ولو سلم أنه قالها في الجاهلية فهو كان من جملة الخنفاء الذين هجروا عبادة الأوثان حيث قيل عنه «وتحنف في الجاهلية، وهجر الأوثان والأزلام، وكان يصوم ويستغفر وهو القائل:

الحمدُ لله لا شريكَ له منْ لمْ يقلها فنفسه ظلماً<sup>(١)</sup>

«وكان يذكر في الجاهلية دين إبراهيم والحنيفية، يصوم ويستغفر فيما ذكروا، وقال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحمدُ لله لا شريكَ له منْ لمْ يقلها فنفسه ظلماً

وفيها ضروب من دلائل التوحيد، والإقرار بالبعث والجزاء، والجنة والنار. وصفه بعض ذلك على نحو شعر أمية بن أبي الصلت. وقد قيل: إن هذا الشعر لأمية، ولكنه قد صححه يونس بن حبيب، وحماد الرواية، ومحمد بن سلام، وعلي بن سليمان الأخفش للنابغة الجعدي.

قال أبو عمر: وفد النابغة على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً.

(١) «إيضاح شواهد الإيضاح» (١/٤٣٠)، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (ت ق

٦هـ)، ت محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١/

وأنشده، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أول ما أنشده قوله في قصيدته الرائية:

أتيت رسولَ الله إذ جاء ويتلو كتابا كالمجرّة نيرا  
«وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان النابغة الجعدي ممن ذكر<sup>(١)</sup>  
الجاهلية، وأنكر الخمر والسكر، وما يغير العقل، وهجر الأزلام  
والأوثان وقال في الجاهلية:

الحمدُ لله لا شريكَ له من لم يقلها فنفسه ظلما  
وكان يذكر دين إبراهيم عليه السلام والحنيفية ويصوم ويستغفر

(١) كذا في بغية الطلب وكذا في «شرح شواهد المغني» (٢/ ٦١٦)، ووقع في مصادر أخرى «وهو ممن فكر في الجاهلية»، انظر: «شرح ديوان الحماسة للتبريزي» (١/ ٤٠١)، «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» (٢/ ١٤٤)، وهذا أصح، ولذا قال محقق شرح شواهد المغني عند قوله «فكر»: في الأغاني: (فكر).

ويتوقى أشياء<sup>(١)</sup> لعواقبها<sup>(٢)</sup>.

وهذا قاله ابن الأثير وزاد «وله قصيدة أولها:

الحمد لله لا شريك له... من لم يقلها فنفسه ظلما

وفيها ضروب من دلائل التوحيد، والإقرار بالبعث والجزاء،

والجنة والنار<sup>(٣)</sup>»

**طرفه لابن الجوزي في نسبة أحد الحمقى بيت النابغة لسورة**

**الدخان**

وقد حكى ابن الجوزي قيل لأحد الحمق «كيف علمك بكتاب

الله تعالى؟ قال: عالم به، قال: ففي أي سورة هذه الآية:

الحمد لله لا شريك له... من لم يقلها فنفسه ظلما

(١) وقع في بغية الطلب «ويتوقى أشياء لغوا فيها»، وهذا تصحيف، والصواب ما في «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» (ص ٦٧٥): «ويتوقى أشياء لعواقبها».

(٢) «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٦ / ٣٠٠١)، لابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، ت سهيل زكار، دار الفكر. و«شرح ديوان الحماسة للتبريزي» (١ / ٤٠١)، «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» لأحمد الهاشمي (٢ / ١٤٤).

(٣) «أسد الغابة في معرفة الصحابة ط الفكر» (٤ / ٥١٦)

فأطرق ساعة ثم قال: في حم الدخان»<sup>(١)</sup>

والخلاصة مما سبق أن ما ورد من نفي الشريك عند بعض شعراء الجاهلية كالنابغة: لا يدل على أن أهل الجاهلية كانوا يوحدون الله في الربوبية، لأن قول النابغة الجعدي «والله ليس له شريك..» إما قاله في الإسلام، أو قاله في الجاهلية، ولكنه كان من جملة الحنفاء الموحدين الذين أقروا بالخالق الواحد، وهجروا عبادة الأصنام، فهو إذن من الموحدين في الألوهية والربوبية معا بحسب تعبيركم، وليس ممن وحد في الربوبية وأشرك في الألوهية كما تزعمون!!

### الجواب عن أبيات أخرى فيها ذكر الله عند أصحاب المعلقات

لا يقال: إنه ثمة أبيات لا يمكن التشكيك بها لورودها في المعلقات المتفق على صحتها، كقول لبيد السابق: فَأَقْنَعِ بِمَا قَسَمَ الْمَلِكُ فَإِنَّا ..

وكقول طرفة بن العبد السابق في معلقته:

فلو شاء ربّ كنت قيس بن خالد ..

(١) «أخبار الحمقى والمغفلين» (ص ٧٨)

وقول زهير بن أبي سلمى السابق في معلقته:

فلا تكتمنَّ اللهَ ما في نفوسكم ..

لأننا نقول: هذا فيه نظر من وجوه:

الأول: التشكيك هنا ليس في المعلقات ولا في غيرها من أشعار الجاهلية، وإنما في ورود اسم الله فيها، وأنه ثمة احتمال أن تكون من تغيير الرواة حيث غيروها من أسماء الآلهة إلى اسم الله كما سبق بيانه، تماما كما رأينا حين شككوا في قول عبيد بن الأبرص: «والله ليس له شريك» مع أنه في معلقته، ولم يكن هذا تشكيكا في المعلقة برمتها وإنما في هذا البيت فقط، وكثير من أبيات المعلقات مختلف في ثبوته وفي روايته وفي ألفاظه، ولذلك اختلف في عدد أبيات المعلقات، بل اختلف في عدد المعلقات<sup>(١)</sup>، فقد شكك الأصمعيُّ مثلاً في بعض أبيات معلقة امرئ القيس، كقوله:

(١) جاء في مقدمة شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس (ص: ٦): لقد اختلف في عدد القصائد التي تعد من المعلقات، فبعد أن اتفقوا على خمس منها؛ هي معلقات: امرئ القيس، وزهير، ولبيد، وطرفة، وعمرو بن كلثوم. اختلفوا في البقية، فمنهم من يعدُّ بينها معلقة عنتره والحارث بن حلزة، ومنهم من يدخل فيها قصيدتي النابغة والأعشى، ومنهم من جعل فيها قصيدة عبيد بن الأبرص، فتكون المعلقات عندئذ عشرة. اهـ

ترى بحر الأرام في عرصاتها ... وقيعانها كأنه حب لفلن

قال ابن الأنباري: «روى هذا البيت أبو عبيدة، وقال الأصمعي:

هو منحول لا يعرف، وقال: الأعراب يروونه فيها»<sup>(١)</sup>.

### الاختلاف في وجود بعض أبيات المعلقات

إن كثيرا من أبيات المعلقات مختلف في أصل وجوده في المعلقات

مثل قول عنتره:

دارٌ لآنسةٍ غَضِيضٍ طَرْفُهَا ... طَوْعِ الْعِنَاقِ لذيذَةِ الْمُبَسِّمِ<sup>(٢)</sup>

فهذا البيت ورد في بعض شروح معلقة عنتره<sup>(٣)</sup>، ولكن أكثر

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ص: ٢٣)، لابن الأنباري (٣٢٨هـ)، ت. عبد السلام هارون، ط/ ٥، دار المعارف.

(٢) انظر البيت في: «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ٣٤٨)، ت البجادي/ دار نهضة مصر. و«فصول في الثقافة والأدب» لعلي الطنطاوي (ص: ٩)، و«المرشد إلى فهم أشعار العرب» للمجدوب (٣/ ٣٧٤).

(٣) انظر: «فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال» (٢/ ١٢٥). وشرح المعلقات التسع ص: ٢١٨، وهو منسوب لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ)، قال معدو المكتبة الشاملة: ولا تصح نسبته ففي الكتاب نقول متأخرة عن زمن أبي عمرو وليس الأسلوب أسلوبه)، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١/ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الشروح لم يتضمنها هذا البيت، مثل شرح الزوزني والأنباري والتبريزي والنحاس والفاكهي .

وقال الفاكهي عند شرحه لأول بيت من معلقة عنتره وهو:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ ... أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ؟

قال: ويروى قبله بيتان وهما:

- أعياءك رسمُ الدارِ لم يتكَلَّمِ ... حتى تكَلَّمِ كالأصمِّ الأعجمِ

ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي ... تدنو إلى رواكد سفح جثم<sup>(١)</sup>

وبعضهم ذكر شطر البيت الأخير بلفظ: أشكو إلى سفح رواكد

جثم<sup>(٢)</sup>

(١) فتح المغلقات لأبيات السبع المعلقة ص ١٤٢١، للإمام زين الدين الفاكهي

(٩٨٢)، ت. جابر المحمدي، الجامعة الإسلامية، ط ١ / ٢٠١٠.

(٢) «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» (٢ / ٨٧٠)، للإمام بدر الدين

العيني، دار السلام، ط ١ / ٢٠١٠ م. و «المنازل والديار» (ص ٨٢ ت. ش)،

لأسامة بن مرشد الكناني.

وبعضهم قال «ترغو» بدل «أشكو»<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو عبيد البكري: «وأشدد أبو علي لعنترة:

هل غادر الشعراء من متردم ...

وبعده:

دار لأنسة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيدة المتبسم»<sup>(٢)</sup>

يقصد أن هذا البيت الأخير هو زائد على ما في معلقة عنتره في

الرواية المشهورة، وفعلا هو غير موجود في شرح الزوزني<sup>(٣)</sup>،

التبريزي<sup>(٤)</sup> وابن الأنباري<sup>(٥)</sup>، ولذا قال الفاكهي:

وفي بعض نسخ المعلقات هذا البيت - وشرحه بعضهم -: دار

(١) «شرح المعلقات التسع» (ص ٢١٧)، و«فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر

الطوال» (٢ / ١٢٥)

(٢) «سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» (١ / ٧٦٩)، لأبي عبيد البكري الأندلسي (ت

٤٨٧هـ)، دار الكتب العلمية.

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ٢٤٥)

(٤) شرح القصائد العشر (ص: ١٧٧)

(٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ص: ٢٩٤)

لأنسة...<sup>(١)</sup>.

وقال النحاس: عند قول عنتره «إذ يتقون بي الأسنة ..»: وأنشد بعض أهل اللغة: بعد هذا البيت ثلاثة أبيات لعنتره لم أسمعهن من ابن كيسان وهن: لَمَّا سَمِعْتُ نَدَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا.. ثم ذكرها وشرحها<sup>(٢)</sup>.

وذكر محقق فتح المغلقات<sup>(٣)</sup> أن القرشي في الجمهرة زاد أربعة أبيات منها: «إذ يُتَقَى عمرو وأذعنُ غدوةً ..»<sup>(٤)</sup>.

وقال الفاكهي عند قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

(١) فتح المغلقات ص ١٤٢٧

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ص ٥٢٦، والأبيات بتمامها كما أوردها: لَمَّا سَمِعْتُ نَدَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا... وإبْنِي رَيْبَعَةَ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ  
وَمَحَلًّا يَمْشُونَ تَحْتَ لِيَوَائِهِمْ... وَالْمَوْتُ تَحْتَ لِيَوَاءِ آلِ مَحَلِّمْ  
أَيَقْنَتُ أَنْ سَيَكُونُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ.. ضَرْبٌ يُطِيرُ عَنِ الْفَرَاخِ الْجَثْمِ

(٣) حاشية فتح المغلقات للفاكهي ص ١٦٢١

(٤) والأبيات كما في «جمهرة أشعار العرب» (ص ٣٧٤):

«إذ يُتَقَى عمرو وأذعنُ غدوةً... حَذَرَ الْأَسِنَّةِ إِذْ شَرَّعْنَ لِدَلْهِمْ  
يَحْمِي كَتَيْبَتَهُ وَيَسْعَى خَلْفَهَا... يَفْرِي عَوَاقِبَهَا كَلْدَغِ الْأَرْقَمِ»

وذكر أبياتا أخرى، وانظرها أيضا في: «فتح الكبير المتعال إعراب المغلقات العشر

الطوال» (٢/ ١٢٩).

صَبْنَتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍ ... وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا الِیْمینَا

قال: هذا البيت ساقط، بل واثنان بعده من بعض النسخ، ولذا لم يشرحه بعضه، وأثبتته تبعا لبعض الشارحين<sup>(١)</sup>.

### اختلاف الرواة في ألفاظ كثيرة من أبيات المعلقات

فقد اختلف الرواة في ألفاظ كثيرة من أبيات المعلقات وغيرها من أشعار الجاهلية، فكل يرويها بلفظ مختلف عن الآخر، وشروح المعلقات تعج ببيان اختلاف الرواة في لفظ هذه البيت أو ذلك، وحسبك أن تعلم أن تلك الشروح تضمنت كلمة «ويروي» ونحوها عشرات المرات حينما يذكر الفروق بين الروايات المختلفة لأبيات المعلقات، هذا في المعلقات التي هي أشهر من نار على علم، فما بالك بما دونها؟!!

وهاكم بعض النماذج من تلك الاختلافات في ألفاظ المعلقات، ونبدأ بأشهر معلقة وهي معلقة امرئ القيس، فقد اختلف في ألفاظ كثير من أبياتها، فمثلا قوله:

(وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْضِرُ دُونَهُ ... متى ما تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ

(١) فتح المعلقات للفاكهي ص ١٩٦٧

تَسَهَّلِ

قال النحاس: «هذه رواية أبي عمرو الشيباني»<sup>(١)</sup>، ثم قال النحاس وابن الأنباري أيضا: «وروى الأصمعي وأبو عبيدة: وَرَحْنَا وَرَاحَ الطَّرْفُ يَنْفُضُ رَأْسَهُ»<sup>(٢)</sup>

وقوله:

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ... وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ

قال الزوزني: ويروى: ألا رب يوم كان منهن صالح<sup>(٣)</sup>.

وقوله:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَدَارَى مَطِيَّتِي ... فَيَا عَجَبًا مِنْ كَوْرِهَا الْمُتَحَمَّلِ

(١) شرح القصائد التسع المشهورات ص ١٨٥، لأبي بكر النحاس (٣٣٨هـ)، ت أحمد خطاب، طبع مديرية الثقافة بالعراق.

(٢) «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» (ص ٩٨)،

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ٣٩)، حسين بن أحمد بن حسين الزوزني

(ت: ٤٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ١ / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، وانظر

أيضا: «ديوان امرئ القيس ت المصطاوي» (ص ٢٦).

قال الزوزني: «ويروى: من رحلها المتحمل»<sup>(١)</sup>، وبه قطع التبريزي<sup>(٢)</sup>.

وكذا المعلقات الأخرى، فمثلا قول طرفة بن العبد في معلقته:  
فَلَوْ كُنْتُ وَغَلًّا فِي الرَّجَالِ لَضَرَّيْ ... عداوة ذي الأصحاب  
والمُتَوَحِّدِ

قال الزوزني: يقول: لو كنت ضعيفا من الرجال .. ويروى:  
وغدا، وهو اللئيم<sup>(٣)</sup>.

وقول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ ... على كل قَيْبِي قَشِيبٍ وَمُقَامٍ  
«القين: كل صانع عند العرب، فالحداد قين، والجزار قين،  
فالقين هنا الرحّال... ويروى: على كل حيري، منسوب إلى الحيرة،

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ٤٠)، «ديوان امرئ القيس ت المصطاوي»  
(ص ٢٦)

(٢) «شرح القصائد العشر» (ص ١٣)، لأبي زكريا التبريزي، ط / المنيرية.

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ١١٨)



وهي بلدة»<sup>(١)</sup>.

وقول لبيد في معلقته:

أَوْ مُلْمِعٍ وَسَقَتِ لِأَحْقَبَ لَاحَهُ ... طَرَدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا  
وَكِدَامُهَا

قال الزوزني: ويروى: طرد الفحولة ضربها وعدامها<sup>(٢)</sup>، وقال  
ابن الأنباري:

«ويروى: (طرد الفحالة ضربها وعدامها). ويروى: (وزرها  
وكدامها)»<sup>(٣)</sup>

وقول عنتر في معلقته:

لَمَّا رَأَيْتُ قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمٍ

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ١٣٩)

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ١٨١)

(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري (ص ٥٤١)



ويروى: لغير تكلم<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه لا اتفاق على ثبوت المعلقات، فثمة من شكك في ثبوتها

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ٢٦٠)، و«فتح الكبير المتعال إعراب

المعلقات العشر الطوال» (٢/ ٢١٥)، محمد علي طه الدرّة، مكتبة السوادي، ط ٢ /

قديماً<sup>(١)</sup>، وحديثاً<sup>(٢)</sup>، فجعلوها كلها أو على الأقل بعضها من جمع حماد الراوية المتهم بالكذب ولاسيما في الشعر وتلفيقه، بل ثمة من شكك

(١) جاء في المزهري في علوم اللغة وأنواعها (٢ / ٣٤٨): قال الأصمعي: كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد الراوية إلا شيئاً سمعناه من أبي عمرو بن العلاء. قال أبو الطيب: وحماد مع ذلك عند البصريين غير ثقة ولا مأمون... قال أبو حاتم: كان بالكوفة جماعة من رُواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره، وكانوا يصنعون الشعر، ويقتنون المصنوع منه وينسبونه إلى غير أهله.. حدثني من أتق به أنه كان عند حماد حتى جاء أعرابي فأنشده قصيدة لم تعرف، ولم يدر لمن هي، فقال حماد: اكتبوها، فلما كتبوها، وقام الأعرابي، قال: لمن ترون أن نجعلها، فقالوا أقوالاً، فقال حماد: اجعلوها لطرقة. اهـ. وقال ابن سلام في طبقات فحول الشعراء (١ / ٤٨): وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الأشعار. اهـ. وانظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١ / ٦٨).

حديثاً في الشعر الجاهلي برمته كطه حسين كما هو معروف<sup>(٢)</sup>.

وهو وإن كان تشكيكا غير مقبول، وردّه كثير من الباحثين في

(١) يقول د. عبد الملك مرتاض في كتابه السبع المعلقات مقارنة سيائية أنثروبولوجية، ص ١٠: ولم يكن هناك شعر أدعى إلى أن يُتَزَيَّدَ فيه، ويُدَسَّ عليه؛ كشعر المعلقات التي جمعها أحد أَوْضَعِ الرواة للشعر، وأَجْرَيْتَهُمْ على العبث به؛ وهو حمّاد الراوية بعد أن كان مضى على قدم المعلقات وجوداً ما يقرب من ثلاثة قرون. والآية على ذلك أننا لاحظنا أبياتاً إسلامية الألفاظ، كثيرة وقليلة، في جملة من المعلقات مثل معلقات زهير، وليبيد، وعمرو بن كلثوم، ولنضرب لذلك مثلاً في هذا التمهيد بالأبيات الأربعة، والتي نطلق عليها «أبيات القربة» والمعزوة إلى امرئ القيس في نصّ المعلقة.. إلى أن يقول: إنّ الأبيات الأربعة التي يزعم فيها الرواة الأقدمون، والرواة هنا مختصرون في شخص حمّاد الراوية وحده؛ إذ هو الذي جمع المعلقات السبع وأغرى الناس بروايتها لما رأى من عزوفهم عن حفظ الشعر. اهـ

(٢) وذلك في كتابه «في الشعر الجاهلي» ثم أعاد طه حسين طباعة كتابه في الشعر الجاهلي تحت عنوان «في الأدب الجاهلي» وحذف منه النصوص التي تطعن في القرآن الكريم، ومما قاله في هذا الكتاب: «لا يوجد شعر جاهلي بل هو مصنوع بعد الإسلام، وأن هذا الجاهلي لا يستشهد به على القرآن بل القرآن هو الذي يحتاج به للشعر؟». انظر تحت راية القرآن ص: ٩٤

كتب خاصة بهذا الموضوع<sup>(١)</sup>، ولكن القصد هنا نفي الاتفاق المزعوم على ثبوت المعلقة. هذا فضلا عما سيأتي من أن أصحاب هذه الأبيات في المعلقة أو بعضهم على الأقل هم من الخنفاء، ثم بعد اللتيا والتي<sup>(٢)</sup> ليس فيها ما يدل على توحيد الربوبية كما سيأتي.

### الوجه الثاني: الأبيات التي يُقسِم فيها عرب الجاهلية بالله، لا

- (١) مثل كتاب: تحت راية القرآن (المعركة بين القديم والجديد) مقالات الأدب العربي في الجامعة، والرد على كتاب «في الشعر الجاهلي» للدكتور طه حسين، وإسقاط البدعة الجديدة التي يريد دعايتها تجديد الدين، لمؤلفه: مصطفى صادق الرافعي.
- (٢) جاء في «مجل اللغة لابن فارس» (ص ٨٠٢): «لتا: اللتيا والتي: الأمر العظيم، يقال: وقع في اللتيا والتي». وقال السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (٢ / ٨٥): «والعرب تقول: فعل فلان ذلك بعد اللتيا والتي، أي بعد شدة». وجاء في «جمهرة الأمثال» (١ / ٢٢٣): «وَالصَّحِيحِ فِي قَوْلِهِمْ (بعد اللتيا والتي) أي وصلت إليه بعد أن لقيت صغير المكاره وكبيرها». وجاء في «درة الغواص في أوهم الخواص» (ص ١٦): «ويقولون: بعد اللتيا والتي فيضمون اللام الثانية من اللتيا وهو لحن فاحش، وغلط شائن إذ الصواب فيها اللتيا بفتح اللام لأن العرب خصت الذي والتي عند تصغيرهما وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها، وبأن زادت ألفا في آخرها، عوضا عن ضم أولها، فقالوا في تصغير الذي والتي: اللذيا واللتيا، وفي تصغير ذاك وذلك: ذياك وذيالك. اهـ. وانظر نحوه في «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» (ص ٤٥٢)، «كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشككة الإعراب» (ص ٣٩٠).

تدل - إن صحت - على شيء، إذ هم كانوا يُقسَمون أيضا بأبائهم وبآلهتهم وبكل شيء كما في حديث البخاري: «ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله. فكانت قريش تحلف بأبائها فقال (لا تحلفوا بأبائكم)»<sup>(١)</sup>. اهـ. فدل ذلك على «أن الحلف بغير الله تعالى منهي عنه، وأنه من أعمال الجاهلية»<sup>(٢)</sup>.

ونجد «المتلمس»، يُقسم بالله في شعره.. ولكننا نجد في مواضع أخرى يقسم باللات وبالأنصاب، والمقصود بالأنصاب الأوثان مما يشعر أنه كان يؤمن بها، فكيف نوقف بين اعتقاده بالله واعتقاده باللات والأنصاب؟ .. ويتوقف هذا .. على إثبات أن هذا الشعر له حقا، وليس مفتعلا، ولا مما أدخل الرواة عليه تغييرا أو تبديلا»<sup>(٣)</sup>. ومن ذلك أيضا قول أوس بن حجر: وباللات والعزى ومن دان دينها .. وبالله إن الله منهن أكبر<sup>(٤)</sup>. اهـ. ومنه «قول خداش

(١) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٣/ ١٣٩٤)

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص: ٧٨٤)

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١/ ١١١)

(٤) رسالة الشرك ومظاهره، المبارك الملي (ص: ١٣٨)، وانظر أيضا: جهود علماء

الحنفية (١/ ٢٨٣)، هذه مفاهيمنا (ص: ١٢٠)، تاريخ الفكر الديني الجاهلي

(ص: ٣٥١)، كتاب الأصنام (ص: ١٧)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

(١١/ ٢٣٤)

بن زهير:

وبالمروة البيضاء يوم تباله .. ومحبسة النعمان حيث تنصرا

والمروة البيضاء هي ذو الخلصة، ثم هو يقسم بمحبسة النعمان، وهو نصراي». <sup>(١)</sup>

وهكذا «فقد كان الجاهليون يُقسمون بكل شيء، يقسمون بالشجر وبالبحر وبالكواكب، وبالليل والنهار، وبالآصنام، وبعمر الإنسان وبحياتهم وبلحى الرجال، وبالآصنام والمعابد، وباللله، وبالخبز والملح.. هذا «عدي بن زيد» العبادي، يُقسم بمكة، وهو نصراي، لا يرى للكعبة في دينه حرمة ولا مكانة. أقسم بها على قاعدة العرب في القسم.. وكذلك الأمر مع غيره من شعراء نصارى ويهود وعباد آصنام، أقسموا برهبان النصارى وبأموار نصرانية، مع أنهم كانوا عباد أوثان» <sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى أن قسم العرب بالله في الجاهلية - إن ثبت عنهم ذلك - لا يدل بالضرورة على أنهم كانوا موحدين في الربوبية، لأنهم كانوا يُقسمون بأصنامهم أيضا! بل أقسموا بكل شيء حتى إنهم

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١١٤)، ونحوه في تاريخ الفكر

الديني الجاهلي (ص: ٤٧٠)

أقسموا بالخبز والملح وبلحى الرجال كما رأينا! فهل قسمهم بأصنامهم وبتلك الأشياء يعني أنهم يعتقدون فيها الربوبية فضلا عن أن يعتقدوا فيها أنها لها توحيد ربوبية؟! فما كان جوابكم هو جوابنا.

الوجه الثالث: معظم تلك الآيات التي فيها ذكر الله والإقرار به هي خاصة ببعض الشعراء الموحدين الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة، كما نص على ذلك كثير من العلماء، وإليك طائفة من نصوصهم:

(١) يقول ابن الجوزي متحدثا عن أهل الجاهلية: «وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية، وأنكروا الخالق وجحدوا البعث، الذين قال الله سبحانه فيهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وعلى آخرين منهم فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث .. إلى أن يقول: وممن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والشواب والعقاب عبد المطلب بن هاشم وزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وعامر بن الظرب، وكان عبد المطلب إذا رأى ظالما لم تصبه عقوبة قال: تالله إن وراء هذه الدار لدارا يُجزى فيها المحسنُ والمسيء، ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر .. ليوم الحساب أو يعجل فينقم<sup>(١)</sup>.  
اهـ

(٢) وقال الشهرستاني: ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر،  
وينتظر النبوة. وكانت لهم سنن وشرائع قد ذكرناها، لأنها نوع  
تحصيل. فممن كان يعرف النور الظاهر، والنسب الطاهر،  
ويعتقد الدين الحنيفي، وينتظر المقدم النبوي: زيد بن عمرو بن  
نفيل .. ومن هؤلاء: زهير بن أبي سلمى المزني، وكان يمر  
بالعضاة<sup>(٢)</sup> وقد أورقت بعد ييس فيقول: لولا أن تسبني العرب  
لأمنت أن الذي أحياك بعد ييس سيحيي العظام وهي رميم، ثم  
آمن بعد ذلك<sup>(٣)</sup>، وقال في قصيدته:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر .. ليوم حساب أو يعجل فينقم  
اهـ.<sup>(٤)</sup>

قال ابن قتيبة عن زهير: «وهو جاهلي لم يلحق

(١) تلبس إبليس (ص: ٤٠٢) / ط دار الوطن، وانظر أيضا: أديان العرب في

الجاهلية، تأليف: محمد نعمان الجارم ص ١٩٨، مطبعة السعادة، ط ١٩٢٣.

(٢) في حاشية «الملل والنحل» (٣ / ٨٨): «العضاه: كل شجر يعظم وله شوك.

الواحدة، عضاهة وعضة»

(٣) لم يدرك زهير الإسلام كما سيأتي.

(٤) الملل والنحل (٣ / ٨٨)

الإسلام»<sup>(١)</sup>. ويقول أيضا عنه: «كان زهير يتأله ويتعفف في شعره»<sup>(٢)</sup>، ويقول شوقي ضيف: «وإذا صحت نسبة البيتين إليه، كان ذلك دليلاً على أنه أحد من تحنفوا في الجاهلية، وشكوا في دينهم الوثني، وأغلب الظن أنه لم يفارق دين قومه، وإنما هي خطرات كانت تمر به». وقد ذكر عنه: أنه كان يمر بالعضاه وقد أورقت بعد ييس فيقول: لولا أن تسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد ييس سيحيي العظام وهي رميم<sup>(٣)</sup>.

فزهير «مقر بوجود يوم حساب يحاسب فيه الناس على ما قاموا به من أعمال، وقد ينتقم الله من الظالم في الدنيا قبل الآخرة، فلا مخلص له»<sup>(٤)</sup>، قال الأصمعي: «جامع زهير قوماً من يهود، أي قاربهم، فسمع بذكر المعاد فقال قصيدته»<sup>(٥)</sup>.

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص (١٧٧)، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراف، ط ٢ - ١٤١٩ هـ.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٣ هـ (١ / ١٤٥).

(٣) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف ص (٣٠٣).

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٦).

(٥) فحولة الشعراء للأصمعي ص (١٧)، دار الكتاب الجديد - بيروت، ط ٢ -

١٤٠٠ هـ. وانظر: «الإيمان باليوم الآخر وأثره على الفرد والمجتمع» (ص ٢٣٤

ويقول زهير في معلقته:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم .. ليخفى ومهما يُكتم الله يعلم<sup>(١)</sup>

وهذا يدل على أن الله «في شعر زهير بن أبي سلمى، عالم بكل شيء، عارف<sup>(٢)</sup> بالخفايا وبالأسرار، وبما ظهر من الأعمال وما بطن.. وهو عدو للأشقياء شديد عليهم، لا يرحم ظالما.. وهو يثيب على الإحسان، ويميزي المحسن على جميل إحسانه. وهو الذي يعصم من السيئات والعثرات»<sup>(٣)</sup>.

(٣) وفي ترجمة لبيد بن ربعة من الإصابة يقول الحافظ ابن حجر: وقد

(١) فتح المغلقات في شرح المعلقات للفاكهي (ص: ١١٢١)

(٢) في إطلاق «عارف» على الله خلاف، بل حكى بعضهم الإجماع على منعه، قال المرداوي رحمه الله في «التحبير شرح التحرير» (١ / ٢٣٧): «لا يوصف سبحانه وتعالى بأنه عارف؛ لأن المعرفة قد تكون علما مستحدثا.. قال ابن حمدان في «نهاية المبتهدين»: (علم الله تعالى لا يسمى معرفة، حكاه القاضي إجماعا). وخالف الكرامية فقالوا: يوصف بأنه عارف لاتحاد العلم والمعرفة. وقال القاضي من أصحابنا في «المعتمد»: (يجوز وصفه تعالى بأنه عارف).. وحكي عن ابن الباقلاني: اتحاد العلم والمعرفة، ثم وجدته في «المصباح المنير».. (لا تعلمونهم الله يعلمهم<sup>\*</sup>، أي: لا تعرفونهم الله يعرفهم].. فإن قلت: لا تطلق المعرفة على الله؛ لأنها توهم سابقة الجهل، قلت: سابقة الجهل إنما تكون فيمن يصح عليه الجهل».

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٦)

ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد»، فذكر هذا الشرط. قال أبو عمر: في هذه القصيدة ما يدل على أنه قاله في الإسلام، وذلك قوله:  
 وكلّ امرئ يوماً سيعلم سعيه .. إذا كشفت عند الإله المحاصل  
 قلت: ولم يتعين ما قال، بل فيه دلالة على أنه كان يؤمن بالبعث  
 مثل غيره من عقلاء الجاهلية كقسّ بن ساعدة، وزيد بن عمرو<sup>(١)</sup>.  
 اهـ.

(٤) ويقول جواد علي بعد أن ساق أبيات امرئ القيس السابقة<sup>(٢)</sup>: فلم أدخل روايته شاعره في الجاهليين الوثنيين، ولم يدخلوه في عداد المؤمنين بالله من الأحناف؟<sup>(٣)</sup>. اهـ. ويقول أيضا:  
 وإذا اعتقدنا بصحة الأبيات المنسوبة إلى عبيد بن الأبرص:  
 والله ليس له شريك .. علام ما أخفت القلوب<sup>(٤)</sup>

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٤)

(٢) آخرها قوله:

والله أنجح ما طلبت به ... والبر خير حقيبة الرحل

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٩)

(٤) وقبلها: من يسأل الناس يجرموه.. وسائل الله لا يجيب

بالله يدرك كل خير.. والقول في بعضه تلغيب

والله ليس له شريك..

وقلنا مع القائلين إنها من شعر ذلك الشاعر حقًا، وجب عدّه إذن في جملة الموحدين المؤمنين المسلمين، وإن عاش قبل الإسلام. فرجل يقول هذا القول، لا يمكن إلا أن يكون مسلمًا مؤمنًا بالله الواحد الأحد علام الغيوب والعارف بما في القلوب، ومن الممهدين للتوحيد بين العرب قبل الإسلام<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثالث:

#### الحنفاء في الجاهلية الذين نبذوا عبادة الأصنام الذين أغفلهم الوهابية

وُجد في الجاهلية بعض من كان على الحنيفية ممن يؤمن بالله وتوحيده وباليوم الآخر، ونحو ذلك. وقد نسبت إليهم بعض تلك الأشعار التي فيها ذكر الله والتوحيد والمعاد ونحوه، وأخبار هؤلاء الحنفاء وغيرهم كثيرة تأتي على طرف منها فيما يلي.

روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ فتأمل كيف ذكر أنه وهو في الجاهلية يدرك أن الناس على

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١٠٩)

## ضلالة بسبب عبادتهم للأوثان!!؟

فإذن عمرو بن عبسة هذا من الخنفاء في الجاهلية، مع أنه كان أولاً من عبّاد الأصنام، ولكن تبين له بطلان ذلك لاحقاً، إذ قد روي عنه أنه «قال: كنت امرأةً ممن عبد الحجارة، فينزل الحي ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم، فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لِقْدَره، ويجعل أحسنها إلهاً يعبد، ثم لعله يجد ما هو أحسنُ منه قبل أن يرتحل، فيتركه ويأخذ غيره»<sup>(١)</sup>، ثم أسلم رضي الله عنه، وهو «أحد السابقين، ومن كان يقال: هو ربع الإسلام .. وكان من أمراء الجيش يوم وقعة اليرموك»<sup>(٢)</sup>.

(١) «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (٢/ ٩٧٢ ط عطاءات العلم)، وانظر: «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (٢/ ٤٦٠)، وهي مروية من طريق الواقدي عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى - ط دار صادر» (٤/ ٢١٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (٢/ ٤٥٦)

## إغفال السلفية لذكر الحنفاء في الجاهلية لأنهم يفسدون عليهم غرضهم!

قال السيوطي: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ..﴾ [الزمر: ١٧] قال: نزلت هاتان الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي، وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان سعيد بن زيد وأبو ذر وسلمان يتبعون في الجاهلية أحسن القول، وأحسن القول والكلام لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>. اهـ.

فلاحظ كيف أنّ زيدا وسعيدا وأبا ذر وسلمان الفارسي كانوا يقولون في الجاهلية: لا إله إلا الله! أي أنهم كانوا حنفاء موحدين في الألوهية كما يعبر السلفية الذين يُغفلون ذكر هؤلاء الحنفاء! لأنهم - أي السلفية - يريدون أن يقفوا على أن أهل الجاهلية موحدون في الربوبية فقط، وأنهم إنما كفروا لأنهم أشركوا في الألوهية!! ليسحب السلفية هذا الحكم على المتكلمين والصوفية بحجة أن «غاية توحيدهم

(١) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٢/٦٤٠)، وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم»

(١٠/٣٢٤٩)، «تفسير البغوي - طيبة» (٧/١١٣).

هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام»<sup>(١)</sup>، «فتوحيد الربوبية كان المشركون مقرين به، وهو نهاية ما يثبته هؤلاء المتكلمون»<sup>(٢)</sup>، «وهذا من أعظم ما وقع فيه هؤلاء .. من الجهل بالتوحيد»<sup>(٣)</sup>، لأن هذا «غاية توحيدهم وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب»<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو هدف ابن تيمية من نظريته في تقسيم التوحيد كما وضحته في موضع آخر<sup>(٥)</sup>، وأتباع ابن تيمية يحافظون على هذا الهدف وهو تكفير غيرهم، ولذا هم يتسترون على كل ما ينقض النظرية، مثل ما نحن فيه وهو تسترهم على أخبار الحنفاء الذين نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، أي أنهم موحدون في الألوهية وهذا يهدم نظرية تقسيم التوحيد القائلة بأن أهل الجاهلية كفروا بإشراكهم في الألوهية مع إقرارهم بتوحيد الربوبية.

### كعب بن لؤي من الحنفاء

- (١) مجموع الفتاوى (٨ / ١٠١)
- (٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ٩٧٤)
- (٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩ / ٣٤٥).
- (٤) مدارج السالكين (١ / ٩٦)
- (٥) «ولئن سألتهم» ص ٣٤٦

ومن الحنفاء أيضا «كعب بن لؤي بن غالب» أحد أجداد النبي، فقد «كان على الحنيفية، وإليه كانت تجتمع قريش في كل جمعة، فكان يعظهم ويوجههم ويرشدهم، يأمرهم بالطاعة والتفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتقلب الأحوال والاعتبار بما جرى على الأولين والآخرين، ويحثهم على صلة الأرحام وإفشاء السلام وحفظ العهد ومراعاة حق القربة والتصدق على الفقراء والأيتام»<sup>(١)</sup>، «وهذا من أوضح البراهين على تمسكه بدين إبراهيم عليه السلام وأخذه بالحنيفية والإسلام»<sup>(٢)</sup>.

### عبد المطلب ذكر الدار الآخرة ورفض عبادة الأصنام آخر عمره

ومن الحنفاء عبد المطلب جدّ النبي، حيث كان يقول: «والله إن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته» أي: «إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة»، وقد «رفض في آخر عمره عبادة الأصنام، ووحده الله سبحانه وتعالى. وتوثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها: منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢ / ٨٣)

(٢) انظر: بلوغ الأرب لشكري الألوسي ٢ / ٢٨٢.

قتل المؤودة، وتحريم الخمر والزنا، وألا يطوف بالبيت عريان<sup>(١)</sup>.

### جميع أصول النبي عليه الصلاة والسلام كانوا موحدين

بل قد «ذهب كثير من العلماء إلى أن جميع أصول النبي عليه الصلاة والسلام من الآباء والأمهات كانوا موحدين في اعتقادهم مؤمنين بالبعث والحساب، وغير ذلك مما جاءت به الحنيفية من الأحكام، وإلى ذلك يشير كلام الماوردي في أعلام النبوة»<sup>(٢)</sup>.

قال في السيرة الحلبية: رأيت الحافظ السيوطي قال: الذي تلخص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم إلى مرة بن كعب مصرح بإيمانهم: أي في الأحاديث وأقوال السلف، وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل، وعبد المطلب سيأتي الكلام فيه. وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال: أحدها وهو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة: أي لأنه سيأتي أنه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثماني سنين. والثاني أنه كان على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام: أي لم يعبد الأصنام. والثالث أن الله تعالى أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات،

(١) السيرة الحلبية «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» (١ / ٩)، ط ٢ / دار الكتب

العلمية، والمنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود ٩ / ٩٨.

(٢) انظر: بلوغ الأرب لشكري الألوسي ٢ / ٢٨٢.

وهذا أضعف الأقوال.. حكي عن بعض الشيعة. قال بعضهم: وقوله صلى الله عليه وسلم «من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» دليل على أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر. وفيه أن الطاهرية فيه يجوز أن يكون المراد بها ما قابل أنكحة الجاهلية المتقدمة. وقد أشار إلى إسلام آباءه وأمهاته صاحب الهمزية بقوله: لم تزل في ضمائر الكون تحتنا.. ر لك الأمهات والآباء. أي لأن الكافر لا يقال إنه مختار لله<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال العلامة ابن حجر في كتابه المنح المكية في شرح الهمزية: لم تزل في ضمائر..: «إن آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الأنبياء وأمهاتهم إلى آدم وحواء: ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يقال في حقه: إنه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية (إنما المشركون نجس)، وصرحت الأحاديث السابقة بأنهم مختارون، وأن الآباء كرام والأمهات طاهرات». ثم أطال في ذلك ودفع الإشكالات التي في الباب باختصار، فذكر مثلاً أنهم من أهل الفترة، وأن الأحاديث التي وردت في تعذيب بعض المشركين من أهل الفترة ليس لأنهم بلغهم رسالة إبراهيم - عليه السلام - وغيره كما ذكر النووي، إذ لم يُعرف لغير نبينا عموم بعثته فضلاً عن أن إبراهيم عليه السلام ومن بعده لم يرسلوا

(١) السيرة الحلبية (١ / ٦٥)

إلى العرب، وإنما تعذيبهم لسبب يعلمه الله ورسوله كالغلام الذي قتله الخضر خشية كفره بالرغم من أنه غير مكلف في صباه، وأما ما ذكره أبو حيان أن نجاة آباء النبي هو من مذهب الرافضة فغير صحيح لأن كثيرا من أهل السنة ذهبوا إلى ذلك فنسبة ذلك إلى الرافضة فحسب قصور أي قصور<sup>(١)</sup>.

### زيد بن عمرو بن نفيل من الخنفاء في الجاهلية

ومن الخنفاء أيضا زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل، جاء في سيرة ابن هشام: قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به، وكان ذلك عيداهم في كل سنة يوما، فخلص منهم أربعة نفر نجيا، ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض قالوا: أجل. وهم ورقة بن نوفل.. وعبيد الله بن جحش.. وعثمان بن الحويرث.. وزيد بن عمرو بن نفيل.. فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شيء، لقد أخطؤوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجرٌ نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم (دينا)، فإنكم والله ما أنتم على شيء. فتفرقوا في البلدان

(١) المنح المكية للعلامة ابن حجر الهيتمي، من ص ١٠٠ إلى ص ١٠٤، دار المنهاج،

يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم.. وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة وقال أعبد ربَّ إبراهيم؛ وبادى قومه بعيب ما هم عليه<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثم يسوق ابن هشام بعض شعره فيقول:

شعر زيد في فراق دين قومه

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه وما كان لقي منهم في ذلك

أربا واحدا أم ألف ربّ .. أدين إذا تقسمت الأمور

عزلت اللات والعزى جميعا .. كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولا ابتيتها .. ولا صنمي بني عمرو أزور

ولا هبلا أدين وكان ربا .. لنا في الدهر إذ حلمي يسير

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٢)، وانظر أيضا: أديان العرب في الجاهلية للجارم ص ١٩٣، العقيدة في الله لعمر الأشقر (ص: ٢٩٢)، دار النفائس بالأردن، ط ١٢.

.. إلى أن يقول:

ولكن أعبد الرحمن ربي .. ليغفر ذنبي الرب الغفور  
فتقوى الله ربكم احفظوها .. متى ما تحفظوها لا تبوروا  
ترى الأبرار دارهم جنان .. وللكفار حامية سكير<sup>(١)</sup>

وقال ابن إسحاق: وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت .. له الأرض تحمل صخرًا ثقلا  
دحاها فلما رآها استوت .. على الماء أرسى عليها الجبالا  
وأسلمت وجهي لمن أسلمت .. له المزن تحمل عذبا زلالا  
إذا هي سيقت إلى بلدة .. أطاعت فصبت عليها سجالا<sup>(٢)</sup>

### رثاء ورقة لزيد

ولما قتل زيد رثاه ورقة، وفي ذلك يقول ابن هشام:

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢٢٦)، وانظرها في رسالة الشرك ومظاهره (ص:

١٤١) المبارك الملي، ط ١ / دار الراية.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢٢٩)

فقال ورقة بن نوفل بن أسد بيكيه:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما .. تجببت تنورا من النار حاميا

بدينك ربا ليس رب كمثلته .. وتركك أوثان الطواغي كما هيا

وإدراكك الدين الذي قد طلبته .. ولم تك عن توحيد ربك ساهيا

فأصبحت في دار كريم مقامها .. تعلق فيها بالكرامة لاهيا

تلاقي خليل الله فيها ولم تكن .. من الناس جبارا إلى النار هاويا

وقد تدرك الإنسان رحمة ربه .. ولو كان تحت الأرض سبعين واديا<sup>(١)</sup>

وروى البخاري في صحيحه أن زيدا هذا قال: «إني لست آكل

مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه . وأن زيد

بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائهم ويقول: الشاة خلقها الله،

وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير

اسم الله . إنكارا لذلك وإعظاما له»<sup>(٢)</sup>.

**ورقة بن نوفل كان من الخنفاء في الجاهلية**

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢٣٢)، البداية والنهاية ط هجر (٣ / ٣١٩)

(٢) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٣ / ١٣٩١).

وأما ورقة بن نوفل فإنه قد ورد أنه «كان بلال لجارية من بني جمح، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك فيقول: أحد، أحد، فيمر به ورقة وهو على تلك الحال، فيقول: أحد أحد، يا بلال، والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا» وفي رواية «ولئن قتلتموه فأنتم من الخاسرين»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ بعد أن أورد هذه القصة: قال الزبير: كان ورقة قد كره عبادة الأوثان، وطلب الدين في الآفاق، وقرأ الكتب، وكانت خديجة تسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول لها: ما أراه إلا

(١) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (٦ / ٣١٨)، وقال الحافظ بعد ذلك: وهذا مرسل جيد يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام حتى أسلم بلال. والجمع بين هذا وبين حديث عائشة أن يحمل قوله: ولم ينشب ورقة أن توفي، أي قبل أن يشتهر الإسلام، ويؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجهاد، لكن يعكر على ذلك ما أخرجه محمد بن عائذ في المغازي، من طريق عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس في قصة ابتداء الوحي: «لئن كان هو ثم أظهر دعاءه وأنا حي لأبلى الله من نفسي في طاعة رسوله وحسن موازرتة، فمات ورقة على نصرانيته» كذا قال، لكن عثمان ضعيف. اهـ وانظر أيضا: تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٣٦٩)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢ / ٧٨).

نبيّ هذه الأمة الذي بشر به موسى وعيسى <sup>(١)</sup>. اهـ.

ومنهم النابغة الجعدي كما سبق مفصلاً، «وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان النابغة الجعدي ممن ذكر الجاهلية، وأنكر الخمر والسكر، وما يغير العقل، وهجر الأزلام والأوثان وقال في الجاهلية:

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلماً

وكان يذكر دين إبراهيم عليه السلام والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقى أشياء لغوا فيها <sup>(٢)</sup>

ومنهم قُصُّ بن ساعدة الإيادي الذي قال في إيمانه بالبعث:

يا ناعي الموت والأموات في جدث .. عليهم من بقايا بزّهم فرق

دعهم فإنّ لهم يوماً يصاح بهم .. كما يُنبّه من نوماته الصّعق <sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجوزي: «وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٣١٨).

(٢) «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٦ / ٣٠٠١)، لابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، ت د.

سهيل زكار

دار الفكر.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٥ / ٢٨٦)، معجم الشعراء للمرزباني (ص: ٣٣٨).

منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعدة وزيد<sup>(١)</sup>»،  
وقال الشهرستاني: وممن كان يعتقد التوحيد ويؤمن بيوم الحساب:  
قس بن ساعدة الإيادي: قال في مواعظه: كلا ورب الكعبة ليعودن ما  
باد، ولئن ذهب ليعودن يوما  
وقال أيضا:

كلا بل هو الله إله واحد .. ليس بمولود ولا والد  
أعاد وأبدى .. وإليه المآب غدا<sup>(٢)</sup>

**خبر قس: «كل من مات فات وكل ما هو آت آت، إن في السماء  
لخبراً...»**

وله قصص في الحث على التوحيد والإيمان بالآخرة والزهد في  
الدنيا لكن فيها مقال؛ منها ما رواه غير واحد منهم البزار عن عبد الله  
بن عباس، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، فلما فرغوا من شأنهم قال لهم: أفيكم أحدٌ يعرف  
القس بن ساعدة الإيادي؟ قالوا: نعم، كلنا نعرفه. قال: ما فعل؟ قالوا:  
هلك. قال: ما أنساه بسوق عكاظ، في الشهر الحرام، على جمل أحمر

(١) «تليس إبليس» (ص ٥٩)

(٢) الملل والنحل (٢/ ٢٤٠)

يخطب الناس، وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا، كل من عاش مات، وكل من مات فات، وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبيراً، وإن في الأرض لخبيراً، مهادٌ موضوع، وسقف مرفوع، ونجومٌ تمور، وبحار لا تغور، وتجارة لا تبور، أقسم قس قسماً حقاً، لئن كان في الأمر رضا ل يكونن سخطاً، وإن لله ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تُركوا فناموا؟ ثم أنشأ يقول:

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ .. مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ .. لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ

وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا .. يَمْضِي الْأَكْبَرُ وَالْأَصَاغِرُ

لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيَّ .. وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ

أَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ .. حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ<sup>(١)</sup>

(١) هذا الحديث له طرق كثيرة، ولا بن درستويه «كتاب خبر قس بن ساعدة» كما أفاده ابن خلكان في وفيات الأعيان (٣/ ٤٥)، ويبدو أن ابن كثير اطلع على هذا الكتاب حيث نقل منه طرقاً أخرى للحديث، كما سيأتي، وإليك بيان هذه الطرق:

**الطريق الأول:** أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار (١١ / ٤٧٠)، والطبراني في (( المعجم الكبير )) (١٢ / ١٢٥٦١)، وابن عدي في (( الكامل )) (٦ / ٢١٥٥)، والخطيب في تاريخ بغداد ت بشار (٣ / ٨٩)، وابن الجوزي في الموضوعات، ط / المكتبة السلفية (١ / ٢١٣)، وابن درستويه في جزء له في هذا الحديث كما أفاد ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣ / ٣٠١)، كلهم من طريق محمد بن الحجاج اللخمي عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس.

**الطريق الثاني:** أخرجه البيهقي في (( دلائل النبوة )) (٢ / ١٠٣)، وفي الزهد الكبير (ص: ٢٦٥) من طريق أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس، ومن هذه الطريق أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣ / ٣١٣).

**الطريق الثالث:** أخرجه أيضا في دلائل النبوة (٢ / ١٠٥) من طريق علي بن سليمان، عن سليمان بن علي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن ابن عباس: قال: قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدي في قومه.. ومن طريق البيهقي أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣ / ٤٢٨)، وابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣ / ٣١٠).

**الطريق الرابع:** أخرجه في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٠٤) من طريق ابن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وأخرجه من هذا الطريق ابن درستويه في جزئه كما أفاد ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣ / ٣٠٢) وأفاد ابن كثير أيضا أن ابن السائب هو محمد بن السائب الكلبي، وقد أشار إلى هذا الطريق ابن الجوزي في الموضوعات (١ / ٢١٤)، ومن هذا الطريق أخرجه ابن شاهين كما أفاد الحافظ في الإصابة (٥ / ٤١٤)، ومن هذا الطريق أخرجه أيضا ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (٢ / ٦٧٣)، وكلهم صرحوا بأن راويه عن أبي صالح هو الكلبي سوى أبي نعيم كما سبق.

- الطريق الخامس: أخرجه ابن عبد البر في بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٢٠٤)  
 من طريق شرقي بن قطامي عن أبي صالح عن ابن عباس.
- الطريق السادس: أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٤) من طريق ابن أبي عيينة المهلب عن الكلب عن أبي صالح عن أبي هريرة.
- الطريق السابع: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٠١) من طريق معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أنس بن مالك، ومن طريق البيهقي هذه أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣/ ٣١٣).
- الطريق الثامن: وأخرجه ابن بشكوال في غوامض الأسماء المهمة (٢/ ٦٧٦) عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس.
- الطريق التاسع: رواه أبو نعيم في كتاب الدلائل من طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود، كما قال ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣/ ٣١٥).
- الطريق العاشر: أخرجه الخرائطي في كتاب هواتف الجان ص ٦٢ من طريق ثور بن يزيد عن مورق العجلي عن عبادة بن الصامت، ومن طريق الخرائطي أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٩٩).
- الطريق الحادي عشر: أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زيادات الزهد من طريق خلف بن أعين، انظر الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٨٧)، وذكره الحافظ في الإصابة (٥/ ٤١٤).

**الطريق الثاني عشر:** أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣ / ٣٠٣) من طريق محمد بن إسحاق حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال كان الجارود بن المعلی بن حنش بن معلی العبدي نصرانيا حسن المعرفة.. ثم ساقه بطوله في عدة صفحات ثم قال ابن كثير (٣ / ٣١٠): وهذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه وهو مرسل إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود. والله أعلم. اهـ وقد أشار ابن الجوزي إلى هذه الطريق فقال في الموضوعات (١ / ٢١٤): وروى مطولا من حديث ابن إسحاق عن بعض أهل العلم ولم يسمه. اهـ.

**الطريق الثالث عشر:** أخرجه ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (٢ / ٦٧٥) من طريق عمار بن محمد الثوري قال لا أحسبه إلا عن خاله سفيان الثوري يرفع الحديث.

**الطريق الرابع عشر:** أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠ / ٣٠٥) مرسلا عن الزهري وغيره من التابعين، حيث ساق بسنده عن علي بن محمد القرشي عن يزيد بن رومان ومحمد بن كعب، وعن أبي بكر الهذلي عن الشعبي، وعن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الزهري وعكرمة بن خالد وعاصم بن عمر بن قتادة، وعن يزيد بن عياض بن جعدبة عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعن مسلمة بن علقمة عن خالد الحذاء عن أبي قلابة في رجال آخرين من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض. اهـ.

وبعد، فهذه أربعة عشر طريقاً وتزييد، وإجمالها أن الحديث مروى عن ابن عباس من خمسة طرق، ومروى أيضاً عن أنس بن مالك من طريقين، ومن حديث ابن مسعود وأبي هريرة وعبادة بن الصامت، وعن الحسن البصري والزهري وغيرهما من التابعين مرسلًا، وروى أيضاً من حديث سفيان الثوري معضلاً، ومن طريق خلف بن أعين وهو مجهول العين والحال.

وقد طعن في هذا الحديث من جميع طرقه، وبعضهم قواه بكثرة طرقه، ونسوق أولاً نصوص من طعن فيه:

فقال ابن الجوزي في الموضوعات (١ / ٢١٤): وهذا الحديث من جميع جهاته باطل، قال أبو الفتح الأزدي الحافظ: هو حديث موضوع لا أصل له. قال المصنف: قلت أما الطريق الأول فقال يحيى بن معين: محمد بن الحجاج كذاب خبيث. وأما الكلبي فقال زائدة وليث والسعدي: هو كذاب.. وأما أبو صالح فقال ابن عدي: لا أعلم أحداً من المتقدمين رضيه، ولعل أبو إسحاق دلّسه ببعض أهل العلم. اهـ. قال وليد قوله «ولعل أبو إسحاق...» كذا في المطبوع من الموضوعات في طبعة المكتبة السلفية، والأصح: ولعل أبا إسحاق. والله أعلم

وقال البزار بعد أن أخرجه: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه من الوجوه إلا من هذا الوجه، ولا نعلم رواه عن مجالد إلا محمد بن الحجاج، ومحمد بن الحجاج قد حدث بأحاديث لم يتابع عليها، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم ولما لم نجد هذا الحديث عند غيره لم نجد بداً من إخرجه عنه. اهـ.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٦٩٧): رواه الطبراني والبزار وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو كذاب.

وقال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (٥ / ٢٨٦): وقد أفرد بعض الرواة طريق حديث قس، وفيه شعره، وخطبته، وهو في «الطوالات» - أي الأحاديث الطوال - للطبراني وغيرها، وطرقه كلها ضعيفة. اهـ.

وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢ / ٨٣٣): موضوع.. وقد خرجها السيوطي في ((اللائي)) (١ / ١٨٣ - ١٩٣)، وقد بينَ عللها كلها إلا الأخيرة منها وهي أطولها وفيها زيادات كثيرة؛ فقد سكت عنها، وكأنه لظلمة إسنادها، وجهالة بعض رواتها، ونكارة متنها. ويد الصنع والتكلف ظاهرة عليها. والله أعلم. اهـ.

ثانياً: نصوص من قوَاهُ وذكر أن لهذا الحديث أصلاً لكونه مروياً من عدة طرق وإن كانت قد لا تخلو من ضعف:

قال البيهقي في دلائل النبوة بعد أن رواه من عدة طرق وأوجه - كما رأينا - وأطال في ذلك ثم قال في ختام ذلك (٢ / ١١٣): وقد روي من وجه آخر، عن الحسن البصري، منقطعاً، وروي مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وإذا روي حديث من أوجه وإن كان بعضها ضعيفاً دَلَّ على أن للحديث أصلاً والله أعلم. اهـ ونقل هذا الكلام مقراً ابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ٣١٥).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ٣١٣) بعد أن توسع في نقل هذه القصة من عدة طرق: وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد ابن درستويه على غريب ما وقع في هذه الأحاديث. اهـ.

أفاد القلعجي في حاشيته على دلائل النبوة للبيهقي ١١٣ / ٢ أن الذهبي في تهذيب لموضوعات ابن الجوزي حسن هذا الحديث، ولكن رجعت إلى تهذيب الموضوعات للذهبي فلم أجد ذلك. والله أعلم

زاد البيهقي في الدلائل: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفد إياد، فقال: «هل وجد لقس بن ساعدة وصية؟» قالوا: نعم، وجدوا له صحيفة تحت رأسه مكتوب فيها:

يا ناعي الموت والأموات في جدث .. عليهم من بقايا ثوبهم خرق

دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم .. كما ينبه من نوماته الصعق

منهم عراة وموتى في ثيابهم .. منها الحديد ومنها الأورق الخلق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث»<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير: مشهور، وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة، وقد تكلم أبو محمد ابن درستويه على غريب ما وقع في هذه الأحاديث<sup>(٢)</sup>. اهـ. «. وفي رواية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يرحم الله قسًا، إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية للبيهقي: يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد؟.. أين من بغى

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٠٤) (العلمية، ط ١/ ١٩٨٨)

(٢) «البداية والنهاية» (٣/ ٣١٣) ت التركي

(٣) كذا في حاشية «جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور»

(٣/ ١٣٦٦) ثم عزا ذلك إلى الأصفهاني في الأغاني والجاحظ في البيان والتبيين.

وطغى، وجمع فأوعى، وقال: أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأبعد منكم آمالا، وأطول منكم آجالا؟ .. كلا، بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود<sup>(١)</sup>.

قال الشهرستاني: ومنهم عامر بن الظرب العدواني وكان من شعراء العرب وخطبائهم، وله وصية طويلة يقول في آخرها «إني ما رأيت شيئا قط خلق نفسه، ولا رأيت موضوعا إلا مصنوعا، ولا جاثيا إلا ذاهبا»<sup>(٢)</sup>، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء. ثم قال: إني أرى أمورا شتى، وحتى، قيل له: وما حتى؟ قال: حتى يرجع الميت حيا، ويعود لا شيء شيئا، ولذلك خلقت السموات والأرض، فتولوا عنه ذاهبين، وقال: «ويل إنها نصيحة، لو كان من يقبلها». وكان عامر قد حرّم الخمر على نفسه فيمن حرّمها<sup>(٣)</sup>.

ومن الخنفاء أيضا عبيد بن الأبرص حيث قال في معلقته:

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/١٠٩)، العلمية، ط ١٩٨٨/١

(٢) كذا وقع «جائيا»، والصواب «جائيا» كما في «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (١٢/٨١)، و«السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي» (ص ٥١)، أحمد غلوش، ط ١/ الرسالة ٢٠٠٣م، وفي «مجمع الأمثال» (١/٣١٣): «وما رأيت جائيا إلا داعيا ولا غانما إلا خائبا».

(٣) الملل والنحل (٣/٨٧).

من يسأل الناس يجرموه .. وسائل الله لا يخيب

بالله يدرك كل خير .. والقول في بعضه تلغيب

(والله لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ .. عَلَامٌ مَا أَخْفَتِ الْقُلُوبُ)<sup>(١)</sup>

وقد سبق كلام جواد علي عن هذا البيت، ويقول أيضا تعليقا على هذه الأبيات: وإذا صدقنا بمعلقة «عبيد بن الأبرص»، وأخذنا بصدق الأبيات.. بل يجب عده من الأحناف الموحدين، الذين آمنوا بإله واحد لا شريك له<sup>(٢)</sup>. ويقول جواد في موضع آخر عن عبيد بن الأبرص بأنه «شاعر جاهلي شهير .. نجد في الشعر المنسوب إليه: اسم الله تعالى يتردد في كثير من المواضع؛ ونراه من المتشائمين، المؤمنين بالمنايا وبالمحتم المكتوب؛ ونراه في القصيدة البائية يتوكل على الله تعالى، ويدعو الناس إلى الاعتماد عليه». اهـ. ثم سرد الأبيات السابقة<sup>(٣)</sup>.

### التملمس بن أمية الكناني كان من الحنفاء

- (١) شرح القصائد العشر للبريزي (ص: ٣٢٧)، الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص: ٥١)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١١ / ١١٠)، تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٣٧١)
- (٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٨ / ٣٩٢)
- (٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢ / ٨٢)

ومن الحنفاء أيضا: المتلمس بن أمية الكناني، كما سماه الشهرستاني وابن الجوزي<sup>(١)</sup>، وقيل هو القلمس أمية بن عوف كما سماه أبو حاتم<sup>(٢)</sup>، «قالوا: وعاش القلمس، وهو أمية بن عوف، دهرا طويلا، وهو من حكماء العرب، وكان جده الحارث بن كندة»<sup>(٣)</sup>، وكان القلمس هذا «قد اتخذ من فناء الكعبة موضعا يخطب فيه، ويعظ قومه عظات دينية»<sup>(٤)</sup>.

وكان من خطبه قوله: «يا معشر العرب أطيعوني ترشدوا، قالوا: وما ذاك؟ قال: إنكم تفردتم بألهة شتى، إني لأعلم ما الله بكل هذا راض، وأن الله رب هذه الآلهة، وأنه ليحب أن يعبد وحده، ففترقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه..»<sup>(٥)</sup>.

فتأمل قوله: «إنكم تفردتم بألهة شتى، إني لأعلم ما الله بكل

(١) «الملل والنحل» للشهرستاني (٣/ ٩٣)، «تلبس إبليس» (ص ٥٩)

(٢) «المعمرون والوصايا» (ص ٣٥ ت.ش)، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (ت ٢٤٨هـ).

(٣) «المعمرون والوصايا» (ص ٣٥ ت.ش)

(٤) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٣٧٠)، «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (١٢ / ٨٢)، «قصة الأدب في الحجاز» (ص ٢٣٦)، عبد الله عبد الجبار - محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية. وانظر المراجع السابقة.

(٥) «تلبس إبليس» (ص ٥٩)

هَذَا راضٍ، وأن الله ربَّ هذه الآلهة، وأنه ليحب أن يعبد وحده» ففيه تصريح بتوحيد الله في الألوهية ورفض عبادة الأصنام، ولذا لم يأت الخصم على هذا الخبر لأنه يفسد عليه غرضه كما سبق بيانه.

### تجاهل الوهابية لكون أمية بن الصلت من الخنفاء

ومما لم يأت الخصم<sup>(١)</sup> عليه هو أبيات لأمية بن الصلت يذكر فيها الخنيفية، مع أن الخصم استشهد بشعر لأمية على أنه موحد في الربوبية!! فقد قيل:

«ومن شعر أمية قوله:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا

بالخير صبَّحنا ربي ومَسَّنا

ربُّ الخنيفة لم تنفد خزائنها

مملوءة طبق الآفاق أشطانا»<sup>(٢)</sup>

(١) وهو د. عبد الله الهذيل صاحب كتاب «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة»  
 (٢) هذه مفاهيمنا (ص: ١٢٠)، وانظر الأبيات في: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبيدادي (١ / ٢٤٨)، «أشعار الشعراء الستة الجاهليين» (ص ٩٩ ت. ش)، للأعلم الششمري الأندلسي (ت ٤٧٦ هـ).

أيضا له «أشعارٌ يفهم منها ميله إلى اعتقاد أن دين الإسلام حق، فمن ذلك قوله:

كلّ دين يوم القيامة عند ... الله إلا دين الحنيفة زور

ولما أنشد لدى النبي صلّى الله عليه وسلّم قوله:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبّحنا ربّي ومسانا

ربّ الحنيفة لم تنفد خزائنها ... مملوءة طبق الافاق سلطانا»<sup>(١)</sup>

فهنا يمدح أميةً دينَ الحنيفية بل يعتبر ما سواه زورا، ومع ذلك لم يأت عليه الخضم لئلا ينغص عليه غرضه كما سبق!!! وكذا لم يستق الخضم أيضا قول أمية:

(١) «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز» (١ / ٢٤٧)، رفاة الطهطاوي (ت)

١٢٩٠هـ)، دار الذخائر - القاهرة، ط١ / ١٤١٩ هـ.

كل دين يوم القيامة عند الله .. إلا دين الخليفة بور<sup>(١)</sup>

مع أن هذا البيت من القصيدة التي ساق الخصم أولها وهي:

إن آيات ربنا ثاقبات ... لا يهاري فيهن إلا الكفور

خلق الليل والنهار فكل ... مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهارة شعاعها مبشور

فقال الخصم معلقا على هذه الأبيات: «وشعره معروف سائر،

وكثير منه في نحو هذه المعاني، المفردة رب الخليفة بالربوبية، المؤمنة

بالبعث. فانظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن كاد ليسلم»،

فلم يحكم له بالإسلام بمجرد توحيده رب الخليفة بالخلق والإحياء

والإماتة ونحو ذلك، وهو من الجاهلين الذين كانوا في زمن النبي صلى

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦٠)، «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٨/ ٤٩٠)،

«البدية والنهاية ت شيري» (٢/ ٢٢٠)، «الروض الأنف ت تدمري» (١/

١٦٧)، «فيض القدير» للمناوي (١/ ٥٧)، «همع الهوامع في شرح جمع الجوامع»

(٢/ ٢٦١)، «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» لناظر الجيش (٥/ ٢١٦٢)،

«شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية» (١/ ٥٠٦)، محمد شرَّاب،

مؤسسة الرسالة، ط ١/ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م.

الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

طبعاً الخصم يريد أن يقول إن أمية كان موحداً في الربوبية ومشركاً في الألوهية لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن كاد ليسلم»، ولكن الخصم تجاهل أن أمية هذا مدح دين الحنيفية أيضاً حين قال:

كل دين يوم القيامة عند الله .. إلا دين الحنيفية بور

ودين الحنيفية طبعاً هو نبد عبادة الأصنام، إذ «الحنيفة: الأمة الحنيفة، أي: المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف - صلى الله عليه وسلم - وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية، أي: عدل عنهما، فسمي حنيفاً. أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه»<sup>(٢)</sup>، وهذا يفسد على الخصم غرضه! ولذا لم يسق الخصم هذا البيت!! لأنه لو ذكر أنه على الحنيفية لما تم مراده من أن سبب كفره هو عبادة الأصنام التي كان لها نابذا أصلاً!!

وكذا لم يسق الخصم أبيات كثيرة مشابهة، ولا ذكر أخبار

(١) «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٨٢، نقلاً عن «هذه مفاهيمنا» لصالح آل الشيخ (ص: ١٢٠).

(٢) انظر حاشية «سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد» (١/ ٥٣)

الحنفاء في الجاهلية التي سبقت، لأن ذلك سيفسد عليه ما يريد أن يثبتته، وهو أن شعراء الجاهلية كانوا يقرّون بتوحيد ربوبية الله وخالقيته مع شركهم في الألوهية! لينتقل الخصم إلى الخطوة المرجوة لديه وهي التكفير!! حيث يزعم أن المتكلمين والصوفية كالمشركين من حيث إنهم حققوا توحيد الربوبية دون الألوهية!! وهذا هو هدف السلفية الوهابية من كل نظرية تقسيم التوحيد أصلا كما سبق بيانه.

### تستر السلفية على أخبار الحنفاء في الجاهلية خشية انهيار نظرية تقسيم التوحيد

وهكذا رأينا كيف أن كثيرا من أبيات الشعر التي استشهد بها الخصم على أن العرب كانت عارفة بالله مقرة به موحدة له في الربوبية، مع شركها وعبادتها الأصنام: رأينا أن أصحاب تلك الأبيات كانوا على الحنيفية التي تنبذ عبادة الأصنام أصلا كما سردنا ذلك من أشعارهم، وبالتالي فلا جدوى من استشهاد الخصم بأولئك الشعراء ليثبت أنهم موحدون في الربوبية، إذ هم حنفاء أي موحدون في الألوهية أيضا، والخصم يعلم ذلك ولكن تجاهل ذلك هنا ولذلك لم يذكر بيت أمية السابق:

كل دين يوم القيامة عند الله .. إلا دين الحنيفة بور

ليخفي أن أمية كان من الحنفاء، وليجعله من جملة مشركي العرب الذي حققوا من الإيثار بالله توحيداً في الربوبية ونحو ذلك، ولم ينقصهم إلا الإقرار بتوحيد الألوهية! وأنهم لما لم يحققوا توحيد الألوهية صاروا مشركين!! وأن هذا سينسحب على المتكلمين والصوفية!! فهم أيضاً بنظر الوهابية يفترض أن يكونوا مشركين لأنهم حققوا توحيد الربوبية فقط دون توحيد الألوهية!!!

وأختم هنا بنص جواد علي فهو يقول بعد أن ساق طرفاً من سيرة الحنفاء في الجاهلية «هذه خلاصة موجزة لسير من حشرهم أهل الأخبار في زمرة الحنفاء، تريك آراء الجماعة تكاد تكون واحدة: كفر بالأصنام وبالشرك كله، وإعراض عن عادات قومهم، وثورة على عقائدهم، وترقب لحدوث تطور وإصلاح يقضي على الجهالة»<sup>(١)</sup>.

### الجواب عن الشعراء الجاهليين الذين وحدوا في الربوبية دون الألوهية

فإن قيل: ولكن ثمة شعراء ليسوا من الحنفاء قطعاً كأوس بن حجر ودرهم بن زيد وغيرهما، فقد ذكروا الأصنام مع الله في شعرهم وأقسموا بالكل، مما يدل على أنهم مشركون وليسوا على الحنيفية، لكن مع ذلك كانوا يقرون بالله، بل أشعارهم فيها «ما يدل على اعتقادهم

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢ / ٨٣)

أن الله عندهم هو أكبر الآلهة. فقد قال أوس بن حجر يحلف باللات: وباللات والعزى ومن دان دينها .. وبالله إن الله منهم أكبر<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومن ذلك «قول درهم بن زيد الأوسي:

إني وربّ العزّى السعيدة .. والله الذي دون بيته سرّف!

وفي الباب أشعار كثيرة فيها الإقرار بالربوبية، ولكنني اجتزأت منها بما ذكرت؛ لأجل ورود ذكر الله جل جلاله وأصنامهم في بيت واحد؛ ليكون أدل على المراد، وأثبت عند الحجاج<sup>(٢)</sup>.

وأضيف هنا القول بأنه: لا يتأتى هنا التشكيك السابق بأن يقال إن ذكر «الله» هنا كان أصله ذكراً لأصنامهم فبدّله الرواة إلى اسم الله، فهذا لا يصلح هنا لأنه لو كان الأمر كذلك لما وجدنا ذكراً لصنم اللات والعزى في هذه الأشعار، ولرايناها تغيرت إلى اسم الله، فلما وجدناها مذكورة بجانب اسم الله علمنا أنها غير مبدلة وإلا لوجب على الرواة تغيير الكل.

قلنا: أولاً: هذان البيتان لم أجد لهما ذكراً في كتب اللغة والأدب والشعر

(١) جهود علماء الحنفية (١/٢٨٢)، وانظر أيضاً: عمود الشعر النشأة والمفهوم

ص ٣٠٤، د. محمد بن مريسي الحارثي، ط ١/١٩٩٦.

(٢) هذه مفاهيمنا (ص: ١٢٠)

والتفسير وشروح الحديث والتاريخ، وإنما وجدتهما في كتاب الأصنام لابن الكلبي<sup>(١)</sup>، ولعل من جمع ديوان أوس بن حجر أخذ البيت السابق من الكلبي، وكذا ياقوت الحموي أخذهما - كلا البيتين - عنه<sup>(٢)</sup>، ووجدت بيت درهم الأوسي عند الكشميري<sup>(٣)</sup>، والحاصل أن البيتين يدوران على هشام الكلبي وهو متهم بالكذب، وكلام المحدثين فيه

(١) «كتاب الأصنام» (ص ١٩)، «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (١١) /

(٢٣٦)

(٢) معجم البلدان (٤ / ١١٦)

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري (٥ / ٤٠٤)

شديد<sup>(١)</sup>.

ثانيا: إن درهم بن زيد الأوسي عدّه ابنُ سلام من شعراء اليهود<sup>(٢)</sup>.

ثالثا: على التسليم بصحتها فأين في هذين البيتين توحيد الربوبية؟ أين

(١) ذكر المزري في ترجمة الكلبي هذا من تهذيب الكمال (٢٥ / ٢٤٨) عن معتمر بن سليمان عن أبيه كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي.. وعن يحيى بن معين: ليس بشيء، وعنه: ضعيف، وقال البخاري: تركه يحيى بن سعيد وابن مهدي، وعن يحيى بن يعلى المحاربي قيل لزائدة ثلاثة لا تروي عنهم ابن أبي ليل وجابر الجعفي والكلبي.. وعن أبي عمرو بن العلاء أنه قال أشهد أن الكلبي كافر.. وقال أبو حاتم الناس مجمعون على ترك حديثه لا يشتغل به هو ذاهب الحديث وقال النسائي ليس بثقة ولا يكتب حديثه. اهـ وفي سير أعلام النبلاء (١٠ / ١٠١): ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب.. أحد المتروكين كأبيه. قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدا يحدث عنه. وقال الدارقطني، وغيره: متروك الحديث، وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة. وقد اتهم في قوله: حفظت القرآن في ثلاثة أيام.. كان أبوه مفسرا، ولكنه لا يوثق به أيضا، وفيه رفض كابنه. اهـ. وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ٢٢٩): قلت: وهشام هذا هو ابن محمد بن السائب الكلبي النسابة المفسر، وهو متروك كما قال الدارقطني وغيره، ووالده محمد بن السائب: شر منه. قال الجوزجاني وغيره: كذاب. اهـ.

(٢) طبقات فحول الشعراء (١ / ٢٩٦)، محمد بن سلام الجمحي (٢٣٢هـ)، ت

محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.

ففيها أنه لا خالق ولا رب إلا الله؟! غاية ما فيها القسم بالله وباللات والعزى على حد سواء، وهذا ليس بتوحيد أصلا بل هو الشرك بعينه، إذ الله عندهم إله من جملة الآلهة الكثيرة لديهم، وهو رب من جملة أرباب كثيرة عندهم، فكلها عندهم سواء فلذلك يُقسمون بهم على السواء كما سبق بيانه.

ولو كان مجرد قسمهم بالله يدل على أنهم موحدون له في الربوبية، إذن لكان قسمهم باللات يدل على أنهم يعتقدون فيها الربوبية بل يوحدونها في الربوبية! وهذا خلاف مذهبكم من أنهم لم يعتقدوا في أصنامهم الربوبية أصلا، وهذا بحد ذاته إقرار منكم بأن قسمهم بما يقسمون به ليس بالضرورة دليلا على أنهم يعتقدون في المقسم به الربوبية فضلا عن أن يكونوا يعتقدون فيه أنه الرب وحده.

### تفضيل المشركين لأصنامهم على الله كما يقول ابن تيمية

وأما قول أوس بن حجر «إن الله منهن أكبر» وأن هذا «يدل على اعتقادهم أن الله عندهم هو أكبر الآلهة» فلو كان هذا صحيحا لما شتموا الله حين شتم آلهتهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ولما جعلوا لهم ما يشتهون كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ مَا

يَشْتَهُونَ ﴿ [النحل: ٥٧]، والله ما يكرهون ﴿يَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ﴿ [النحل: ٦٢]، قال ابن تيمية: وهذا القدر الذي عابه الله على من جعل الملائكة بناته من العرب مع كراحتهم أن يكون لهم بنات فنظيره في النصارى؛ فإنهم يجعلون لله ولدا وينزهون أكابر أهل دينهم عن أن يكون لأحدهم صاحبة أو ولدٌ، فيجعلون لله ما يكرهونه لأكابر دينهم﴾<sup>(١)</sup>. وقال الشنقيطي: فزعموا لله الأولاد، ومع ذلك زعموا له أخس الولدين وهو الأنثى، فالإناث التي جعلوها لله يكرهونها لأنفسهم ويأنفون منها: كما قال تعالى عنهم: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ولما فعلوا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحُرثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦] قال الطبري: «كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما جعلوا منها لله سهما، وسهها لأهنتهم، وكان إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لأهنتهم إلى الذي جعلوه لله ردوه إلى الذي جعلوه لأهنتهم، وإذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لله إلى الذي

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٤٠)

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٣/ ٣٤٤)

جعلوه لأهتهم أقروه ولم يردوه، فذلك قوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

**قول الطبري أن المشركين كانوا يدفعون ما قد ثبت عندهم صحته  
واستحكمت لديهم معرفته**

وأما الأبيات التي استدل بها البدر نقلا عن الطبري وهو قول بعض أهل الجاهلية: ألا قبض الرحمن ربي يمينها، وقول الآخر: وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق. قلنا: ولكن ماذا قال الطبري نفسه عقيب ذلك؟ لقد قال: «وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها؛ ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ إنكارا منهم لهذا الاسم. كأنه كان محالا عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته، أو كأنه لم يتل من كتاب الله قول الله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ يعني محمدا ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ وهم مع ذلك به مكذبون، ولنبوته جاحدون. فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدفعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته واستحكمت لديهم معرفته»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) جامع البيان ط هجر (٩ / ٥٦٩)

(٢) جامع البيان ط هجر (١ / ١٣٠)

وهذا نقله البدر نفسه<sup>(١)</sup>.

إذن كان المشركون يعلمون أن الله من أسمائه الرحمن، ولكن لم يدعوا لهذه المعرفة كما وضح الطبري، وكما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ [الرعد: ٣٠] «أي: ينكرون هذا الاسم الكريم، ويجحدونه»<sup>(٢)</sup>، قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] فقد «أنكر الله تعالى على المشركين نفيهم اسم الرحمن»<sup>(٣)</sup> وهذا «من مشركي قريش تعجرف في شأن الاسم الكريم «الرحمن».. من تعنتهم»<sup>(٤)</sup>.

وفي صلح الحديبية «قال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم»<sup>(٥)</sup>، يقول البدر نقلا عن ابن كثير: «والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم،

- 
- (١) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٦٢).
  - (٢) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (٢/ ١٩٣)، جهود علماء الحنفية (١/ ٢٥١).
  - (٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٥٢).
  - (٤) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٧/ ٥٦).
  - (٥) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٢/ ٩٧٤).

فإنه قد وُجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن ..»<sup>(١)</sup>. فهم «لا يجهلون المعنى الذي يدل عليه لفظ الرحمن المشتق من الرحمة ولا يجهلون أن من يتصف بالرحمة العظيمة الواسعة يطلق عليه اسم الرحمن، واسم الرحيم، لكنهم غير مؤمنين بأن الله الخالق للسموات والأرض يتصف بالرحمة العظيمة الواسعة التي يرحم بها عباده فيفيض عليهم بعبءات ربوبيته، ومنها الرزق والعافية والتوفيق والمعونة والنصر.. وسبب نفور المشركين من سجودهم لله الرب الرحمن أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله هي التي تجلب لهم المنافع، وتدفع عنهم المضار وتحقق لهم النصر وتحقق لهم العزة والقوة الغالبة، وهذا في الحقيقة اعتقاد منهم بأن آلهتهم تشارك الله عز وجل في بعض عناصر الربوبية .. وهذا الاعتقاد الباطل هو الذي جعل أبا سفيان في غزوة أحد يقول: أعلُّ هُبل، حينما تحولت رياح النصر عن المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

## أبيات الشعر التي فيها الإقرار بالبعث لا تدل على أنهم موحدون في الربوبية

(١) القول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد للبدر (ص: ٦٣) نقلا عن ابن كثير في تفسيره (١/٣٦).

(٢) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص ٩٦، ٩٧، ٩٨

الوجه الرابع: وأما الآيات التي فيها الإيمان بالآخرة فمحمولة على أن قائلها كان على الحنيفية، ثم هي معارضة بأخرى فيها إنكارهم للبعث. وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: هذا محمول على أن قائل تلك الآيات كان على الحنيفية يؤمن بالله وحده وباليوم الآخر، وينبذ عبادة الأصنام، كما صرحوا بذلك في شعرهم كما سبق<sup>(١)</sup>، وأما المشركون الذين بعث فيهم نبينا وغيره من الأنبياء فقد كانوا منكرين للبعث كما حكى الله عنهم ذلك في آيات لا تحصى وسيأتي ذلك مفصلاً<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: إن سلمنا أنهم مشركون فتكون تلك الآيات التي فيها إقرار باليوم الآخر معارضة بأخرى فيها إنكار لذلك، كما في قول أحدهم:

(١) انظر (ص ٢٣٧) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ٥٤٦) من هذا الكتاب.

حياة ثم موت ثم بعث ... حديث خرافة يا أم عمرو<sup>(١)</sup>

وبقول شداد بن الأسود الليثي وهو يرثي قتلى بدر من المشركين،  
ويتهكم بما أنزل على سيدنا محمد:

ألا من مبلغ الرحمن عني .. بأني تارك شهر الصيام

إذا ما الرأس زایل منكبيه .. فقد شبع الأنيس من الطعام

أيوعدنا ابنُ كبشة أن سنحيا .. وكيف حياة أصدقاء وهام

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢/٢٣٦، وانظر أيضا: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ٤٣٦)، الراغب الأصفهاني، دار الأرقم، ط ١/١٤٢٠. أديان العرب للجارم ص ١١٢، الوحي والإنسان - قراءة معرفية، محمد السيد الجليند (ص: ٣٢)، تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٤٨٨)، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ونُسب لأبي العلاء المعري في موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/ ٢٢٢)، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت علي مخلوف (ص: ١٥٣).

أترك أن تردّ الموت عني .. وتحييني إذا بليت عظامي<sup>(١)</sup>

قال الحافظ: قوله «أصداء» جمع صدى وهو ذكر البؤم «وهام» جمع هامة وهو الصدى أيضا.. وأراد الشاعر إنكار البعث بهذا الكلام كأنه يقول: إذا صار الإنسان كهذا الطائر كيف يصير مرة أخرى إنسانا<sup>(٢)</sup>. اهـ.

الوجه الخامس: أن تلك الأبيات لا توحيد في أي منها قط، فأين فيها أنه لا رب ولا خالق إلا الله؟! غاية ما فيها ذكر الله، وهذا لا يدل على التوحيد أيا كان نوعه، لأن التوحيد لا بد له من إثبات ونفي

(١) أديان العرب في الجاهلية للجارم ص ١١٢، وأحد هذه الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٨) وهو قوله: يخبرنا الرسول لسوف نحيا.. وكيف لقاء أصداء وهام؟. اهـ. ووردت هذه الأبيات الأربعة أيضا في معجم الأدباء (١/ ٣٤٤) في ترجمة أبي العلاء المعري حيث نقل عنه قوله: وأعوذ بالله وأتبرأ من قول الكافر.. ثم سردها ضمن أبيات أخرى، ووردت أيضا في رسالة الغفران (ص: ١٣٥): وبعض العلماء يقول إن سادات قريش كانوا زنادقة. وما أجدرهم بذلك! وقال شاعرهم يرثي قتلى بدر، وتروي لشداد بن الأسود الليثي.. اهـ. وأوردها الزرخشري في قصة، وفيها أنها من شعر الأسود بن عبد يغوث. انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٥/ ١٠). وانظر أيضا فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت علي مخلوف (ص: ١٥٣)

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٥٩)

كما سبق أن بسطناه في كتاب آخر<sup>(١)</sup>، «فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>، ومما يؤكد هذا أننا أحيانا وجدنا فيها ذكر الله مع ذكر أصنامهم يُقسمون بالكل على حد سواء، وهذا عين الشرك لا التوحيد.

الوجه السادس: أنها معارضة بأشعار لهم يصرحون فيها بأن الأصنام أرباب لهم كما سبق رواية شيء منها<sup>(٣)</sup>، وبأشعار ينسبون فيها التأثير لغير الله، كقول أحدهم:

أشاب الصغيرَ وأفنى الكبيرَ .. كُرُّ الغداةِ ومَرُّ العشيِّ

واشتهر قولهم: ما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع. وسيأتي المزيد من ذلك إن شاء الله<sup>(٤)</sup>.

**الخلاصة: لا دليل لابن تيمية في كل ما سبق على توحيد المشركين في الربوبية**

والخلاصة أن كل الآيات والأحاديث والآثار التي استدلت بها

(١) انظر كتابنا «ولئن سألتهم» ص ٢٧٦.

(٢) بدائع الفوائد (١ / ٢٣٦)، ونقله في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٧)

(٣) انظر (ص ٧١٠) من هذا الكتاب.

(٤) انظر (ص ٣٥١ و ٣٥٦) من هذا الكتاب.

ابن تيمية على أن المشركين موحدون في الربوبية لا تدل على ذلك لما سبق بيانه، وبالتالي ينتقض الدليل الثاني الذي استدل به ابن تيمية وأتباعه على التباين بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وهو: أن مشركي العرب كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية.

بل الأدلة الكثيرة على خلاف ذلك، وهي أن العرب مشركون في الربوبية كما هم مشركون في الألوهية، وهذا ما سنسبغه في الباب الثاني الذي سنشرع فيه بعد قليل بحول الله، هذا فضلا عن أن دعوى ابن تيمية هذه مبنية على أصل غير مسلّم! وهو أن الربوبية غير الألوهية بحجة التباين بين كلمتي الرب والإله، وهذا كان دليله الأول على التباين بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وقد نقضناه بحمد الله وبشكل مطول في كتابنا «تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله». وبالله التوفيق





**الباب الثاني: أدلتنا على أن المشركين**

**كانوا غير موحدين في الربوبية**

**الفصل الأول:** اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم

والكواكب ونحو ذلك.

**الفصل الثاني:** أدلة متفرقة على أنهم مشركون في الربوبية.

**الفصل الثالث:** النزاع بين الأنبياء والمشركين هو في توحيد

الربوبية وتوحيد الألوهية معا.





## الباب الثاني:

### أدلتنا على أن المشركين كانوا غير موحدين في الربوبية

سبق في الباب الأول أن أجبنا عن الأدلة التي استدلت بها ابن تيمية وأتباعه على أن المشركين موحدون في الربوبية، وهنا نسط الأدلة على أن المشركين كانوا غير موحدين في الربوبية وإثبات أنهم مشركون في توحيد الربوبية كما هم مشركون في توحيد الألوهية، وذلك على التسليم الجدلي بتقسيم التوحيد إلى هذين القسمين، وإلا فهذا التقسيم غير مسلم به حتى الآن على الأقل.

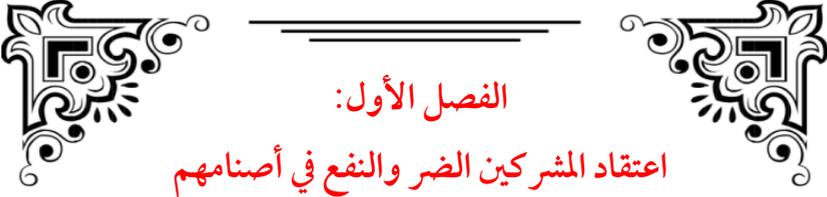
والأدلة على أن المشركين كانوا غير موحدين في الربوبية كثيرة جدا، تبلغ أكثر من عشرين دليلا، وهي من الكتاب والسنة والآثار والأخبار، وبعض هذه الأدلة هي أنواع، أي يندرج تحتها أفراد من الأدلة عديدة كما سنرى، وهذا الكتاب مخصص لبسطها، وقد أطلت تقريرها فيه من كتب التفاسير ولا سيما كتب التفسير بالمأثور، ورجعت إلى كتب شروح الأحاديث وغيرها من الكتب المتنوعة، وهي كثيرة جدا حيث رجعت إلى مئات بل آلاف من الكتب في المكتبة الشاملة وغيرها، وكثير منها كتب لابن تيمية نفسه وأتباعه، حيث قررت معظم هذه الأدلة من كتبهم، وأجبت عن كل اعتراضاتهم حولها، كما

سيأتي بيانه، ونشرع الآن ببسط الأدلة على أن المشركين غير موحدين في الربوبية في ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم والكواكب ونحو ذلك.

**الفصل الثاني:** أدلة متفرقة على أنهم مشركون في الربوبية.

**الفصل الثالث:** النزاع بين الأنبياء والمشركين هو في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معا.



## الفصل الأول:

### اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم

#### وهذا ينافي توحيد الربوبية

لا خلاف على «أن معظم المشركين يعتقدون في شركائهم أنهم ينفعونهم، ويدفعون الضرر عنهم، أو ينزلون الضرر بخصوصهم»<sup>(١)</sup>، ومن الشرك في الربوبية أن يعتقد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل أو المدبر أو الرزاق أو الخالق غيره<sup>(٢)</sup> والأدلة على كونهم يعتقدون الضر والنفع في أصنامهم كثيرة، نبسطها في مبحثين:

المبحث الأول: الأدلة من القرآن على اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم

المبحث الثاني: الأدلة من السنة والآثار والأخبار على اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم

(١) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليها ص ٥٢، ٥٣

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف ٢ / ٨٩



## المبحث الأول:

### الأدلة من القرآن على اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم

فقد دلت آيات عديدة على اعتقاد المشركين الضر والنفع والتأثير في أصنامهم، وفيما يلي بعض تلك الآيات ، تأتي كل منها في مطلب:

#### المطلب الأول: آية هود ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾

قال تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] وقبلها قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)﴾ [هود: ٥٣] الآيات تتكلم عن قوم عاد وهم يخاطبون نبيهم هودا عليه السلام: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]، أي أصابتك الأوثان بخبل وجنون، حاشاه عليه السلام، وهذا تفسير جمهور السلف والخلف سواء من أهل التفسير بالمأثور أو بالرأي، بل نص عليه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وإليك نصوص كل هؤلاء في هذه الآية فيما يلي:

## أولاً: نصوص أهل التفسير بالمأثور:

- ١) روى الطبري «عن ابن عباس قال: أي تصيبك آهتنا بالجنون».
- ٢) وروى في تفسيره بأسانيد عديدة عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: أصابتك الأوثان بجنون.
- ٣) وروى بسندين عن قتادة أنه قال في تفسير هذه الآية: إنها تصنع هذا بآهتنا أنها أصابتك بسوء.
- ٤) وروى بسنده عن ابن زيد قال: يقولون: اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آهتنا.
- ٥) وروى بسنده عن ابن جريج، قال: قال عبد الله بن كثير: أصابتك آهتنا بشر.
- ٦) وروى أيضا بسنده عن الضحاك قال: يقولون: نخشى أن يصيبك من آهتنا سوء، ولا نحب أن تعتريك، يقولون: يصيبك منها سوء<sup>(١)</sup>.
- ٧) وقال الطبري في تفسير الآية: وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمها والنهي عن عبادتها أنه أصابك منها خبل من جنون.. وأشهدكم أيضا أيها القوم، أني بريء مما تشركون في عبادة الله من آهتكم وأوثانكم من دونه (فكيدوني جميعا) ، يقول:

(١) جامع البيان ط هجر (١٢ / ٤٤٨).

فاحتالوا أنتم جميعا وأهتكم في ضري ومكروهي .. فانظروا هل تنالوني أنتم وهم بما زعمتم أن أهتكم نالتني به من السوء؟ ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها..﴾: توكلت من أن تصيبوني ، أنتم وغيركم من الخلق بسوء، فإنه ليس من شيء يدب على الأرض، إلا والله مالكة، وهو في قبضته وسلطانه<sup>(١)</sup>.

٨) وقال البغوي: أي: أصابك بسوء بخبل وجنون، وذلك أنك سببت آهتنا فانتقموا منك بالتخيل لا نحمل أمرك إلا على هذا<sup>(٢)</sup>.

٩) وقال ابن كثير: «إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء» أي: بجنون<sup>(٣)</sup>.

### ثانيا: نصوص أهل التفسير بالرأي لآية هود

١) قال الواحدي: وقال المفسرون وأهل المعاني في قوله تعالى: ﴿اعتراك﴾: أصابك ومسك، والمعنى: أنهم قالوا هود: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض آهتنا أصابك بجنون،

(١) جامع البيان ط هجر (١٢ / ٤٤٦)

(٢) تفسير البغوي - طيبة (٤ / ١٨٣)

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣ / ٤٣٦)

فأفسد عقلك وأجنك وخبلك، فالذي تُظهر من عيبها وطعنها  
لما لحق عقلك من التغيير، هذا قول عامة أهل التأويل؛ ابن  
 عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة وغيرهم<sup>(١)</sup>.

(٢) قال الزمخشري: أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك  
 عنها وعداوتك لها<sup>(٢)</sup>.

(٣) قال البيضاوي: أي أصابك .. بجنون لسبك إياها وصدك  
 عنها ومن ذلك تهذي وتكلم لخرافات.. «فكيدوني جميعاً ثم  
 لا تنظرون».. وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم، وأن  
 يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير إنظار حتى إذا اجتهدوا  
 فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء الأشداء أن  
 يضرّوه لم يبق لهم شبهة أن آهتهم التي هي جماد لا يضر ولا  
 ينفع لا تتمكن من إضراره انتقاماً منه<sup>(٣)</sup>.

(٤) قال الفخر الرازي: اعتراه كذا إذا غشيه وأصابه. والمعنى: أنك  
شتمت آهتنا فجعلتك مجنوناً وأفسدت عقلك<sup>(٤)</sup>.

(١) التفسير البسيط للواحدى (١١ / ٤٤٦)

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٤٠٣)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ١٣٨)

(٤) مفاتيح الغيب (١٨ / ١٣)

- (٥) وقال القرطبي: أي أصابك (بعض آلهتنا) أي أصنامنا (بسوء) أي بجنون لسبك إياها، عن ابن عباس وغيره<sup>(١)</sup>.
- (٦) وقال البقاعي: أي أصابك وغشيك غشياناً التصق بك التصاق العروة بما هي فيه مع التعمد والقوة (بعض إلهتنا بسوء) من نحو الجنون والخبال فذاك الحامل لك على النهي عن عبادتها<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: قول ابن تيمية وابن القيم في الآية:

- (١) قال ابن تيمية: .. كالمشركين الذين يخشون آلهتهم ويرجونها؛ ولهذا لما قالوا لهود عليه السلام ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾<sup>(٣)</sup>. اهـ.

- (٢) وقال تلميذه ابن القيم في سياق كلامه عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وقوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ قال: فكأنه صلى الله عليه وسلم يذكر أنهم خوفوه آلهتهم أن يناله منها مضرة كما قاله قوم هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، فقال إبراهيم: إن أصابني

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١١ / ١٤٣)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣ / ٥٤٣)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٢٥٦)، وانظر أيضاً: (٢ / ٣٤٩).

مكروه فليس ذلك من قبل هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، وهي أقل من ذلك، فإنها ليست ممن يرجى أو يخاف، بل يكون ذلك الذي أصابني من قبل الحى الفعال الذي يفعل ما يشاء، بيده الضر والنفع، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد<sup>(١)</sup>.

قال وليد - عفا الله عنه -: وهكذا نرى أن هذه الآية قد دلت - وبفهم المفسرين والعلماء من السلف والخلف ومعهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - على أن المشركين كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها تضر من جحدها أو سقّتها لذلك حذّر قوم عادٍ هودا عليه السلام أن تصيبه آلهتهم بضرر إن هو تكلم عن آلهتهم بسوء، بل زعموا أنها فعلا أصابته بسوء فخبلت عقله حاشاه عليه السلام.

تأويل السلفية لقوله تعالى: «إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء»

**قد حاول بعض السلفية الإجابة عن آية هود أو بالأحرى حاولوا تأويلها فذكروا عدة أوجه في ذلك:**

الوجه الأول: أن هذا «لا يعارض النصوص الصريحة الدالة على اعترافهم بوحدانية الله في الربوبية»<sup>(٢)</sup>! والجواب عن هذا الوجه يُعلم من كلامنا في الباب الأول من كتابنا هذا، ومن كتابنا الآخر

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (ص: ١٩٩)

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٦

«ولئن سألتهم»، فقد بسطنا هناك كل أدلة ابن تيمية وأتباعه على ما زعموه من أن المشركين موحدون في الربوبية وأجبنا عنها، وبيننا أنه لا دلالة فيها على ما زعموا، والحمد لله على توفيقه.

الوجه الثاني: حاولوا أن يتصلوا من دعوى ابن تيمية السابقة التي تبعه عليها ابن عبد الوهاب حين زعموا فيها أن المشركين ما كانوا يعتقدون ضرا ولا نفعا في آلهتهم.

**تنصل السلفية من دعواهم أن المشركين ما كانوا يعتقدون ضرا  
ولا نفعا في أصنامهم**

**وإليكم بعض نصوصهم التي تنصلوا فيها:**

النص الأول: قال ابن قيصر الأفغاني ردا على استدلالنا بآية هود - طبعاً بعد الشتم<sup>(١)</sup> كعادته -: «.. إن شيخ الإسلام لم يقل قط: إن المشركين كانوا يعتقدون أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع، غاية ما في هذه الآية أن المشركين كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها تضر وتنفع».

(١) حيث قال هنا: إن هؤلاء القبورية مفترون في تقرير استدلالهم بهذه الآية على الله تعالى وعلى كتابه وعلى شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: جهود علماء الحنفية، لابن قيصر الأفغاني (١/ ٢٧٦).

ولكن استدرك الأفغاني قائلاً: ولكن .. المشركين كانوا معترفين بأن الله هو الخالق لهذا الكون المدبر للأمور العظام والرازق وحده، ولم يعتقدوا في آهتهم أنها تنفع وتضر استقلالاً، وإنما كانوا يعتقدون أن الله تعالى فوّض إليهم تدبير أمورهم وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة والجزئية في غير الأمور العظام»<sup>(١)</sup>. ولذلك فطامة كبرى أن تجعلوا «المشركين السابقين مشركين في توحيد الخالقية والرازقية والربوبية والتدبير للكون، وأنهم اعتقدوا في آهتهم التصرف بالاستقلال وأنها مستقلة بالتأثير»<sup>(٢)</sup>.

النص الثاني: قال البدر: «لم يقل أحد إن المشركين لم يكونوا يرجون في آهتهم جلب نفع أو دفع ضرر وإلا لما عبدوها وأحبوها كحب الله»<sup>(٣)</sup>.

النص الثالث: «ليس المراد به أنهم اعترفوا بهذا القسم من التوحيد على التمام والكمال»<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن هذا الوجه فيما يلي:

(١) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٧٦)

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ١٩١)

(٣) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٦

(٤) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ٧٧

أولاً: هذا تنصل واضح وتراجع عما قلتم من قَبْل من أنّ المشركين ما كانوا ينسبون إلى آلهتهم تأثيراً قط.

## نصوص السلفية في أن المشركين لم يعتقدوا الضر والنفع في آلهتهم المزعومة

(١) قال ابن تيمية: أما توحيد الربوبية: فقد أقر به المشركون.. فكان ذلك التوحيد.. حجة عليهم؛ فإذا كان الله هو ربّ كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو، فلماذا يعبدون غيره معه؟ وليس له عليهم خلق ولا رزق، ولا بيده لهم منع ولا عطاء، بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً<sup>(١)</sup>. اهـ

فهذا نص واضح لابن تيمية يقول فيه بأن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية وأن غير الله عندهم «لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً»، وجعل هذا الإقرار منهم حجةً عليهم وإلزاماً لهم ليوحدوه في الألوهية! وهذا معنى قوله: «إذا كان الله هو رب كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو، فلماذا

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٨٠)

يعبدون غيره معه»، إذن يعتقد المشركون - بحسب كلام ابن تيمية - أن الله «هو رب كل شيء ومليكه»، ولا يعتقدون نفعا أو ضرا ولو جزئيا في أصنامهم، وهذا ينقض زعم الأفغاني الذي قال: «ان شيخ الإسلام لم يقل قط: إن المشركين كانوا يعتقدون أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع...!!»

(٢) قال ابن عبد الوهاب وهو يُعلم بعض أتباعه التكفير، فيقول: إن قال لك الخصم: «نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا - عليه السلام - لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.. فجأوبه بما تقدم وهو: إن الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقرّون بما ذكرت، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة<sup>(١)</sup>». اهـ

فتأمل قوله هذا، ولاسيما جملة: «ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له» وجملة: «ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة» فهذا نفي صريح وعمام وشامل لأن كلمة «شيئا» نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، أي أن المشركين كانوا ينفون - بحسب ما يقوله ابن عبد

(١) كشف الشبهات (ص: ٢٤)

الوهاب - أيّ تدبير أو ضرر أو نفع لأصنامهم، بل يعتقدون أن ذلك كله بيد الله وحده لا شريك له.

وهذا يدفع الزعم بأن ما في آية هود «إن نقول إلا اعتراك..» «هو من قبيل اعتقاد المشركين أن الله فوّض إلى الأصنام» تدبير أمورهم وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة والجزئية»، فهذه الدعوى ينقضها كلام ابن عبد الوهاب السابق بأن المشركين «مقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً»، لأنه بذلك ينفي عن المشركين أيّ اعتقادٍ لنفع أو ضرر في أصنامهم، جزئياً كان أو كلياً، وهذا خلاف آية هود.

(٣) ويقول ابن عبد الوهاب أيضاً: «..إن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا من قصدوا إلا الشفاعة»<sup>(١)</sup>. اهـ. فقد «بيّن لنا أن أفراد توحيد الربوبية كان الكفار يقرون بها، فلما كان الكفار مقرين بتوحيد الربوبية كان شركهم جائئاً من جهة توحيد الإلهية»<sup>(٢)</sup>. اهـ وهذا تصريح من ابن عبد الوهاب وشارحه بأن المشركين كانوا يثبتون توحيد الربوبية

(١) كشف الشبهات (ص: ٢٤)

(٢) شرح كشف الشبهات - صالح آل الشيخ (ص: ١٨٦)

كاملا لله لقوله «الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله!» وإنما الخلل عندهم في توحيد الألوهية كما قال الشارح!!  
 (٤) وقال ابن عبد الوهاب: إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله كانوا «يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة»<sup>(١)</sup>.

(٥) قال محمد بن إبراهيم آل الشيخ: فهم مُقرُّون مذعنون بتوحيد الربوبية، لم ينازعوا فيه، ولا جاءهم الخلل من ذلك؛ فهم يعرفون الله ويفعلون أنواعاً من العبادات، إنما نازعوا في توحيد العبادة، وجاءهم الخلل بجعل الوسائط شركاء مع الله في العبادة»<sup>(٢)</sup>.

(٦) وقال باشميل: إيمان المشركين بالله: فقد كان هؤلاء المشركون يؤمنون بوجود الله إيماناً جازماً ويوحدونه في الربوبية توحيداً كاملاً لا تشوبه أية شائبة، أي أنهم كانوا يعتقدون أنه تعالى ربهم ورب كل شيء وأن من يدعونهم من دونه من الآلهة والأنبياء ليسوا إلا بعضاً من عبيده وخلقه لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، وأن الضر والنفع والموت والحياة بيده

(١) القواعد الأربعة لابن عبد الوهاب ص ٤٠١، ضمن الجامع للمتون العلمية جمع الشمراني.

(٢) شرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص: ٢٩)

وحده سبحانه وتعالى لا يشاركه في ذلك ولا يظاهاه أي مخلوق من مخلوقاته<sup>(١)</sup>. اهـ

(٧) يقول العبد اللطيف: ويرد صاحب «التوضيح» على من زعم أن مشركي العرب يعتقدون النفع والضرر لغير الله فيقول: زعمه أن المشركين الأولين كانوا يعتقدون النفع والضرر، والعطاء والمنع من غير رب العالمين، ويرد هذا صريحاً قوله تعالى: قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ..<sup>(٢)</sup>.

(٨) قال الألباني: المشركون لم يكونوا ينكرون التوحيد الأول وهو توحيد الربوبية وتوحيد الخالقية وإنما كانوا يعترفون بذلك تماماً وإنما أنكروا توحيد العبادة<sup>(٣)</sup>. اهـ فتأمل قول الألباني: «تماماً»، وكلمة «كاملاً لا تشوبه أية شائبة» في قول باشميل الذي ذكرناه آنفاً، وهذا يخالف قول كثير من السلفية حينما

(١) كيف نفهم التوحيد لباشميل (ص: ١١).

(٢) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للعبد اللطيف (ص: ٣٣٦)، والمقصود بكتاب التوضيح هنا هو «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق» للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، كما ذكر العبد اللطيف ذلك ص ٥٩.

(٣) موسوعة الألباني في العقيدة (٢/ ٤٧٤)

قالوا عن توحيد المشركين في الربوبية «ليس المراد به أنهم اعترفوا بهذا القسم من التوحيد على التمام والكمال»<sup>(١)</sup>، كما سبق.

(٩) (فإن قلت: إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع، والخير والشر بيده وإنما استغاثوا بالأموات قصداً لإنجازه ما يطلبونه من الله عزّ وجل. قلت: وهكذا كانت الجاهلية فإنهم يعلمون أن الله سبحانه هو الضار النافع، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز)<sup>(٢)</sup>.

(١٠) قال المشعبي: «كان المشركون بالله العابدون معه غيره معترفين بأن خالق السموات والأرض هو الله وحده لا شريك له.. بل إنهم معترفون بأن الضرر والنفع من الله، وأن هذه الأصنام والأوثان لا تملك من الأمر شيئاً، فلا تستطيع دفع ضرر

(١) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ٧٧

(٢) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٣٧)، نقلاً عن إيقاظ

الوسنان للحازمي.

ولا جلب نفع -فضلاً عن الخلق والتدبير- وهذا مقرر في قلوبهم وإن لم يعترفوا به صراحة»<sup>(١)</sup>

قال وليد - يسر الله أمره -: فهذه النصوص وغيرها كثير يؤكد فيها السلفية وبوضوح كما ترى أن توحيد الربوبية عند المشركين كان تاماً، لا يعتقدون في سوى الله ضراً ولا نفعاً مطلقاً، فأنى للأفغاني وغيره أن يتصل من هذه النصوص الواضحة لإخوانه والتي تنسفها آية هود؟!!

الوجه الثالث: قالوا: إنَّ هذا الضر والنفع الذي كان يعتقدُه المشركون في آلهتهم هو ضرٌّ ونفع جزئي يقع عندهم منها بإذن الله، وبالتالي فهو لا يعارض اعتقادهم بأن الله هو وحده المتفرد بتدبير الكون وخلقِه؛ وفي ذلك يقول الأفغاني عن المشركين: «من المعلوم بالاضطرار أن المشركين مع اعترافهم بأن الله هو الخالق المالك الرازق وحده المدبر لهذا الكون المتصرف فيه كيف يشاء: كانوا يعتقدون في آلهتهم أن لهم بعضاً من القدرة على النفع والضرر شيئاً من التصرف والتدبير، ولكن هذا كله بإذن الله تعالى، فالله هو الذي خلع عليهم هذه الخلعة، وأن الله قد فوّض إليهم بعض التدبير، وجعلهم متصرفين في بعض الأمور

(١) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام ص ٢٧، ٢٨، عبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف، الرياض، ط ٢/١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

الخاصة الجزئية غير الأمور العظام، ولم يعتقدوا قط في آلهتهم أنهم ينفعون أو يضررون أو يدبرون بالاستقلال من دون إذن من الله وبدون تفويض منه.. (١).

قال وليد - ستر الله عيوبه - : هذا الكلام كله دعاوى عريضة تتلخص في اثنتين:

**الدعوى الأولى:** أن المشركين يعتقدون تأثيرا جزئيا في أصنامهم.

**الدعوى الثانية:** أن المشركين يعتقدون بأن أصنامهم تضر وتنفع بإذن الله وتفويض منه. وإليك بسطهما مع تفنيدهما:

**الدعوى الأولى:** أن المشركين يعتقدون تأثيرا جزئيا في أصنامهم.

زعم الأفغاني أن هذا النفع والضرر والتدبير الذي يعتقدونه المشركون في أصنامهم هو: جزئي وفي بعض أمور خاصة صغيرة! والجواب: أين الدليل على دعوى التبعية والخصوصية والجزئية والصغر؟ إن إطلاق آية هود التي معنا تردّ هذه الدعوى، إذ الآية «إن نقول اعتراك بعض آلهتنا بسوء»، وهذا السوء مطلق فيمكن أن يكون

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٨٠)

كبيرا أو صغيرا، وقد رأينا أنه يمكن أن يصل إلى إصابة المرء بالخبل والجنون!! كما بيّنت ذلك الآثار السابقة المفسرة للآية، بل وصل إلى قضايا كبرى كالنصر والعزّ كما في آيات أخرى ستأتي.

**اعتقاد المشركين في أصنامهم أنها أنداد الله يفيد أنهم يعتقدون**

**التدبير الكلي**

ثم ما أنكرت أن يعارضك معارض فيزعم أن المشركين يعتقدون في آلهتهم القدرة الذاتية الكلية على كل شيء على سبيل الشركة مع الله، أو على سبيل التفويض من الله لأصنامهم في ذلك؟! فلو قال قائل بذلك لما أبعد، وبيان ذلك:

أما أنهم «يعتقدون في آلهتهم القدرة الذاتية الكلية على كل شيء على سبيل الشركة مع الله»، فظواهر الآيات تكشفه حيث بيّنت أن المشركين قد جعلوا أصنامهم أندادا لله كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وساووها بالله كما في قوله تعالى ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، وعدلوها بربهم كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿ [الأنعام : ١] وسيأتي بسط ذلك<sup>(١)</sup>. وما هو جوابك له هو جوابه لك !!

أي إن قلت: هذه الآيات غير صريحة في أنهم يعتقدون في أصنامهم قدرة كلية ذاتية على سبيل الشركة مع الله، بخلاف الآيات التي دلت على أنهم موحدون في الربوبية، وإنما هذه الآيات محمولة على أنهم يجعلون أصنامهم أندادا لله في العبادة.

أمكن أن نجيبك بالقول: أيضا الآيات التي تستدل بها مثل «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» غير صريحة في الدلالة على أنه لا يعتقدون في غير الله ضرا ونفعا، بدليل أن الله كذبهم في دعواهم هذه في آخر الآية فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] كما سيأتي بسط ذلك<sup>(٢)</sup>.

وإن قلت: إن العقل يمنع من اعتقاد بحجر يخلق ويرزق وبالتالي «لا يعقل في أحد من بني آدم أن ينحت بيده حجرا أو خشبا ثم يعتقد أنه إلهه ويعبده»<sup>(٣)</sup>. فجوابه أن هؤلاء المشركين لم يعملوا عقولهم أصلا

(١) انظر (ص ٤٦٠) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ٧٠٢) من هذا الكتاب.

(٣) جهود علماء الحنفية (١ / ٥٠٤)

ففيما عبده من الأصنام! وإنما هم مقلدون لأبائهم في ذلك كما سبق<sup>(١)</sup>، لذلك كثيرا ما كان القرآن يخاطبهم بأنهم هم وآباؤهم لا يعقلون كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وسيأتي بسط ذلك<sup>(٢)</sup>.

وكذا آية «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» لا تدل على أنهم مقرون بأن الله وحده هو الخالق، بل كلمة «وحده» هي من كيسكم وخيالكم كما بسطناه في كتابنا «ولئن سألتهم». وعلى التسليم بقولكم «وإنما هذه الآيات محمولة على أنهم يجعلون أصنامهم ندا لله في العبادة» فهم ما عبدهم إلا بعد أن اعتقدوا فيهم الضر والنفع وهذا بإقراركم كما سيأتي<sup>(٣)</sup>.

وأما «على سبيل التفويض من الله لأصنامهم في ذلك» أي لو زعم زاعم أن المشركين يعتقدون أن الله فوّض لأصنامهم القدرة الكلية على كل شيء ولكن ليس قدرة ذاتية بل قدرة ممنوحة لها من الله؛ أي أن الله أقدرها وفوّض إليها تدبير الكون في كل شيء صغير أو كبير، عظيم أو

(١) انظر (ص ٦٣٩) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ٢٨٠ و ٦٣٩) من هذا الكتاب.

(٣) انظر (ص ٦٩٥) من هذا الكتاب.

حقير، أقول: لو زعم زاعم ذلك في المشركين فما ردك عليه حينئذ؟ ما هو جوابك له هو جوابنا لك!

وإن قلت: أين الدليل على أنهم اعتقدوا أن الله فَوْضَ للأصنام القدرة الكلية في كل الأمور، قلنا: وما دليلك على أنهم اعتقدوا أن الله فَوْضَ لأصنامهم تدير بعض الأمور الصغيرة دون العظيمة، وأنه تعالى منحها قدرة جزئية وليست كلية؟! إن هذا ينقض أصل دعواك وهي أنهم موحدون في الربوبية ما دمت قد اعترفت بأنهم نسبوا لأصنامهم قدرة جزئية، وسيأتي مزيد من نصوص الوهابية في أن توحيد المشركين في الربوبية كان منقوصا بل منقوصا!

ثانيا وهو الأهم: أن المشركين اتخذوا الآلهة وعبدها من أجل أمور عظيمة وليست صغيرة كما زعمت، فهم اتخذوها للنصر كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤]، والنصر من الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها إلا الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرْكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي عُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]،

وقد أقررتم بأن «حصول الرزق، والنصر، والهدى، وغير ذلك: مما لا يقدر عليه إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وكذلك اتخذها المشركون للعز كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] والعز أيضا من الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها إلا الله كما قال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، إلى غير ذلك، وهذا كله يبطل قولك إن المشركين اعتقدوا في أصنامهم «أن الله قد فوض إليهم بعض التدبير، وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة الجزئية غير الأمور العظام».

ثالثا: زعمت أن «المشركين لم يكونوا يعبدون الأصنام والأحجار لذاتها في الحقيقة، وإنما كان قصدهم عبادة هؤلاء الصالحين الذين ظنوا أنهم مقربون عند الله، ويشفعون لهم عنده، وإنما صوروا لهم تماثيل ليجعلوها قبلة للتوجه إلى هؤلاء المقربين.. المعبود لهم لم يكن هذا الحاضر من الصنم المنحوت من الحجر أو الخشب، بل المعبود إنما كان ذلك الغائب الذي صوروه وجعلوا له صنمًا»<sup>(٢)</sup>. اهـ

وحاصل هذا أن هذه الحجارة إنما كانت رمزا عندهم لأنبياء وصالحين قصدوهم بالعبادة والتشفع، أي أنهم في الحقيقة يعبدون

(١) جهود علماء الحنفية (٢ / ١٠٣٧)

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٥٠٤)

أولئك الأنبياء والصالحين، وبناء على هذا فلا يبعد أن يعتقدوا أن الله فوّض تدبير الكون كله لهذه الأصنام وفق هذا التصور، وليس تدبير بعض الأمور في الكون فحسب!

وكيف يُستبعد ذلك وقد وُجد عبر التاريخ من زعم في الآلهة التي يعبدها أن لها القدرة المفوّضة لها من الله على تدبير الكون برمته، بل وُجد من يقول ذلك من كثير من الفرق الإسلامية لاسيما من الرافضة حيث ادعوا في النبي وفي عليّ وبعض أهل بيته القدرة التفويضية على تدبير كل شيء وخلقها، بل منهم من زعم أن الله لم يخلق شيئاً أصلاً بل فوّض ذلك إليهم.

**نصوص العلماء في إثبات ملل تقول بأن الله فوّض تدبير الكون**

**لبعض خلقه**

وإليك طائفة من النصوص في ذلك:

(١) قال الإمام أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) وهو يسرد صنفا من فرق الرافضة «الغالية يزعمون ان الله عز وجل وَكَلَّ الأمور وفوّضها إلى محمد، وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها

ودبرها، وأن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئاً ويقول ذلك كثير منهم في علي<sup>(١)</sup>. اهـ

(٢) وقال أيضاً: وقال قوم من الغالية إن الله سبحانه قد أقدر علي بن ابي طالب رضوان الله عليه على فعل الاجسام وفوض إليه الأمور والتدبيرات<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٣) وقال أبو منصور البغدادي (٤٢٩ هـ): وأما المفوضة من الرافضة فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً ثم فوض إليه تدبير العالم وتديره<sup>(٣)</sup> فهو الذي خلق العالم دون الله تعالى ثم فوض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب فهو المدير الثالث<sup>(٤)</sup>. اهـ

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص: ١٦)

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ٥٦٤)

(٣) كذا في المطبوع، ويبدو أنه خطأ مطبعي، والصواب «خلق العالم وتديره» كما في الخطط للمقرئزي كما سيأتي، وهكذا نقله عبد الله الجنيدي في حاشيته على «رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب» (ص: ٨٩) فقال: «ثم فوض إليه خلق العالم وتديره.. انظر: في ذلك الفرق بين الفرق ص ٢٥١، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين ص ٧٥».

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٣٨)

٤) وقال أبو المظفر الإسفراييني (ت ٤٧١ هـ): واعلم أن من هؤلاء الغرابية قوم يقال لهم المفوضة كانوا يقولون إن الله تعالى خلق محمداً وفوض إليه تدبير العالم فكان هو الخالق للعالم ثم إنه فوض بعده إلى علي تدبير العالم<sup>(١)</sup>. اهـ

٥) وقال الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) وهو يتحدث عن شرك الصابئة في أفعال الله: أما الشرك في الأفعال فهو إثبات تأثيرات الهياكل والأفلاك. فإن عندهم الإبداع الخاص بالرب تعالى هو اختراع الروحانيات، ثم تفويض أمور العالم العلوي إليها. والفعل الخاص بالروحانيات هو تحريك الهياكل، ثم تفويض أمور العالم السفلي إليها، كمن يبني معملة<sup>(٢)</sup>، وينصب أركاناً للعمل من الفاعل، والمادة، والآلة، والصورة، ويفوض العمل إلى التلامذة<sup>(٣)</sup>.

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة (ص: ١٢٨)، وانظر

أيضاً: حاشية «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» (٢/ ١٦١٩)

(٢) كذا في المطبوع من الملل والنحل (٢/ ٩٢)، ط/ الحلبي. والمقصود بالمعملة مكان العمل ويسمى حالياً بالمعمل.

(٣) الملل والنحل (٢/ ٩٢)، وانظر: آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي

اليمني (٢/ ٤٥٥)

- (٦) وقال القرطبي (ت ٦٧١هـ): «وكذا الخاطبية<sup>(١)</sup> من المعتزلة من أصحاب أحمد بن خابط، زعموا أن للعالم صانعين: الإله القديم، والآخر محدث، خلقه الله عز وجل أولاً، ثم فوّض إليه تدبير العالم، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة»<sup>(٢)</sup>.
- (٧) قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء أو بمعنى أن الله فوّض تدبير أمر هذا العالم إليها قال: وهذا القول هو المنسوب إلى الكشرايين<sup>(٣)</sup> الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادا عليهم ومبطلا لقولهم»<sup>(٤)</sup>.

- (١) قال الشهرستاني في الملل والنحل (١ / ٦٠): الخاطبية: أصحاب أحمد بن خابط ١، وكذلك الحديثية أصحاب الفضل الحديثي ٢، كانا من أصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة أيضا، وضا إلى مذهب النظام ثلاث بدع.. اهـ ثم ذكرها.
- (٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط / الرسالة (٨ / ٤٨٠)
- (٣) كذا وقع في المطبوع من تفسير ابن كثير ت سلامة (١ / ٢٨٧) «الكشرايين» بالراء، ووقع في تفسير ابن كثير ط العلمية (١ / ١٨٤): «الكلدانيين». وكتب المحقق هناك حاشية قال فيها: في الأصل «الكشرايين». والتصحيح عن الرازي. اهـ وانظر: «مفاتيح الغيب» (٣ / ٥٣٦) حيث قال الرازي: «وهذا المذهب هو القول المنسوب إلى الكلدانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادا عليهم ومبطلا لقولهم»
- (٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٤٣٤)، ثم قال ابن كثير: «وأظهر الأقوال - والله أعلم - قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا

٨) وقال التفتازاني (ت ٧٩٣ هـ): .. ما ذكره الفلاسفة في ترتيب الوجود وكيفية صدور النفوس والأجسام عن العقول، وقد سبق أن أول ما يصدر عن الواجب يجب أن يكون عقلا .. وهكذا من العقل الثاني عقل ونفس وفلك إلى آخر ما ثبت بالبرهان من وجود الأفلاك، ثم تفويض تدبير عالم العناصر إلى العقل الأخير بمعونة الأوضاع والحركات. اهـ

٩) قال الدواني (ت ٩١٨ هـ): والمفوضيّة ترى أن الله تعالى فوض تدبير الخلائق إلى الأئمة وأنه أقدر محمدا وعلياً على خلق العالم، وأن الله تعالى لم يخلق شيئا<sup>(١)</sup>.

١٠) وقال المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ) «وقالت المفوضة من الإمامية: إن الله تعالى خلق محمداً صلى الله عليه وسلم، وفوض إليه خلق العالم وتدبيره. وقال بعضهم بل فوض ذلك إلى عليّ بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>»

النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه». وانظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٢٧٩).

(١) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة (ص: ٣٨٧)، جلال الدين الدواني (ت: ٩١٨ هـ) تحقيق: د. عبد الله منيب، مكتبة الإمام البخاري، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (٤ / ١٨٠)

فهذه عشرة كاملة في أن بعض الفرق المنتسبة للإسلام، فضلا عن غيرها من الملل والنحل والفلاسفة، ادعى أصحابها فيمن يعظمونهم من البشر أو الكواكب أو العقول: القدرة التفويضية على خلق كل شيء في الكون فضلا عن تدبيره، وبالتالي فلم لا يعتقد ذلك المشركون في أصنامهم ما داموا يرمزون بها إلى أنبياء وصالحين كما تزعم؟!

**الدعوى الثانية: أن المشركين يعتقدون بأن أصنامهم تضر وتنفع بإذن الله وتفويض منه.**

قول الأفغاني «ولكن هذا كله بإذن الله تعالى» هو من تأليفه، تبرّع به للمشركين ليتم له غرضه بتكفير المسلمين، تماما كما أن كلمة «وحده» في قوله «اعترفهم بأن الله هو الخالق المالك الرازق وحده المدبر لهذا الكون» هي من عنده، تبرع بها للمشركين للشهادة لهم بتوحيد الربوبية لتتم له نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد، وقد سبق

أن تكلمنا في كتابنا «ولئن سألتهم» عن زيادتهم كلمة «وحده» للمشركين<sup>(١)</sup>، وبيننا أن هذه الزيادة تنسفه ست آيات من القرآن<sup>(٢)</sup>.

**كلمة «ياذن الله» كلمة إسلامية لم تكن معروفة في الجاهلية حتى**

**تنسبها إليها**

وهنا نتكلم عن زيادتهم لكلمة «ياذن الله تعالى» ونسبتها للمشركين، فنسأل هنا: أين الدليل على أن المشركين كانوا يعتقدون أن آهتهم تضرّ وتنفع ياذن الله؟ فهل آية هود التي معنا قالوا فيها مثلاً: إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء ياذن الله؟ أم هي: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آهْتِنَا بِسُوءٍ﴾؟!

(١) انظر: ولئن سألتهم ص ٢٣٨، تحت عنوان (لولا تبرع ابن تيمية بكلمة «وحده» لما كانت نظريته في تقسيم التوحيد من أصلها)

(٢) منها قوله تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَتْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، بل كانوا يشتمنون من مجرد ذكره تعالى إذا قرنت به كلمة وحده كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] انظر: كتابنا «ولئن سألتهم» ص ٢٥٥، ط ١ / دار المنهل. وكتابنا: تنوير الرب الإله، ص ١٦٥، ط ١ / دار الأصلين.

وهل كان أهل الجاهلية يستخدمون عبارة «إن شاء الله» أو عبارة «ياذن الله» اللهم إلا على سبيل الاستهزاء كما سنرى؟! كيف؟ والله علمها لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] فهذا «تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه ألا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله»<sup>(١)</sup>.

«وهذا أمر له ولجميع الأمة»<sup>(٢)</sup>، فهو «إرشاد من الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب .. كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة .. تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له .. قل: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله

(١) جامع البيان ط هجر (١٥ / ٢٢٣)

(٢) تفسير السمعي (٥ / ٢٠٨)

لم يحنث وكان دركا لحاجته<sup>(١)</sup>. وفي رواية «وايم الذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون»<sup>(٢)</sup>.

نعم قال دمشقية: «والمشركون يؤمنون بمشيئة الله الشاملة وإذنه ولهذا قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾»<sup>(٣)</sup>. بيد أن هذه الآية ونحوها حملها كثير من المفسرين على أنها استهزاء من المشركين كما سنرى<sup>(٤)</sup>، لن نجهد أنفسنا مع الأفغاني الزاعم بأن المشركين «كانوا يعتقدون في آهتهم أن لهم بعضاً من القدرة على النفع والضرر ولكن هذا كله بإذن الله تعالى.. ولم يعتقدوا قط في آهتهم أنهم ينفعون أو يضررون أو يدبرون بالاستقلال من دون إذن من الله»<sup>(٥)</sup>. ولا نتعب أنفسنا مع أمثاله لنثبت لهم من بنات أفكارنا أن أهل الجاهلية ينسبون كثيرا من الحوادث لغير الله، وأنها ليست من تقديره تعالى ولا من فعله ولا بإذنه تعالى، بل هي من فعل غيره، وإنما نسوق نصوصا للسلفية أنفسهم على ذلك.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩/ ١٢٢)

(٢) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٦/ ٢٤٤٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٢٧٦)

(٣) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ٥٣)

(٤) كما قال القرطبي في تفسيره ط الرسالة (٩/ ١٠٣)، وسيأتي بسطه في المجلد الرابع

(٥) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٨٠)

## نصوص السلفية على أن المشركين يعتقدون بحدوث بعض الممكنات من غير إذن الله وتقديره

(١) قال ابن تيمية: والمقصود أن كثيرا من أهل الشرك والضلال قد يضيف وجود بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث إلى غير الله، وكل من قال هذا لزمه حدوث الحادث بلا سبب، وهم مع شركهم وما يلزمهم من نوع تعطيل في الربوبية لا يثبتون مع الله شريكا مساويا له في أفعاله ولا في صفاته<sup>(١)</sup>. اهـ

فتأمل كيف أقرّ بأن كثيرا من المشركين يضيفون وجود بعض الحوادث إلى غير الله! وهذا بلا شك قدح في توحيد الربوبية.

(٢) وقال ابن تيمية أيضا: فإنه سبحانه أخبر عن المشركين كما تقدم بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون إذن الله<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٣) وقال ابن القيم: وقوله «لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا» فإنه سبحانه نفى الشفاعة الشركية التي كانوا يعتقدونها وأمثالهم من المشركين، وهي شفاعة الوسائط لهم عند الله في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم بذواتها وأنفسها

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩ / ٣٤٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ١٠٥)

بدون توقف ذلك على إذن الله ومرضاته لمن شاء أن يشفع فيه الشافع<sup>(١)</sup>. اهـ

(٤) وقال الحفيد في فتح المجيد: «قوله: «لا عدوى» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وإن هذه الأمور تعدي بطبيعتها. وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببا لحدوث ذلك، ولهذا قال: «فرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد». وقال: «لا يورد ممرض على مصح .. وكل ذلك بتقدير الله تعالى»<sup>(٢)</sup>. اهـ

لاحظ كيف نصّ على أن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن عدوى الأمراض تحدث بغير إذن الله! وأن الاعتقاد الإسلامي الصحيح هو أنها تحدث بإذن الله تعالى.

(٥) وهذا الألباني يقول نحوه في حديث «لا عدوى» من أن «الحديث يوضح أن العقيدة الجاهلية قبل النبوة والرسالة .. هم يتوهمون أن العدوى تنتقل بطبيعة الحال.. إذا العدوى موجودة لكن بإذن الله تبارك وتعالى، وحينئذ إذا كان معنى الحديث لا عدوى إلا بمشيئة الله عز وجل، .. لا يعني إبطال

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ٢٦٩)، لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت. وانظر: مفتاح دار السعادة ط عالم الفوائد (٣/ ١٥٩٢).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٠٧).

العدوى كلها، وإنما يعني إبطال العدوى القائمة في أذهان  
الجاهلية الأولى .. وهي أنها تعدي بنفسها..<sup>(١)</sup>. اهـ

فتأمل كلام الألباني فهو أيضا يصرّح في أن أهل  
الجاهلية كانوا يعتقدون أن العدوى بالأمراض تقع بنفسها من  
غير إذن الله! فردّ عليهم النبي وبيّن أن ذلك يقع بإذن الله  
ومشيئته.

(٦) وقال الفوزان: والرسول صلى الله عليه وسلم لا ينفي هذا،  
وإنما ينفي العدوى التي كان يعتقد أهل الجاهلية من أنّ  
المرض يتعدّى بنفسه بدون تقدير الله سبحانه وتعالى، .. هذا  
سبب، أما التأثير<sup>(٢)</sup> فهو بيد الله سبحانه وتعالى.. أما أهل  
الجاهلية فلا يفرّقون بل عندهم.. ولا ينسبون هذا إلى قضاء  
الله وقدره<sup>(٣)</sup>. اهـ وسيأتي نصه بتمامه كما سيأتي مزيد من  
نصوص السلفية في ذلك<sup>(٤)</sup>.

(٧) وقال أبو بكر زكريا: وكثير من مشركي الأمم قد يظن في آهته  
شيئا من نفع أو ضرر، بدون أن يخلق الله ذلك. فلما كان هذا

(١) انظر موسوعة الألباني في العقيدة (٣/ ١١٤٢)

(٢) كذا في المطبوع، والصواب: «التأثير» كما هو ظاهر.

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٧)

(٤) انظر (ص ٤١٥) من هذا الكتاب.

النوع من الشرك في الربوبية موجودا بين الناس - حتى في مشركي العرب»<sup>(١)</sup>.

٨) وقال عبد الرحيم السلمي: «من أنواع الخوف شرك أكبر ويمكن أن يمثل له بخوف المشركين من آلهتهم، فقد كانوا يتصورون أن هذه الآلهة لديها قدرات، كما يقع عند بعض من يشركون في الربوبية، حيث يعتقدون أن هؤلاء لهم قدرات مستقلة يؤثرون في العالم بسببها، فهذا شرك في الربوبية»<sup>(٢)</sup>.

٩) بل هذا الأفغاني نفسه يقول نقلا عن الحنفية «وإسنادهم - أي المشركين - الإهلاك إلى الدهر إنكاراً منهم لملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله عز وجل، وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً إليه لجهلهم أنها مقدرّة من عند الله، وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر». اهـ

فهل يقال بعد هذا إن أهل الجاهلية كانوا ينسبون الضر والنفع والتدبير إلى الأصنام وغيرها ولكن بإذنه تعالى، كما زعم بعض الوهابية حين قال عن المشركين «ولم يعتقدوا قط في آلهتهم أنهم

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٣٨٠.

(٢) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي (٥ / ٨، ت. ش)

ينفعون أو يضرّون أو يدبرون بالاستقلال من دون إذن من الله  
وبدون تفويض منه..»<sup>(١)</sup>!؟

**هل اعتقاد تفويض الله لبعض خلقه بالتصرف بالكون يقدرح في  
توحيد الربوبية؟**

لو سلمنا بقول الأفغاني عن المشركين بأنهم «كانوا يعتقدون في آلهتهم أن لهم بعضاً من القدرة على النفع والضرر ولكن هذا كله بإذن الله تعالى .. وأن الله قد فوّض إليهم بعض التدبير، وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة ..»، فنسأل: هل إذا اعتقد المسلم في نبي أو ولي ما أن الله فوّض إليه التصرف في الكون جزئياً أو كلياً، مع اعتقاده أن ذلك التصرف من الولي أو النبي بالكون هو في نهاية المطاف يحدث بإذن الله، هل يكون بهذا الاعتقاد موحدًا في الربوبية عندكم؟! بل هل يكون أصلاً مؤمناً بالله عندكم!؟

**نص ابن تيمية على أن الاعتقاد بالوسائط والأغواث كفر  
واضطرابه في ذلك**

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٨٠)

أم أن هذا كفر بواح كما نص عليه ابن تيمية حيث يقول: وأما سؤال السائل عن «القطب، الغوث، الفرد الجامع»؛ فهذا قد يقوله طوائف من الناس، ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام، مثل تفسير بعضهم أن «الغوث» هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتى يقول: إن مدد الملائكة وحياتان البحر بواسطته. فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح<sup>(١)</sup> يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلا قتل<sup>(٢)</sup>.

اهـ

(١) ولكن ابن تيمية أقرّ بالأغواث والأوتاد والأقطاب في موضع آخر، فقال في «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٧٩) في مسألة «التفضيل بين الملائكة والناس»: «فقد قالوا هم تجري أرزاق العباد على أيديهم وينزلون بالعلوم والوحي ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة. والجواب: أن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين.. وأين هم من الأقطاب والأوتاد والأغواث؛ والأبدال والنجباء؟»

(٢) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لابن تيمية (ص: ٦٢)، دار طيبة، الرياض، ونقله أيضا عن ابن تيمية بعض أتباعه، مثل شكري الألوسي في غاية الأمان في الرد على النبهاني (١ / ٥٣٠)، مكتبة الرشد، ط ١ / ٢٠٠١م. والأفغاني في جهود علماء الحنفية (٢ / ٩٧١).

وكذا اعتبرتم من يسندون من الصوفية إلى رسول الله التصرف في هذا الكون ويجعلونه «خليفة الله الأعظم، وإنه متصرف في الأرض والسماء»<sup>(١)</sup>، و«نائب مطلق عن الله تعالى»<sup>(٢)</sup>، وأنهم يقولون إن الله تعالى قد مكنه «من إعطاء كل ما أراد من خزائن الحق»<sup>(٣)</sup>؛ اعتبرتموهم بذلك قد جعلوا رسول الله «ربا لهذا الكون»<sup>(٤)</sup>، وبالتالي هذا شرك في الربوبية، ولذا يقول ابن باز: «وبعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير ويتصرفون في شؤون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب، لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة»<sup>(٥)</sup>!!

**تناقض السلفية في عقيدة تفويض تدبير الكون لبعض خلقه،**

**فتارة هي كفر وتارة هي توحيد!**

(١) جهود علماء الحنفية (٢ / ٧٠٦) و(٢ / ٧٠٣)

(٢) جهود علماء الحنفية (٢ / ٧٠٧)

(٣) جهود علماء الحنفية (٢ / ٧٠٦)

(٤) جهود علماء الحنفية (٢ / ٧٠٣)

(٥) العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام (ص: ٢٥)

ولنا أن نتساءل الآن: لماذا اعتبرتم عقيدة تفويض تدبير الكون للرسول أو لولي من الأولياء إذا اعتقدها مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ اعتبرتموها كفرا يستوجب القتل إن لم يتب منها كما سبق من كلام ابن تيمية، وأن هذا الاعتقاد من قبيل اتخاذ الرسول أو الولي ربا للكون، بل جعلتم هذا من أقبح الشرك في توحيد الربوبية كما سبق من كلام ابن باز، ولكن في الوقت نفسه اعتبرتم عقيدة التفويض هذه التي يعتقدونها مشركو قريش في أصنامهم التي هم أصلا يتخذونها أربابا وآلهة من دون الله؛ اعتبرتموها دليلا على أنهم موحدون في الربوبية؟! ولا يستحقون القتل، بل قلتم - كما سيأتي ذلك<sup>(١)</sup> -: إنما سفك النبي دماءهم لكونهم غير موحدين في الألوهية حيث اتخذوا الأصنام شفعاء عند الله كما سيأتي!

فآل الأمر عندكم إلى أن عقيدة تفويض تدبير الكون إلى غيره تعالى إذا صدرت من مسلم كانت كفرا لأنها شرك في توحيد الربوبية، وإذا صدرت من المشركين فهي دليل على أنهم موحدون في الربوبية..! وهذا غاية التناقض والتهافت كما ترى.

### تناقض الوهابية في الحكم على خصومهم بتوحيد الربوبية

(١) انظر (ص ٥٨٢) من هذا الكتاب، وتنوير الرب الإله (ص ٤٨٧).

ثم ما هذا التناقض العجيب؟! تأمل هنا كيف يزعم الأفغاني حيث يقول: «لقد غالت القبورية في اعتقاد التصرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم تصرفاً مطلقاً في الكون بحيث جعلوه ربا لهذا الكون ومالكة يتصرف فيه ما يشاء كل ذلك تمهيدا للاستعانة منه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

وشيخه ابن عبد الوهاب نفسه يكذب هذا فيقول: «فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه منها قولهم: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً - عليه السلام - لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله. فجأوبه بما تقدم وهو: إن الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقرّون بما ذكرت، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة»<sup>(٢)</sup>.

و«هذا اعتراف أن الرسول لا يملك لأحدٍ نفعا ولا ضرا، وغيرهم من باب أولى»<sup>(٣)</sup>. «فإن قال - أي الخصم -: الكفار يريدون

(١) جهود علماء الحنفية (٢/ ٧٠٣)

(٢) كشف الشبهات (ص: ٢٣)

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات في التوحيد (ص: ٢)

منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه،  
والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله  
شفاعتهم. فالجواب: إن هذا قول الكفار سواء بسواء<sup>(١)</sup>. اهـ

قال وليد وفقه الله: وهذا صريح كما ترى بأن خصوم ابن عبد  
الوهاب هم مسلمون يعتقدون بأن الأنبياء والصالحين لا يملكون  
لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وأنهم يعتقدون أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله  
وحده لا شريك له، وإنما القضية هي التشفع بالجاه فحسب، وهذا  
بشهادة ابن عبد الوهاب نفسه، وهذا عكس ما زعمه الأفغاني - وهو  
أحد أتباع ابن عبد الوهاب - من أن خصومه يدعون في رسول الله أنه  
ربٌّ وأن له التصرف المطلق في الكون!!

بل إن الأفغاني يقول في الموضوع السابق نفسه، أي حين قال عن  
المشركين بأنهم: «كانوا يعتقدون في آلهتهم أن لهم بعضاً من القدرة على  
النفع والضرر ولكن هذا كله بإذن الله تعالى»، يقول بعد ذلك: كما أنهم  
لم يعتقدوا فيهم أيضاً أنهم شركاء مع الله في خلق هذا الكون وتديره  
والتصرف فيه حيث يشاؤون. ومثل هذا الشرك موجود في القبورية بل  
شركهم أشنع وأبشع من شرك مشركي العرب.. فالقبورية مشركون

(١) كشف الشبهات لابن عبد الوهاب (ص: ٢٥)

في توحيد الربوبية فضلا عن توحيد الألوهية<sup>(١)</sup>. اهـ وهذا مأخوذ من كلام ابن باز السابق.

ويقول الأفغاني في موضع آخر نقلا عن خصومه «القبورية» كما يسميهم: إن تصرف الأولياء في الكون، وشفاءهم للأمراض، وكونهم يدمرون الأعداء، وينصرون الأولياء، ويغيثون المستغيثين - إنما نقصد بذلك كله المجاز العقلي! فالتصرف في الكون هو الله في الحقيقة، والشافي للأمراض هو الله في الحقيقة، والناصر والمغيث هو الله في الحقيقة، وهو النافع الضار في الحقيقة، وهو الفاعل في الحقيقة، ولكن نسبة ذلك كله إلى الولي نسبة المجاز العقلي، لا على وجه الحقيقة كقولهم: بنى الأمير المدينة<sup>(٢)</sup>.

فتأمل كيف نقل الأفغاني عن خصومه قولهم: «والناصر والمغيث هو الله في الحقيقة.. ولكن نسبة ذلك كله إلى الولي نسبة المجاز العقلي ..»، فإذا كان الأمر كذلك فكيف جعل الأفغاني خصومه «القبورية» مشركين في الربوبية بحجة أنهم جعلوا رسول الله «ربا لهذا الكون»<sup>(٣)</sup>، وأنهم كذلك فعلوا بالجلائي، فقد «جعلوه إلهًا يعبدونه

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١ / ٢٨٠)

(٢) جهود علماء الحنفية (٢ / ١٠٢٢)

(٣) جهود علماء الحنفية (٢ / ٧٠٣)

وجعلوا قبره وثنا يعبدونه من دون الله؛ بل جعلوه ربا لهذا الكون متصرفا فيه تصرفا مطلقا<sup>(١)</sup>! وكذا فعلوا بالرفاعي بل زادوا فجعلوه» يعطي ويمنع يرى ويسمع ويعلم المغيبات، ويفرج الكربات<sup>(٢)</sup>!! وكذا قالوا عن شاه نقشبند<sup>(٣)</sup>! فقد جعلوا هؤلاء الأشخاص أربابا مدبرين للكون! وبذلك صاروا مشركين في الربوبية؛ لأنهم اعتقدوا أن الله فوّض تدبير الكون للنبي أو للولي!

كذا ينظر بعض أدياء السلفية - كالأفغاني - للصوفية من أنهم مشركون في الربوبية بحجة أنهم اعتقدوا أن الله فوّض تدبير الكون لهؤلاء الأولياء! مع أن الأفغاني نفسه لم ير في اعتقاد مشركي العرب تفويض الله لأصنامهم بعض القدرة والتدبير، لم يره قادحا في توحيدهم في الربوبية، بل هذا نفسه كان أحد أدلته على إقرارهم بتوحيد الربوبية! والسؤال هنا: لماذا تكون عقيدة التفويض عند العرب في الجاهلية دليلا على توحيدهم في الربوبية، وهي نفسها - أي عقيدة التفويض - دليل على شرك الصوفية في الربوبية؟!!

(١) «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢ / ٧٢٧)

(٢) «جهود علماء الحنفية ...» (٢ / ٧٣٣)

(٣) «جهود علماء الحنفية ..» (٢ / ٧٥٣)

## تفويض تدبير الكون واضطراب الوهابية في الحكم على معتقد

ذلك

والحاصل أن هذا الذي قاله الأفغاني وهو أن عقيدة تفويض تدبير الكون لنبي أو ولي إذا اعتقدها المسلم الذي يقول لا إله إلا الله: فقد كفر! بحجة أنه اتخذ ذلك النبي أو الولي ربا من دون الله، وأما إن اعتقدها المشرك - الذي يتخذ اللات والعزى آلهة وأربابا من دون الله - فلا تقدرح في توحيدته في الربوبية!! بل هي نفسها - أي عقيدة التفويض - دليل على أن ذلك المشرك موحد في الربوبية!! هذا من أعجب العجب كما ترى!

وكان المفروض أن يكون العكس هو الصحيح لأن من ساهم «القبورية» هو نفسه نقل عنهم أنهم لم ينسبوا التأثير والخلق لغير الله إلا على سبيل المجاز، بخلاف مشركي العرب الذين كانوا يعتقدون بأن لأصنامهم بعض التدبير والقدرة بإذن الله كما زعم الأفغاني، وبغير إذن الله كما رأينا من نصوص ابن تيمية نفسه فضلا عن أتباعه<sup>(١)</sup>.

فإن قلت: إن المشركين كانوا يعتقدون في أصنامهم التفويض الجزئي لا الكلي بخلاف الصوفية و«القبورية»، فهم يعتقدون

(١) انظر (ص ٢٩٢) من هذا الكتاب.

التفويض الكلي، أي أن الله فوض للأنبياء والأولياء تدبير الكون برمته.

فالجواب: أولاً: إن ابن عبد الوهاب نفسه نقل عن خصومه المسلمين أنهم لا يعتقدون في أحد تدبير الكون سوى الله كما سبق آنفاً<sup>(١)</sup>، إذن فهم لا يعتقدون بتفويض جزئي فضلاً عن أن يكون كلياً. ثانياً: إنه لا فرق بين الكلي والجزئي ما دام الكل بأمره تعالى، وأنه هو الفاعل حقيقة، وغيره يفعل مجازاً، فإن كان اعتقاد التفويض كفراً وشركاً واتخاذاً لغير الله أرباباً، فيجب أن تكون كذلك سواء كان تفويضاً كلياً أو جزئياً، وإلا فما الفرق بينهما ما دام كلاهما مقترن بعقيدة أن الله هو الخالق وحده وهو الفاعل على الحقيقة، وما سواه فاعل مجازاً؟! ويجب أيضاً أن يكون اعتقاد التفويض كفراً وشركاً سواء اعتقده مسلم أو مشرك.

وإن كان التفويض لا يقدر في توحيد الربوبية فيجب أن يكون كذلك سواء كان تفويضاً كلياً أو جزئياً، وسواء اعتقده مسلم أو مشرك. وأما أن تقولوا: عقيدة التفويض شركٌ من المسلم، وتوحيد من المشرك الأصلي، فهذا تناقض سمح!

(١) انظر (ص ٣٠٠) من هذا الكتاب.

## دعوى أن المشركين كانوا يعتقدون أن آلهتهم تضر وتنفع عن

### طريق الشفاعة

الوجه الرابع: قالوا: نعم، إن المشركين كانوا يعتقدون أن آلهتهم تضر وتنفع كما دلت على ذلك آية هود، ولكن عن طريق الشفاعة، وبيان ذلك فيما يلي من نصوص أدعياء السلفية:

(١) قال المعلمي اليماني: «إن نقول إلا اعتراف بعض آهتنا بسوء» وهذا يدل أنهم كانوا يعتقدون في آلهتهم نوعاً من القدرة على النفع والضرر، وكأنه على معنى أنهم - أي: الآلهة - يسألون الله تعالى أن ينفع أو يضر<sup>(١)</sup>. اهـ

(٢) ويقول د. الهذيل: «.. كانوا يرجون في آلهتهم النفع ويخافون منها الضر عن طريق الشفاعة والتوسط، وإلا لما عبدوها والتجؤوا إليها فخوفوا هودا عليه الصلاة والسلام بما يخشونه هم من آلهتهم التي يظنونها وسائط تقربهم إلى ربهم»<sup>(٢)</sup>. ولذلك هم «ما صرفوا لها أنواع العبادة إلا لاعتقادهم أنها باب عظيم، لحصول ما يرجون من نصرة أو رزق أو نحو ذلك، ودفع ما يحدرون من عذاب وعقاب وفقر ومرض ونحوه، وذلك بأن

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٣/ ٦٨٥)

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٣٠٩

جعلوها وسيلة تشفع لهم عند الله تعالى في حصول مطلوبهم  
ودفع مكروههم»<sup>(١)</sup>.

(٣) وقال عبد الرزاق عفيفي: (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ..) فإننا نسبوه إلى آلهتهم لزعمهم أنها وثيقة الصلة بالله، وأنا تملك الشفاعة عنده سبحانه لمن عبدها وتقرب إليها  
بالقرايين، فهي في زعمهم تملك لهم جلب النفع ودفع الضرر،  
لكن عن طريق الشفاعة لهم عند الله»<sup>(٢)</sup>.

**الجواب عن تأويل أدعاء السلفية لآية هود وبيان اضطرابهم في**

**ذلك:**

أولاً: هذا تأويل للآية وحمل لها على المجاز وصرف لها عن ظاهرها وتقدير محذوف، ليكون المراد: «إن نقول إلا اعتراك الله بسوء بدعاء آلهتنا وبتوسطها وشفاعتها عند الله لتؤذيك!» ومعلوم أن التأويل والمجاز من الطواغيت عندكم كما بيناه<sup>(٣)</sup>، فما بالكم لجأتُم إليه هنا؟!!

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٦، ٢٩٧

(٢) الحكمة من ارسال الرسل (ص: ٣٠)، عبد الرزاق عفيفي (ت: ١٤١٥ هـ).

(٣) انظر (ص ٤٩٦) من هذا الكتاب.

ثانيا: هذا يخالف قول المفسرين من السلف فضلا عن الخلف للآية وقد سبقت، فلم يقل أحد منهم هذا التأويل أو التفسير الذي ذكرتموه للآية، ومعلوم أن فهم السلف حجة عندكم إذ «من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا وان كان مجتهدا مغفورا له خطؤه»<sup>(١)</sup>، فما بالكم أعرضتم عن تفاسير الصحابة والتابعين هنا؟!!

ثالثا: هذا مخالف أيضا لكلام ابن تيمية وابن القيم في الآية كما سبق، بل كثير من السلفية أقرّوا بأن الآية تدل على اعتقاد المشركين الضر والنفع في آلهتهم، فمثلا يقول السعدي: أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت تهذي بما لا تعقل<sup>(٢)</sup>.

**إقرار السلفية بأن آية هود دلت على خوف المشركين من**

**أصنامهم**

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ٣٦١)

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٣٨٤)

كثير من أتباع ابن عبد الوهاب وأحفاده<sup>(١)</sup> استشهدوا بأية هود وحملوها على ظاهرها، وذلك حينما تكلموا عن عبادة الخوف، وأنها لا تكون إلا لله، وإلا تكون شركا أكبر، وهو ما يسمى بـ«خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو ولي من الأولياء بعيداً عنه أن يصيب بمكروه»، وهذا الخوف هو الواقع بين عباد القبور والمتعلقين بالأولياء، قال تعالى عن قوم هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فهم يتصورون أن الآلهة يخاف منها لأنها قد تعتري الإنسان بسوء، ومعنى هذا في نظرهم أنها إذا كانت تنفع فإنه يتصور أنها تضر فهذا يطلق عليه خوف السر<sup>(٢)</sup>.

وهذا «الخوف السري الاعتقادي، وسمي اعتقاديا لأن محله القلب وهو: الخوف من غير الله أن يؤثر فيه، أو يصيبه لما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل؛ من مرض، أو منع رزق، أو إصابة بفقر، أو نحو ذلك

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص: ٤١٧)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٤٤)، والتوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص: ٢٨٨)، خلدون بن محمود الحقوي، والحسام الماحق لكل مشرك ومنافق (ص: ١٦) تقي الدين الهلالي (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، دار الفتح، ط١ / ١٩٩٤م.

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٧٦)، عبد الله بن صالح الفوزان،

بقدرته ومشيئته.. وهذا الخوف هو الخوف الشركي؛ فمن وقع فيه وقع في الشرك الأكبر<sup>(١)</sup>.

**رابعا: شفاعة المشركين التي كانوا يرجونها من أصنامهم تحصل عندهم بغير إذن الله**

على التسليم بأن الآية محمولة على الشفاعة، فإن الشفاعة التي يعتقدونها المشركون في أصنامهم هي الشفاعة الشركية، وهي أنها تشفع بغير إذن الله كما قرر ذلك ابن تيمية وتلميذه ابن القيم حيث يقول الأخير: وقوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا فإنه سبحانه نفى الشفاعة الشركية التي كانوا يعتقدونها وأمثالهم من المشركين وهي شفاعة الوسائط لهم عند الله في جلب ما ينفعهم ودفع

(١) المفيد في مهيات التوحيد لعبد القادر عطا (ص: ١٢٥). وانظر أيضا: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/ ١٨٥): المبحث الأول: الخوف من المقدس خوف السر الذي لا يجوز لغير الله تعالى ١٨٥، وفي مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٦٤٨): والخوف أقسام: الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر. وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركا أكبر، وذلك مثل: من يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم، كما يفعله بعض عباد القبور: يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله.

ما يضرهم بذواتها وأنفسها بدون توقف ذلك على إذن الله وممرضاته لمن شاء أن يشفع فيه الشافع<sup>(١)</sup>. اهـ وقد بسطنا ذلك في موضعه<sup>(٢)</sup>.

### خامسا: أنهم أرادوا الشفاعة والنصر معا

فقد نصّ كثير من السلفية على أن المشركين أرادوا من أصنامهم النصر والشفاعة واعتقدوا الضر والنفع فيها، وإليك طائفة من نصوصهم في ذلك:

(١) وقال الحفيد في فتح المجيد: وجعل الند لله: هو صرف أنواع العبادة، أو شيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم<sup>(٣)</sup>. اهـ فتأمل كيف نصّ نصا على أن عبدة الأوثان يعتقدون في أوثانهم أنها تضرهم وتنفعهم وتدفع عنهم وتشفع لهم، إذن هم لم يعتقدوا فيها الشفاعة فقط، بل اعتقدوا فيها أيضا الضر والنفع والدفع للبلايا.

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ٢٦٩)، لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) انظر (ص ٤٧٤) من هذا الكتاب.

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٠)

- (٢) وقال محمد لوح: «وحتى الذين كانوا ينسبون الفعل إلى الله منهم كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام وما يسكنها من روحانيات لها تأثير في تحقيق ما يريدون، وهذا ما عبروا عنه بقولهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»<sup>(١)</sup>
- (٣) وقال الملكاوي: «كانوا يرجون شفاعتها كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾»<sup>(٢)</sup>. اهـ.
- (٤) وقال دمشقية: «ولكن زين الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلاً كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام»<sup>(٣)</sup>.
- وسياتي المزيد من هذه النصوص بحول الله<sup>(٤)</sup>، ولكن نختم بقول يناسب المقام لابن كثير حيث قال: فقد أنكر الله «على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/ ١٦٨)

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٨١)

(٣) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ١٢٢٤)

(٤) انظر (ص ٦٩٣) من هذا الكتاب.

(٥) تفسير ابن كثير (٦ / ٥٩٣)

وبذلك نكون انتهينا من تقرير الدلالة من آية هود «إن  
نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء» على أنهم كانوا  
يعتقدون في أصنامهم الضر والنفع، ودفعنا شبهات أدعياء  
السلفية حول الاستدلال بها، ونتقل الآن إلى الآية الثانية.  
وبالله التوفيق

المطلب الثاني: آية الزمر «ويخوفونك بالذين من دونه»

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]، فدللت هذه الآية على أن المشركين كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تضره آهتهم، أخرج الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد «ويخوفونك بالذين من دونه» قال: الأوثان<sup>(١)</sup>. وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال: قال لي رجل: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لتكفن عن شتم آهتنا أو لنامرنها فلتخبلنك، فنزلت: ويخوفونك ..<sup>(٢)</sup>. «وذلك أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الأوثان. وقالوا: لتكفن عن شتم آهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون»<sup>(٣)</sup>. اهـ

قال الرازي: روي أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: إننا نخاف أن تخبلك آهتنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٤)</sup> رداً عليهم «فإنهم قالوا له إننا نخاف أن تخبلك آهتنا بعبك إياها. وقيل<sup>(٥)</sup>: إنه بعث

(١) الدر المنثور - (٧ / ٢٢٩)

(٢) الدر المنثور - (٧ / ٢٢٩)، وهذا الأثر للاستثناس فحسب.

(٣) تفسير البغوي (٧ / ١٢٠)

(٤) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٨٣)

(٥) وهذا القول نسبة القرطبي إلى قتادة. فقال في الجامع لأحكام القرآن ط/ الرسالة

(١٨ / ٢٨٠): وقال قتادة: مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها بالفأس، فقال له

خالدًا ليكسر العزى فقال له سادنها أحذر كها فإن لها شدة، فعمد إليها خالد فهشم أنفها»<sup>(١)</sup> «وتخويفهم لخالد تخويف للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه الذي وجه خالدًا. ويدخل في الآية تخويفهم النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة جمعهم وقوتهم»<sup>(٢)</sup>.

ولكن «يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم. والكفاية من شر الأصنام، فإنهم كانوا يخوفون المؤمنين بالأصنام، حتى قال إبراهيم عليه السلام: «وكيف أخاف ما أشركتم..»، «ويخوفونك بالذين من دونه» وذلك أنهم خوَّفوا النبي صلى الله عليه وسلم مضرة الأوثان، فقالوا: أتسب آلهتنا؟ لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلنك أو تصيبنك بسوء»<sup>(٣)</sup>. ولكن الله «سبحانه يدفع الآفات ويزيل البليات ويوصل إليه كل المرادات، فلماذا قال: أليس الله بكاف عبده»<sup>(٤)</sup>.

سادنها: أحذر كها يا خالد... اهـ ولم أجده مسندا عن قتادة، ولكن وجدت أن أقدم من ذكره هو الزجاج حيث جاء في «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٤/ ٣٥٥): «ويروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها، فلما جاء خالد قال له سادنها: أحذر كها يا خالد... «والله أعلم».

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٣ / ٥)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٢٨٠)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٢٨٠)

(٤) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٨٣)

ولاسيما أن «من المعلوم بديهية أنه لا اختيار لهم فضلاً عن العقل ، قال تهكماً بهم بالتعبير بما يعبر به عن الذكور العقلاء لكونهم ينزلونهم بالعبادة وغيرها منزلة العقلاء مع اعترافهم بأنهم لا عقل لهم، فصاروا بذلك ضحكة وشهرة بين الناس .. وبين حقارتهم بقوله: ( من دونه ) وهم معبوداتهم ضلالاً عن المحجة فيقولون : إنا نخشى عليك أن يخبلك آهتنا كما قالت عاد لهود عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

وأجاب بعض السلفية عن هذه الآية بأن «الله تعالى ذكر بعدها ما يعتقد المشركون من إفراد الله تعالى بخلق السموات والأرض ..»<sup>(٢)</sup> ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]. قلنا: وأين في هذه الآية ما زعمته من اعتقاد المشركين بإفراد الله بخلق السموات والأرض، من أين استنبطت منها الإفراد والتوحيد حتى تنسبه للمشركين؟! هذا وقد أفضنا في الرد على استدلالهم بآية الزمر هذه وأمثالها في كتابنا «ولئن سألتهم».

هذا وقد أقر بعض السلفية بدلالة الآية على ما نحن فيه فقال: وفيها «بيان أن المشركين كانوا يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم بما

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦ / ٤٤٩)

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٣٠٩

يعبدون من دون الله من الأوثان والآلهة الباطلة أن تصيبيه بأذى لأنه أعلن البراءة منها وعاب عبادتهم إياها . . . وجعلوا أنه صلى الله عليه وسلم قد أوى إلى ركن شديد، وعلم بأنها لا تقدر على شيء من تلك المزاعم التي اختلقوها وهي زعمهم بأن آلهتهم ستصيبيه بأذى، أو تحبّله إلى غير ذلك من المزاعم التي نسبوها إليها، ولكنه صلى الله عليه وسلم تصدى لها وبين بطلان عبادتهم لها . . . ويبيّن لهم أن الذي يملك النفع ويدفع الضر إنما هو الله - وحده -<sup>(١)</sup>.

فتأمل هذا الاعتراف من أحد السلفية كيف أقرّ بأن الآية دلت على اعتقاد المشركين بالضر والنفع في أصنامهم حين قال: «إن المشركين كانوا يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم بما يعبدون من دون الله من الأوثان والآلهة الباطلة أن تصيبيه بأذى» وقوله: «تلك المزاعم التي اختلقوها وهي زعمهم بأن آلهتهم ستصيبيه بأذى، أو تحبّله» وهذا فيه رد كافٍ على بعض أدعياء السلفية الآخرين الذي حاولوا تأويل الآية.

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٢١٧)، ناصر بن علي الشيخ، مكتبة الرشد،

## المطلب الثاني: آية يس ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس : ٧٤] أي «واتخذ المشركون من دون الله آهة يعبدونها ليجازوهم على عبادتهم لهم بأن يكونوا لهم بتأثيراتهم الغيبية قوة غالبية، تنصرهم على أعدائهم، وقد زجرهم الله عز وجل بكلمة كلا، أي لن تكون آهتهم لهم عزا، إذ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين»<sup>(١)</sup>، فقد أنكر الله «على المشركين في اتخاذهم الأنداد آهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى»<sup>(٢)</sup>.

وقيل «لعلهم ينصرون» : أي: لعلهم يمنعون من العذاب باتخاذ الآهة.. ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾. قال ابن عباس: يريد أن الأصنام لا تقدر على نصرهم. وقال مقاتل: لا تقدر الآهة أن تمنعهم من العذاب»<sup>(٣)</sup>. أو «رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور»<sup>(٤)</sup>. أو «ليكون حالهم بزعمهم في اجتماعهم عليها والتئامهم بها حال من ينصر على من يعاديه ويعانده ويناويه، ولما كان للنصر سببان : ظاهري

(١) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص ٩٨

(٢) تفسير ابن كثير (٦ / ٥٩٣)

(٣) التفسير البسيط (١٨ / ٥٢٣)

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤ / ٢٧٣)

وهو الاجتماع، وأصلي باطني وهو الإله المجتمع عليه، بين غلطهم بتضييع الأمل .. (لا يستطيعون) أي الآلهة المتخذة (نصرهم)»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا «إشارة إلى بيان زيادة ضلالهم ونهايتها، فإنهم كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لأنعمه، فتركوها وأقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع، وتوقعوا منه النصر مع أنهم هم الناصرون لهم كما قال عنهم: حرقوه وانصروا أهلكم [الأنبياء: ٦٨] وفي الحقيقة لا هي ناصرة ولا منصور»<sup>(٢)</sup>.

ومن ثمَّ قال «قتادة: لا يستطيعون نصرهم يعني الآلهة، وهم لهم جند محضرون، والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا، إنما هي أصنام، وهكذا قال الحسن البصري، وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نرى كيف دلت آية يس ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ على أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم تنصرهم من دون

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦ / ٢٨٣)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٦ / ١٠٨)

(٣) «تفسير ابن كثير - ط العلمية» (٦ / ٥٢٨)

الله، وأتينا بما يؤكد ذلك من تفسيرات السلف والخلف، ونتقل الآن إلى الآية الثانية.

### المطلب الثالث: آية مريم ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] «أي واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها لتجازيهم على عبادتهم بأن تكون بتأثيراتها الغيبية سببا لعزهم وغلبتهم على أعدائهم»<sup>(١)</sup>، ودلت على أنه «ما علّق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة؛ ولا استنصر بغير الله إلا خذل»<sup>(٢)</sup>، ودلت هي وآية يس ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ على أن الله قد «عاقب من اتخذ معه إلها آخر، ينتصر به، ويتعزز به: بأن جعله عليه ضدا يذلّ به، ويخذل به»<sup>(٣)</sup>.

قال الواحدي: «معنى العز: الامتناع من الضيم، والعزير: المنيع من أن ينال بسوء. والمعنى: عبدوها ليمتنعوا بها من عذابي. قال أبو

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقيقة والأوهام (ص: ١٧٨)

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢٩)

(٣) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (١/ ٣٥٩) وانظر طريق المهجرتين لابن القيم

(ص: ١٠٥)

إسحاق: ﴿ليكونوا لهم عزا﴾ أي: أعوانا). وقال الفراء: (ليكونوا له شفعاء في الآخرة). وهذا معنى قول ابن عباس: (ليمنعواهم مني). وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله .. جُعلت الآلهة عزا في اللفظ لحبهم عبادتها وقوة رجائهم في العز بها، فلغلّوهم في حبها والطمع في الامتناع بها جعلت هي في اللفظ العز، وإن كانوا إنما يرجون العزّ بها في الحقيقة، كما يقال: السخاء حاتم، والشعر زهير، والشجاعة عنتره، وهو<sup>(١)</sup> لا يكونون نفس هذه الأحاديث وإنما توجد بهم<sup>(٢)</sup>. «ومعناها: الجود جود حاتم فتستغني بذكر «حاتم» إذ كان معروفا بالجود، من إعادة ذكر «الجود» ..<sup>(٣)</sup>»، «وتقول: العرب: بنو فلان يطؤون الطريق، أي أهل الطريق. قال الله تعالى وأسأل القرية<sup>(٤)</sup>».

- (١) كذا (وهو) في المطبوع من تفسير البسيط للواحدى! وكأنه تصحيف صوابه: وهم - أي حاتم وعنتره وزهير - لا يكونون .. والله أعلم
- (٢) التفسير البسيط للواحدى (١٤ / ٣١٨)
- (٣) «جامع البيان - ط دار التربية والتراث» (٣ / ٣٣٩)، «الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين» (١ / ٣٠٧)، «مفاتيح الغيب» (٥ / ٢١٤).
- (٤) «تفسير الثعلبي» (٢ / ٥٠)

فهم اتخذوها «ليتعرزوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده. «كلا» ردع وإنكار لتعرزهم بها»<sup>(١)</sup>. و«عزا» معناه أعوانا ومنعة يعني أولادا. والعز المطر الجود أيضا.. ووحد لأنه بمعنى المصدر، أي لينالوا بها العز ويمتنعون بها من عذاب الله»<sup>(٢)</sup>. ولكي يكونوا «لهم عند الله شفعاء وأنصارا، ينقذونهم من الهلاك»<sup>(٣)</sup>. و«لينقذوهم من العذاب. ولما بين أنه لا يعزّه مال ولا ولد، وكان نفع الأوثان دون ذلك بلا شك»<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الرابع: آية «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا»

قال تعالى ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. أي «إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئا.. فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، تدركوا ما تبتغون من ذلك»، فهم «لا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤ / ١٩)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٣ / ٥٠٩)

(٣) مفاتيح الغيب (٢١ / ٢٥١)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤ / ٥٥٦)

يقدرّون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق أي:  
اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله، فهو الذي عنده الرزق كله،  
فاسألوه من فضله، ووحدوه دون غيره واشكروا له<sup>(١)</sup>.

فدلت الآية بمفهومها على اتخاذهم الآلهة للرزق كما اتخذوها  
للنصر والعز على ما سبق بيانه، قال ابن تيمية: وأولئك أمروا أن  
يقولوا: حسبنا في جلب النعماء فهو سبحانه كاف عبده في إزالة الشر  
وفي إنالة الخير .. وقال الخليل: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه  
واشكروا له إليه ترجعون﴾. فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما  
عمل له كانت صفتته خاسرة، قال الله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم  
كسراب بقيعة ..﴾<sup>(٢)</sup>. اهـ

لا يقال: الآية لا تثبت أنهم يعتقدون أن أصنامهم ترزق، غاية ما  
فيها أنها تنفي الرزق عن الأصنام! لأننا نقول: لو لم يكونوا يعتقدون  
ذلك لما بيّن لهم أنها لا ترزقهم، وإلا لكان ذلك تحصيل حاصل! ولا  
سيما أنكم قررتم أن الرسل لم تأت لبيان توحيد الربوبية والرازقية لأن  
الناس كلهم حتى المشركين يعلمون ذلك بالفطرة كما سيأتي ذلك<sup>(٣)</sup>!

(١) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٢٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٨ / ١٦٥)

(٣) انظر (ص ٥٢٣) من هذا الكتاب.

بيد أن هذه الآية وغيرها تبين للمشركين أن الأصنام لا ترزق وإنما الرازق هو الله وحده، وبالتالي بطل قولكم، هذا فضلا عن أن ثمة آيات أخرى تشير إلى ما أشارت إليه آية العنكبوت هذه، ومنها وهي:

### المطلب الخامس: آية «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا»

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢، ٤٣]

أي «أهلؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللتنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا، ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة.. فقال: وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها»، «فهذه الآلهة لا تستطيع حماية أنفسها عن الآفات، وحماية النفس أولى من حماية الغير. فإذا لم تقدر على حماية نفسها فكيف تقدر على حماية غيرها»<sup>(١)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٧٤)

«والاستفهام في الآية إنكاري على سبيل التوبيخ على ما اعتقدوه»<sup>(١)</sup>. ولذا رد عليهم اعتقادهم هذا فقال: «(لا يستطيعون) يعنى الذين زعم هؤلاء الكفار أنهم ينصرونهم لا يستطيعون (نصر أنفسهم) فكيف ينصرون عابديهم. (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس: يمنعون»<sup>(٢)</sup>.

«(ولا هم منا يصحبون) استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره»<sup>(٣)</sup>. بل «(لا يستطيعون) أي الآلهة التي يزعمون أنها تنفعهم، أو هم - لأنهم لا مانع لهم من دوننا - نصر أنفسكم (من دون إرادتنا فكيف بغيرهم ..)»<sup>(٤)</sup>.

### المطلب السادس: آية «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا»

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]، أي «هذه

- (١) كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثي للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص ٣٣.
- (٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٤ / ٢٠٨)
- (٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤ / ٥٢)
- (٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥ / ٨٦)

الأوثان التي تُعبد من دون الله، لا تملك لمن يعبدها رزقا، ولا ضرا، ولا نفعا، ولا حياة، ولا نشورا»<sup>(١)</sup>. اهـ فهم «يعبدون ما لا يملك أن يرزقهم شيئا. (ولا يستطيعون) أي لا يقدرّون على شيء، يعني الأصنام. (فلا تضربوا الله الامثال) أي لا تشبّهوا به هذه الجهادات، لأنّه واحد قادر لا مثل له»<sup>(٢)</sup>. لا يملك لهم رزقا من الغيث والنبات.. لا قليلا ولا كثيرا<sup>(٣)</sup>. وهي «غاية السفول من الأصنام وغيرها ( ما لا يملك ) أي بوجه من الوجوه ( لهم رزقا ) تاركين من بيده جميع الرزق، وهو ذو العلو المطلق الذي رزقهم من الطيبات»<sup>(٤)</sup>.

### نصوص بعض العلماء أن المشركين عبدوا الأصنام لترزقهم

لقد ذكر العلماء والباحثون قديما وحديثا أن المشركين كانوا يبتغون الرزق عند الأصنام، فقد قال العز بن عبد السلام في تفسيره عند قوله تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»: (مشركون) يقولون: الله ربنا وأهلتنا ترزقنا»<sup>(٥)</sup>. اهـ.

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٤ / ٣٠٦)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط / الرسالة (١٢ / ٣٨٢)

(٣) مفاتيح الغيب (٢٠ / ٨٤)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤ / ٢٩٢)

(٥) تفسير العز بن عبد السلام (ص: ٥٢٥)

وقال السهيلي بعد أن ذكر أثر «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب..»: «وذكر الطبري هذا المعنى وزاد أن سواعا كان: ابن شيث، وأن يغوث كان: ابن سواع، وكذلك يعوق ونسر كلما هلك الأول صورت صورته، وعظمت لموضعه من الدين، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف، وقالوا: ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر، واتخذوها آلهة<sup>(١)</sup>».

### هبل كان إله الخصب والرزق والسعادة عند المشركين!!

وقد «حاول عمرو بن لحي أن يجعله إله الجزيرة الأكبر، إذ بمقارنة وظائف هذه الآلهة مع ما روي عن هبل يتضح لنا أنه كان إله الخصب، والرزق، ومن ثم إله السعادة عند العرب، وربما أيضًا كان إله الحرب.. يقول علي حسن إبراهيم: وتشير إقامة هبل على البئر الكائن في بطن الكعبة إلى أنه كان ذا علاقة بالرزق والخصب في عقيدة العرب». يقول محمد عبد المعين خان: «لا أتردد أن أقول: إن هبل كان إله الخصب والرزق ومن ثم إله السعادة وشبهه رب الأرباب في عقيدة العرب..».

(١) انظر: الروض الأنف ت الوكيل (١ / ٣٥٩)، وانظر أيضا: تاريخ الفكر الديني

وبذلك يكون هبل أو بعل رب الأرباب عند العرب وله جميع السلطات؛ وأهمها: الخصب والتجارة والرزق<sup>(١)</sup>. اهـ.

المشركون قد حوا في توحيد الرازقية

فدل كل ما سبق على أن المشركين اتخذوا الأصنام لترزقهم، والرزق هو من صفات الربوبية باعترافكم حيث قلتم: «إن الفرق بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية، جوهرية؛ لأن توحيد الربوبية توحيد بأفعال الله تعالى، مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الكون والتصرف في الخلق وإنزال المطر وإنبات النبات، وغيرها من أفعال الله تعالى الخاصة به سبحانه وتعالى»<sup>(٢)</sup>.

فأين قولكم: «إن المشركين لم يعتقدوا في آلهتهم التي كانوا يعبدونها: أنها خالقة، رازقة مالكة لهم، مدبرة لأموالهم.. ولم يعتقدوا فيها القدرة الذاتية والاستقلال بالنعف والضر، بدون إذن من الله.. فلم يجعلوا آلهتهم شريكة مع الله سبحانه في الخلق والرزق والتدبير..»<sup>(٣)</sup>؟! وأين قولكم: «للقبورية شبهات تشبثوا بها لإثبات زعمهم: أن توحيد الألوهية بعينه هو توحيد الربوبية؛ وزعمهم: أن المشركين كانوا

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٤٤١).

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٢١٨)

(٣) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٠٧)

مشركين آلهتهم بالله في الخلق والرزق والملك والربوبية والتصرف في العالم استقلالاً<sup>(١)</sup>؟! فهذا غير صحيح، إذ قد بينا أنهم لا يسلمون بتوحيد الراقية.

**دعوى بأنهم اتخذوا الآلهة لا لترزقهم وإنما لتشفع لهم عند الله  
فيرزقهم تعالى**

فإن قلت: ليس المراد بالآية أنهم اعتقدوا أن آلهتهم ترزق، وإنما هم اتخذوا الآلهة لترزقهم بالشفاعة عند الله، كما يفعل من يتخذ «الأنبياء والأولياء واسطة بين العباد وبين رب العباد في جلب المنافع، ودفع المضار، والرزق، والنصر، والإغاثة، وكشف الكربات»<sup>(٢)</sup>. «فجاءوهم نفع آلهتهم أمر ظاهر لا مرية فيه، ولكن ذلك لا يقتضي أنهم اعتقدوها هي التي تخلق وترزق وتملك النفع والضر، بل جعلوها وسيلة يستشفعون بها عند الله تعالى في ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقد يضاف أيضا فيقال: وهذا أقر به بعض مفسري الأشاعرة! حيث قال أبو السعود في تفسيره لسورة يس: «(واتخذوا من

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٢٧)

(٢) جهود علماء الحنفية (٣/ ١٢٨٩)

(٣) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٧

دون الله) أي متجاوزين الله تعالى الذي شاهدوا تفردَه بتلك القدرة الباهرة .. (آلهة) من الاصنام وأشركوها به تعالى في العبادة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الأمور أو يشفعوا لهم في الآخرة<sup>(١)</sup>.

وقال أيضا في تفسير سورة مريم: اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزا) أي ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل وشفعاء عنده. اهـ وقال في سورة النمل: (أإله) آخر موجود (مع الله) حتى يجعل شريكا له في العبادة .. هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدل على أن معه تعالى إلهها لا على أن غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله تعالى كما قيل، فإنهم لا يدعون صريحا، ولا يلتزمون كونه من لوازم الألوهية، وإن كان منها في الحقيقة، فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له<sup>(٢)</sup>.

قلنا: أولا: إن الله كذب المشركين في ادعائهم أنه يستشفعون بالأصنام ليتقربوا إليه زلفى، كما سيأتي تحقيق ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير أبي السعود (٧/ ١٧٩)

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ٢٩٦)

(٣) انظر (ص ٧٠٢) من هذا الكتاب.

ثانياً: كان المشركون متلبسين بكلا الأمرين، أي كانوا يتشفعون بالأصنام ويرجون فيها الضر والنفع، فشرّكهم «لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم، وتقرّبهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم عنده»<sup>(١)</sup>، فهم «يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم»<sup>(٢)</sup>، وهذا إقرار منكم بأنهم تلبسوا بكلا الأمرين.

ثالثاً: هم ما استشفعوا بالأصنام إلا بعد أن اعتقدوا فيهم أنها أرباب وألهة لها قدرات خارقة - بها تشفع وتضر وتنفع وترزق وتنصر وتؤثر - تفوق قدرة المخلوقات الأخرى، فضلاً عن أن «اعتقاد المشركين نفوذ المشيئة ونفوذ الشفاعة لمن اتخذوهم أرباباً قد حملهم على عبادتها.. والمشركون إنما توجهوا لألهتهم بالأعمال والأقوال بنية عبادتهم لا اعتقادهم فيهم بعض خصائص الربوبية، فاعتقدوا نفوذ مشيئتهم بالشفاعة الشركية، وقدرتهم على التصرف في شؤون أهل الأرض استقلالاً من دون الله بقدره كن»<sup>(٣)</sup>.

(١) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٣٦)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٠)

(٣) كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثي للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص ٢٧،

## المشركون غلوا في الأصنام حتى أعطوها خصائص الإلهية عند

### ابن القيم

حيث يقول ابن القيم إنّ «من أسباب عبادة الأصنام: الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه.. أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه، ويجبونه، حتى شبهوه بالخالق، وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرّحوا أنه إله.. يرجى ويخاف، ويعظم ويسجد له ويُعظّم ويُسجد له، ويُخلف باسمه، وتُقرَّب إليه القرابين، إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى، فكل مشرك فهو مُشَبَّهٌ إلهه ومعبوده بالله سبحانه»<sup>(١)</sup>.

## سبب خوف المشركين من آلهتهم هو أنهم كانوا يتصورون أن

### هذه الآلهة لديها قدرات مستقلة

وهذا يفسر لنا خوف «المشركين من آلهتهم، فقد كانوا يتصورون أن هذه الآلهة لديها قدرات، كما يقع عند بعض من يشركون في الربوبية، حيث يعتقدون أن هؤلاء لهم قدرات مستقلة يؤثرون في العالم

(١) إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان (٢/ ٢٢٦)

بسببها، فهذا شرك في الربوبية، أو يتصورون أن آلهتهم عندها قدرات  
بإعطاء الله لها، ولهذا يخافون منها، كما هو شرك المشركين في العالم..  
 ومثل خوفهم من السحرة، والكهان، والجن، ونحو ذلك، ولا سيما إذا  
كان الخوف من معظم يعتقد صاحبه أن له قدرات تأثيرية في الناس،  
فهذا لا شك في أنه من الشرك الأكبر المخرج عن دائرة الإسلام والعياذ  
بالله<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومن ذلك «اعتقاد أن السعود والنحوس والخير والشر من  
الكواكب من أعظم الأسباب المفضية إلى عبادتها، واتخاذها أرباباً من  
دون الله<sup>(٢)</sup>، فكل هذا ونحوه أصحابه يعتقدون «في غير الله تعالى أنه  
يضر وينفع، وهذا هو الذي كانوا يعتقدونه في أصنامهم، وكانوا عند  
الشدائد يوحدون الله تعالى<sup>(٣)</sup>. حيث «كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام  
وما يسكنها من روحانيات لها تأثير في تحقيق ما يريدون.. ولأجل هذا  
كان التبرك غير المشروع ولا زال مظهراً من مظاهر الوثنية عند أهل

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي (٥ / ٨، ت. ش)

(٢) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام (ص: ٣٤٩)

(٣) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٤ / ٤٣٦)

الجاهلية «لأنه نابع» من اعتقاد سيئ بأن هناك جالبا للرزق والنصر والعافية أو دافعا للشر غيره سبحانه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

الناس إنما يعبدون من يعتقدون فيه الربوبية

والحاصل أن «الناس إنما يعبدون من يعتقدون فيه الربوبية سواء اعتقدوا فيه ربوبية كبيرة مطلقة.. أم اعتقدوا فيه ربوبية محدودة صغيرة مستمدة من الرب الأكبر .. بمعنى أن الله تعالى قد خوّلهم ربوبية صغيرة محدودة فاستحقوا بذلك أن يُعبدوا استعطافا لرحمتهم، وابتعادا عن غضبهم وسخطهم. فمن أجل أنهم اعتقدوا فيهم الربوبية اعتقدوا فيهم الإلهية»<sup>(٢)</sup>.

الجواب عن كلام أبي السعود الذي قد يفهم منه أن المشركين موحدون في الربوبية

بقي أن نجيب عن كلام أبي السعود السابق الذي قد يفهم منه أن المشركين لم يعتقدوا ولم يطلبوا من أصنامهم سوى الشفاعة، فنقول: أولا: إن في قول أبي السعود نفسه السابق ما يرد ذلك حيث يقول في

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/ ١٦٨)

(٢) منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقيقة والأوهام (ص: ١٧٤)، وسبق النص

تفسير آية يس: (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور، أو يشفعوا لهم في الآخرة. اهـ

فأقر أبو السعود بأن المشركين طلبوا من آلهتهم أمرين، الأول: النصر، والثاني: الشفاعة، فطلبوا منها النصر كما طلبوا منها الشفاعة، أي طلبوا واعتقدوا فيها ما وراء الشفاعة، وليس فقط طلبوا الشفاعة منها فقط، ولا أنهم طلبوا منها أن تنصرهم عبر الشفاعة كما تزعمون، بل طلبوا الشفاعة والنصر كليهما. وسيأتي ما يؤكد ذلك من قول بعض السلفية «كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم»<sup>(١)</sup>.

ثانيا: قوله «أو يشفعوا لهم في الآخرة» هذا الاحتمال غير وارد أصلا؛ لأن المشركين لا يؤمنون بالآخرة البتة كما سيأتي بسطه<sup>(٢)</sup>! فكيف يُحتمل أن يعبدوا الأصنام لكي يشفعوا له في الآخرة؟! هذا أبو السعود نفسه يقول عند قوله تعالى ﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]: والمراد بالموصل كفار مكة أي زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٠)

(٢) انظر (ص ٥٤٠) من هذا الكتاب.

أبدا «قل» ردا عليهم وإبطالا لزمهم بإثبات ما نفوه «بلى» أي تبعثون .. لتنبؤن بما عملتم أي لتحاسبن ولتجزؤن بأعمالكم<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو السعود عند قوله تعالى: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَآتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدخان: ٣٤ - ٣٦]: «إِنْ هَؤُلَاءِ» يعني كفار قريش لأن الكلام فيهم .. ليقولون إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ أي ما العاقبة ونهاية الأمر إِلَّا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية، ولا قصد إلى إثبات مودة أخرى<sup>(٢)</sup>.

ثالثا: قول أبي السعود: (أإله) آخر موجود (مع الله) حتى يجعل شريكا له في العبادة.. هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدل على أن معه تعالى إلهاء. اهـ، فجوابه أنهم لم يجعلوا له شريكا في العبادة فقط، بل جعلوا له شركاء بخرقهم له البنين والبنات، أي نسبوا له الأولاد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، حتى الشركاء في العبادة هم ما عبدوهم إلا بعد أن

(١) تفسير أبي السعود (٨ / ٢٥٦)

(٢) تفسير أبي السعود (٨ / ٦٣)

أعطوهم القدرات الخارقة كما بسطناه مرارا<sup>(١)</sup>، وأما بقية كلام أبي السعود فقد أجبنا عنه مفصلا في موضع آخر<sup>(٢)</sup>.

ثم قال «لا على أن غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله تعالى كما قيل، فإنهم لا يدعون صريحا، ولا يلتزمون كونه من لوازم الألوهية، وإن كان منها في الحقيقة، فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له»، وجوابه:

أولا: إن المشركين نسبوا القدرات لغيره تعالى، حيث نسبوها إلى أصنامهم والأنواء والكواكب والدهر والسحرة والكهان والطيور والجنّ والغول، وغير ذلك مما بسطناه في هذا الكتاب.

ثانيا: بسطنا في غير هذا الكتاب أن قوله «إله مع الله» فيها قولان للمفسرين من السلف والخلف على حد سواء، الأول: أن المراد إله مع الله يفعل معه أو يخلق أو يقدر؟! والثاني: إله مع الله يُعبد؟! وذكرنا من قال بكل منهما من السلف والخلف، وما يؤيد كل منهما وما يرد عليه، وأطلنا الكلام في ذلك<sup>(٣)</sup>، وما يهمننا هنا أن من قال بالقول الأول، وهو أن المراد إله مع الله فعل ذلك، وليس المراد أمعبود آخر موجود

(١) انظر (ص ٦٩٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر كتابنا: «ولئن سألتهم» ص ٣١٤، وانظر أيضا: ٣٧٨

(٣) انظر كتابنا: ولئن سألتهم ص ٢١٨

مع الله؟ احتج على ذلك بأن وجود معبود معه هو أمر مشهود بالحس، فلا يمكن أن يطالب الله المشركين بالبرهان على وجود معبود معه، فيقول لهم: أإله معبود مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، ولذا تعين أن يكون المراد هو القول الأول وبطل الثاني، كما بسطنا ذلك في موضع آخر<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: «ولئن سألتهم» (ص ٢٢٧).

## المبحث الثاني:

### الأدلة من السنة والآثار والأخبار

### على اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم

هناك عدة أدلة وشواهد من الأحاديث والآثار والأخبار تدل على أن المشركين يعتقدون في أصنامهم التأثير والضر والنفع، نوردها في المطالب التالية:

### المطلب الأول: خبر «يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون»

روى أحمد في مسنده عن ابن عباس قال بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والحديث طويل وفيه: قال أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آله بعثك إلينا رسولا فقال اللهم نعم .. وفي آخر الحديث أنه أسلم: «ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزى قالوا مه يا ضمام: اتق البرص والجذام، اتق الجنون. قال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز

وجل قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه..»<sup>(١)</sup>  
والحديث حسن إسناده الألباني<sup>(٢)</sup>.

فتأمل هذه الجملة: «قالوا مه يا ضمام اتق البرص والجذام اتق الجنون قال ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان» فهي ظاهرة جدا في أنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها تضر من لا يعبدها، وتصيبه بالعاهات كالبرص والجذام ونحوهما، كما في قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦] وسيأتي الكلام على هذه الآية، فقد رد عليهم ضمام بأن اللات والعزى «لا يضران ولا ينفعان».

(١) قال محققو مسند أحمد ط الرسالة (٤ / ٢١١): حديث حسن، محمد بن الوليد بن نويفع قد توبع. وهو في «السيرة» لابن هشام ٤ / ٢١٩-٢٢١ عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الدارمي (٦٥٢)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» ٢ / ٥٢١-٥٢٢، وأبو داود (٤٨٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٥ / ٣٧٤-٣٧٥. وقرن الدارمي وابن شبة وأبو داود بمحمد بن إسحاق سلمة بن كهيل. وأخرجه مختصرا بنحوه ابن سعد ١ / ٢٩٩ من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن كريب، به. وانظر (٢٢٥٤). اهـ.

(٢) صحيح أبي داود للألباني (٢ / ٣٩١).

## المطلب الثاني: قول الفاروق «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع»

روى الشيخان عن عمر رضي الله عنه: أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك. اهـ وقد وضح الشراح لهذا الأثر أن الفاروق إنما قال ذلك لينبّه إلى مخالفة أهل الجاهلية الذين كانوا يعتقدون الضر والنفع في أصنامهم وأوثانهم، وإليكم كلام الشراح وغيرهم من العلماء في ذلك:

(١) قال الطبري: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه أتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان. اهـ وهذا النص نقله ابن

حجر<sup>(١)</sup>، ومن قبله ابن بطل بنحوه<sup>(٢)</sup>، وغيرهما<sup>(٣)</sup> من شرّاح البخاري شارحين به أثر عمر السابق، ونقله عبد المحسن العباد من السلفية مقرا<sup>(٤)</sup>.

(٢) وقال الكرمانى: وانما قال إنك لا تضر ولا تنفع خوفا من أن يرى تقبيله بعض قريبي العهد بالإسلام الذين ألفوا عبادة الأصنام من الحجارة وتعظيمها ورجاء نفعها فيشبهه عليهم الأمر فصرح بأنه لا يضر ولا ينفع، وان كان امثال ما شرع ينفع بالثواب، لكنه لا قدرة على نفع ولا على ضرر، وأنه حجر كسائر الأحجار في حقيقته، وأشاع هذا في الموسم ليشتهر في البلدان ويحفظه عنه أهل الموسم المختلفو الأوطان<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح الباري (٣/ ٤٦٢)

(٢) ولفظه في شرح صحيح البخاري لابن بطل (٤/ ٢٧٨): «... وأن استلامه مخالف لفعل أهل الجاهلية في عبادتهم الأصنام؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقرّبهم إلى الله زلفى، فنبه عمر على مجانبة هذا الاعتقاد، وأنه لا ينبغي أن يعبد إلا من يملك الضر والنفع، وهو الله تعالى». اهـ

(٣) عمدة القاري للعيني (٩/ ٣٤٤)، ولفظه قريب من اللفظ الذي نقله ابن بطل، ونقله عن العيني الأفغانى في جهود علماء الحنفية (٢/ ٦٥٨).

(٤) عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدھا وشرح متونها، عبد المحسن البدر (ص: ١٢٢)، ونقله بلفظ ابن بطل.

(٥) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٨/ ١١٦)

٣) وقال البرماوي في شرحه على البخاري: (لا تضر ولا تنفع) ذكر ذلك لدفع توهم قريب عهد بإسلام، ما كان يُعتقد في حجارة أصنام الجاهلية من الضر والنفع، والمراد بذاته لا ينفع وإن كان امثال ما شرع فيه يُنتفع في الثواب، ولكن لا قدرة له على النفع ولا الضر، لأنه حجر كسائر الأحجار، وأشاع عمر هذا في الموسم ليُشهر في البلدان، ويحفظه المتخلفون في الأقطار<sup>(١)</sup>.

٤) وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه على البخاري: وإنما قال عمر ذلك؛ لدفع توهم قريب عهد بالإسلام، ممن كان يعتقد في حجارة أصنام الجاهلية أنها تضر وتنفع<sup>(٢)</sup>.

**لو كانوا لا يعتقدون الضر والنفع فيها لما كان لقول الفاروق عند تقبيله للحجر الأسود معنى**

وهذه النصوص كلها واضحة في المقصود، وهو أن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون في حجارتهم التي نحتوها ضرا ونفعا، ولو كانوا لا يعتقدون فيها الضر والنفع وإنما يعتقدون أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله

(١) اللامع الصيغ بشرح الجامع الصحيح (٦ / ٦٥)

(٢) منحة الباري بشرح صحيح البخاري (٤ / ٩٠)

وحده كما يدعي ابن عبد الوهاب ومن تبعه كما سبق نقل نصوصهم في ذلك<sup>(١)</sup>، أقول لو كان الأمر كذلك: لما كان لكلام الفاروق هذا أي معنى هنا، وما الداعي له أصلاً حينئذ ما دام أن أهل الجاهلية أيضاً لا يعتقدون به الضر والنفع؟! بل ما الفضيلة للفاروق في ذلك ما دام قوله هنا من أن الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع: يعرفه أبو جهل وأبو لهب، كما يزعم ابن تيمية؟!

### المطلب الثالث: خبر «اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك»

قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس، فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له ضمار، فلما حضر مرداس قال لعباس: أي بني، اعبد ضمار<sup>(٢)</sup> فإنه ينفعك ويضرك، فبينما عباس يوماً عند ضمار، إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول:

قل للقبائل من سليم كلها .. أودى ضمار وعاش أهل المسجد

إن الذي ورث النبوة والهدى .. بعد ابن مريم من قريش مهتدي

(١) انظر (ص ٢٧١) من هذا الكتاب.

(٢) قال في السيرة الحلبية (١ / ٢٨٨): ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها

ألف ثم راء مهملة. اهـ

أودى ضمار وكان يعبد مرة .. قبل الكتاب إلى النبي محمد

فحرق عباس ضمار، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم. اهـ<sup>(١)</sup>  
المطلب الرابع: خبر «هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا،  
ونستنصرها فتنصرنا»

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي  
خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض  
البلقاء، وبها يومئذ العماليق.. رأهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه  
الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها  
فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنما،  
فأسير به إلى أرض العرب، فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له هبل، فقدم  
به مكة، فنصّبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه. (٢).

فتأمل قولهم: «هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا،  
ونستنصرها فتنصرنا»، فهو صريح في أنهم ينسبون إلى أصنامهم النفع

(١) سيرة ابن هشام ت السقا (٢ / ٤٢٧)، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة

الأمين المأمون (١ / ٢٨٨)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٧٧)، وانظر المزيد في: الشرك في القديم والحديث

ص ٤٣٦، وانظر القصة في آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

(٦ / ١٧١).

العظيم حيث يعتقدون أنها تطهرهم وتنصرهم، كما في قوله تعالى:  
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤] كما سيأتي.

### المطلب الخامس: خبر (فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى)

روى يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة فذكر منهم الزنيرة قال: فذهب بصرها وكانت ممن يعذب في الله على الإسلام فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى فقالت: كلا والله ما هو كذلك، فردّ الله عليها بصرها<sup>(١)</sup>.

### المطلب السادس: قصة «أرب يبول الثعلبان برأسه»

ونسب بعض أهل الأخبار هدم الصنم «سواع» إلى «غاوي بن ظالم السلمى» «غاوي بن عبد العزى» ذكروا أن هذا الصنم كان «لبنى سليم بن منصور»، فبينما هو عند الصنم، إذ أقبل ثعلبان يشندان حتى تسنماه، فبالا عليه فقال:

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (المغازي / ٢١٨)، الإصابة ٨ / ١٥١، ط/ العلمية، سيرة ابن هشام ١ / ٢١٠، سيرة ابن إسحاق ٤ / ١٧١.

أربُّ يبول الثعلبان<sup>(١)</sup> برأسه .. لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم قال: يا معشر سليم؟ لا والله هذا الصنم لا يضر ولا ينفع ولا يعطي  
ولا يمنع! فكسره ولحق بالنبي عام الفتح. فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم، ما اسمك؟ فقال: غاوي بن عبد العزى. فقال: بل أنت راشد  
بن عبد ربه. وعقد له على قومه. وقيل إن هذه الحادثة إنما وقعت  
لعباس بن مرادس السلمى، وقيل لأبي ذر الغفاري. اهـ

فواضح من هذه القصة أن صاحبها كان يعتقد أن الصنم يضر  
وينفع حتى رأى الثعلبان يبول عليه، فحينها تيقن أنه لو كان يضر  
وينفع لنفع نفسه ودفع الضر عنها، ودفع عنه هذا الأمر المخزي من  
البول عليه، وهذا ما عبّر عنه صاحب القصة بقوله لقومه: «والله هذا

(١) اختلف علماء اللغة في ضبط «الثعلبان» في هذا البيت، فجمهور أهل اللغة الكسائي  
والجوهرى والجاحظ وابن الأنباري والزنجشري، وغيرهم كثيرون، على أنه بضم الثاء  
وأه مفرد، وهو ذكر الثعالب مثل أفعوان ذكر الأفاعي، وذهب صاحب القاموس  
وأبو عبيد الهروي وغيرهما أنه بفتح الثاء وهو مثنى ثعلب، ويشهد لكونه مثنى القصة  
أعلاه حيث عاد الضمير عليه بالثنائية حيث فيها «إذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنياه،  
فبالا عليه»، ولكن الفريق الأول ذكر سياقاً آخر للقصة ليس فيه ضمائر الثنائية السابقة.  
انظر التنبية على الألفاظ في الغريبين للسلامي (ص: ٣١١)، المصباح المنير للفيومي  
(١ / ٨١)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢ / ١٠١)، النهاية في غريب الحديث والأثر  
(٣ / ٢٤٨)، تاج العروس من جواهر القاموس (٢ / ٩٠).

الصنم لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع»، ثم كسره ولحق بالنبى عام الفتح .

وبذلك ينتهي بسط الكلام عن الدليل الأول على كون المشركين غير موحدين في الربوبية، وهذا الدليل هو أنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم الضر والنفع، وأتيت على ذلك بشواهد من الكتاب والسنة، فننتقل إلى الكلام عن الدليل الثاني، وهو تسمية المشركين لأصنامهم بالآلهة والأرباب.





## الفصل الثاني:

### إضافة المشركين كثيرا

### من الحوادث إلى غيره تعالى

إن المشركين كانوا يضيفون كثيرا من الأمور إلى غير الله، وبسط ذلك من خلال المباحث التالية:

### المبحث الأول: نسبة المشركين الأحداث إلى الدهر

كان المشركون ينسبون الأحداث إلى الدهر؛ وبسط ذلك من خلال مطالب:

### المطلب الأول: الأدلة والشواهد على نسبة المشركين الأحداث إلى الدهر

أولا: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] وسيأتي الكلام فيها مفصلا.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ المُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] قال الطبري: يقول المشركون لك يا محمد: هو شاعر

نتربص به حوادث الدهر، يكفيناه بموت أو حادثة متلفة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .. ثم نقل بسنده عن مجاهد، قوله: ﴿رب المنون﴾ قال: «حوادث الدهر»، ثم نقل بسنده عن ابن عباس، قوله: ﴿رب المنون﴾ يقول: «الموت»، ونحوه قول قتادة وابن زيد وغيرهما<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب ليله ونهاره<sup>(٢)</sup>»، ونحوه ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لا تسموا العنب الكرم ولا تقولوا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر )<sup>(٣)</sup>، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «لا تقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر»<sup>(٤)</sup>. وفي لفظ لمسلم: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع البيان ط هجر (٢١ / ٥٩٢)

(٢) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٦ / ٢٧٢٢)؛ صحيح مسلم (٤ / ١٧٦٢)

(٣) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٥ / ٢٢٨٦)

(٤) صحيح مسلم (٤ / ١٧٦٣)

(٥) صحيح مسلم (٤ / ١٧٦٣)

رابعاً: كان هذا الأمر - أي نسبة الأحداث للدهر - مشتهداً في أشعارهم، أسوق بعضها فيما يلي:

(١) قال عمرو بن قميئة:

رَمْتَنِي بِنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى .. فَمَا بَالُ مَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ<sup>(١)</sup>

(٢) وقال أبو ذؤيب:

أَمِنَ المَنُونُ وَرِييَهَا تَتَوَجَّعُ \* وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمَعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ<sup>(٢)</sup>

(٣) وقال آخر:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيرِ .. كَرَّ الغَدَاةَ وَمَرَّ العَشِيِّ<sup>(٣)</sup>

(٤) وقال الشاعر:

مَنَعَ البَقَاءَ تَقَلَّبَ الشَّمْسُ .. وَطَلَّوعَهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَمْسِي<sup>(٤)</sup>

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٩ / ١٦٦)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٩ / ٥٣٣)

(٣) قال يوسف السعيد في حاشيته على فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (ص: ١٣٤): هذا البيت مع أبيات أخرى ذكرها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١ / ٥٠٢)، وأبو تمام في «الحماسة» مع شرح التبريزي، والمبرد في «الكامل» (٢ / ١٥٦) .. ونسبها إلى الصلتان العبدى، وذكروا الجاحظ في «الحيوان» ٣ (٤٧٧ / )، ونسبها إلى الصلتان السعدي، وقال: هو غير الصلتان العبدى.

(٤) قال يوسف السعيد في حاشيته على فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (ص: ١٣٤): ذكره ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (١١ / ١٩)، والزخشي في «ربيع

خامسا: نصوص العلماء في نسبة المشركين الأحداث للدهر،  
وستأتي لاحقا.

### المطلب الثاني: الرد على تأويل أدعياء السلفية لآية الجاثية «وما يهلكنا إلا الدهر»

وهكذا رأينا الأدلة متوافرة على أن مشركي العرب كانوا ينسبون الحوادث إلى الدهر، وهذا أقرب به ابن تيمية وكثير من أتباعه كما سيأتي، ومع ذلك وجدت بعض أتباعه يجادل في ذلك ويحاول إنكار ذلك، أو يقلل من شأن ذلك، وراح يشكك في الاستدلال بالأدلة السابقة لا سيما بآية الجاثية «وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» حيث أجابوا عنها بالأجوبة الإجمالية التالية:

الأول: أن الآية ليست في مشركي العرب وإنما هي في الدهرية.  
الثاني: سلّمنا أنها في مشركي العرب، لكن المقصود هنا هو إنكارهم لملك الموت.  
الثالث: سلّمنا أنها في مشركي العرب، وأنها في نسبة الحوادث للدهر، لكن هذا منهم نسبة مجازية.

الأبرار» (١/١٢٧)، ونسباه إلى تبع، وذكره أبو هلال العسكري في «الصناعتين» ص ٢٢٢ ونسبه إلى بعض ملوك اليمن.

الرابع: سلمنا أنها في مشركي العرب، وأنها في نسبة الحوادث للدهر نسبة حقيقية، لكن هذا اعتقاد قلة منهم وهم زنادقة الجاهلية. قلنا: هذا كله غير مسلم، وفيما يلي بسط ذلك في مراصد:

### المرصد الأول: الزعم بأن الآفة في الدهرية وليست في مشركي

#### العرب

قبل أن نجيب عن ذلك نسرد نصوص السلفية الذين زعموا أن آفة الجائفة هذه ليست في مشركي العرب وإنما هي في الدهرية:

(١) قال ابن القيم: حقيقة قول هؤلاء القول بالدهر وإنكار الخالق بالكلية<sup>(١)</sup>. وهؤلاء الدهرية الذين تلاعب بهم الشيطان وهم «قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاها الله عنهم. ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجائفة: ٢٤]». <sup>(٢)</sup>

(١) الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة (ص: ٦٤١)، مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة (ص: ١٥١)  
 (٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٥)، وانظر أيضا: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٢٢١)، ط/ دار القلم.

(٢) قال القاسمي: في هذه الآية رد على الدهرية، وهم المعطلة بأن متمسكهم ظن وتحمين.. قال الشهرستاني في معطلة العرب: فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفضي. وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد، وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي، وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها، فالجامع هو الطبع، والمهلك هو الدهر<sup>(١)</sup>.

(٣) وقال الفوزان: .. فيدخل في ذلك الجاحدون المعطلون الذين ينفون وجود الله تعالى، وهم الدهرية الذين يقولون: ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا..﴾، يقولون: ليس لنا رب يتصرف فينا، وإنما هذا الوجود إنما هو نتيجة الطبيعة والصدفة ليس له رب أوجده وخلقه..<sup>(٢)</sup>، وقال بأن هؤلاء «الذين ينسبون الحوادث إلى الدهر هم الدهرية.. وقد أنكر الله سبحانه على من يسند الحوادث إلى الدهر»<sup>(٣)</sup>.

(١) محاسن التأويل (٨ / ٤٣٢)

(٢) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد للفوزان (٢ / ٤٤٢)

(٣) شرح مسائل الجاهلية للفوزان (ص: ١٦٣)

والجواب: أولاً: هذا خلاف ما نصّ عليه العلماء من السلف والخلف من أن الآية تتناول مشركي قريش وغيرهم ، وتلك بعض نصوصهم في:

### المرصد الثاني: نصوص العلماء سلفا وخلفا في أن آية الجاثية تتناول المشركين

(١) روى الطبري بسنده عن قتادة ( ١١٨ هـ) قال: ذلك مشركو قريش ﴿ ما يهلكنا إلا الدهر ﴾ إلا العُمَر<sup>(١)</sup>.

(٢) وروى ابن حبان والحاكم - وصححه ووافقه الذهبي - وغيرهما عن سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) : كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار هو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا قال الله : ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا ﴾<sup>(٢)</sup>.

(٣) وقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ): «إن العرب كان شأنها أن تدم الدهر وتسببه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر، وهو

(١) جامع البيان ط هجر (٢١ / ٩٦)

(٢) صحيح ابن حبان (١٣ / ٢٣)، السنن الكبرى للبيهقي (٣ / ٣٦٥)، المستدرک -

الهندية (٢ / ٤٥٤)

الليل والنهار .. فيجعلون الليل والنهار اللذين يفعلان ذلك،  
فيذمّون الدهر بأنه الذي يفنينا ويفعل بنا، فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم: «لا تسبوا الدهر على أنه يفنيكم، والذي يفعل  
بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما  
تسبوا الله تبارك وتعالى، فإن الله فاعل هذه الأشياء»<sup>(١)</sup>.

(٤) وقال أبو عبيد (٢٢٤ هـ): ومن شأن العرب أن يذموا الدهر  
عند المصائب والنوائب، حتى ذكروه في أشعارهم، ونسبوا  
الأحداث إليه. قال عمرو بن قميئة: رمتني بنات الدهر..  
ومثله كثير في الشعر. ينسبون ذلك إلى الدهر ويضيفونه إليه،  
والله سبحانه الفاعل لا رب سواه<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٥) وقال إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥ هـ) حيث سئل عن قول النبي  
صلى الله عليه وسلم: «لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله  
هو الدهر» وقوله: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر» قال:  
كانت الجاهلية تقول: الدهر هو الليل والنهار، يقولون الليل

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي نقلا عن الشافعي (٥/ ٢٠٣)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٩/ ١٦٦)، وانظر إبطال

التأويلات (ص: ٣٧٦).

والنهار يفعل بنا كذا، فقال الله عز وجل: أنا أفعل، ليس الدهر<sup>(١)</sup>. اهـ

(٦) وقال الطبري (ت ٣١٠هـ): «وما يهلكنا» فيفينا إلا مر الليلي والأيام وطول العمر، إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفتهم ويهلكهم .. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل<sup>(٢)</sup>.. وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون: الذي يهلكنا ويفينا الدهر والزمان<sup>(٣)</sup>. اهـ

(٧) قال القاضي أبو يعلى الفراء (ت ٤٥٨ هـ): «كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار..»<sup>(٤)</sup>. اهـ وإن «الجاهلية كان تقول: أصابني الدهرُ في مالي بكذا، ونالتني قوارع الدهر ومصائبه، فيضيفون كل حادث يحدث مما هو جار بقضاء الله وقدره وخلقه وتقديره من مرض أو صحة أو غنى أو فقر أو حياة أو موت إلى الدهر، ويقولون: لعن الله هذا الدهر والزمان..» وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا

(١) إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص: ٣٧٥)، وأيضاً نقله ابن تيمية مقراً في بيان تلبس الجهمية (١/ ١٢٦).

(٢) جامع البيان ط هجر (٢١/ ٩٦)

(٣) جامع البيان ط هجر (٢١/ ٩٦)

(٤) «إبطال التأويلات» (ص ٤١٧ ط غراس)

يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ <sup>(١)</sup> فأخبر عنهم بما كانوا عَلَيْهِ من نسبة أقدار الله وأفعاله إِلَى الدهر فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الدهر» أي: إذا أصابتكم المصائب لا تنسبونها إليه، فإن الله تعالى هو الذي أصابكم بها، لا الدهر.. <sup>(٢)</sup> اهـ.

٨) قال البغوي (ت ٥١٠هـ) بأن معنى الحديث: أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر، وسبّه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، كما أخبر الله تعالى عنهم: «وما يهلكنا إلا الدهر».. <sup>(٣)</sup>

٩) وقال القرطبي (ت ٦٧١هـ) بأن حديث سب الدهر «إنما خرج ردا على العرب في جاهليتها، فإنهم كانوا يعتقدون أن الدهر هو الفاعل كما أخبر الله عنهم في هذه الآية أي الجاثية، فكانوا إذا أصابهم ضرر أو ضيم أو مكروه نسبوا ذلك إلى الدهر».. اهـ. <sup>(٣)</sup>

١٠) وقال ابن تيمية عندما تكلم عن قضية تسمية الله بالدهر معلقا على آية الجاثية: فأخبر عنهم بما كانوا عليه من

(١) «إبطال التأويلات» (ص ٤١٩ ط غراس)

(٢) تفسير البغوي (٧/ ٢٤٦)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٩/ ١٦٥)

نسبة أقدار الله وأفعاله إلى الدهر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الدهر» أي إذا أصابتكم المصائب لا تنسبوها إليه، فإن الله هو الذي أصابكم بها لا الدهر، وإنكم إذا سببتم الدهر، وفاعل ذلك ليس هو الدهر<sup>(١)</sup>.

فهذه عشرة كاملة، وكلها كما ترى تنصّ نصّاً على أن المعنيّ بآية الجاثية وبحديث سب الدهر: العربُ في الجاهلية على الوجه السابق بيانه.

ثانياً: أنّ هذا خلاف ما قاله ابن تيمية نفسه وكثير من أتباعه من أن آية الجاثية نزلت للرد على أهل الجاهلية، وقد سبق أن أتينا بنصّ ابن تيمية في ذلك، ونأتي هنا بنصوص أخرى له وللسلفية، وتلك نصوصهم في:

المرصد الثالث: نصوص ابن تيمية وأتباعه على أن آية الجاثية نزلت في أهل الشرك

(١) قال ابن تيمية: قول أبي عبيد وأكثر العلماء أن هذا الحديث خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم، فإنهم إذا أصابتهم مصيبة أو منعوا أغراضهم، أخذوا يسبون الدهر والزمان، يقول أحدهم: قبح الله الدهر الذي

(١) بيان تليس الجهمية، ط/ الملك فهد (١/ ٤١٥) نقلا عن أبي يعلى.

شتت شملنا.. وكثيرا ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا، كقولهم: يا دهر فعلت كذا، وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور، ويضيفونها إلى الدهر، فيقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمور وأحدثها، والدهر مخلوق له، هو الذي يقلبه ويصرفه<sup>(١)</sup>. اهـ

(٢) وقال ابن القيم في حديث «لا يقل ابن آدم يا خيبة..»: قال الشافعي تأويله والله أعلم أن العرب كان شأنها..<sup>(٢)</sup>. ثم نقل ابن القيم نصّ الشافعي السابق مقرا.

(٣) قال ابن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية: السادسة والأربعون: مسبة الدهر، كقولهم: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾<sup>(٣)</sup>. اهـ وإليك في النصين التاليين كلام بعض شراح كتابه هذا.

(٤) قال شكري الألويسي: وكانوا يسندون الحوادث مطلقا إليه، لجهلهم أنها مقدرة من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر، مثل قولهم: أشاب

(١) الفتاوى الكبرى (٥ / ٦٦)

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم (ص: ٤٥)

دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٧٨ م.

(٣) مسائل الجاهلية (ص: ١٥)

الصغير وأفنى الكبير<sup>(١)</sup>.. اهـ وقد ساق أبياتا أخرى ستأتي،

كما سيرد المزيد من نصوص السلفية.

٥) قال أحمد الحازمي: من خصال أهل الجاهلية سبّ الدهر،

والمراد به أنهم ينسبون الحوادث إلى الدهر.. فإذا حل بهم

مكروه نسبه إلى الدهر باعتقادهم أنه الطارق بالنوائب

فكانوا يقولون: أهلكنا الدهر.. إلى آخر ما يذكرونه في

أشعارهم ومنثوراتهم<sup>(٢)</sup>. اهـ

والحاصل من كل ما سبق هو أن مشركي العرب كانوا ينسبون

كثيرا من الأمور ولاسيما المصائب والموت وغيرها إلى الدهر وأنه هو

المؤثر في ذلك، وهذا قطعاً شرك في توحيد الربوبية، لأن فيه نسبة

الأشياء والحوادث إلى غير الله، وبالتالي فهذا الأمر وحده يبطل القول

بأن المشركين كانوا موحدين في الربوبية.

ثالثاً: إن هذا خلاف الآية نفسها، فالآية تتكلم عن منكري البعث

من مشركي العرب فتقول: «هؤلاء المشركون الذين تقدم خبره عنهم:

ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيباً منهم

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت يوسف السعيد (ص: ١٣٤)

(٢) شرح مسائل الجاهلية للحازمي (٢١ / ٩)

بالبعث بعد الممات»<sup>(١)</sup>. «وقوله: ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ أي: يئسوا من البعث بعد الموت، وهذا في المشركين ظاهر؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾»<sup>(٢)</sup> أي وما يهلكنا «إلا مرور الزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه. وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الاستقلال، أو إنكار البعث أو كليهما»<sup>(٣)</sup>.

ولذا ردّ عليهم الله فقال: ﴿قل الله يحييكم﴾ في الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ فيها عند انتهاء أعماركم ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة﴾ أي يبعثكم يوم القيامة جميعاً، ومن كان قادراً على ذلك كان قادراً على الإتيان بأبائكم ضرورة ﴿لا ريب فيه﴾ أي في الجمع ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكير في الدلائل»<sup>(٤)</sup>.

(١) جامع البيان ط هجر (٢١ / ٩٥)

(٢) تفسير السمعاني (٥ / ٤٢٣)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥ / ١٠٨)

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣ / ٣٠٤)

ونص السلفية على أن تلك الآيات تتكلم عن المشركين، فقال ابن القيم: وقال لمن أنكر المعاد بعقله: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا﴾<sup>(١)</sup>. وقوله: «(وقالوا) أي منكرو البعث (ما هي إلا حياتنا الدنيا) .. وليس وراء ذلك حياة.. فمرادهم بهذه المقالة إنكار البعث وتكذيب الآخرة»<sup>(٢)</sup> أي: «ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معادٌ ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد»<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «﴿إن هم إلا يظنون﴾ فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دهم على ذلك ولا برهان»<sup>(٤)</sup>، وفيها «إشارة إلى نسبة الحوادث إلى الدهر، أو إلى إنكار البعث، أو إلى كليهما»<sup>(٥)</sup>، فهذه الآية ظاهرة في أن نسبة الأشياء إلى الدهر من خصال المشركين أعداء التوحيد، فنفهم منه أن خصلة الموحدين أن ينسبوا الأشياء إلى الله - جل وعلا - ولا ينسبوا الإهلاك إلى الدهر، بل الله - جل وعلا - هو

(١) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، ط/ أضواء السلف (ص: ٢٨٢)

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢ / ٤٢٩)

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٠٤٨) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٣)

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٧٧)

(٥) تفسير القاسمي محاسن التأويل (٨ / ٤٣١)، دار الكتب العلمية.

الذي يحيي ويميت»<sup>(١)</sup>. فالآية «سقت لبيان اعتقادهم وغلوهم في إنكار البعث»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى أن المفسرين وفيهم كثير من السلفية متفقون على أن الآية تناولت مشركي العرب المنكرين للبعث، وجاء هذا صريحا في قوله: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وفي قوله ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، فالله «يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيي خلقه بعد أن يميتهم، ويقولون: لا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء. فهم بجحودهم ذلك .. لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية؛ لأنهم لا يرجون ثوابا على إيمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت، ولا يخافون عقابا»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشوكاني: وقد كان بعض طوائف كفار العرب ينكر المعاد كما حكى الله عنهم بقوله: ما هي إلا حياتنا الدنيا .. وكانت

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٦٩)

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٤٦)، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين

ص ٤٩٣

(٣) جامع البيان ط هجر (٩ / ٢١٣)

طائفة منهم غير جازمة بنفيه، بل شاكة فيه، كما حكى الله عنهم بقوله: إن نظنّ إلا ظنّاً وما نحن بمستيقنين<sup>(١)</sup>. اهـ

الجواب عن قول الشهرستاني بأن آية الجاثية خاصة بمنكري الخالق من العرب

وأما ما نقله القاسمي عن الشهرستاني من قوله في معطلة العرب «فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة»، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المضي. وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا». اهـ

فصرّح أن هؤلاء منكرون للخالق وللبعث معاً، ونحوه ما في مفاتيح الغيب في سورة الجاثية: واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في إنكار القيامة وفي إنكار الإله القادر .. فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة..<sup>(٢)</sup>. اهـ

فالجواب أن آية ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] سبقت للردّ على منكري البعث، وهؤلاء صنفان: الأول المشركون، والثاني: الدهريون،

(١) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٤٣٨)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧ / ٢٧٠)، حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (٤ /

فآية صالحة لتتناول كليهما، إذ المشركون ثبت عنهم في غير هذه الآية نسبة الحوادث للدهر كما في أحاديث الباب كحديث « لا تسبوا الدهر... » ، وكما في أشعارهم التي سبقت. والله أعلم

المرصد الرابع: سياق الآية وسباقها يدل على أن المراد بها المشركون

إن سياق الآية وسباقها بل إن سورة الجاثية كلها ترشد إلى أن المقصود هنا إثبات البعث والرد على المشركين المنكرين له، فالآيات الأولى لسورة الجاثية هي قوله تعالى: ﴿... إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾

[الجاثية: ٥ - ٨].

إلى أن يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾  
[الجنائفة: ٢٥، ٢٦].

فترى أن السياق وهو السباق واللحاق، لقوله «وما يهلكنا إلا الدهر»: كله يتحدث عن المشركين المنكرين للبعث، ولذا قال البقاعي هنا: (وقالوا) أي في إنكارهم البعث مع اعترافهم بأنه قادر على كل شيء، ومعرفتهم أنه قد وعد بذلك في الأساليب المعجزة، وأنه لا يليق بحكيم أصلاً أن يدع من تحت يده يتهارجون من غير حكم بينهم<sup>(١)</sup>.  
اهـ

وقال الطاهر بن عاشور: وإذا تليت عليهم آيات القرآن الواضحة الدلالة على إمكان البعث وعلى لزومه: لم يعارضوها بما يبطلها، بل يهرعون إلى المباهة فيقولون إن كان البعث حقاً فأتوا بآبائنا إن صدقتم. فالمراد بالآيات آيات القرآن المتعلقة بالبعث بدليل ما قبل الكلام وما بعده<sup>(٢)</sup>.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧ / ١٠٥)

(٢) التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٦٣)

## المرصد الخامس: الزعم بأن المراد بآية الجاثية هو إنكار المشركين

### ملك الموت

وأما الجواب الثاني للسلفية وهو: أن المقصود هنا إنكارهم لملك الموت، وفي ذلك يقول ابن قيصر الأفغاني «إن هذه الآية ليس فيها إنكار مشركي العرب للخالق، بل الآية سبقت لبيان اعتقادهم وغلوهم في إنكار البعث، وإنكار قبض ملك الموت أرواحهم بإذن الله، فأنكروا البعث وقالوا: إن الدهر يهلكنا لا ملك الموت، فالحصر هاهنا في الآية حصر بالنسبة لملك الموت، لا أنهم ينكرون وجود الله تعالى»<sup>(١)</sup>، ثم نقل عن الزمخشري (٥٣٨هـ) والنسفي (٧١٠هـ) والعمادي (٩٨٣هـ) والآلوسي (١٢٧٠هـ) ما يؤيد ذلك.

### نسبة المشركين الموت إلى الدهر هو قدح بتوحيد الربوبية

والجواب عما سبق: أولاً: إنَّ حاصل هذا - إن سلمنا أنه كذلك - أن العرب نسبت الموتَ إلى الدهر لا إلى الله ولا إلى ملك الموت، وهذا بحد ذاته قدح في توحيد الربوبية الذي يتضمن أن الله هو المحيي المميت، كما عرّفه بذلك السلفية أنفسهم ومنهم صاحب هذا

(١) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٤٦)، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين

الاعتراض<sup>(١)</sup>، ويُبطل أيضا ما ادعوه من «أن المشركين كانوا معترفين بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت وحده»<sup>(٢)</sup>. اهـ وهذا يكفيننا.

فكيف إذا أضفنا إلى ذلك أن العرب كانت تنسب بقية الحوادث لاسيما النوائب إلى الدهر، وهذا ما شهدت به الأدلة الأخرى؛ من الأحاديث السابقة وأشعارهم التي أوردناها عنهم، وهذا ما قاله هؤلاء المفسرون الأحناف أنفسهم الذي استشهد بهم الأفغاني، وإليك أقوالهم في تفسير آية الجاثية في:

**المرصد السادس: نصوص مفسري الحنفية في نسبة المشركين**

**الحوادث إلى الدهر**

(١) قول الزخشي: كانوا يزعمون أنّ مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس .. وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان<sup>(٣)</sup>. اهـ

- 
- (١) جهود علماء الحنفية (١ / ١١٥): تعريف توحيد الربوبية: هو الاعتقاد بأن الله هو وحده الخالق الرازق والمدبر والنافع والضار والمجير والمحيي والمميت. اهـ
- (٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٨٠، وانظر ص ٢٠٣، ٢٧٩)
- (٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٤ / ٢٩٤)

(٢) قول النسفي: كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان<sup>(١)</sup>. اهـ

(٣) قول أبي السعود: وكانوا يزعمون أن المؤثر في هلاك الأنفس هو مرور الأيام والليالي وينكرون ملك الموت.. «وما لهم بذلك» أي بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا واستناد الحياة والموت إلى الدهر<sup>(٢)</sup>.

(٤) قول الألويسي: «وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً إليه لجهلهم أنها مقدره من عند الله، وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر»<sup>(٣)</sup>.

والحاصل من أقوال هؤلاء المفسرين الذين استشهدتم بهم أن مشركي العرب كانت تنسب الحوادث جميعها إلى الدهر جهلاً، بل إنكاراً منها أن يكون ذلك بتقدير الله، وهذا لا شك قدح في توحيد الربوبية يبطل ما زعمه ابن تيمية وأتباعه لاسيما ابن عبد الوهاب حيث

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/٣٠٣)

(٢) تفسير أبي السعود (٨/٧٣)

(٣) تفسير الألويسي، روح المعاني (١٣/١٥١)، ونقله في جهود علماء الحنفية

زعم قائلًا «فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره»<sup>(١)</sup>. اهـ

وأقوال هؤلاء المفسرين تُبطل ما زعمه الأفغاني من أن آية الجاثية سيقّت «لبيان اعتقادهم وغلوّهم في إنكار البعث، وإنكار قبض ملك الموت أرواحهم بإذن الله»<sup>(٢)</sup>؛ لأن هؤلاء المفسرين صرّحوا بخلاف ذلك كما رأينا، ولا سيما الألويسي الذي قال بالحرف «وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً إليه لجهلهم أنها مقدرّة من عند الله»<sup>(٣)</sup> وهذا نقله عنه الأفغاني نفسه واستشهد به هنا، وهو ضده كما ترى!!

### المرصد السابع: دعوى بعض المفسرين بأن مراد المشركين هو إنكار ملك الموت

نعم ذكر هؤلاء المفسرون - الزمخشري والنسفي وأبو السعود والألويسي - ملك الموت هنا وإنكار المشركين له: استطراداً،

(١) كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤.

(٢) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٤٦).

(٣) روح المعاني (١٣/ ١٥١).

واستنباطا، ولعل وجه ذلك، أن المشركين إذ نسبوا الموت إلى الدهر، فهذا يلزم منه أنهم ينكرون أن يرسل الله ملك الموت لقبض أرواحهم كما قال تعالى في سورة أخرى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، فلعل هذا ما أرادوه وإلا فليس في الآية ما يدل صراحة على ما ذكره.

مع ذلك نصّ هؤلاء المفسرون على أن المشركين ينسبون كل الحوادث إلى الدهر ولا ينسبونها إلى الله كما سبق، واعتمد هؤلاء المفسرون على أدلة أخرى في هذا الباب كحديث «لا تسبوا الدهر» وأشعار العرب، وكل هذا أغفله الأفغاني، وراح ينشغل بالجواب عن آية الجاثية ويدع الأدلة الأخرى، وبالتالي فتورك الأفغاني واتكاؤه على هؤلاء المفسرين لا معنى له، لأن كلامهم ضده كما رأينا، هذا كله فضلا عن مخالفة الأفغاني لكلام العلماء من السلف والخلف ممن سبق ذكره ومنهم ابن تيمية وأتباعه الذين أقرّوا بأن المشركين كانوا ينسبون الحوادث إلى الدهر.

### بطلان القول بأن المراد إنكار المشركين لملك الموت

ثم أين ذكر ملك الموت في آية الجاثية بل في السورة كلها حتى يزعم الأفغاني هذا الزعم وينسبه إلى مفسري الحنفية؟! وهذه الآية

كاملة مع ما قبلها وما بعدها، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣ - ٢٦].

### قول النسفي بأنهم لا يعلمون قدرة الله على البعث

فهل ترون ذكرا لملك الموت في الآية وما قبلها وما بعدها حتى يزعم الأفغاني أن الآية سبقت لبيان إنكار المشركين أن يقبض أرواحهم ملك الموت! بل على العكس نجد الله يقول في هذه الآيات «قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قال النسفي في تفسيره: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها عند انتهاء أعماركم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي يبعثكم يوم القيامة جميعاً، ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائكم ضرورة ﴿لَا

رَيْبَ فِيهِ ﴿١﴾ أَي فِي الْجَمْعِ ﴿٢﴾ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَدْرَةَ اللَّهِ عَلَى  
الْبَعْثِ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي الدَّلَائِلِ (١).

فأثبت أن الله هو الذي يحييهم ردًّا على نسبتهم الحياة إلى أنفسهم  
حين قالوا هنا «نحيا»، وأثبت أنه هو يميتهم، وفيه ردٌّ على قولهم  
«نموت» وعلى قولهم «وما يهلكنا إلا الدهر» معاً، وقوله «ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ردٌّ على إنكارهم للبعث؛ وهذا يدل على أنهم ينكرون  
أن الله هو الذي يميتهم، تماماً كما ينكرون أن الله يحييهم للبعث  
والنشور، وإلا لما كان للرد عليهم بقوله تعالى «قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ  
يُمِيتُكُمْ» معنى كما ترى، فما علاقة ملك الموت في كل ذلك؟! ومن أين  
أتى به الأفغاني حتى يزجه هنا؟!!

ولو أن أحد خصوم الأفغاني فعل أقل من ذلك بكثير لأوسعته  
شتها وسباً وتضليلاً، ولقال له هذا باطل «وتحريف قرمطي وتحريف  
وثني وتلاعب بالمصطلحات» (٢)، وأن هذا من «التمويه، والتحريف  
والتلبيس، والتحريف» (٣)، إلى آخر سبابه وشتائمته التي ملأ بها كتابه  
ضد خصومهم من العلماء، وعند الله تجتمع الخصوم.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٣٠٤).

(٢) جهود علماء الحنفية (١/ ٥٤٤، وانظر: ٢٨١، ٢٨٥).

(٣) جهود علماء الحنفية (٣/ ١٢٦١).

## المرصد الثامن: دعوى المعلمي أن نسبة المشركين الحوادث للدهر مجازية!

وأما الجواب الثالث للسلفية وهو أنه: سلمنا أنها في مشركي العرب وأنها في نسبة الحوادث للدهر ولكن هذا منهم نسبة مجازية، وبيان ذلك أن يقال: ليس في الآية ما يدل على شرك العرب في الربوبية: وذلك «لأن الآية فيها إنكار عام وليس فيها نسبة الخلق إلى الله تعالى مع غيره»<sup>(١)</sup> فضلا عن أنه «ليس فيها إنكار مشركي العرب للخالق»<sup>(٢)</sup>، «فقولهم: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ لا يمكن أن يحمل على إنكار وجود الرب، ولا إنكار تدبيره مطلقا؛ إذ لا دلالة فيه على ذلك، وقد علم أن القوم كانوا يعترفون بوجود الرب، وأنه المدبر مطلقا»<sup>(٣)</sup>.

نعم «كان شائعا بينهم من نسبة الحوادث إلى الدهر، كما هو كثير في أشعارهم، فإن ذلك وإن كنا إذا عرضناه على ما علم من اعترافهم بوجود الله عز وجل وأنه المدبر يترجح لنا أنهم إنما كانوا يطلقونه مجازا، إلا أنه لما شاع وذاع بينهم كان من أشد أسباب الغفلة عن الله عز وجل وتدبيره، وصار أحدهم يطلقه تبعا للاستعمال الشائع الذائع، وربما

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص ٤٩٣

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٤٦)

(٣) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٥ / ٣ / ٤٨)

يغفل عن كونه مجازاً، وإن كان إذا نبّه وقرن له ذلك بما يعترف به من وجود الله عز وجل وأنه المدبر تنبه لأنه مجاز، ونحن نجد كثيراً من المسلمين يستعمل ذلك، كقوله: «الدهر معاند لي»، «الدهر لا يساعدي»، وذلك كثير في أشعارهم، وكثير منهم لا يستحضر عندما يقوله أنه مجاز، وإنما سمع الناس يقولون فقال، وإن كان إذا نبّه انتبه، ويؤيد هذا المعنى ويعينه الحديث الصحيح قال - صلى الله عليه وسلم - : «قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»<sup>(١)</sup>.

قلنا: أولاً: أما أن الآية «ليس فيها إنكار مشركي العرب للخالق» فهذا قد نسلّم به وإن أمكن أن يُنازع في ذلك فيُدعى أن الآية تدل على أن هؤلاء القائلين بذلك بغضّ النظر عن هويتهم من حيث أنهم منكرون للخالق، وهذا قاله غير واحد من أتباع ابن تيمية أنفسهم، وقد سبقت نصوص ابن القيم والفوزان في ذلك حيث بينوا فيها أن آية الجاثية تدل على إنكار قائلها للخالق طراً، وقد نقلوا ذلك عن الطبري وابن كثير كما في نص الحفيد السابق، ولكن على التسليم بأنها لا تدل على إنكار قائلها لله فنحن لم نستدل بها في هذا المقام على ذلك، وإنما

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٥ / ٣ / ٤٩)

نستدل بها على أن قائلها ينسبون بعض الحوادث كالموت للدهر وهذا مما يقدر في توحيد الربوبية، فهذا محل استدلالنا بالآية.

ثانياً: أما ما قاله المعلمي مما حصله أن نسبة المشركين الحوادث للدهر الذي في الآية ونحوه مما هو مبثوث في أشعارهم: هو منهم نسبة مجازية كما يقول كثير من المسلمين: «الدهر معاندي» ونحوه، واستدل على ذلك بحديث «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ..». فجوابه: غير صحيح لعدة أمور: الأمر الأول: أنكم أنكرتم المجاز طراً وقتلتم بأنه طاغوت<sup>(١)</sup>!

**يعتذرون عن الدهرية بالمجاز بما لا يعتدرون به عن المسلمين في**

**مسألة الاستغاثة**

الأمر الثاني: أنكم أبيتم أن تحملوا على المجاز كلام المسلمين الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله إذا صدر منهم كلام موهم يمكن حمله على المجاز! تعالوا لنسمع أحد أدعياء السلفية وهو ابن قيصر الأفغاني حيث يقول وهو يرفض أن يعتذر عن المسلمين

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة (ص: ٦٩٠): فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية، لتعطيل حقائق الأسماء والصفات، وهو طاغوت المجاز.

المستغيثين، ويرفض حمل كلامهم على المجاز: «لو فتح هذا التأويل لما يصح الشرك، وحكم الكفر على أحد من الناس»<sup>(١)</sup>... مثلاً يكون معنى قول القائل: «الرسول خالق السماوات والأرض»: «رب الرسول» - بحذف المضاف... وثانياً: أن عباد القبور أكثرهم [عوام جهال] لا يدرون المجاز العقلي [الذي اصطلح عليه هؤلاء المجازيون]، ولا يعرفون هذه المسألة»<sup>(٢)</sup>

لاحظ كيف رفض الاعتذار لمن يستغيث برسول الله، وحكمه بشركه مطلقاً! مع أنه يمكن أن يحمل كلام المسلم المستغيث على المجاز، تماماً كما حمل كلام الدهرية والمشركين على المجاز، كما سبق في

(١) «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (٢ / ١٠٢٣)، وتتمه كلامه: وإن سُبَّ الله تعالى، وسب الأنبياء عليهم السلام - نعوذ الله من ذلك مثلاً يكون معنى قول القائل: «الرسول خالق السماوات والأرض»: «رب الرسول» - بحذف المضاف، ومعنى قول فرعون: «أنا ربكم الأعلى» - «أنا أقول: ربكم الأعلى»، بتقدير القول. اهـ كذا قال وهذا كلام غريب مبتذل، لأن الأفغاني نفسه اعتذر عن المشركين حينما سبوا الله فقال: أرادوا سب رسوله! وكذا اعتبر فرعون موحداً في الربوبية مع أنه القائل أنا ربكم الأعلى!! وقد ردنا عليه في كتاب ولئن سألتهم ص ٨١.

(٢) «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (٢ / ١٠٢٣)، «الشرك في القديم والحديث» (٢ / ١٢٢٩).

قول المعلمي «يترجح لنا أنهم إنما كانوا يطلقونه مجازاً»! وهذا عجيب حقاً! لأن حمل كلام المسلم المستغيث على المجاز أولى من حمل كلام المشرك أو الدهري على المجاز، إذ المسلم موحد يشهد فعلاً أن الله وحده هو الإله والرب والخالق والمؤثر في الكون، بخلاف المشرك والدهري الذي يعدد الآلهة والأرباب، وينسب إليها الحوادث كما أقر بذلك ابن تيمية نفسه فضلاً عن أتباعه وقد سبقت نصوصهم.

ثالثاً: لو كانت النسبة مجازية هنا لما استحق الدهرية ذمّاً أصلاً؛ لأن هذا المجاز مستخدم في كلام البلغاء، وبيان ذلك أن قولكم بأن نسبة الحوادث للدهر من قبل المشركين في قوله «وما يهلكنا إلا الدهر» هي نسبة مجازية، فهذا يُقصد به أن ثمة مجازاً عقلياً هنا علاقته الزمانية نحو «قول القائل في وصف متعبّد يقوم الليل ويصوم النهار اسمُه عبد الله: «عبد الله ليله قائم، ونهاره صائم». هذا الإسناد قد وُجِدَتْ نظائره في كلام بلغاء العرب.. التجوُّز في الإسناد، فبدل أن يُسندَ القيام والصيام إلى المتعبّد فيقال: «عبد الله قائم كل الليل، وصائم كل النهار» أسندا إلى الليل والنهار، والعلاقة هي الظرفية الزمانية»<sup>(١)</sup>

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٢/ ٢٩٦)، للشيخ عبد الرحمن حبنكة، دار القلم، ط ١ / ١٩٩٦م. وانظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١)

وقال المبرد: قال أبو كبير الهذلي: حملت به في ليلة مزوودة.. كرهاً،  
وعقد نطاقها لم يحلل. مزوودة: ذات زؤدٍ، وهو الفزع، فمن نصب  
«مزوودة» أراد المرأة. ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات  
فزع، لأنه يفزع فيها، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾  
والمعنى: بل مكر كرم في الليل والنهار: وقال جرير: لقد لمتنا يا أم غيلان  
في السرى.. ونمت، وما ليل المطي بنائم. وقال آخر: فنام ليلى وتجلي  
همي<sup>(١)</sup>. اهـ

وكما ترى فهذا المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية أسلوب بليغ  
موجود في القرآن وفي كلام بلغاء العرب، فلو كان قصد المشركين في  
آية الجاثية «وما يهلكنا إلا الدهر» ونحوها هو هذا المجاز لما لحقهم ذمُّ  
أصلاً! إذ لكان معنى الآية ما يهلكنا إلا الله في الدهر، وهذا لا غضاضة  
فيه، بيد أن الآية سيقت مساق الذم، فضلاً عن أن حديث «يؤذيني ابن  
ادم.. يسب الدهر» فيه تصريح بدم من يسب الدهر، وأن في ذلك  
إيذاء لله بمعنى أنه «نسب إليّ ما لا يليق بجلالي»<sup>(٢)</sup>، و«معناه يخاطبني

(١٤٢)، الإيضاح في علوم البلاغة (١ / ٨٧)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم  
البلاغة (١ / ٥٤)

(١) الكامل في اللغة و الأدب (١ / ١١٣)، الإيضاح في علوم البلاغة (١ / ١٠٦)  
للقزويني، دار الجيل.

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٤ / ٤٨١).

من القول بما يتأذى من يجوز في حقه التأذي، والله منزه عن أن يصل إليه الأذى، وإنما هذا من التوسع في الكلام<sup>(١)</sup>، والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله<sup>(٢)</sup>، لأنه «يقول في حقي ما أكرهه وأبغضه»<sup>(٣)</sup>، فبطل قول المعلمي اليماني بأن النسبة هنا مجازية؛ لأنها لو كانت كذلك لما استحق هذا الذم من يسب الدهر.

### المرصد التاسع: دعوى أن الذين أنكروا الله هم بعض الزنادقة من أهل الجاهلية

وأما جوابهم الرابع وهو أنه: سلّمنا أنها - أي آية: وما يهلكنا إلا الدهر - في مشركي العرب، وأنها في نسبة الحوادث للدهر نسبة حقيقية، ولكن هذا اعتقاد قلة منهم وهم زنادقة الجاهلية؛ و«لا شك أن الزنادقة لا دين لهم فهم إن أنكروا خالقية الله تعالى وربوبيته ونسبوا

(١) خلافا لابن عثيمين الذي حمل الحديث على ظاهره فقال كما في «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١٠ / ٨٢٧): «قوله: (يؤذيني ابن آدم). أي: يلحق بي الأذى، فالأذية لله ثابتة ويجب علينا إثباتها؛ لأن الله أثبتها لنفسه، فلسنا أعلم من الله بالله، ولكنها ليست كأذية المخلوق؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]» وهذا كلام تضحك منه الثكلى، وحكايته تغني عن رده!

(٢) «فتح الباري لابن حجر» (٨ / ٥٧٥)

(٣) «شرح المصابيح لابن الملك» (١ / ٥٣)

الحوادث إلى الدهر، فهذا منهم مكابرة وعناد. فهذه الآية لا تناقض ما حكى الله عنهم من اعترافهم بتوحيد الربوبية، فهم يقولون ذلك بالألسنة مع أن قلوبهم تشهد بخلاف ذلك»<sup>(١)</sup>، كذا قال الأفغاني.

### تناقض الوهابية في نطق المشركين بتوحيد الربوبية

قال وليد: كلام الأفغاني هذا ينقض أوله آخره! إذ كيف «أنكروا خالقية الله» وكيف حكى الله عنهم «اعترافهم بتوحيد الربوبية»؟! وكيف لا يناقض الأول الثاني، أي كيف لا يتناقض إنكارهم للخالق مع اعترافهم بأن الله هو الرب والخالق وحده؟! إذا كانوا منكرين للخالق نفسه فكيف يوحدونه في الخالقية أو في الربوبية؟! إن كان الجواب أن الجهة منفكة بمعنى أنهم أنكروا الخالق بألستهم، واعترفوا في قلوبهم به وتوحيده في الربوبية، بحكم كون الله مطلعاً على قلوبهم وإن لم تنطق بذلك ألستهم.

فنقول: أولاً: هذا إقرار منكم بأنهم ما أقرت ألستهم قط بتوحيد الربوبية، بل كانوا منكرين له بألستهم مقرين به بقلوبهم، وإقرار أيضاً أن الآيات الثمانية التي احتججتم بها على إقرارهم بتوحيد الربوبية هو إقرار قلبي فحسب لا لساني، وهذا يُبطل أصل نظرية تقسيم التوحيد

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٤٦)

من أن المشركين كانوا يقولون أنه لا رب إلا الله، ولكن يابون أن يقولوا لا إله إلا الله، فهذا غير صحيح لأنهم لم تقرّ ألسنتهم بهذا ولا بذلك، وبالتالي بطل قول الهذيل من أن المشركين أقروا «الإقرار الذي نطقوا به من أن الله تعالى هو وحده الخالق الرازق». اهـ<sup>(١)</sup>، وقول الحازمي: اعتقدوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم، إذاً ليس هو مجرد اعتقاد بل كانوا يقرون وينطقون بألسنتهم ما اعتقدوه بقلوبهم، وهو أن الله الخالق وحده لا شريك له في الربوبية وأنه لا يرزق إلا هو.. هذا اعتقاد من؟ اعتقاد المشركين الذين بُعثَ فيهم النبي صلى الله عليه وسلم. اهـ

فهذا وأمثاله من النصوص التي تزعمون فيها أنهم نطقت ألسنتهم بأنه لا رب إلا الله استناداً على آيات الباب الثمانية: غير صحيح الآن بدليل ما قاله الأفغاني هنا وهو أن آية الجاثية «لا تُناقض ما حكى الله عنهم من اعترافهم بتوحيد الربوبية، فهم يقولون ذلك بالألسنة مع أن قلوبهم تشهد بخلاف ذلك». لماذا لا تناقض؟ لأن اعترافهم بتوحيد الربوبية الذي حكاه الله هو اعتراف قلبي لا لساني بل كانوا ينكرون الله بلسانهم بدليل قول الأفغاني نفسه بأنهم «فهم إن أنكروا خالقية الله تعالى وربوبيته ونسبوا الحوادث إلى الدهر.. فهم يقولون ذلك بالألسنة مع أن قلوبهم تشهد بخلاف ذلك». فعجباً كيف

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٨٣

نقض الوهابية غزلم فاعترفوا بأن المشركين لم يقرّوا بألستهم بالله وإنما بقلوبهم فقط!؟

**المشركون يعلمون في قلوبهم بأنه لا إله ولا رب إلا الله ولكن لا يدعون ولا تقرّ ألستهم بذلك**

إذا آل إقرار المشركين بتوحيد الربوبية إلى أنه إقرار قلبي فطري فقط، فهذا لا يعني أنهم أقرّوا بذلك بألستهم، بل قد يجحدون بألستهم ما أقرّوا به أو ما علموه في قلوبهم، بدليل ما ذكره الطبري وابن تيمية وابن القيم من أن المشركين يعلمون أنه لا إله إلا الله كما يعلمون أنه لا رب إلا الله، أي يعلمون توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ولكن لا يقرون بكليهما بألستهم، وإليكم النصوص في بيان ذلك:

(١) يقول الطبري: قل لهم: هل أفردتم التوحيد، وأخلصتم العبادة والألوهة لرب العالمين، دون سائر الأنداد والأشراك التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم، وإقراركم بربوبيتهم، وأنتم تعلمون أنه لا رب غيره، ولا إله سواه<sup>(١)</sup>. اهـ

(٢) ويقول ابن تيمية: وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية - وإن كان معلوماً بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية - فهو أيضاً معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية<sup>(١)</sup>. اهـ

(٣) ويقول أيضاً: فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية، مُحبة له تعبدته لا تشرك به شيئاً. ولكن يفسدها ما يزيّن لها شياطين الإنس والجن<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٤) وقال ابن القيم: الروح مركز في أصل فطرتها وخلقتها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الإنسان لو استقصى التفتيش لو وجد ذلك مركزاً في نفس روحه وذاته وفطرته<sup>(٣)</sup>. اهـ

**المرصد العاشر: خبط بعض الوهابية في آية الجاثية ينقض نظرية**

**تقسيم التوحيد برمتها**

رأينا من خلال النصوص السابقة أن المشركين يعلمون أنه إله إلا الله، ولكن هل أقرؤا بذلك بألسنتهم؟ طبعاً لا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ

(١) مجموع الفتاوى (٢ / ٣٧)

(٢) مجموع الفتاوى (١٤ / ٢٩٦)، وأثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة

(١ / ١٥٥)

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (٤ / ١٥٩٢)

كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ [الصفافات: ٣٥]، فكذا يقال في توحيد الربوبية، فهم يعلمون أنه لا رب إلا الله ولا خالق سواه، ولكن لم يقروا بألستهم، لأن علمهم القلبي بتوحيد الربوبية والألوهية لم يكن مقرونا بالإذعان وإلا لأقروا بألستهم، بل هم جحدوا بألستهم ما علموا صدقهم بقلوبهم كما قال تعالى عن فرعون وأتباعه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وهذا سيأتي بيانه<sup>(١)</sup>.

فإن قال الأفغاني: قصدتُ بالذين أنكروا الخالق بألستهم: الدهريين من العرب وهم قلة، وليس كلهم أو جلهم، بل جلهم يقرون بألستهم بالله وهم الذين قلنا بأنهم كانوا يقولون بألستهم: لا ربَّ إلا الله بدليل آية ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ونحوها.

قلنا: هذا تناقض عجيب! إذ أنت نفسك أيها الأفغاني استدلت بآية لقمان هذه على أن الدهريين يقرون بقلوبهم بوجود الله، فكيف الآن تزعم أن آية لقمان هذه هي نفسها تدل على إقرار العرب بألستهم بالله لا بقلوبهم فحسب! فقل لنا الآن هل آية لقمان وأمثالها تدل على أن إقرارهم بالله كان باللسان أم بالقلب؟!!

(١) انظر (ص ٦٢٧) من هذا الكتاب.

ألم تقل أنفا: «فهذه الآية لا تناقض ما حكى الله عنهم من اعترافهم بتوحيد الربوبية، فهم يقولون ذلك بالألسنة مع أن قلوبهم تشهد بخلاف ذلك»<sup>(١)</sup>، فقولك «فهذه الآية» أي آية الجاثية «وما يهلكنا إلا الدهر»، وقولك «لا تناقض ما حكى الله عنهم»، أي الذي حكاه في آية لقمان ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ونحوها، وقولك «من اعترافهم بتوحيد الربوبية فهم يقولون ذلك بالألسنة مع أن قلوبهم تشهد بخلاف ذلك» اعتراف منك بأن آية الجاثية تدل على أن الدهريين يقرون بوجود الله بقلوبهم لا بألسنتهم، فكيف نقضت غزلك بعد ذلك فجعلت آية لقمان نفسها تدل على أن المشركين كانوا يقرون بألسنتهم بوجود الله لا بقلوبهم وحدها؟! فأنت تارة تجعل الإقرار الذي في آية لقمان وأمثالها إقرارا لسانيا وتارة تجعله إقرارا قلبيا فقط! وهذا اضطراب وتناقض كما ترى.

فأحد أمرين؛ إما أن تقول إن آية لقمان ونحوها تدل على أن المشركين عموما يقولون بألسنتهم بأن الله خالقهم إن سئلوا عن ذلك، على اعتبار أن نص الآية: «ليقولن الله»، والقول عندكم هو اللفظي

(١) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٤٦)

حصراً، وإن أريد به النفسي قُيد كما صرحتم بذلك<sup>(١)</sup>، وبالتالي فلا يستقيم أن تقول بعد ذلك: بأن الدهريين من العرب وإن كانوا ينكرون الخالق بألستهم وفقاً لآية الجاثية «وما يهلكنا إلا الدهر»، ولكنهم كانوا يعترفون بقلوبهم بتوحيد الربوبية مستدلاً على ذلك بآية لقمان «ولئن سألتهم من خلق..!» وإنما لا يستقيم هذا لأنه يتعارض مع ما ذكرته أنت من أن الاعتراف الذي في آية لقمان هو اعتراف لساني بالله من المشركين، فكيف صار الآن اعترافاً قليلاً بالله من الدهريين!؟

وإما أن تقول إن آية لقمان ونحوها دلت على أن إقرار المشركين عموماً بتوحيد الربوبية هو إقرار قلبي فقط فلا ينافي إنكار الدهريين لله بألستهم، وبالتالي فإن المشركين والدهريين كلاهما أقروا بالله بقلوبهم، والفرق بينهما هو أن المشركين لا ينكرون الله بألستهم، بل قد يجري على لسانهم ذكر الله ويحلفون به ويدعونه أحياناً كما سبق، وأما الدهريون فينكرون الله بألستهم، وينسبون الأحداث للدهر، وإن كانوا يقرون بقلوبهم بالله.

(١) حيث جاء في موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٢٦٩): هذه أهم حججهم على الكلام النفسي، وقد ناقش شيخ الإسلام هذه الحجج، وبين أنه لا دليل لهم فيها: ١- أما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ (المجادلة: من الآية ٨) فعنه جوابان: .. والثاني: إنه قيده بالنفس، وهذا على أن المقصود أنهم قالوه بقلوبهم، وإذا قيد القول بالنفس كان دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق. اهـ

فثبت بما سبق أن الإقرار الذي في آية لقمان هو إقرار قلبي فطري، وبالتالي لا يفيدك الاستدلال بها على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، ولا على الزعم بأن المشركين موحدون في الربوبية، وذلك لسببين: الأول: هو أن الإقرار أو المعرفة القلبية التي دلت آية لقمان ونحوها لا تكفي للشهادة للمشركين بإيمانهم بتوحيد الربوبية؛ لأن الإيمان ما لم يقترن باللسان فلا عبرة به كما بسطناه في موضعه<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن المشركين كما هم مفطورون على توحيد الربوبية هم مفطورون أيضا على توحيد الألوهية، وفي ذلك يقول ابن تيمية: وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية - وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية - فهو أيضا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقد سردنا مزيدا من نصوصكم في ذلك في كتاب سابق<sup>(٣)</sup>، وبالتالي فأبي فرق بين التوحيدين ما داموا مقرّين في قلوبهم بالاثنين، وينكرون كليهما بألستهم؟! وهكذا يتعرى كلام الأفغاني حول آية

(١) انظر (ص ٥٩ و ١٥١) من هذا الكتاب.

(٢) مجموع الفتاوى (٢ / ٣٧)

(٣) انظر: ولئن سألتهم ص ٤٦٢.

الجائية «وما يهلكنا إلا الدهر» ويبدو متهافتا ينقض أوله آخره، بل ينقض نظرية تقسيم التوحيد برمتها كما سبق.

وبذلك نكون قد انتهينا من الكلام على المبحث الأول الذي بيّنا فيه نسبة المشركين الحوادث إلى غير الله وهو الدهر، وانتقل في المبحث الثاني لبيان نسبتهم التأثير إلى الكواكب والنجوم.

## المبحث الثاني:

### نسبة المشركين التأثير والرزق إلى الكواكب والنجوم

نسب المشركون التأثير والرزق والغيث إلى الكواكب والنجوم، وهذا شرك في الربوبية بإقرار السلفية، وفيما يلي بسط ذلك من خلال المطالب التالية:

### المطلب الأول: الأدلة على أن المشركين كانوا ينسبون التأثير والغيث إلى الكواكب والأصنام:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾ [النجم آية ٤٩]، قال القرطبي في هذه الآية: (الشعري) الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، .. وإنما ذكر أنه رب الشعري وإن كان رباً لغيره، لأن العرب كانت تعبد، فأعلمهم الله عز وجل أن الشعري مربوب وليس برب. واختُلف فيمن كان يعبد، فقال السدي: كانت تعبد حمير وخزاعة.. وقد كان من لا يعبد الشعري من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

مضى أيلول وارفع الحروز .. وأخبت نارها الشعري العبور<sup>(١)</sup>. اهـ

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (٢٠ / ٦٢).

**الدليل الثاني:** روى الشيخان - واللفظ لمسلم - عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»

**الدليل الثالث:** روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلال من خلال الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة ونسي الثالثة قال سفيان ويقولون إنها الاستسقاء بالأنواء.

**قول القرطبي «اعتقادهم الفاسد في أن النجوم توجد المطر وتخلقه»**

**الدليل الرابع:** ما رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً: «أربع في أممي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»<sup>(١)</sup> والاستسقاء هو «استدعاء السقي وسؤاله، وكأنهم كانوا يسألون من النجوم أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٣٤)، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة.

تسقيهم؛ بناء منهم على اعتقادهم الفاسد في أن النجوم توجد المطر وتخلقه<sup>(١)</sup>. اهـ.

**قول ابن تيمية: «يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشركه**

**به»**

الدليل الخامس: روى مسلم بسنده عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث فيقولون: الكوكب كذا وكذا»<sup>(٢)</sup>. «(ف)هم (يقولون) أمطر (الكوكب كذا وكذا) أي أمطر النجم الفلاني مطراً صفته كذا وكذا فيضيفون المطر إلى غير الله تعالى مع أنه الممطر»<sup>(٣)</sup>. قال ابن تيمية بعد أن سرد هذا الحديث وأمثاله: وهذا كثير جدا في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشركه به»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٥٨٧).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٨٤).

(٣) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢/ ٥٥٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣).

## «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» أي الأنواء التي ينسب المشركون إليها الرزق

الدليل السادس: أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: مُطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية .. **﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾**. اهـ

وثمة أحاديث وآثار كثيرة في هذا المعنى؛ فقد روى الطبري في تفسيره عند قوله تعالى «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» بسنده عن ابن عباس - وهو إسناد صحيح كما قال ابن كثير في تفسيره<sup>(١)</sup> - قال: «ما مُطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا»<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقال السيوطي: أخرج أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور .. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» قال: يعني الأنواء وما مطر قوم إلا أصبح بعضهم كافراً، وكانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى «تجعلون رزقكم

(١) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٧ / ٥٤٦).

(٢) تفسير الطبري / ط هجر (٢٢ / ٣٧٠).

أنكم تكذبون»<sup>(١)</sup>. وقال أيضا: وأخرج أحمد .. والترمذي وحسنه ..  
 عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:  
وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال: شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا  
وكذا وبنجم كذا وكذا<sup>(٢)</sup>.

الدليل السابع: خبر «هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها  
 فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا»

جاء في سيرة ابن هشام «قالوا له: هذه أصنام نعبدها،  
 فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا»، وقد سبق أن تكلمنا عن  
 هذا الخبر بالتفصيل<sup>(٣)</sup>، ولكن محل الشاهد هنا من الخبر أنه يدل على  
 نسبتهم الرزق إلى غيره تعالى، فهم يعتقدون أن أصنامهم ترزقهم  
 وتمطرهم فضلا عن أنها تنصرهم بزعمهم كما سبق، فأين توحيدهم في  
 الراقية الذي هو جزء من توحيد الربوبية الذي زعمتم أنهم كانوا  
 يقررون به؟!

(١) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١٤ / ٢٢٥).

(٢) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٨ / ٢٩).

(٣) انظر (ص ٣٤٤) من هذا الكتاب.

## المطلب الثاني: نصوص العلماء على أن مشركي العرب نسبوا التأثير للكواكب

نصّ العلماء من السلف والخلف على أن مشركي العرب نسبوا  
المطر والتأثير للكواكب والنجوم، وفيما يلي طائفة من نصوصهم:

(١) قال مقاتل: لا يقولون هذا رزق الله إنما يقولون سُقينا بنوء كذا  
وكذا<sup>(١)</sup>.

(٢) وقال الشافعي: «من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته» فذلك إيمان  
بالله لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله عز وجل، وأما  
من قال مطرنا بنوء كذا، وكذا على ما كان بعض أهل الشرك  
يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا فذلك كفر.. لأن  
النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه، ولا لغيره شيئاً،  
ولا يمطر، ولا يصنع شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وقد نقل الحافظ ذلك عن الشافعي قائلاً إن هذا «أعلى ما  
وقفت عليه»<sup>(٣)</sup>. قال الغنيمان: «ومعنى الإيذان هنا: الاعتراف بفضل  
الله، ونسبة النعم وإنزال المطر والتصرف في الكون إلى الله تعالى؛ لأنه

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٦ / ٣٦).

(٢) الأم للشافعي ترفعت فوزي (٢ / ٥٥١).

(٣) فتح الباري (٢ / ٥٢٣).

هو مالك كل شيء، وخالقه والمدبر شؤون خلقه. ومعنى الكفر في هذا الحديث: نسبة النعم، وإنزال المطر، والتأثير في الكون، إلى غير الله تعالى كقولهم: مطرنا بالنوء الفلاني<sup>(١)</sup>.

إذن يوجد في البشر من ينسب الخلق والتأثير لغير الله، وهم أهل الشرك الذين أضافوا المطر للأنواء كما قال الإمام الشافعي، فكيف يقال إنهم موحدون في الربوبية!؟

(٣) حكى ابن قتيبة في كتاب الأنواء أنهم «كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما بصنعه على زعمهم، وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفرا»<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٤) قال الحربي: إنما جاءت الآثار بالتغليظ؛ لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر من فعل النجم، ولا يجعلونه من سقى الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(٥) قال المنذري: كانت العرب تستمطر بالأنواء، وتقول: مُطرنا بنوء كذا اعتقاداً أن فعل ذلك فعل الأنواء، فكان هذا كاللعن للفاعل، ولا فاعل لكل شيء إلا الله تعالى خالق كل شيء

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٣٨٧).

(٢) فتح الباري (٢/ ٥٢٣).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٣١).

وفعله، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك<sup>(١)</sup>. اهـ  
ونقله عنه الألباني<sup>(٢)</sup>.

(٦) قال ابن حجر: «وكانوا يقولون مطرنا بنوء كذا فأبطل صلى الله عليه وسلم ذلك بأن المطر إنما يقع بإذن الله لا بفعل الكواكب»<sup>(٣)</sup>. اهـ

(٧) ليبيد ينسب في معلقته المطر إلى النجوم واختلاف الشراح في ذلك

قال ليبيد في معلقته:

(رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ، وَصَابَهَا .. وَذُقَّ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا  
فِرَاهُمَهَا)

قال الفاكهي: وإضافة المربيع إلى النجوم لقولهم: مطرنا بنجم كذا أو نوء كذا<sup>(٤)</sup>. اهـ وكذا قال ابن النحاس<sup>(٥)</sup>، والتبريزي،

(١) الترغيب والترهيب للمنذري ت عمارة (٣ / ٤٨٢).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢ / ٦٨).

(٣) فتح الباري (١٠ / ١٥٩).

(٤) فتح المغلقات شرح المعلقات ص ١٢٤٠، لزين الدين الفاكهي، ت جابر المحمدي.

(٥) شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس (١ / ٣٦٤).

ولكن أضاف: ورواه الأصمعي: (مرايبع السحاب) وواحد  
 المرايبع مرباع، وهو المطر الذي يكون في أول الربيع<sup>(١)</sup>. اهـ  
 (٨) قال الشوكاني عند حديث: «كسفت الشمس على عهد رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم..». وفي هذا الحديث إبطال ما كان  
 أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب<sup>(٢)</sup>. اهـ

### المطلب الثالث: إقرار السلفية بوقوع المشركين في شرك الربوبية لاعتقادهم بتأثير الكواكب في نزول المطر

أقر السلفية بأن المشركين كانوا ينسبون المطر إلى النجوم، فذكروا  
 أن من مسائل الجاهلية «الاستسقاء بالنجوم: اعتقادهم نزول  
 المطر، بسقوط نجم في الغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من  
 المشرق، فقد كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا، وقال تعالى:  
 ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾<sup>(٣)</sup>، «ومعنى مطرنا بنوء كذا  
 أي: أسقانا النجم هذا المطر، فهذا نكران وجحود لنعم الله جل في

(١) شرح القوائد العشر للتبريزي (ص: ١٣٢)، وانظر: شرح القوائد السبع الطوار  
 الجاهليات لابن الأنباري (ص: ٥٢٣).

(٢) نيل الأوطار (٣/ ٣٨٨).

(٣) «المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية» (ص:

علاه، وجمود لربوبيته<sup>(١)</sup>؛ لأنه مبني على «اعتقاد أن المطر ينزل من تأثير طلوع النجم أو غروبه، وهذا من دين الجاهلية، فالمطر إنما يحصل بإرادة الله»<sup>(٢)</sup>، «ولم يعتقد كثير من الناس أن ما كان إنما هو من فعل رب الأرض والسماء»<sup>(٣)</sup>.

وإنما «كانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا»<sup>(٤)</sup>، فهم «يزعمون أنه مع سقوط منزلة وظهور أخرى من منازل القمر يكون مطرا، وينسبون ذلك إليها»<sup>(٥)</sup>، «وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالغرب ناء الطالع بالشرق»<sup>(٦)</sup>. «فإنهم يعتقدون

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار (١٥ / ٤، ت. ش).

(٢) شرح مسائل الجاهلية للفوزان (ص: ٢٤٢).

(٣) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية لشكري الألوسي، ت محب الدين الخطيب (٢ / ٢٨٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٩٦).

(٥) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٣٢٠)، محمد بن عبد الله زربان الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١ / ٢٠٠٣ م.

(٦) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص: ٢٧٤).

أن لمطالع الكواكب ومغارها وسيرها وانتقالها واقتراها واقتراقها تأثيراً في هبوب الرياح وسكونها وفي مجيء المطر وتأخره وفي رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك، فإذا وقع شيء من الحوادث نسبه إلى النجوم فقالوا هذا بنوء عطارد أو المشتري أو المريخ أو كذا .. وردّ الله تعالى ذلك عليهم وأكذبهم..»<sup>(١)</sup>.

### تجعلون رزقكم من عند غير الله تكديبا وشكرا لغيره

وهذا الرد عليهم جاء في آيات كثيرة منها الآية السابقة ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ ومعناها «وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغيث والمطر والرحمة «أنكم تكذبون» أي تنسبونه إلى غيره»<sup>(٢)</sup>. وقال عكرمة: أي «تجعلون رزقكم من عند غير الله تكديبا وشكرا لغيره»<sup>(٣)</sup>. أو المعنى أن «شكركم وشكر ما رزقكم الله ونصيبكم تجعلونه تكديبا وهو الاستسقاء بالأنواء..»<sup>(٤)</sup> وهذا هو «التكذيب بإنعام الله، وإضافة الرزق إلى غيره كالأنواء .. فهؤلاء قد

(١) معارج القبول للحكمي (٣/ ٩٨٠).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٥١).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٢).

جعلوا الأنواء مؤثرة في نزول المطر ومشاركة للرب جل وعلا في تصرفه، وهذا نوع من الشرك في الربوبية واتخاذ الأنداد»<sup>(١)</sup>.

قال مقيده وليد: وهذا كله يُثبت أن العرب كانت تعتقد بتأثير الكواكب بإنزال المطر، أي يعتقدون بأن الكواكب ترزقهم لأن المطر رزق كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] أي «ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإدراك الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض»<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية: ٥]، «وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم»<sup>(٣)</sup>، «وعليه تعلم أنهم يعتقدون أن الأنواء ترزقهم الغيث، فأين هذا من الشهادة لهم بأنهم أفردوا الله بأفعاله؟!»<sup>(٤)</sup>.

وقد أقررتم بأن اعتقاد العرب هذا هو نوع من الشرك في الربوبية كما سبق، فزعمكم أن المشركين «لم يشركوا مع الله أحدا في

(١) جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيان، (ص ٥٢٥).

(٢) جامع البيان ط هجر (٢٠ / ٢٩٣).

(٣) جامع البيان ط هجر (٢١ / ٧٤).

(٤) وقفات وإيضاحات مع كشف الشبهات (ص: ٢٠) للشيخ غيث بن عبد الله

الربوبية والخالقية والرازقية بل كان شركهم في العبادة»<sup>(١)</sup> هو زعم غير صحيح، بل أشركوا بنسبة التأثير والمطر للكواكب والنجوم، وقد بسطناه توطأً من نصوصكم وإقراركم. وقد أقررتم بأن من «نواقض توحيد الله تعالى في ربوبيته: .. اعتقاد تأثير وتصرف غير الله تعالى؛ من الأبراج والكواكب ومساراتها ومواقعها على حياة الناس»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الرابع: اعتقاد أهل الأديان الأخرى بتأثير الكواكب والنجوم وعبادتهم لها

نشير هنا إلى أن هذا الأمر - أي تأثير الكواكب - كان موجوداً أيضاً في أهل الديانات الوثنية القديمة، فتعتقد الصابئة أن الله تعالى «خلق الأفلاك والكواكب وفوض التدبير إليها، فيجب على البشر تعظيمها؛ لأنها هي المدبرة لهذا العالم»<sup>(٣)</sup>.

والصابئة هم من بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام فإن «قومه كانوا يتخذون الكواكب أرباباً، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا هم

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية (ص: ١٠)، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (ت: ١٢٩٣هـ)، مكتبة الهداية، ط ١ / ١٩٨٩م.

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص: ٢٨٥).

(٣) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٢٧٤)، محمد إبراهيم الفيومي (ت ١٤٢٧هـ)، دار الفكر العربي، ط ٤ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤.

ولا أحد العقلاء يعتقد أن كوكباً من الكواكب خلق السماوات والأرض»<sup>(١)</sup>.

والصابئة فرقٌ كثيرةٌ فمنهم «من جعل هيكلاً الشمس رب الهياكل والأرباب، وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد.. وربما احتجوا على وجود هذه المدبرات وأنها أحياء ناطقة.. وحاصله أنه لا يمكن نسبة حدوث العالم إلا لهذه الأفلاك والكواكب لأنه «ليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار إلا الأفلاك والكواكب؛ ولذلك حكموا بأنها أحياء ناطقة»<sup>(٢)</sup>.

«وأن لها روحانيات تنزل على عابديها. وهذا الاعتقاد هو الذي حدا بعابديها إلى أن يبنوا لها هياكل فيها أصنام تناسبها، وكان مبدأ هذا الشرك تعظيم الكواكب وظنّ السعود والنحوس فيها، وحصول الخير والشر منها. وآل أمر هذا الشرك - أعني عبادة الكواكب واعتقاد أنها آلهة مدبرة - إلى الفلاسفة والصائبة والمجوس وغيرهم، واعتقدوا فيها ما اعتقد أسلافهم من قوم إبراهيم.. (من) الاعتقاد بالكواكب والأنواء، ونسبة بعض الحوادث إليها مشهوراً لديهم، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعتقدات.. واعتقاد، أن

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢١ / ٣٤)، ط/ عالم الكتب.

(٢) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٢٧٧).

لهذه الكواكب تأثيراً في حوادث هذا العالم .. حماية لهم من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم الماضية من الإشرak بهذه النجوم واتخاذها أرباباً من دون الله<sup>(١)</sup> . اهـ

### عبادة اليهود للنجوم والكواكب واعتقاد أنها مدبرة تأثراً بأهل الديانات الوثنية

وقد «كانت الشمس من معبودات الشعوب الوثنية التي عاصرت اليهود كالبابليين والأشوريين وكانت تُعرف عندهم باسم الإله (شمس) .. وتعرف عند المصريين باسم الإله (رع) .. وكذا عبدوا القمر، فقد كانت الأمم المجاورة لفلسطين تعبد القمر، وعلى الرغم من أن الله حذّر اليهود من الوقوع في عبادته الفاسدة إلا أنهم زاغوا عن الصواب وأخذوا يوقدون له ويعبدونه .. واعتقدوا أن له ضرراً يحدثه بالناس .. إذ يهيج الأمراض العصبية كالجنون والصرع .. وكذلك كانوا يؤمنون بأن النجوم تدير الكون والبشر أنفسهم، فعبدها لما

(١) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام (ص: ٧).

وجدوا فيها من المظاهر الغريبة التي تستحق العبادة في نظرهم بدل خالقها وصانعها، ويزعمون بأنها تنبئهم بالمستقبل ومعرفة الغيب»<sup>(١)</sup> وهكذا «لم يعرف اليهود الاستقرار على عبادة الله الواحد طوال تاريخهم .. بل تنوعت وكثرت حتى شملت أغلب مظاهر الكون في سفله وعلوه كالأحجار والمعادن والنباتات والحيوانات، ومظاهر الطبيعة كالشمس والقمر ونجوم السماء وغير ذلك. هكذا ظلوا حيثما كانوا يعبدون آلهة القوم الذين يحلون لديهم فعبدوا آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم أو المحيطة بهم أو المسيطرة عليهم كآلهة الآشوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين وغير ذلك من الأمم، من هذه الآلهة: الإله آشور وعشتاروت ملكة السموات وزوجة الإله تموز وإله الشمس بعل والإله داجون وغير ذلك من الآلهة»<sup>(٢)</sup>.

### الثالث الهندي الشمس والنار والروح الذي تأثر به النصارى

- (١) جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود ص ١٠٦، ١٠٧، سميرة بكر بناني، رسالة علمية في جامعة أم القرى لعام ١٩٩٧ م.
- (٢) «جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر» عرض ونقد» (ص ١٣٣)، رمضان مصطفى الدسوقي حسنين (ت ١٤٣٣ هـ)، رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر - فرع المنصورة / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

كانت في الهند ديانات تعتقد بثالوث الشمس والنار والروح، فقد  
«ذُكر في الكتب القديمة الهندية التي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية عن  
عقيدة الهنود القدماء ما يأتي: (نؤمن بـ (سافستري) - أي: الشمس -  
إله واحد ضابط الكلّ خالق السماوات والأرض وبابنه الوحيد (أكني)  
- أي: النار - نور من نور مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر  
تجسد من (فايو) - أي: الروح - في بطن (مايا) العذراء. ونؤمن بـ  
(فايو) الروح المحيي المنبثق من الأب والابن الذي هو مع الأب،  
والابن يسجد له ويمجد»<sup>(١)</sup>

ويقال إن ثالوث النصارى مأخوذ من الثالوث الهندي هذا، ولذا  
فإن «صيغة الأمانة التي انتهى إليها مجمع نيقية هي صيغة منحولة عن  
الوثنيات السابقة، فقد نقل المؤرخ مالفير عن كتب الهنود أنهم يقولون:  
«نؤمن بسافستري (الشمس) إله ضابط الكل.. وبابنه الوحيد آني  
(النار) .. تجسد من فايو (الروح) في بطن مايا العذراء..»<sup>(٢)</sup>.

(١) حاشية «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (٢/ ٥٠٢)، مكتبة العبيكان، ط ١ /  
.١٩٩٨

(٢) الله جَلَّ جَلَّاهُ واحد أم ثلاثة ص ٢١٤، د. منقذ السقار، دار الإسلام، ط ١ /  
.٢٠٠٧ م.

فاستنسخ النصرارى ذلك فقالوا « نؤمن بإله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض كل ما يرى وكل ما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر الذي كان به كل شيء من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصُلب على عهد ملاطس النبطي، وتألّم وقبر، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب»<sup>(١)</sup>.

### نسبة الأمطار إلى غير الله في الديانات الوثنية القديمة

وأخيراً نشير إلى أن نسبة الأمطار إلى غير الله مثلما كان موجوداً عند عرب الجاهلية فقد كان موجوداً أيضاً في الديانات الوثنية السابقة، فإن «الإله الذي كان يوجه الآراميون أعظم اهتمام لعبادته كان «حدد» إله الزوابع والرعد، ويسمى أيضاً «أدو» وكان مفيداً حين يرسل المطر

(١) «البداية والنهاية ت شيري» (٢ / ١٢١)، وانظر أيضاً: «موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللثام» (٢ / ٣٩٨)، لنخبة من الباحثين، دار إيلاف الدولية، ط ١ / ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

الذي يخصب الأرض»<sup>(١)</sup>، «وكان «يهوه» يكتسب كثيرا من صفات «بعل» مما جعله سيد السماء وباعث المطر، والمسيطر على العواصف»<sup>(٢)</sup>. ولعل العرب أخذوا ذلك منهم، وهذا يدل أيضا على أن شرك الأمم - ومنهم العرب - لم يكن فقط في توحيد الألوهية - كما تزعمون - بل أيضا في توحيد الربوبية، بل الشرك في الأول ثمرة للشرك في الثاني كما بسطناه في موضعه<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثالث:

#### أدلة من السنة على اعتقادات جاهلية تنسب التأثير إلى غير الله

كان العرب في جاهلية جهلاء تسيطر عليهم الخرافات والأوهام، وفي ذلك يقول ابن تيمية «اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة من الرسل .. والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب: إما مبدل .. وإما أمي من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنته، وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك. والناس في جاهلية جهلاء، من

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٦٧).

(٢) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٧٧).

(٣) انظر (ص ٤٧١) من هذا الكتاب.

مقالات يظنونها علما وهي جهل، وأعمال يحسبونها صلاحا وهي فساد»<sup>(١)</sup>.

ولذا شاعت في الجاهلية اعتقادات عجيبة غريبة، وهي كثيرة ومتنوعة حاصل معظمها اعتقاد التأثير في غير الله، ولذا نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم كنهيه عن إتيان الكهان ونهيه عن الاعتقاد بالغول وبالأنواء والطيرة والهامة وغير ذلك، وفيما يلي بسط ذلك في مطالب:

### المطلب الأول: اعتقاد المشركين بأن الكهان يعلمون الغيب ولذا قصدوهم

كان المشركون يأتون الكهان في الجاهلية، وقد انتشرت في الجاهلية صنعة الكهانة والعرافة، وكثر الكهّان والعرّافون الذين يدّعون علمهم بالمغيبات، فكان أهل الجاهلية يصدّقونهم ويقصدونهم لذلك، فنهت الشريعة عن إتيان الكهنة والعرافين، ونفت أن يعلم أحد الغيب دونه تعالى، وإليكم بيان ذلك من أحاديث عديدة:

الأول: ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية (١ / ٧٥)، دار

يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه».

الثاني: ما رواه البخاري أيضا «بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليّ الرجل فدعي له .. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك .. الحديث. وقوله: (كنت كاهنهم) أي أخبرهم بالمغيبات في الجاهلية .. (ما جاءتك به جنيتك) من أخبار الغيب<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ: قوله «كنت كاهنهم في الجاهلية» الكاهن الذي يتعاطى الخبر من الأمور المغيبة، وكانوا في الجاهلية كثيرا فمعظمهم كان يعتمد على تابعه من الجن، وبعضهم كان يدعي معرفة ذلك بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله، وهذا الأخير يسمى العراف<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦ / ١٩٢).

(٢) فتح الباري (٧ / ١٧٩).

الثالث: حديث معاوية السلمي عند مسلم «قال: قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان. قال: فلا تأتوا الكهان»<sup>(١)</sup>. قال القاضي عياض هنا: أما الكهان فهم قوم يزعمون أنهم قوم يعلمون الغيب بأمر يلقي في أنفسهم، وقد أكذب الشرع من ادعى علم الغيب، ونهى عن تصديقهم<sup>(٢)</sup>. اهـ ثم ذكر أن الكهانة في العرب كانت على ضرب<sup>(٣)</sup>.

فثبت بهذه الأحاديث أن العرب في الجاهلية كانوا يأتون الكهان ليخبروهم بالمغيبات، بل قد «كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما، فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورثيا يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٣٧)، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧ / ١٥٣).

(٣) حيث قال كما في شرح السيوطي على مسلم (٥ / ٢٤٥). «كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضراب؛ أحدها: يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم، الثاني: أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قُرب أو بعد.. الثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الفن العرافة». وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧ / ١٥٣).

يستدل بها على مواقعها من كلام يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يَخْصُّونه باسم العراف»<sup>(١)</sup>.

الكهانة شرك في الربوبية والألوهية

أقرّ بعض السلفية أنّ «الكهانة لا تخلو من الشرك؛ لأنها تَقْرُبُ إلى الشياطين بما يحبون؛ فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة»<sup>(٢)</sup>. وإنما كان ذلك «شركا في الربوبية حيث إنه يُعد من الشرك في صفة العلم المحيط بالمغيبات، كما أن المشركين كانوا يستسلمون لكل ما يقضي به الكهان على الغالب، وبهذا يكونون قد أشركوا بالله في الربوبية من جهة إعطائهم سلطة التشريع والتحكيم من دون الله»<sup>(٣)</sup>. ولذا جاء في الحديث «(من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٧)، حامد بن محمد بن حسين، ت بكر بن أبو زيد، ط ١ / ١٩٩٦ م. والكلام أصله لابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٤ / ٢١٤) ونقله الحافظ في الفتح كما سبق ونقله أيضا العيني في عمدة القاري (١٢ / ٨٢)، وهو أيضا في «شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٨ / ٣٩٨).

(٢) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادّها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، للفوزان (ص: ١٠٢).

(٣) الشرك في القديم والحديث ١ / ٤٦٤.

فصدّقه فقد كفر)، وهذا الكفر مخرج من الملة، ووجه إخراجهم من الملة أنه صدّق بأن الكاهن له صفة من صفات الربوبية؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وهو حين صدّق الكاهن بأمور غيبية كأنه نحله صفة من صفات الربوبية<sup>(١)</sup>. ولذلك كان إتيان الكهان وتصديقهم مما «يقدرح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضرر»<sup>(٢)</sup>.

والحاصل أن العرب في الجاهلية كانوا يتعاطون الكهانة، وهي بإقرار السلفية شرك في الربوبية من وجهين؛ الأول: أن فيها نسبة العلم بالغيب لغير الله، الثاني: أن فيها إعطاء سلطة التشريع إلى غيره، فضلا عن أن ذلك شرك في الألوهية لما فيها من التقرب إلى غير الله بالعبادة.

### المطلب الثاني: اعتقاد أهل الجاهلية بالعدوى

كان أهل الجاهلية يعتقدون أن الأمراض ليست من الله، وإنما هي بفعل العدوى! يدل على ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفرّ من المجذوم كما

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية (٥ / ٥، ت. ش)، محمد حسن عبد الغفار. وانظر: شرح مسائل الجاهلية للحازمي (١٥ / ٢٩، ت. ش).

(٢) معارج القبول للحكيمي (٢ / ٤٣٢).

تفرّ من الأسد<sup>(١)</sup>، «وأحسن ما قيل فيه: قول البيهقي، وتبعه ابن الصلاح<sup>(٢)</sup> وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم<sup>(٣)</sup>: أن قوله: (لا عدوى) على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وإن هذه الأمور تعدي بطبعها»<sup>(٤)</sup> «فأبطل النبي اعتقادهم ذلك»<sup>(٥)</sup>.

أي أراد أن يبطل «العدوى القائمة في أذهان الجاهلية الأولى.. وهي أنها تعدي بنفسها»<sup>(٦)</sup>. فهم كانوا «يؤمنون بوجود هذه الأشياء ويؤمنون أيضا بتأثيرها.. يعتقدون أن العدوى تنتقل بنفسها»<sup>(٧)</sup> «ولا

(١) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٥ / ٢١٥٨)، صحيح مسلم (٤ / ١٧٤٢).

(٢) فتح الباري (١٠ / ١٦١).

(٣) انظر: جلال الدين السيوطي وآراؤه الاعتقادية ص ٢١٤، للباحث سعيد إبراهيم مرعي خليفة، رسالة دكتوراة في جامعة أم القرى، وانظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ط الرسالة (٤ / ١٥٣).

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٠٧).

(٥) شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب - لسليمان اللهميد (ص: ٢٠٧).

(٦) انظر موسوعة الألباني في العقيدة (٣ / ١١٤٢).

(٧) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد (١ / ٣٠٣)، لمؤلفه: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

شك أن هذا شرك بالله تعالى»<sup>(١)</sup> فلذلك جاء الحديث لكي «ينفي العدوى التي كان يعتقدونها أهل الجاهلية من أن المرض يتعدى بنفسه بدون تقدير الله سبحانه وتعالى»<sup>(٢)</sup> «فأخبر عليه السلام أن ذلك كله بقضاء الله وقدره»<sup>(٣)</sup> أي قد «يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببا لحدوث ذلك، ولهذا قال: فر من المجذوم كما تفر من الأسد»<sup>(٤)</sup>.

فواضح مما سبق أن أهل الجاهلية يعتقدون بالعدوى، وأنها هي سبب الأمراض بذاتها، وهذا شرك في الربوبية بإقرار السلفية أنفسهم كما رأينا.

### المطلب الثالث: اعتقاد المشركين بتأثير التهايم

كان المشركون يعتقدون بتأثير التهايم، لذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك في عدة أحاديث، وإليك بعضها:

(١) انظر: منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة ص ١٠٨٨، محمد إسحاق كندو، مكتبة الرشد- الرياض.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفرزان (٢/ ٩).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، دار الصميعي، الرياض (ص: ٧٥٤).

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٠٧).

(١) روى أحمد وغيره بسند حسن عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»<sup>(١)</sup>، وأخرجه أحمد أيضا من طريق آخر بلفظ: من علق تميمة فقد أشرك<sup>(٢)</sup>، قال الألباني عنه: هذا إسناد صحيح<sup>(٣)</sup>.

(٢) وروى أحمد والترمذي عن عبد الله بن عكيم مرفوعا: «من تعلق شيئا وكل إليه»<sup>(٤)</sup>

(١) قال محققو مسند أحمد ط الرسالة (٢٨ / ٦٢٣): حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لجهالة خالد بن عبيد- المعافري- .. وقد تابعه ابن لهيعة كما سيأتي، وهو- وإن كان سيئ الحفظ- يصلح في المتابعات والشواهد، ومشرح بن هاعان صدوق حسن الحديث. وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/ ٣٢٥ .. وأخرجه الحاكم ٤/ ٢١٦ و ٤١٧، والبيهقي ٩/ ٣٥٠ .. عن طرق عن حيوة بن شريح، به. وتساهل الحاكم فصحح إسناده.. وسيأتي برقم (١٧٤٢٢) بلفظ: «من علق تميمة فقد أشرك» وإسناده قوي. اهـ

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨ / ٦٣٧)، والطبراني في الكبير ١٧ / ٣١٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥ / ١٧٥: رجاله ثقات.

(٣) السلسلة الصحيحة ١ / ٨٨٩، حديث رقم ٤٩٢.

(٤) قال محققو مسند أحمد ط الرسالة (٣١ / ٧٨): حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.. وابن أبي ليلى: وهو محمد بن عبد الرحمن ضعيف سيئ الحفظ .. وأخرجه الترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم ٤ / ٢١٦ من طريق عبيد الله بن موسى، وأخرجه الترمذي

(٣) وروى النسائي عن الحسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من عقد عقدة، ثم نفث فيها، فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكل إليه»<sup>(١)</sup>.

عقب الحديث (٢٠٧٢) .. وقال الترمذي: وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليل، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) وعن درجة هذا الحديث قال الإثيوبي في ذخيرة العقبي في شرح المجتبى (٣٢) / (٤٩): ضعيف؛ للانقطاع، فإن الجمهور على أن الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -، وقد تقدم البحث في ذلك؛ وأن الراجح ثبوت سماعه منه في الجملة، لكنه مدلس، وقد عنعنه هنا، ولأن في إسناده عباد بن ميسرة، وهو متكلم فيه.

٤) روى أحمد وأبو داود وابن ماجة عن ابن مسعود مرفوعاً «إن الرقى، والتائم، والتولة شرك»<sup>(١)</sup>، وصححه الألباني<sup>(٢)</sup>.

## نصوص العلماء في اعتقاد أهل الجاهلية بتأثير التائم في دفع الأمراض

نسوق هنا نصوص أهل العلم في التائم وبيان معناها واعتقاد أهل الجاهلية بتأثيرها بدفع الأمراض والبلاء ونحو ذلك:

١) قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)<sup>(٣)</sup>: التيمة خرزة كانت الجاهلية تعلقها في العنق وفي العضد تتوقى بها وتظن أنها تدفع عن المرء

(١) قال محققو مسند أحمد ط الرسالة (٦ / ١١٠): صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة ابن أخي زينب، لكنه متابع، كما سيرد، وبقية رجال الإسناد ثقات.. وأخرجه بطوله أبو داود (٣٨٨٣).. وبمتابعة عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم يرتقي هذا القسم من الحديث إلى درجة الحسن، ويعضده الرواية السالفة برقم (٣٦٠٥)، وفيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره عشر خلال منها الرقى إلا بالمعوذات، وعقد التائم.. أخرجه الحاكم أيضا مختصراً ٢١٧/٢ من طريق عبيد الله بن موسى.. عن ابن مسعود، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. اهـ.

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ٦٤٨).

(٣) غريب الحديث ١ / ١٨٣، لابن قتيبة، ط ١ / العلمية، ١٤٠٨هـ.

العاهات، وكان بعضهم يظن أنها تدفع المنية حيناً. ويدلك على ذلك قول الشاعر:

إذا مات لم تفلح مزينة بعده \* فنوطي عليه يا مزين التائم<sup>(١)</sup>. اهـ  
 (٢) قال الخطابي (ت ٣٨٨ هـ): والتائم التي يشدونها بتلك الأوتار وكانوا يرون أنها تعصم من الآفات وتدفع عنهم المكاره، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من فعلهم.<sup>(٢)</sup>

(٣) وقال الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ): فكأن المعنى في هذا الحديث أن من تعلق تميمة خشية ما عسى أن ينزل أو لا ينزل قبل أن ينزل فلا أتم الله عليه صحته وعافيته.. وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم<sup>(٣)</sup>.

(٤) قال ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ): التائم جمع تيمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام.. «من علق تيمة فلا أتم الله له» كأنهم كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، وإنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا

(١) انظر هذا البيت في لسان العرب لابن منظور - (١ / ٤٤٨)، ط/ دار المعارف.

(٢) معالم السنن (١ / ٢٧).

(٣) التمهيد ١٧ / ١٦١.

بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله  
الذي هو دافعه<sup>(١)</sup>. اهـ

(٥) قال أبو العباس القرطبي (ت ٦٥٦هـ) إن الرقية المنهي عنها كانت «على مذاهب الجاهلية التي كانوا يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أن ذلك من قبل الجن ومعونتهم»<sup>(٢)</sup>.

(٦) قال النووي (ت ٦٧٦هـ): قال البيهقي: ويقال إن التميمة خرزة كانوا يعلّقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات<sup>(٣)</sup>. اهـ

(٧) ونحوه قول الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): «والتائم .. كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات والتولة.. شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ١٩٧).

(٢) المفهم للقرطبي (١ / ٤٦٢)، ونقله أيضا القاضي عياض في إكمال المعلم / ١ / ٦٠٦، وانظر: جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص ٤٨٦.

(٣) المجموع شرح المهذب (٩ / ٦٦).

(٤) فتح الباري (١٠ / ١٩٦).

٨) قال السندي (ت ١١٣٨ هـ) أن التميمة كانت «تعلقها العربُ على أولادهم يتقون بها العين، فأبطله الإسلام. (فلا أتم الله له) كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، فأبطل ذلك»<sup>(١)</sup>.

والحاصل من هذه النصوص كلها أن أهل الجاهلية كانوا يعلقون التمام ونحوها لاعتقادهم بأنها تدفع الضرر عنهم وتجلب الخير لهم، فهي عندهم مثلاً تدرأ البلاء وتدفع المرض، وتجلب الشفاء، فنهاهم النبي عن ذلك لأن الله وحده هو الذي يدفع الضرر، ونورد فيما يلي نصوص السلفية التي تؤكد ذلك.

نصوص السلفية في أن أهل الجاهلية يعتقدون النفع والضر في التمام:

١) قال حفيد ابن عبد الوهاب: «إنما جعلها - أي التميمة - شرّاً، لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر حاشية مسند أحمد ط الرسالة (٢٨ / ٦٢٤).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣١) نقلاً عن ابن الأثير.

٢) وقال عبد الرحمن آل سعدي عن التميمة: إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكا مع الله في الخلق والتدبير<sup>(١)</sup>. اهـ

٣) قال الألباني: التميمة: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام كما في «النهاية» لابن الأثير<sup>(٢)</sup>. اهـ

٤) قال الحفيد في فتح المجيد: قوله: «والتائم» وهي ما يُعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين، وهذا منهي عنه؛ لأنه لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وبأسماؤه وصفاته<sup>(٣)</sup>. اهـ

٥) وقال صالح آل الشيخ: والتميمة .. نوع خرزات، وأشياء توضع على صدور الصغار غالبا، وقد يضعها الكبار؛ لأجل دفع العين، أو دفع الضرر، أو الحسد، أو أثر الشياطين، .. وسميت تميمة لاعتقاده فيها أنه يتم له الأمر الذي أراد،

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٣)، باب من الشرك لبس الحلقة والخيطة ونحوها لرفع البلاء أو دفعه، لمؤلفه عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ط النفائس.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٩٠).

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٢٧).

فدعا عليه الرسول عليه الصلاة والسلام بأن لا يتم الله - جل  
وعلا - له ما أراد<sup>(١)</sup>. اهـ

(٦) وقال د. وليد السعيدان: التائم: هي حرام وشرك .. والمراد أن  
بعض الناس يتخذ التائم ويقصد بها دفع الشر وجلب الخير ..  
إلى أن يذكر أن اعتقاد أنها «هي الفاعلة بذاتها أي هي التي تدفع  
الشر وتجلب الخير بذاتها فهذا شرك أكبر تُخرج عن الملة بالكلية  
.. فهو شرك في الربوبية»<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٧) وقال حسن عبد الغفار: إن التعاليق والتائم كانت من عادات  
الجاهلية، إذ يعتقدون في الخرز والحجر والصنم والشجر أنها  
تدفع الضر وتجلب المنفعة، ولا يعتقدون في الله جل في علاه  
ذلك<sup>(٣)</sup>. اهـ

(٨) وقال عبد الله العرفج: «وبالجملة فإن المتأمل حال أهل الرقى  
والتائم الشركية يرى أنهم سلكوا مسلك أهل الجاهلية من  
حيث الألفاظ التي اشتملت على دعاء غير الله فيما لا يملكه  
إلا الله، أو في الاعتقاد الباطل بأن تلك الرقى والتائم تجلب

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (ص: ١٠٢).

(٢) القواعد المذاعة في مذهب أهل السنة والجماعة (ص: ٨٥).

(٣) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية لمحمد حسن عبد الغفار (٩ / ١٠،

النفع أو تدفع الضرر.. ولا ريب أن هذا شرك أكبر، لما فيه من دعاء غير الله واعتقادهم أن النفع والضرر جاء من قِبَل تلك الرقى والتائم»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى من خلال هذه النصوص اعتراف كثير من كبار السلفية بأن أهل الجاهلية كانوا يعلقون التائم لاعتقادهم أنها تدفع البلاء والمرض من دون الله وأن هذا شرك في الربوبية.

---

(١) جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص ٤٩٣.

## المطلب الرابع: اعتقاد أهل الجاهلية بالهامة وضررها

كان أهل الجاهلية يعتقدون بضرر الهامة ويتشاءمون منها فنفي الشرع ونهى عن ذلك، فروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا صفر ولا هامة). قال الحافظ: (قوله باب لا هامة) قال أبو زيد هي بالتشديد وخالفه الجميع فخففوها وهو المحفوظ في الرواية، وكأن من شددها ذهب إلى واحدة الهوام وهي ذوات السموم، وقيل دواب الأرض التي تم بأذى الناس، وهذا لا يصح نفيه إلا إن أريد أنها لا تضر لذواتها، وإنما تضر إذا أراد الله إيقاع الضرر بمن أصابته، وقد ذكر الزبير بن بكار في الموفقيات أن العرب كانت في الجاهلية تقول إذا قُتل الرجل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة، وهي دودة فتدور حول قبره فتقول اسقوني اسقوني، فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي.. أضربك حتى تقول الهامة

اسقوني

قال: وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب، وذكر ابن فارس وغيره من اللغويين نحو الأول، إلا أنهم لم

يعينوا كونها دودة، بل قال القزاز<sup>(١)</sup>: الهامة طائر من طير الليل كأنه يعني البومة، وقال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول نعت إلى نفسي أو أحدا من أهل داري، وقال أبو عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمون ذلك الطائر الصدى، فعلى هذا فالمعنى في الحديث لا حياة لهامة الميت، وعلى الأول: لا شؤم بالبومة ونحوها، ولعل المؤلف ترجم «لا هامة» مرتين بالنظر لهذين التفسيرين والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

ونقل حفيد ابن عبد الوهاب معظم هذا الذي قاله الحافظ، ولكن قال تعقيباً على قول أبي عبيد: وبه جزم ابن رجب، قال: وهذا شبيهه باعتقاد أهل التناسخ أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها<sup>(٣)</sup>. اهـ

(١) كذا وقع «القزاز» في المطبوع من فتح الباري، وكذا وقع في «مشارك الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه» (٢/ ٥٤٢)، وبعضهم نقله على أنه «القرءاء» كما في تيسير العزيز الحميد، (ص: ٧٦٥)، وكما في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص: ٣٠٩). والله أعلم.

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٤١).

(٣) تيسير العزيز الحميد، دار الصميعي (ص: ٧٦٥).

والشاهد من كل هذا أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد الهامة وضررها بذاتها، بغض النظر عن الاختلاف في تفسير الهامة نفسها، هل هي طائر أو دودة أو دابة أو غير ذلك؟

### المطلب الخامس: تعاطي المشركين للسحر وهذا شرك في الربوبية

كان العرب في الجاهلية وسائر المشركين في كل الأمم يتعاطون السحر، وهو شرك في توحيد الربوبية في بعض أنواعه<sup>(١)</sup> على الأقل كما أقررتم بذلك، وهاكم بيان ذلك:

أولاً: جاء في حديث أبي داود السابق «إن الرقى، والتهايم، والتولة شرك»، وقد صححه الألباني، ونصّ الشراح على أن التولة نوع من السحر كانت تتعاطاه النساء في الجاهلية لدفع ضرر أو جلب نفع

(١) جاء في فتح الباري (١٠ / ٢٢٢): قال الراغب وغيره السحر يطلق على معان أحدها ما لطف ودق ومنه سحرت الصبي خادعته .. الثاني ما يقع بخداع وتحييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده .. الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم .. الرابع ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستئزال روحانياتها بزعمهم. اهـ

كتحبيب أزواجهن بهن، ونحو ذلك على خلاف ما يقدر الله باعتقادهم كما قال ابن الأثير كما سيأتي، فنهي عنه لكونه شركا في الربوبية.

قال الخطابي: التولة يقال إنه ضرب من السحر؛ قال الأصمعي وهو الذي يجب المرأة إلى زوجها<sup>(١)</sup>. «وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله»<sup>(٢)</sup>. اهـ وأقره الألباني فقال: والتولة .. ما يجب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره قال ابن الأثير: «جعله من الشرك لا اعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

ثانيا: إنَّ «النشرة» التي نهى عنها في بعض الأحاديث قد نصَّ الشراح والسلفية على أنها نوع من أنواع السحر الذي تعاطاه أهل الجاهلية لفكَّ السحر بمثله، وفيما يلي بعض النصوص في ذلك:

(١) وقال ابن القيم عند حديث «وسئل - صلى الله عليه وسلم - عن النشرة، فقال: هي من عمل الشيطان».. والنشرة: حلّ السحر عن المسحور، وهي نوعان: حلّ سحر بسحر مثله،

(١) معالم السنن (٤ / ٢٢٦).

(٢) فتح الباري (١٠ / ١٩٦).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٦٥٠) وانظر أيضا شرح سنن أبي داود للعباد

(٤٣٧ / ١٤، ت. ش).

وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمل فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يجب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز.. «(١)». و«سئل عن النشرة» أي: النشرة المعهودة في الجاهلية، وهي التي كانت من عمل الشيطان<sup>(٢)</sup>. و«النشرة معالجة من كان به طِب.. - وهي - حل السحر عن المسحور بسحر أو بألفاظ أعجمية - لا تُعَلَّم - أو بطلاسم لا يُفهم معناها، أو بألفاظ شركية، ونحوه مما كان معهوداً من النشرة في الجاهلية»<sup>(٣)</sup>.

(٢) وقال حفيد ابن عبد الوهاب: قوله: (سئل عن النشرة). الألف واللام في النشرة للعهد، أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان، لا النشرة بالرقى والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة، فإن ذلك جائز كما قرره ابن القيم<sup>(٤)</sup>.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥ / ٥٨٧).

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١ / ٣٧٧).

(٣) الحذر من السحر (ص: ٢٢٥)، د. خالد الجريسي.

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ص:

(٣) وقال ابن باز: والنشرة هي: حل السحر عن المسحور.. هذا النشرة التي يتعاطاها أهل الجاهلية، وهي: سؤال الساحر ليحلّ السحر، أو حلّه بسحر مثله من ساحر آخر<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: نص كثير من السلفية على أن العرب عامة كانوا يتعاطون السحر في الجاهلية، وأن السحر هو شرك وطعن في توحيد الربوبية، وهاكم النصوص في ذلك:

(١) قال الأثيوبي عند حديث «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه، ضعيف»: (فقد سحر) أي عمل بأعمال أهل السحر (ومن سحر فقد أشرك)، أي فقد أتى بفعل من أفعال المشركين، أو لأنه قد يفضي إلى الشرك، إذا اعتقد أن له تأثيراً حقيقية. وقيل: المراد الشرك الخفي بترك التوكل.. قاله السندي<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٢) وقال صالح آل الشيخ: السحر شرك بالله - جل وعلا - يقدر في أصل التوحيد.. ثم يقول: النشرة إنما هي من جهة الساحر، لأنها - عند العرب - حلّ السحر بمثله.. والرفع والنشر من

(١) رسالة في حكم السحر والكهانة مع بعض الفتاوى المهمة (ص: ١١).

(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٢ / ٥٠).

عمل الشيطان، فإذا هو سؤال عن النشرة التي كانت تستخدم في الجاهلية<sup>(١)</sup>. اهـ

(٣) قال الحوالي: من أسماه الضارّ النافع، وهذا جزء من توحيد الربوبية ولا يجوز إهمالها .. فالذي يوقن بأن الله هو الضار النافع هل يذهب إلى الكهّان والسحرة والمشعوذين<sup>(٢)</sup>؟

(٤) وفي الدرر السنية: «وقد أورد القرافي أمثلة للكفر التي يتضمنها هذا السحر فقال: (هذه الأنواع قد تقع بلفظ هو كفر، أو اعتقاد هو كفر، أو فعل هو كفر، فالأول كالسب المتعلق بمن سبّه كفر، والثاني كاعتقاد انفراد الكواكب أو بعضها بالربوبية..)<sup>(٣)</sup>. اهـ

**السحر من الشرك في الربوبية لأن فيه نسبة العلم والقدرة لغيره**

**تعالى**

(٥) ونختم بهذا النص الجامع المهمّ، حيث يقول أبو بكر زكريا: «فالذي يتضح من تدبر كلام الله عز وجل: أن ظاهرة السحر

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٥).

(٢) شرح الطحاوية لسفر الحوالي (ص: ١٦٦، ت. ش).

(٣) الموسوعة العقدية - الدرر السنية (٧/ ٧٢، ت. ش).

بأنواعه المختلفة كانت موجودة في غالب الأمم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] يقول ابن تيمية: «اسم الساحر معروف في جميع الأمم»، فهذا يدل على أن السحرة كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، كما يدل على أن المشركين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم أنه ساحر، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢]، ثم سرد عدة آيات في الباب كقوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٧] وغيره، ثم قال زكريا: «فهذه كلها تدل صراحة على أن العرب كانوا عارفين عن السحر، وكان منهم سحرة».

ثم يطرح زكريا سؤالاً، وهو «هل السحر من الشرك في الربوبية»<sup>(١)</sup>، ثم يقول إن: بعض الأنواع من السحر لا يمكن أن يتعاطاها إلا بالشرك بالله جل وعلا، وذلك إما بالاستعانة بهم

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٨٤.

(٢) الشرك في القديم والحديث ص ٤٨٥.

، أو يدعوهم فيما لا يقدر عليه إلا بالله وينطق بكلمة الكفر من أجل رضاهم والاستمتاع بهم، أو يعتقد أن الكواكب مدبرة لأمر هذا العالم، وإما باعتقادهم نفعهم أو ضرهم بغير إذن الله، فهذان الأمران شركان بالله في قدرة الله الكاملة، وهما شرك في الربوبية . وإما أن يدعي لنفسه أو لشياطينه علم الغيب أو مشاركة الله في ذلك، فهذا شرك بالله في علمه الغيب، وهو شرك في الربوبية<sup>(١)</sup> . اهـ

ثم ذكر زكريا أن من السحر ما هو شرك في العبادة وهو الذي يتطلب الذبح للشياطين ونحو ذلك، ثم قال «ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قرن السحر بالشرك، وفي بعض الأحاديث سمّاه شركا، وحكم صلى الله عليه وسلم بالكفر على من أتى ساحرا فصدقه، فكيف بالساحر». ثم ذكر أحاديث في التنفير من السحر ومنه حديث «إن الرقى والتائم والتولة شرك»، ثم قال: والتولة ضرب من السحر<sup>(٢)</sup> .. إلى أن يقول بعد أن يسرد عدة أحاديث في الباب:

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٨٥ .

(٢) الشرك في القديم والحديث ص ٤٨٧ .

فهذه الأحاديث بمجموعها تدل على أن السحر شرك. ومما يلحق بالسحر النشرة. وقد كانت النشرة موجودة في الجاهلية<sup>(١)</sup>. اهـ.

والحاصل من كل ما سبق أن العرب في الجاهلية كانوا يتعاطون السحر بأنواعه وأنه في بعض أنواعه التي كانوا يتعاطونها شرك في الربوبية لأن فيه نسبة التدبير وعلم الغيب لغيره تعالى، كما أقرتم بذلك كما في النصوص السابقة، فهذا دليل آخر على أنهم مشركون في الربوبية.

### المطلب السادس: تلبية المشركين في الحج

وفي هذا المطلب عدة مراصد

المرصد الأول: دلالة صيغة تلبية المشركين على شركهم في

الربوبية

ثبت أن المشركين كانوا يقولون في تليبتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً لك تملكه وما ملك<sup>(٢)</sup>، فهم يصرون

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٨٧.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (١١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأن آلهتهم تملك شيئاً في قولهم «وما ملك»، لأنني أختار أن «ما» هنا اسم موصول بمعنى «الذي» وليست نافية، والمعنى هنا: تملكه وتملك الذي ملكه، غاية ما في الأمر أنهم يجعلون الله مالكا لما تملكه أوثانهم، وهذا لا ينجيهم من الشرك، بل هذا عين الشرك!! حيث جعلوا أصنامهم تملك مع الله، وما هو إلا من تليس الشيطان عليهم كما ورد في بعض الآثار، وأصرح مما سبق قول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فهذا تصريح من المشركين بأن الأصنام تملك أن تقرّبهم إلى الله، وادعوا لأصنامهم ملك الشفاعة من دون الله التي بها يصلون إلى حاجاتهم الدنيوية كما سبق أن نقلنا نصوص السلفية في ذلك<sup>(١)</sup>.

فكفار قريش مشركون في صفة «المالكية» التي هي من توحيد الربوبية، وبالتالي فقولكم إنه لم يكن المشركون «مشركين بالله آلهتهم في الخالقية والرازقية والمالكية والربوبية»<sup>(٢)</sup> غير صحيح، لأنهم يعتقدون أن أصنامهم تملك كما سبق، ولذلك رد الله عليهم في آيات كثيرة، وبيّن

«ويلكم قَدِ قَدِ» فيقولون: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت. اهـ وقوله ﷺ «ويلكم قَدِ قَدِ» معناه كفاكم هذا الكلام فاقصروا عليه ولا تزيدوا. انظر: شرح النووي على مسلم ٨ / ٩٠.

(١) انظر (ص ٥٢٨) من هذا الكتاب.

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٢١٣).

لهم أن هذه الآلهة لا تملك الشفاعة ولا التقريب إلى الله، ولا تملك شيئاً أصلاً، ولا ملكها الله شيئاً من ذلك، ولا فوضها تدبير شيء بل هي من إفك المشركين، ومن اختراعاتهم السخيفة، ومن تقليدهم لآبائهم وحسب، وفي المرصد التالي نسرده بعض هذه الآيات.

### المرصد الثاني: آيات تنفي عن الأصنام ما يعتقد المشركون فيها من ملك الشفاعة والضر والنفع

(١) قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

(٢) وقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يُخْلِقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

(٣) وقال على لسان إبراهيم: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

(٤) وقال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

فهذه الآيات وأمثالها تنفي عن الأصنام امتلاك شيء من الشفاعة أو الضر أو النفع، وما ذلك إلا لأنهم يعتقدون فيها ما سبق، وإلا فما الداعي لأن ينفي لهم ما ينفونه هم أصلاً؟!؟!

**المرصد الثالث: كيف يكون المملوك شريكاً للمالكه؟! وكيف يكون شريكاً ولا يملك شيئاً؟!؟!**

واعترض بعض السلفية فقال: قولهم «تملكه وما ملك» يحتمل في «ما»: «أن تكون نافية؛ فالمعنى: أنهم يعترفون بأن الله تعالى هو المالك، وأن آلهتهم لا تملك شيئاً»<sup>(١)</sup>، فدللت تلييتهم على أنهم «يجعلون ملكها بيده ويقرون بأنها لا تملك شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

قلنا: لو كان الأمر كذلك لما كان للعبارة كلها معنى، إذ ما معنى «لا شريك لك إلا شريكاً لك، تملكه وهو لا يملك» ما دامت أن «ما» نافية، فإذا كان هذا الشريك لا يملك شيئاً فكيف صار اسمه

(١) جهود علماء الحنفية (١ / ٢١٣).

(٢) مقال بعنوان: التلبية بالتوحيد، للشيخ عبد الرزاق البدر، انظره على:

شريكا إذن؟ شريك في شركة له فيها صفر من الأسهم، كيف يسمى  
شريكا؟! ثم كيف يكون المملوك شريكا للملكه؟!!

وإن قلت: هو شريك عندهم في العبادة لا في الملك، قلنا:  
ولكن هذا الشريك عندهم يملك الشفاعة على الأقل، ولذلك عبده  
ابتغاء الشفاعة التي يملكها كما قررتم أنتم أنفسكم<sup>(١)</sup>، فكيف نقضتم  
غزلكم هنا وقتلتم إن أصنامهم لا تملك شيئاً عندهم؟!  
المرصد الرابع: الأصنام تملك الشفاعة بدون إذن الله عندهم كما ذكر  
ابن القيم

هذا فضلا عن أن المشركين يعتقدون أن شفعاؤهم تشفع بدون  
إذن الله بحسب ما ذكر ابن تيمية، إذ قال «بأنهم أثبتوا وسائط بينهم  
وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعا بدون إذن الله»<sup>(٢)</sup>، وليس هذا  
فحسب بل يفجّر ابن القيم قنبلة أخرى أكبر حين يقول «وقوله: ❖ لا  
يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا❖ فإنه سبحانه نفى  
الشفاعة الشركية التي كانوا يعتقدونها وأمثالهم من المشركين وهي  
شفاعة الوسائط لهم عند الله في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم

(١) انظر (ص ٢٧٢) من هذا الكتاب.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٥).

بذواتها وأنفسها بدون توقف ذلك على إذن الله ومرضاته لمن شاء أن يشفع فيه الشافع»<sup>(١)</sup>. اهـ

فشريك يستطيع جلب الضر والنفع بذاته، ويشفع من دون إذن الله عندهم، هل يقال إنه لا يملك؟ حتى لو كان هذا عن طريق الشفاعة؛ بمعنى أن من أراد من المشركين أن يشفع له الصنم عند الله لينزل الغيث أو ليرزقه الولد أو نحو ذلك، فالصنم يشفع في ذلك فيتحقق من غير إذن الله، فكيف يقال بعد هذا كله: إن هذا الشريك لا يملك شيئاً عندهم؟!

**المرصد الخامس: تناقض السلفية في قضية تأثير الأصنام عند**

**المشركين**

ثم إن نفيكم اعتقاد المشركين التأثير في أصنامهم يعارض زعمكم السابق بأن المشركين «كانوا يعتقدون أن الله تعالى فوض إليهم تدبير أمورهم وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة والجزئية في

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ٢٦٩)، لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت. وانظر: مفتاح دار السعادة ط عالم الفوائد (٣/ ١٥٩٢).

غير الأمور العظام»<sup>(١)</sup>، وأنهم يعتقدون «أن هذه الأصنام وما يسكنها من روحانيات لها تأثير في تحقيق ما يريدون، وهذا ما عبروا عنه بقولهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»<sup>(٢)</sup>، وأنهم «كانوا يرجون شفاعتها ويعتقدون فيها النفع والضرر»<sup>(٣)</sup>، و«كانوا يرجون في آلهتهم النفع ويخافون منها الضر عن طريق الشفاعة والتوسط»<sup>(٤)</sup>، و«أن كثيرا من أهل الشرك والضلال قد يضيف وجود بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث إلى غير الله»<sup>(٥)</sup>، وقولكم: «وأما اتخاذ الأنداد في الربوبية فهو أن يعتقد أن الله شريكا في ملكه يتصرف بهذا الكون، أو أن له صفات الربوبية .. وقد وقع المشركون قديما وحديثا في هذا النوع من الشرك»<sup>(٦)</sup>، وأن الله كذبهم «في زعمهم أنهم آلهتهم وناصرٍ وهم .. حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم»<sup>(٧)</sup>،

(١) جهود علماء الحنفية، لابن قيصر الأفغاني (١ / ٢٧٦).

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢ / ١٦٨).

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٨١).

(٤) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص ٣٠٩).

(٥) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩ / ٣٤٧).

(٦) انظر: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيمان، ص ٥٢٤،

٥٢٥.

(٧) روح المعاني (١٨ / ٢٥٣).

وأَنهم «كانوا يعتقدون أَنها تعينهم على تحصيل المنافع»<sup>(١)</sup>، ونحو ذلك مما سبق من نصوصكم أَنفُسكم<sup>(٢)</sup>، فها أَنتم نقضتم كل هذا فرعتم أَن المشركين يعتقدون أَن الأصنام لا تملك لهم شيئاً قط لا صغيراً ولا كبيراً حتى الشفاعة لا تملكها!

**المرصد السادس: قول السلفية بأن المشركين لم يدعوا في أصنامهم التأثير الاستقلالي**

أيضاً ما سبق يخالف ما ذكره السلفية أَنفسهم كالأفغاني حيث ذكر أَن المشركين «كانوا يعتقدون أَن الله هو مالك آلهتهم، وَأَن آلهتهم لا تملك شيئاً بالاستقلال بدون إذن من الله وتفويض منه، وَأَن آلهتهم مملوكة لله تعالى وَأَن الله تعالى مالِكها، دَلَّ على ذلك قولهم في تليبتهم المشهورة المعروفة: «تملكه وما ملك»<sup>(٣)</sup>، إذ كما قال شكري الألويسي «تلبية المشركين في الجاهلية: «ليبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك

(١) فتح القدير للشوكاني (٢ / ٥٩٤).

(٢) انظر (ص ٥٢٦) من هذا الكتاب.

(٣) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٨٢).

تملكه وما ملك»؛ فهؤلاء لم يدعوا الاستقلال<sup>(١)</sup>. اهـ وهذا أوردته الأفعاني نفسه مرارا<sup>(٢)</sup>.

وقال دمشقية: إن تلبية المشركين هذه تؤكد «أنهم لم يكونوا يعتقدون استقلال شركائهم مع الله بالنعف والضر»<sup>(٣)</sup>، وذكر الألباني بأنهم قصدوا بتلبيتهم أن «لك شريك لكن هذا الشريك هو مملوك لك، وما معه أيضاً مملوك لك»<sup>(٤)</sup>، فهذه النصوص كلها تفيد بأن المشركين كانوا يعتقدون في أصنامهم الملك، ولكنه ملك غير مستقل، أي أنهم في النتيجة يعتقدون في أصنامهم الملك، وأما قضية مستقل أم غير مستقل فهذا بحث آخر، وهو أيضا محل أخذ وردّ.

### المرصد السابع: تقرير أن «ما» موصولة وليست نافية في «تملكه

وما ملك»

إن القول بأن «ما» تحتمل وجهين أحدهما نافية، والثاني أنها موصولة: لم أر أحداً من الشراح حكاه سوى بعض شراح السلفية

(١) جهود علماء الحنفية (١ / ٣٧٦) نقلا عن فتح المنان ص ٤٤٨ لشكري الألويسي.

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٢١٤، ٣٠٥، و٣٧٦، ١٠٣٦).

(٣) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ٣٤).

(٤) موسوعة الألباني في العقيدة (٢ / ٧٢).

المعاصرين، حيث قال المباركفوري (ت: ١٤١٤ هـ): (هو لك تملكه وما ملك) ما نافية، وقيل: موصولة عطف على مفعول تملكه، والمعنى على الأول: أنت تملكه وهو لا يملك، وعلى الثاني: أنت تملك إياه وما في ملكه<sup>(١)</sup>. اهـ ونحوه قول آخر: وقولهم: تملكه وما ملك، كلمة (ما) تحتمل أن تكون نافية أو موصولة معطوفة على مفعول تملكه. اهـ<sup>(٢)</sup>

والذي أراه أنها موصولة لما سبق بيانه، ويؤيده قول ابن إسحاق: فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: «ليك اللهم لييك، لييك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك». فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده<sup>(٣)</sup>. اهـ فهذا توضيح صريح في أن «ما» في «وما ملك» موصولة لانافية، أي أنهم في نهاية المطاف ينسبون الملك إلى أصنامهم، وإن جعلوا الله مالكا أعلى لأصنامهم والتي تملكه.

### المطلب السابع: اعتقاد أهل الجاهلية بالغول وضررها

- (١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨ / ٤٧٨).
- (٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٣ / ٢٨٦)، المؤلفه المعاصر: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهَرري الشافعي.
- (٣) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٧٧)، كتاب الأصنام لابن الكلبي (ص: ٧).

كان من خصال الجاهلية «اعتقادهم أن الغول تضلهم مطلقاً، فنفاه بقوله: (ولا غول)، أي أنها لا تضل أحداً مع ذكر الله لا نفي وجودها مطلقاً»<sup>(١)</sup>، أي أن «النفي لما كان يعتقدُه أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع، وكانوا يخافونهم خوفاً شديداً، ويستعيذون ببعضهم من بعض .. فأبطل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ذلك، ونفى أن يضرُوا أحداً إلا بإذن الله عز وجل، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة بجبار السموات والأرض»<sup>(٢)</sup>.

### حديث «ولا غول»

والحديث المشار إليه هو ما رواه مسلم عن جابر مرفوعاً «لا عدوى، ولا طيرة، ولا غول»<sup>(٣)</sup>، قال ابن الأثير: الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولاً: أي تتلون تلونا في صور شتى،

(١) زوائد مسائل الجاهلية (ص: ١٦).

(٢) معارج القبول (٣/ ٩٩٤).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٧٤٤).

وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم<sup>(١)</sup>. «ويسمونها السعالى، وقد ذكروها في أشعارهم فأبطلت الشريعة ذلك»<sup>(٢)</sup>. فيكون «مقصود هذا الحديث: إبطال ما كانت العرب تقوله، وتعتقده في هذه الأمور، وألا يلتفت لشيء من ذلك، لا بالقلب ولا باللسان»<sup>(٣)</sup>.

قال وليد: وهكذا نتبين أن المشركين كانوا يعتقدون في الجن والغول الضر والإهلاك، فلذلك كانوا يخشونهم ويستعيذون برؤسائهم كما تقدم، فأبطلت الشريعة معتقدهم هذا، وبينت أنه لا يضر شيء إلا بإذن الله، بل نفت وجود الغول أصلاً، وهذا كله طبعاً ينفي الزعم بأن المشركين كانوا يعتقدون بأنه «لا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له»<sup>(٤)</sup>، وبالتالي ينفي كونهم موحدين في الربوبية.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٦)، وكذا قال المازري في المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٨١)، ونقله الحفيد في تيسير العزيز الحميد (ص: ٧٦٧) والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٨).

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٢٢٠)، محمد بن فتوح الحميدي (ت: ٤٨٨هـ)، مكتبة السنة، ط ١/ ١٩٩٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٦٢٣).

(٤) كشف الشبهات (ص: ٢٤).

## المطلب الثامن: الطيرة عند المشركين

كان المشركون - ومنهم العرب في الجاهلية - يتطيرون، حيث «كانت العرب في الجاهلية تزجر الطير»<sup>(١)</sup>، «ويعتمدون على ذلك»<sup>(٢)</sup>، أي «أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمناة تيمّن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها فجاء الشرع بالنهاي عن ذلك.. وهكذا كانوا يتطيرون بصوت الغراب وبمرور الطباء، فسمّوا الكل تطيرا لأن أصله الأول»<sup>(٣)</sup>. «وكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر»<sup>(٤)</sup>، بل «قد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه»<sup>(٥)</sup>.

(١) عارضة الأحوذى بشرح الترمذي (٧ / ١١٦).

(٢) فتح الباري (١٠ / ٢١٣)، وانظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة، لكندو (ص: ١٠٩٢).

(٣) فتح الباري (١٠ / ٢١٥).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ١٥٢).

(٥) فتح الباري (١٠ / ٢١٢).

## بعض الآيات في تطير الأمم السابقة والنهي عنه

دلت بعض الآيات على وجود التطير في الأمم السابقة فضلا عن وجودها في مشركي العرب ولذا نُهي عن التطير، وفيما يلي بعض الآيات والأحاديث في الباب:

(١) قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨]. «يعنون: إنا

تشاء منا بكم، فإن أصابنا بلاء من أجلكم<sup>(١)</sup>».

(٢) وقال: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ

أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧] «أي تشاء منا بك وبمن معك

من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصينا بك وبهم المكاره

والمصائب<sup>(٢)</sup>»، فأجابهم: «قال طائرکم عند الله<sup>(٣)</sup> أي: ما

يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره، وهو مكتوب عليكم،

سمي طائرا لسرعة نزوله بالإنسان، فإنه لا شيء أسرع من

قضاء محتوم. قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله

لكفرکم<sup>(٣)</sup>».

(١) جامع البيان ط هجر (١٩ / ٤١٦).

(٢) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (١٨ / ٨٧).

(٣) تفسير البغوي - طيبة (٦ / ١٦٩).

(٣) وقال: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]. «قوله ألا إنما طائرهم عند الله أي: سبب خيرهم وشرهم بجميع ما ينالهم من خصب وقحط من عند الله ليس بسبب موسى ومن معه، وكان هذا الجواب على نمط ما يعتقدونه وبما يفهمونه، ولهذا عبر بالطائر عن الخير والشر الذي يجري بقدر الله وحكمته ومشيبته، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا بل ينسبون الخير والشر إلى غير الله جهلاً منهم»<sup>(١)</sup>.

(٤) وقال: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: ٧٨] «من عندك أي: بشؤمك»<sup>(٢)</sup>، أي: يقولوا هذه بشؤمك»<sup>(٣)</sup>. أي إن تصبهم سيئة أي قحط وجذب ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو نتاج، أو غير ذلك كما يقوله أبو العالية والسدي، يقولوا هذه من عندك أي من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك كما قال تعالى عن قوم فرعون: فإذا جاءتهم

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٧١).

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٤٤٩).

(٣) شرح مسائل الجاهلية للحازمي (١٥/ ٢٨، ت. ش).

الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه<sup>(١)</sup>.

٥) وقال: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ [المائدة: ٣]، قال سعيد بن جبیر هي: «القداح، كانوا إذا أرادوا أن يخرجوا في سفر جعلوا قداحا للجلوس والخروج، فإن وقع الخروج خرجوا، وإن وقع الجلوس جلسوا»<sup>(٢)</sup>. وسيأتي قول ابن تيمية فيها.

### حديث «لا عدوى ولا طيرة» وأقوال الشراح فيه

٦) روى الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»، و«الطيرة.. هي التشاؤم بالشيء... وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما»<sup>(٣)</sup>. «فالسائح وهو الذي يمر على اليمين محمود، والبارح الذي يمر على

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٦٦)، وانظر جامع البيان ط هجر (٢٣٨/٧).

(٢) جامع البيان ط هجر (٨/ ٧٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٢).

الشمال مذموم<sup>(١)</sup>، وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضى ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله<sup>(٢)</sup>.

قال ابن العربي عن الطيرة: «هو نوع من التعلق بأسباب يزعم المتعلق بها أنها تطلعه على الغيب وهي كلها كفر وريب، وهم يستعجله المرء إن كان حقا، ولا يقدر على دفعه إن كان قدرا مقدورا، ولذلك جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرك فإنهم يريدون أن يشركوا الله في غيبه ويساؤونه في علمه<sup>(٣)</sup>»، وقال ابن حجر «وإنما جعل ذلك شركا لا اعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً فكأنهم أشركوه مع الله تعالى<sup>(٤)</sup>».

### إقرار السلفية بأن الطيرة من خصال الجاهلية

- (١) عارضة الأحوذى بشرح الترمذي (١١٦/٧).
- (٢) فتح الباري (١٠/٢١٢).
- (٣) عارضة الأحوذى بشرح الترمذي (١١٦/٧)، وجهود المالكية في توحيد العبادة ص ٥٢٦.
- (٤) فتح الباري (١٠/٢١٣).

وقد قرر السلفية أن من خصال الجاهلية: «العيافة، والطرق، والطيرة، والكهانة»<sup>(١)</sup>. اهـ، و«العيافة: زجر الطير، وكذلك الطيرة؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يتشاءمون بالطيور؛ فإذا رأوها تطير على شكل يكرهونه تراجعوا عما عزموا عليه من أسفارهم وغيرها. والله جل وعلا أمرنا بالتوكل عليه وحده، والمُضِيّ فيما فيه مصلحة للإنسان، وإذا أشكل عليه شيء من أموره، أو تردد في شيء، فإنه يصلي صلاة الاستخارة، ويدعو بعدها أن يهديه الله للصواب»<sup>(٢)</sup>. «فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بهذا الدعاء، عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والاستسقام بالأزلام .. يطلبون بها علم ما قسم لهم في الغيب»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك نُهي عن الطيرة ونحوها كما في قوله: «(لا عدوى ولا طيرة) يعني: أن تتطيروا وأن تتشاءموا، فهذا التشاؤم وهذا التطير حرام عليكم.. جاء الشرع بإبطال هذه العقيدة الباطلة والفاصلة التي

(١) مسائل الجاهلية (ص: ٢٥).

(٢) شرح مسائل الجاهلية (ص: ٣٠٠)، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٤٤٣).

كانت في الجاهلية»<sup>(١)</sup>. والتي كانت قائمة على مجرد الفأل بالطير والتشاؤم به وبغيره» فبعض ذوي العاهات كالأعور والأعرج هو شؤمٌ عند أهل الجاهلية، وكذلك بعض ما يصدر من الإنسان كالعطاس فهو شؤمٌ عند أهل الجاهلية، ولذا كانوا يتطيرون بالأنبياء والصالحين، قال قوم صالح له: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾. أي: ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيراً»<sup>(٢)</sup>، «وذكر مثل هذا عن بعض الكفار مع نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله: وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك .. وبيّن تعالى أن شؤمهم من قبل كفرهم، ومعاصيهم، لا من قبل الرسل»<sup>(٣)</sup>.

فنفي وأبطل الشارع «هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيتها، والنفي في هذا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه»<sup>(٤)</sup>، «فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تصدّ الطيرة العبد عما أراد.. لم يجعل الفأل أمراً له وباعثاً له

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية (٨ / ٣، ت. ش)، لمحمد حسن عبد الغفار.

(٢) شرح مسائل الجاهلية للحازمي (١٥ / ٢٨، ت. ش)، انظر (ص ٤٤٨).

(٣) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٢ / ٣٨٩).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢ / ٢٣٤)، وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص:

على الفعل، ولا الطيرة ناهية له عن الفعل، وإنما يَأْتَمِرُ وينتهي عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام.. كانوا إذا أرادوا أمراً من الأمور أحالوا به قداحاً مثل السهام أو الحصى أو غير ذلك، وقد علموا على هذا علامة الخير، وعلى هذا علامة الشر، وآخر غفل، فإذا خرج هذا فعلوا، وإذا خرج هذا تركوا، وإذا خرج الغفل أعادوا الاستقسام<sup>(١)</sup>»

### تقرير السلفية أن الطيرة ونحوها شرك في الربوبية وسوء ظن بالله

فالتطير «شرك في الربوبية»<sup>(٢)</sup> و«مناقض للتوحيد لما فيه من نسبة أفعال الله إلى شيء من خلقه لما يؤدي من الاعتقاد بأن لتلك المخلوقات الضعيفة تأثيراً في أفضيته وأقداره، وقد سماه النبي شركاً، ففي سنن الترمذي: الطيرة شرك»<sup>(٣)</sup>، «وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً، أو يدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم شركوه مع الله تعالى»<sup>(٤)</sup>، «والتطير اعتقاد النفع

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٥٢).

(٢) عبد القادر الجيلاني وأراؤه العقدية والصوفية عرض ونقد ص ١٤٩.

(٣) عبد القادر الجيلاني وأراؤه العقدية والصوفية عرض ونقد ص ١٤٨.

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، دار الصميعي، الرياض (ص:

٧٧٣)، وانظر نحوه في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣١٣).

والتأثير للطائر الذي يطير يمناً أو يسرة، فهو شرك في الربوبية»<sup>(١)</sup>، «فإن اعتقد المتطير أن المتطير به فاعلٌ بنفسه يعني هو الذي يجلب النفع أو يدفع الضر بذاته، حينئذٍ نسب الفعل الذي هو الخلق والإيجاد إلى هذا المخلوق فيكون شركاً أكبر، شركاً في الربوبية.. لأنه جعل لله شريكاً في الخلق والإيجاد»<sup>(٢)</sup>، وأيضاً «الطيرة من باب سوء الظن بالله»<sup>(٣)</sup>، والحاصل أن «الطيرة شرك بالله جل وعلا في الربوبية، وذلك بالإشراك في قدرة الله الكاملة»<sup>(٤)</sup>.

(١) الرد الشامل للموجان ص ١١١.

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٦٦ / ١٢، ت. ش).

(٣) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية (٨ / ٩، ت. ش)، محمد حسن عبد الغفار.

(٤) الشرك في القديم والحديث ص ٤٨٩.





## الفصل الثالث:

### دلالة استقراء آيات القرآن

### على أنهم مشركون في الربوبية

من استقرأ آيات القرآن من أوله إلى آخره ولاسيما الآيات التي تتحدث عن المشركين والكفار فإنه سيجد أنها تدل على أنهم مشركون في الربوبية والألوهية معاً، وليس فقط في الألوهية كما يزعم السلفية، وهاكم بيان ذلك في اثني عشر مبحثاً. وبالله التوفيق

### المبحث الأول: تسمية المشركين لأصنامهم بالآلهة والأرباب

كان المشركون يسمّون ويتخذون آلهتهم أرباباً من دون الله، فقد سمّوها أرباباً، وقد ورد هذا في كثير من أشعارهم وأخبارهم، وسبق سرد كثير منها<sup>(١)</sup>. وحكى كثير من السلف والخلف أن المشركين اتخذوا أصنامهم أرباباً، وأقر بذلك ابن تيمية، وإليك التفصيل في النصوص التالية:

### نصوص السلف والسلفية على أن المشركين اتخذوا أصنامهم أرباباً

---

(١) انظر (ص ٧١٠) من هذا الكتاب.

(١) قال الضحاك عن المشركين إنهم «اتخذوا أرباباً وصوروهن صور الجواري»<sup>(١)</sup>.

(٢) ويقول الإمام الطبري في آية يوسف السابقة: «إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً، تعالى الله عما يقولون»<sup>(٢)</sup>.

(٣) يقول ابن تيمية: «بل قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم كانوا يتخذونها أرباباً يدعونها، ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود والقرايين وغير ذلك، وهو دين المشركين»<sup>(٣)</sup>.

(٤) وقال ابن تيمية: وأنه يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله، ويتبرأ كل مدع من دعواه الباطلة، فلا يبقى من يدعي لنفسه معه شركاً في ربوبيته أو إلهيته، ولا من يدعي ذلك لغيره بخلاف الدنيا؛ فإنه وإن لم يكن رب ولا إله إلا هو فقد اتخذ غيره ربا وإلهاً، وادعى ذلك مدعون<sup>(٤)</sup>. اهـ

(١) الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٢٠).

(٢) جامع البيان (١٦ / ٢٨٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٣١١)، وانظر أيضاً: بيان تلبس الجهمية (١ / ٥٣٠)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٩٩٢.

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١١٩).

٥) ويقول ابن تيمية أيضا: فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أرباباً، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا هم ولا أحد العقلاء يعتقدون<sup>(١)</sup> أن كوكباً من الكواكب خلق السماوات والأرض<sup>(٢)</sup>. اهـ

٦) وسبق قول ابن عبد الوهاب «ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أرباباً من دون الله لأجل ذلك، أي لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إلهها»<sup>(٣)</sup>.

فهذه النصوص كلها تؤكد أن المشركين اتخذوا أصنامهم أرباباً، وهذا ما بينه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وكما في قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١] كما بيناه في موضعه<sup>(٤)</sup>، وهذا كله يُبطل أصلاً أصيلاً قامت عليها نظرية تقسيم التوحيد، وهو أن المشركين لم يعددوا

(١) المفروض يقول: ولا أحد من العقلاء، ولكن هكذا وقع في المطبوع «ولا أحد العقلاء يعتقد» بدون «من»، هذا وقد أفاد المحقق - ناصر العقل - في الحاشية أنه وقع في نسخة «يعتقدون».

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم - (٢١ / ٣٤)، ط/ عالم الكتب.

(٣) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (١ / ٣٧٦).

(٤) انظر كتابنا «تنوير الرب الإله» ص ١٦٨.

الأرباب وإنما عدّدوا الآلهة بحجة أنهم يعلمون بالفطرة أن الرب واحد وهو الله، وفي ذلك يقول ابن تيمية«وقول صاحب الشرع أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، لم يقل حتى يقولوا أن لهم ربا، إذ هم عارفون بذلك»<sup>(١)</sup>، فبطل الآن هذا الكلام.

وكذلك بطل إنكاركم<sup>(٢)</sup> على من يقول بأن المشركين اتخذوا أصنامهم أرباباً، فهذا هو ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومن قبله الطبري والضحاك يقولون بذلك؛ ثم ماذا بقي من نظرية تقسيم التوحيد القائمة أصلاً على أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية بعد أن أقرّ ابن تيمية وابن عبد الوهاب أن المشركين اتخذوا الأصنام أرباباً من دون الله وسَمَّوها بذلك تسمية على الأقل؟!!

### المبحث الثاني:

### المشركون جعلوا أصنامهم عدلاً لله وندا وكفؤاً له تعالى

- (١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (٨ / ٥١٠).
- (٢) حيث جاء في دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٩٦):  
ويدعى السمنودي أن مشركي العرب وقعوا في الكفر بسبب اتخاذهم رباً من دون الله،  
وعلى ذلك فهم غير مقرّين بتوحيد الربوبية». اهـ

كان المشركون يعدّون آلهتهم تعدل الله تعالى وتساويه وتمثاله؛  
وهاكم بيان ذلك في مطالب.

### المطلب الأول: الآيات التي دلت على ذلك

أمّا أن المشركين كانوا يعدلون آلهتهم بربههم فقد دلت على ذلك  
الآيات والأحاديث والآثار التالية:

(١) قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أي  
«ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربههم يعدلون، أي: يشركون،  
وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله  
غير الله تعالى، يقال: عدلتُ هذا بهذا إذا ساويته»<sup>(١)</sup>، ولذا هم  
«عدلوا به أصنامهم التي عبدوها من دون الله»<sup>(٢)</sup>.

(٢) وقال: ﴿... وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، «أي: يجعلون لله  
عدلاً ونظيراً»<sup>(٣)</sup>، «من مخلوقاته كالأوثان»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٢٦).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٥٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠/ ٤٢٠).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٠٠).

(٣) وقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَّهِمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ [النمل: ٦٠] «أي: يعدلون بالله غيره، أو يعدلون عن الحق إلى الباطل»<sup>(١)</sup>، «وقيل: يشركون معه غيره، ويجعلونه عدلا له أي: مثلا»<sup>(٢)</sup>.

(٤) قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، قال الطبري: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين برهم الأوثان، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان: ﴿أغير الله أبغي ربا﴾ يقول: أسوى الله أطلب سيذا يسودني. ﴿وهو رب كل شيء﴾ يقول: وهو سيد كل شيء دونه، ومدبره ومصلاحه<sup>(٣)</sup>. اهـ. وقال الطبري في موضع آخر: قل يا محمد لهؤلاء العادلين برهم الأوثان والأصنام ..<sup>(٤)</sup>. اهـ.

(٥) روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قال ابن أبزي: سل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾، وقوله ﴿ولا يقتلون النفس التي

(١) فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٦٨).

(٢) تفسير السمعاني (٤ / ١٠٨).

(٣) جامع البيان ط هجر (٤٨ / ١٠).

(٤) جامع البيان ط هجر (٩ / ٦٥٦).

حرم الله إلا بالحق حتى بلغ إلا من تاب وآمن ﴿٦﴾، فسألته فقال: لما نزلت قال أهل مكة: فقد عدلنا بالله، وقد قتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وأتينا الفواحش فأنزل الله ﴿٧﴾ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً .. ﴿٨﴾، «قوله (فقد عدلنا بالله) أي: أشركنا به، وجعلنا له مثلاً»<sup>(١)</sup>.

(٦) روى ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد في قوله: «يعدلون» قال: يشركون. وروى عن السُّدي نحو ذلك. وروى فيه بسنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، في قوله: ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، قال: الآلهة التي عبدوها عدلوها بالله، وليس له عدل ولا ندّ، ولا معه آلهة، ولا اتخذ صاحبة ولا ولداً<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٧) وقال الطبري عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠] نقلاً عن الضحاك: «عدلوا إبليس بربهم، فإنهم بالله مشركون».

(٨) وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد قال: «وجعل الظلمات والنور»، فكان فيه رد على المجوس الذين زعموا أن الظلمة والنور هما

(١) منحة الباري بشرح صحيح البخاري (٨ / ٧٢)، إرشاد الساري (٧ / ٢٧٥).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٢٦٠).

المدبران، وقال «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» فكان فيه رد على مشركي العرب ومن دعا دون الله إلهاً<sup>(١)</sup>. اهـ

(٩) وقال ابن الجوزي: «ثم الذين كفروا» يعني المشركين بعد هذا البيان «بربهم يعدلون» أي يجعلون له عديلاً فيعبدون الحجارة الموات مع إقرارهم بأنه الخالق لما وُصف، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته به، قال أبو عبيدة: هو مقدم ومؤخر تقديره يعدلون بربهم<sup>(٢)</sup>. اهـ

### تصريح بعض الوهابية بأن المشركين ما كانوا بربهم يعدلون!

ومع هذه الآيات الصريحة كآية الأنعام «ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» يقول بعض السلفية: «كذلك تبين أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم - لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله»<sup>(٣)</sup>. قال وليد: فتأمل هذه المحادّة لله تعالى؟! الله جل جلاله يقول إنهم يعدلون أصنامهم بي، وهذا يقول: لا، لم يكونوا يعدلون ..! كل هذا ليُزكّي المشركين من أجل أن يكفّر المسلمين.. فنعوذ بالله من الخذلان.

(١) الدر المنثور (٦ / ١٣).

(٢) زاد المسير (٣ / ٢).

(٣) جهود علماء الحنفية (١ / ٣٧٢).

وأما أن المشركين كانوا يسوّون آلهتهم بالله: فدَلَّ عليه قوله تعالى على لسانهم: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، قال السمعاني: هذا قولهم للأصنام ومعناه: نعدلكم برب العالمين<sup>(١)</sup>، «الذي أنتم أدنى مخلوقاته، وأذْهَم وأعجزهم»<sup>(٢)</sup>.

### آيات صرحت بأنهم اتخذوا الأصنام آلهة وأن دادا الله

وأما أنهم كانوا يتخذون أصنامهم أن دادا الله فيدل عليه آيات كثيرة:

الآية الأولى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فالمشركون «يجبون معبوداتهم مثل حب الله أو أشد منه، يعني: قد يجمعون مع حب الله حب المعبودات، وقد يفردون المعبودات بالحب»<sup>(٣)</sup>. و«حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يجبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم يجبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم»

(١) تفسير السمعاني (٤ / ٥٦).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٩ / ٣٩٦).

(٣) شرح كشف الشبهات للحازمي (٤ / ٧، ت. ش).

من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لمتنقص معبوديهم وأهنتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمت أهنتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث إذا حرد، وإذا انتهكت حرمت الله لم يغضبوا لها .. وهكذا كان عباد الأصنام سواء وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف أهنتهم.. «<sup>(١)</sup>» اهـ.

الآية الثانية: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]، أي «شركاء» كما قال قتادة<sup>(٢)</sup>، وروي أيضا عن سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>، وقال الزجاج «أشباهها»<sup>(٤)</sup>، وكذا قال السمعاني<sup>(٥)</sup>، ونحوه قول القرطبي: «أي أشباها وأمثالا ونظراء». قال محمد بن يزيد: فلان ند فلان، أي مثله. ويقال نديد، وأنشد:

أيما تجعلون إليّ ندا ... وما أنتم لذي حسب نديد»<sup>(٦)</sup>

- (١) مدارج السالكين - ابن القيم (١ / ٢٥٥).
- (٢) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٩ / ٢٩٢).
- (٣) «تفسير الماوردي = النكت والعيون» (٤ / ٤٥١).
- (٤) «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٤ / ٢٥٤).
- (٥) «تفسير السمعاني» (٤ / ٣٣٥).
- (٦) «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٤ / ٣٠٣).

وحكى الماوردي هذين القولين - أي شركاء وأشباه - على أنهما وجهان في تفسير الآية<sup>(١)</sup>، وقيل «أمثالا وأشباهاً في العبادة والألوهية»<sup>(٢)</sup>، وقريب منه قول النسفي «أي: أشباهاً من الأصنام، فنعبدها دونه»<sup>(٣)</sup>، وقال الرازي: «وقوله: إذ تأمروننا أن نكفر بالله أي نكره، ونجعل له أندادا، هذا يبين أن المشرك بالله مع أنه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله، لأن من يساويه المخلوق المنحوت لا يكون إلهاً»<sup>(٤)</sup>.

الآية الثالثة: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨] أي «وجعل لله أمثالا وأشباها»<sup>(٥)</sup>، «يعني: الأوثان؛ الند في اللغة: العدل»<sup>(٦)</sup>.

- (١) تفسير الماوردي = النكت والعيون» (٤ / ٤٥١).
- (٢) «الهداية الى بلوغ النهاية» لمكي بن أبي طالب (٩ / ٥٩٢٩).
- (٣) «التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي» (١٢ / ٢٦٠).
- (٤) «تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (٢٥ / ٢٠٨).
- (٥) جامع البيان (٢٠ / ١٧٣).
- (٦) تفسير ابن أبي زمنين (٤ / ١٠٥).

الآية الرابعة: ﴿قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩] قال القرطبي: «وتجعلون له أندادا» أي أضدادا وشركاء<sup>(١)</sup>. اهـ

### المطلب الثالث: تأويل ابن تيمية وأتباعه للأنداد وكلام المفسرين في ذلك

وقد أجاب ابن تيمية وأتباعه عن الآيات السابقة بأن المقصود هو أنهم «يجعلون له عدلاً، أي ندّاً في الإلهية، وإن كانوا يعلمون أنه ليس من جنس الرب سبحانه»<sup>(٢)</sup>. كما في «قوله: ﴿يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، أي: يساؤونهم بالله في المحبة والتعظيم، ولهذا يقولون لأندادهم، وهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهذا هو مساواتهم برب العالمين، وهو العدل المذكور، في قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. أما مساواتهم بالله في الخلق والرزق وتدبير الأمور، فما كان أحد من المشركين يساؤون أصنامهم بالله في ذلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٣٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ١٣٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، دار الصميعي، الرياض (ص):

والحاصل أن «المراد التسوية والعدل في المحبة والطاعة والتعظيم والعبادة، لا في الخالقية والمالكية»<sup>(١)</sup>.

قالوا: وبهذا قال المفسرون، وفيما يلي بعض نصوصهم:

(١) قال الطبري: ﴿يَعْبُدُونَ ﴿يَجْعَلُونَ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ،

فِيَعْبُدُونَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ﴾<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٢) وقال البيضاوي: (أندادا) وما زعموا أنها تساويه في ذاته

وصفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى

عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات

واجبة بالذات، قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله، وتمنحهم ما

لم يرد الله بهم من خير<sup>(٣)</sup>. اهـ

(٣) وقال ابن كثير: جعلوا له أندادا أي أمثالا ونظراء يعبدونهم

معه ويجبونهم كحبه هو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند له

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٥٢).

(٢) جامع البيان ط هجر (٩/ ١٤٦)، وانظر: (٢٠/ ١٧٣).

(٣) تفسير البيضاوي (١/ ٥٦)، وأصل الكلام للفخر الرازي، حيث قال في تفسيره

هنا (١/ ١١١): فإن قيل: إنهم لم يقولوا إن الأصنام تنازع الله، قلنا: لما عبدوها وسموها

آلهة، أشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة قادرة على منازعته، فقليل لهم ذلك على

سبيل التهكم، وكما تهكم بلفظ «الند» شنع عليهم بأنهم جعلوا «أندادا» كثيرة، لم لا

يصلح أن يكون له ند قط» انتهى.

ولا شريك معه<sup>(١)</sup>. وقال أيضا في قوله «إذ نسويكم برب العالمين»: أي نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

٤) وقال الألوسي: «سويناكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين»<sup>(٣)</sup>.

قلنا: أولا: ما ذكرتم هو تأويل للآية وتقييد لها! إذ ظاهرها أنهم يعدلون الله بأصنامهم ويساؤونها به ويجعلونها أندادا له مطلقا من جميع الوجوه لا في العبادة والمحبة والتعظيم فحسب، وهذا الشيخ السعدي يقرّ بذلك فيقول في تفسير سورة لقمان: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، ووجه كونه عظيماً أنه لا أفضع وأبشع ممن سوّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوّى الذي لا يملك من الأمر شيئا بمن له الأمر كله، وسوّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوّى من لم يُنعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، وديناهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٠/ ٣٥٦).

(٣) روح المعاني (١٩/ ١٠٣).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٦٤٨).

**قول ابن تيمية: «فهؤلاء لما سُبَّتْ آلهتهم سبوا الله مقابلةً،  
فجعلوهم مماثلين لله وأعظم»**

بل إن ظاهر بعض الآيات أنهم يفضّلون أصنامهم وأنفسهم على الله، ألا ترى كيف كانوا «يشتمون الله إذا شُتِمَتْ آلهتهم»<sup>(١)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، قال ابن تيمية: «فهؤلاء لما سُبَّتْ آلهتهم سبوا الله مقابلةً، فجعلوهم مماثلين لله وأعظم في قلوبهم»<sup>(٢)</sup>، فتأمل قوله «فجعلوهم مماثلين لله وأعظم» كيف أقرّ بأنهم جعلوا أصنامهم مماثلة لله بل أعظم! وقد سبق بسط ذلك<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: هم ما عبدوا الأصنام إلا بعد أن اتخذوها أرباباً من دون الله - كما أقرّ بذلك ابن تيمية وابن عبد الوهاب كما سبق - وسوّوا برّب العالمين، واعتقدوا فيها الضر والنفع والتأثير والقدرات الخارقة فتقربوا إليها رجاء النفع وخشية الضرر منها كما أقررتهم بذلك، وهذه بعض نصوصكم في ذلك:

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٢).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢ / ٣٩٥).

(٣) انظر (ص ١١٦) من هذا الكتاب.

## نصوص السلفية في أن المشركين ما عبدوا الأصنام إلا لاعتقادهم فيها القدرة على الضر والنفع

(١) قال ابن القيم: ومن أسباب عبادة الأصنام: الغلوّ في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه .. وصرحوا بأنه إله معبود، يُرْجى ويُخاف، ويُعظّم ويُسجد له<sup>(١)</sup>.

(٢) وقال ابن القيم أيضا: فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع<sup>(٢)</sup>. ونقله حفيد النجدي مقرا<sup>(٣)</sup>.

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٢٦).

(٢) مدارج السالكين - ابن القيم (١/ ٢٥٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد لحفيد ابن عبد الوهاب (ص: ٥١).

(٣) وقال ابن كثير: «وما يشعرون أيان يبعثون» أي لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء؟ إنما يرجى ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء<sup>(١)</sup>.

(٤) قال حفيد ابن عبد الوهاب النجدي: وجعل الند لله: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٥) يقول د. الهذيل: «لم يقل أحد إن المشركين لم يكونوا يرجون في آلهتهم جلب نفع أو دفع ضرر، وإلا لما عبدوها وأحبوها كحب الله، فهم ما صرفوا لها أنواع العبادة إلا لاعتقادهم أنها باب عظيم، لحصول ما يرجون من نصرة أو رزق أو نحو ذلك، ودفع ما يجذرون من عذاب وعقاب وفقر ومرض ونحوه، وذاك بأن جعلوها وسيلة تشفع لهم عند الله تعالى في حصول مطلوبهم ودفع مكروههم»<sup>(٣)</sup>، وسيأتي المزيد من نصوصكم في ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨ / ٣٠٢).

(٢) فتح المجيد (ص: ٤١٠).

(٣) شبهات المتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٦، ٢٩٧

(٤) انظر (ص ٥٢٦) من هذا الكتاب.

## الجواب عن قول بعض المفسرين الذين نفوا اعتقاد المشركين بتأثير الأصنام

ثالثا: وأما بخصوص المفسرين الذين نقلتم نصوصهم، فهذه النصوص لا تفيد أن المشركين لم ينسبوا الخلق أو التأثير والضر والنفع إلى أصنامهم، غاية ما فيها أنهم عبدوا أصنامهم مع الله وجعلوها نداً له في ذلك، وهذا لا نزاع فيه، وإنما النزاع فيما سوى ذلك، وهو: هل كان المشركون ينسبون شيئاً من أوصاف الربوبية إلى غير الله كالتأثير والضر والنفع والتدبير؟ ونصوص هؤلاء المفسرين عارية عن ذلك، بل إن قول هؤلاء المفسرين بأن المشركين في عدلهم لأصنامهم بالله في العبادة هو نفسه يشير إلى أنهم نسبوا إلى أصنامهم الضر والنفع والتأثير وإلا لما عبدوها كما سبق بسطه.

رابعا: ماذا تقصدون بالعبادة حين تقولون: إن المشركين جعلوا أصنامهم أندادا لله في العبادة؟ هل العبادة هي الخضوع لمن يُعتقد فيه الربوبية أو أحد صفاتها، أو لا يشترط في العبادة اعتقاد الربوبية ولا أحد صفاتها في المعبود؟ أما الأول - أي اعتقاد الربوبية أو أحد صفاتها في المعبود - فمسلّم، وعليه يُجمل كلام هؤلاء المفسرين في أن المشركين عدلوا الأصنام بربهم في العبادة أي العبادة التي يشترط فيها اعتقاد الربوبية أو أحد صفاتها في المعبود، وبالتالي فهم عبدوا

أصنامهم على أنها أرباب، وأما الثاني - أي عدم اشتراط اعتقاد الربوبية ولا أحد صفاتها في المعبود - فهو محل النزاع، وسيأتي بسطه إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثالث: اعتقاد المشركين بأن أصنامهم تشفع بدون إذن الله

كان المشركون يعتقدون أن أصنامهم تشفع لهم بغير إذن الله، وفي ذلك يقول ابن القيم: وقوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا فإنه سبحانه نفى الشفاعة الشركية التي كانوا يعتقدونها وأمثالهم من المشركين، وهي شفاعة الوسائط لهم عند الله في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم بذواتها وأنفسها بدون توقف ذلك على إذن الله ومرضاته لمن شاء أن يشفع فيه الشافع<sup>(٢)</sup>.

فهم «ظنوا أن الشفاعة عند الله كالشفاعة عند غيره .. ويشفعون بغير إذنه، فهذه الشفاعة التي نفاها الله .. وهي أن يكون للشافع حق عند الله كما للشفعاء حق عند الملوك ونحوهم . وهذا النوع الشركي وهو الذي أشرك به من أشرك بالله واتخذ وسائط يسألهم الشفاعة ..

(١) انظر (ص ٤٩٢) من كتابنا «تنوير الرب الإله».

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢ / ٢٦٩)، لابن القيم، دار

وذلك لا شك تنقّص لربوبية الله وتقييد لمشيئته وإرادته سبحانه  
وتعالى.. فمن أثبت لغير الله حق الشفاعة عند الله فقد قيد إرادة الله  
بإرادة المخلوق وجعل إرادة المخلوق نافذة وحاكمة على إرادة الله»<sup>(١)</sup>.

وإن «اعتقاد المشركين نفوذ المشيئة ونفوذ الشفاعة لمن اتخذوهم  
أربابا قد حملهم على عبادتها.. والمشركون إنما توجهوا لأهتهم بالأعمال  
والأقوال بنية عبادتهم لاعتقادهم فيهم بعض خصائص الربوبية،  
فاعتقدوا نفوذ مشيئتهم بالشفاعة الشركية، وقدرتهم على التصرف في  
شؤون أهل الأرض استقلالاً من دون الله بقدرته كن»<sup>(٢)</sup>.

فهذه نصوص واضحة في أن المشركين اعتقدوا في أصنامهم أنها  
تشفع لعبادها وتنفعهم وتضرهم بدون إذنه تعالى! خلافا لقول بعض  
السلفية من أن المشركين «لم يعتقدوا قط في آلهتهم أنهم ينفعون أو

(١) الشرك في القديم والحديث ص ١٢٣٨، ١٢٣٩، هذا وقد نفى المعلمي الياني أن  
يكون المشركون يعتقدون أن الشفاعة تحصل بغير إذن الله كما سيأتي (ص ٣٠٦) وانظر  
أيضا (ص ٢٩٣).

(٢) كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثي للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص ٢٧،

يضررون أو يدبرون بالاستقلال من دون إذن من الله وبدون تفويض منه.. «(١)؟! وقد سبق الرد عليه بشكل مفصّل (٢).

### المبحث الرابع:

#### تسمية القرآن لهم بالمشركين مطلقا خلافا لتقييد ابن تيمية

إن القرآن سمي كفار قريش وغيرهم «مشركين» مطلقا، ولم يرد قط تسميتهم بأنهم موحدون بإطلاق، أو بتقييد تسميتهم موحدون في الربوبية أو نحو ذلك مما ساهم به ابن تيمية، وإليكم بيان ذلك في ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول: تسميتهم في القرآن بالمشركين مطلقا

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٨٠).

(٢) انظر (ص ٢٧٧ و ٢٩١) من هذا الكتاب.

فقد ذكر لفظ «مشارك» في أكثر من أربعين آية؛ بالإفراد تارة<sup>(١)</sup>، وبالجمع تارة<sup>(٢)</sup>، بالنصب والجر تارة<sup>(٣)</sup>، وبالرفع تارة<sup>(٤)</sup>، بالتعريف تارة<sup>(٥)</sup>، وبالتنكير أخرى<sup>(٦)</sup>، بالتذكير تارة والتأنيث تارة<sup>(٧)</sup>، ولم يرد ذكر المشرك أو المشركين في كل ذلك ولو في مرة واحدة أنه سماهم موحدين بإطلاق أو تقييد، أي لم يسمهم موحدين هكذا بإطلاق، وأيضا لم يسمهم موحدين في الربوبية، كما أطلق عليهم ذلك ابن تيمية وأتباعه.

- (١) مثل قوله: ﴿لَا تَتَّخِجُوا الشِّرْكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا مَآئِمَةً مِّنْهُ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ وَلَا تَتَّخِجُوا الشِّرْكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا يُعْجِبْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].
- (٢) مثل قوله تعالى: ﴿مَا يَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشِّرْكَاتِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥].
- (٣) مثل قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الشِّرْكَاتِ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، قوله: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الشِّرْكَاتِ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].
- (٤) مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الشِّرْكُؤُنَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].
- (٥) مثل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].
- (٦) مثل قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢].
- (٧) مثل قوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الفتح: ٦].

وكذلك لم يرد في القرآن - ولو مرة واحدة - أنه قيّد هذه الكلمة - أي المشركين - بقيد أنهم مشركون في الألوهية دون الربوبية، بل النصوص في هذا الباب «صريحة ومحكمة وقاطعة، وهي كلها تثبت أنهم كانوا مشركين مطلقاً»<sup>(١)</sup>، فما يقوله ابن تيمية وأتباعه من أن المشركين موحدون في الربوبية مشركون في الإلهية غير صحيح لما يلي:

أولاً: لأن هذا مخالف لأكثر من أربعين آية وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن القرآن سماهم مشركين ولم يسمهم موحدين قط، وابن تيمية وأتباعه خالفوا القرآن فسمّوهم موحدين في الربوبية.

الوجه الثاني: أن القرآن سماهم مشركين بإطلاق، وابن تيمية وأتباعه خالفوا هذا الإطلاق وقيّدوه فسمّوهم مشركين في الألوهية.

وانظر إلى الطبري كيف يشير إلى ذلك في قوله: وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطاناً، وقال في كل موضع تقدم إليهم بالزجر عن ذلك: لا تشركوا بالله شيئاً<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) السهم المصيب في ضلالة تقسيم التوحيد ص ٣٥.

(٢) جامع البيان ط هجر (١٤ / ٣٦١).

**(ابن تيمية يخالف قاعدته في أن ما أطلق من الأسماء لا يقيد إلا****بدليل)**

ثانيا: أن ابن تيمية نفسه يقول: فما أطلقه الله من الأسماء وعلّق به الأحكام من الأمر والنهي والتحليل والتحريم لم يكن لأحد أن يقيدَه إلا بدلالة من الله ورسوله، فمن ذلك اسم الماء مطلق في الكتاب والسنة، ولم يُقسّمه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قسمين: طهور وغير طهور، فهذا التقسيم مخالف للكتاب والسنة<sup>(١)</sup>. اهـ

فيقال عين هذا الكلام هنا: أي أن اسم الشرك والمشركين مطلق في الكتاب والسنة، ولم يُقسّمه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قسمين: شرك أو مشرك في الربوبية، وشرك أو مشرك في الألوهية، فهذا التقسيم مخالف للكتاب والسنة. وما هو جوابكم هو جوابنا، وسيأتي مزيد بسط لذلك<sup>(٢)</sup>.

ثالثا: هذا التقييد الذي جاء به ابن تيمية حيث جعل المشركين موحدين في الربوبية مشركين في الألوهية إنما بناه على نظريته المبتدعة في تقسيم التوحيد إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية، وعلى أصولها العشرة التي منها أن الشرك لم يقع في توحيد الربوبية، ولذا راح يقيد

(١) مجموع الفتاوى «١٩/٢٣٦.

(٢) سيأتي بسط ذلك في المجلد الخامس إن شاء الله.

كل آية في القرآن وردت فيها كلمة «المشركين»، ويحملها على أنهم مشركون في الألوهية! بحجة أن الشرك في الربوبية غير واقع أصلاً لما زعمه من أن الناس مفطورون على توحيد الربوبية!

ثم حين جاء ابن تيمية وأتباعه ليستدلوا على تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية زعموا أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية ومشركين في الألوهية! وأن هذا يدل على أن توحيد الربوبية مغاير لتوحيد الألوهية! وقد سبق قول ابن تيمية أن المشركين «مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى»<sup>(١)</sup>، «ولذلك سفّه الله المشركين الذين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ثم ينكرون توحيد الألوهية»<sup>(٢)</sup>.

### استدلال السلفية على تقسيم التوحيد مصادرةً على المطلوب

قال وليد يسر الله أمره: وإنما كان مصادرة منهم لأنهم جعلوا النتيجة مقدمة!! وهذا من أخطاء البرهان في علم المنطق، قال في السلم المنورق:

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٦٤).

(٢) «تفسير العثيمين: آل عمران» (١ / ٢٩٦)، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ٣ / ١٤٣٥ هـ.

وَحَطَأُ الْبُرْهَانَ حَيْثُ وُجِدَا .. فِي مَادَّةٍ أَوْ صُورَةٍ فَالْمُبْتَدَأُ  
فِي اللَّفْظِ كَاشْتِرَاكِ أَوْ كَجَعْلِ ذَا... تَبَايُنٍ مِثْلَ الرَّدِّيفِ مَأْخِذًا  
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

كَمِثْلِ جَعْلِ الْعَرَضِيِّ كَالذَّاتِي .. أَوْ نَاتِجِ إِحْدَى الْمُقَدَّمَاتِ

فقوله «(أو ناتج إحدى المقدمات) كجعل النتيجة إحدى المقدمات، نقول: هذه نقلة، وكل نقلة حركة، فهذه حركة، النتيجة هي عين الصغرى»<sup>(١)</sup>، «لأن الحركة مرادفة للنقطة»<sup>(٢)</sup>، وهذا يسمى في فن آداب البحث والمناظرة مصادرة على المطلوب، وهو ممنوع<sup>(٣)</sup>.

(١) الشرح المختصر للسلم المنورق (٥ / ٢٥، ت. ش)، شرح صوتي مفرغ للشيخ أحمد الحازمي.

(٢) شرح القويسني على السلم المنورق للأخضري (١٠ / ٢٧)، وانظر أيضا: الكوكب المشرق في سماء علم المنطق ص: ٥١١، محمد الأمين الأثيوبي الهجري، دار المنهاج، ط١ / ٢٠١٥.

(٣) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في آداب البحث والمناظرة (ص: ٩٢): في المصادرة: وهي في اصطلاح أهل هذا الفن جعل نتيجة الدليل هي إحدى مقدمات الدليل بتغيير في اللفظ يكون سببا لتوهم المغايرة بين النتيجة والمقدمة.. وكأن يقول - هذه نقلة وكل نقلة حركة - ينتج هذه حركة - وهذه النتيجة هي صغرى الدليل التي هي هذه نقلة - لترادف النقطة والحركة - وينبغي اجتناب المصادرة في المناظرة لما فيها من الإبهام الذي بيّننا والمكابرة قد قدمنا معناها وأنها غير مقبولة. اهـ

وهنا أنت جعلت النتيجة التي يجب أن نصل إليها بالأدلة، وهي أن التوحيد قسمان ربوبية وألوهية، جعلتها مقدمة مسلّمة، ثم ذهبت تبني عليها وتستدل به قبل أن تثبتها! حيث استدلت على الفرق بين قسمني توحيد الربوبية والألوهية بأن المشركين موحدون في الربوبية ومشركون في الألوهية!!

وكان تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية أمر مسلّم لا جدال فيه! بينما هو محل النزاع أصلاً، هذا فضلاً عن أن الزعم بأن المشركين كانوا موحدين في الربوبية ينقضه آيات وأحاديث عديدة كما سنرى، بل هذا الزعم نقضه كثير من السلفية أنفسهم فسلموا بأن توحيد المشركين في الربوبية كان منقوصاً بل منقوصاً كما سيأتي<sup>(١)</sup>.

رابعاً: هذا التقييد من ابن تيمية فيه حمْلٌ للقرآن على تقسيم مبتدع بعد نزوله ببضعة قرون، وهل هذا إلا عين ما أنكره ابن تيمية - وأتباعه - على المتكلمين في مواضع كثيرة من كتبه، وهو حمْلُ ألفاظ الكتاب على معان واصطلاحات مستحدثة؟! حيث قرروا أن «حمْلُ نصوص الكتاب والسنة على المصطلحات التي اصطلح عليها بعد عهد التنزيل بدهور - زيغ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكبُّ عن

(١) انظر (ص ٦٧٧) من هذا الكتاب.

سبيل السلف الصالح، ومنازمة للغة التخاطب»<sup>(١)</sup>، «تخاطب العرب وتفاهم السلف، واللسان العربي»<sup>(٢)</sup>، وهذا «ليس إلا تحريفاً لتلك النصوص، وتلاعباً بالمصطلحات، وذلك كحمل نصوص الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والوضوء، والنكاح، وغيرها من المصطلحات الشرعية، على مصطلحات أخرى حدثت بعد عهد التنزيل، وهذا ليس تحريفاً فحسب، بل هو قرمطة في النقلات، وسفسطة في العقلات»<sup>(٣)</sup>، «وأين مصطلحات هؤلاء الخلف، من تفاهم السلف، وأية مناسبة لها بهذا اللسان العربي المبين»<sup>(٤)</sup>.

وكذا أقر بعض السلفية أن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، هكذا بهذا اللفظ لم يرد، وفي ذلك يقول: «إن كان المراد عدم ورود لفظ التقسيم بأن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فهذا لا يضر، إذ العبرة بالمعاني»<sup>(٥)</sup>.

(١) جهود علماء الحنفية (٣ / ١٤٨٩).

(٢) «عداء الماتريدي للعقيدة السلفية» (٣ / ٢٠٦).

(٣) جهود علماء الحنفية (٣ / ١٥٠٣) وانظر (١ / ٥٤٤).

(٤) جهود علماء الحنفية (٣ / ١٤٩٥).

(٥) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٣٠.

## تكذيب النجدي للقرآن حينما شهد للمشركين بالتوحيد بأوضح العبارات)

خامسا وهو الأشد من كل ما سبق هو: أن يزكي ابن عبد الوهاب - ثم أتباعه من بعده<sup>(١)</sup> - المشركين ويضفي عليهم من عنده أعلى وأعلى عبارات التوحيد! فيقول مثلا: «فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو..»<sup>(٢)</sup>. اهـ وهذا عين التكذيب لله في القرآن حيث إنه من أول القرآن إلى آخره نجد أنه تعالى سماهم مشركين وأنهم يشركون في الله، ثم يأتي ابن عبد الوهاب وأتباعه فيصفونهم بضد ذلك ويضفون عليهم كما ترى أوصاف التوحيد هدية للمشركين بما ضنوا به على المسلمين! بل هم - أي الوهابية أدعياء السلفية - ما أضفوا التوحيد على المشركين إلا ليسلبوه من المسلمين كما بسطانها في موضعه!!

- (١) مثل الأفغاني وشيوخه حيث قال في جهود علماء الحنفية (١/ ٢٠٣): بأن المشركين كافة بألوانهم وأصنافهم، ولا سيما مشركي العرب لم ينكروا توحيد الربوبية .. بل كانوا يعترفون ويقرون بأن الله تعالى هو وحده: الرب الخالق الرازق المالك المدبر للأموال المتصرف في العالم.. وحده لا شريك له، فلا راد لقضائه ولا دافع لأمره. اهـ
- (٢) كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤ .

## المطلب الثاني: تسميتهم في القرآن أنهم كفار بالله

أطلق الله على مشركي قريش أنهم كفار بالإطلاق والتقييد؛ أما الإطلاق، فقد أطلق القرآن على مشركي العرب أنهم كفار في آيات كثيرة لا تحصى! وقد وردَ لفظ «الذين كفروا» في القرآن ١٣٠ (مئة وثلاثين) مرة، وأول موضع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، ليس هذا الوصف خاصا بمشركي العرب، بل يشمل غيرهم كاليهود والنصارى والمنافقين ونحوهم. وأما التقييد فقد جاء في القرآن آيات تطلق عليهم أنهم يكفرون بالله وبخالقته وبربوبيته، وثمة آيات تصرح بأنهم كافرون بالخالق! وأنهم لا يؤمنون بالله، أو على الأقل هم شاكون فيه!! ومن هذه الآيات ما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩] فوصفهم بالكفر بالخالق وب«إثبات الشركاء والأنداد له.. والأظهر أن المراد من كفرهم وجوه، الأول: قولهم إن الله تعالى لا يقدر على حشر الموتى، فلما نازعوا في ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله... الثالث: أنهم كانوا يضيفون إليه الأولاد، وذلك أيضا قدح في الإلهية وهو يوجب الكفر بالله، فالحاصل أنهم كفروا بالله لأجل قولهم بهذه

الأشياء، وأثبتوا الأنداد أيضا لله - لأجل قولهم بإلهية تلك الأصنام.. وكيف يعقل جعل هذه الأصنام الخسيسة أندادا له في العبودية والإلهية<sup>(١)</sup>.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، أي «من أين يتجه لكم الكفر بالله مع نعمه عليكم إذ كنتم أمواتاً فأحياكم. أي لم تكونوا شيئاً فأوجدكم»<sup>(٢)</sup>. أو «كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته»<sup>(٣)</sup>. أو كيف «تجحدون ﴿بالله﴾؛ أي: بوحدانية الله، ومعكم ما يصرفكم عن الكفر إلى الإيمان من الدلائل الأنفسية والآفاقية»<sup>(٤)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب (٢٧ / ١٠٢).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه (١ / ٢٠٥)، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بجامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط ١ / ٢٠٠٨ م.

(٣) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (١ / ٣٤).

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١ / ٢٥٩).

الآية الثالثة: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣]،  
 أي: «افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله في الدنيا، إنه كان لا يصدق  
بوحدانية الله العظيم»<sup>(١)</sup>، «لا يصدق بوحدانيته وعظمته»<sup>(٢)</sup>.

الآية الرابعة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

الآية الخامسة: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾  
 [الطور: ٣٥]، وسيأتي الكلام مفصلاً على هذه الآيات، وأنها تتناول  
 المشركين لتثبت لهم وجود الله وخالقيته لأنهم شاكون فيه.

الآية السادسة: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي  
خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، أي  
 «أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقاً جديداً بعد ما تصير رفاتاً.  
 ﴿لكننا هو الله ربي﴾ يقول: أما أنا فلا أكفر بربي، (ولكن أنا) هو الله  
 ربي، معناه، أنه يقول: ولكن أنا أقول: هو الله ربي»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٢٣ / ٢٣٩).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (٤ / ٣٣٢)، دار الكتاب العربي -  
 بيروت.

(٣) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٥ / ٢٦٣).

**الآية السابعة:** ﴿وَإِنْ تَعَجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ...﴾ [الرعد: ٥]، وسيأتي أيضا بسط الكلام عليها وأن المنكر للبعث منكر لوجود الله كما قال ابن القيم.

إلى غير تلك من الآيات الكثيرة التي تصرّح بكفرهم بالله تعالى، وأنهم أو كثير منهم لا يؤمنون بالله ووجوده أصلا، فضلا عن أنهم لا يؤمنون بوحدانيته وتبين أنه لا عذر لهم في عدم إيمانهم، وذلك لكثرة الآيات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته في الخالقية، فضلا عن كثرة نعمه ومنها خلقه لهم وغير ذلك، وأما آية «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله»، وأمثالها من الآيات فقد بيّنا في كتابنا «ولئن سألتهم» أن إقرارهم هذا هو إقرار غير محقق بل معلق على شروط كثيرة، منها أن يُسألوا ويتفكروا وينصفوا ويدعنوا، وبيّنا أن هذا كله غير متحقق، وبسطنا الأدلة على ذلك<sup>(١)</sup>.

وذكرنا أيضا أن هذا الإقرار بالله إن حدث منهم فهو خاص ببعض مشركي العرب لأن العرب كانوا أصنافا، فمنهم من كان معطلا للصانع، ومنهم من يؤمن به ولكن يشرك به في الربوبية أو

(١) «ولئن سألتهم» ص ١١٣.

الألوهية أو في كليهما كما سيأتي بيانه<sup>(١)</sup>، وإن فرضنا أن العرب كلهم سُئلوا فأقروا بأن الله ربهم، فهذا الإقرار لا توحيد فيه ما لم يقولوا «ربنا الله وحده» ونحو ذلك من أساليب الحصر والقصر<sup>(٢)</sup>، فضلا عن أنهم نقضوا إقرارهم حين نسبوا كثيرا من الحوادث والضر والنفع إلى غيره تعالى كما بيناه على طول هذا الكتاب بحمد الله.

### المطلب الثالث: دعوى أن كفر المشركين هو كفر نعمة!

وهذا أحد أجوبة ثلاثة أجابوا بها، وأما «الأول»: أن المراد من الكفر في هذه الآيات كفر النعمة، والمعنى: كيف تكفرون نعم الله؟ والثاني: أن المراد من كفرهم بالله هو كفرهم بكتاب الله؛ فعبر عن ذلك بكفرهم بالله. والجواب الثالث: أن المراد من الكفر بالله كفرهم بتوحيد الله، فمعنى ﴿كيف تكفرون بالله﴾: كيف تعبدون معه غيره. فكفرهم بالله اتخاذ الأنداد والشركاء له سبحانه<sup>(٣)</sup>. واستدلوا على ذلك بقول بعض المفسرين كقول الألوسي: «فلم يشكروا نعمة الله سبحانه لا سيما ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن .. بل قابلوا رحمته ونعمه

(١) انظر (ص ٣٥٤) من هذا الكتاب.

(٢) «ولئن سألتهم» (ص ٢٤٢).

(٣) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٤٨).

**بالكفر»<sup>(١)</sup>**، ويقول الطبري عند قوله ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ [الرعد: ٣٠] أي «وهم يجحدون وحدانيّة الله، ويكذبون بها»<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن ذلك من وجوه:

أولاً: إنّ المشركين كافرون بالله وتوحيده وبنعمه وبيكتابه وبرسوله وباليوم الآخر وبدينه وبكل شرائعه، وهذا واضح في القرآن من أوله إلى آخره، فكيف صار معنى كفرهم هو كفر نعمة أو هو فقط كفر بنعمه تعالى، وليس كفرا به تعالى؟! بل نصّ بعض المفسرين على أنهم كافرون بوجود الله!

**(نصوص بعض المفسرين على أن المشركين كافرون بوجود الله)**

ومن هؤلاء المفسّر ابن كثير حيث يقول: يقول تعالى محتجاً على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده: «كيف تكفرون بالله»، أي: كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره. «وكنتم أمواتاً فأحياكم»، أي: وقد كنتم عدماً فأخرجكم إلى الوجود كما قال تعالى

- 
- (١) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٤٨) نقلاً عن روح المعاني (١٣/ ١٥٢)، ولكن لفظ الأخير: «فلم يشكروا نعمه سبحانه...».
- (٢) جامع البيان ت شاكر (١٦/ ٤٤٥)، ونقله الأفغاني في جهود علماء الحنفية (١/ ٢٤٩).

«أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون»<sup>(١)</sup>. وقال أبو حيان: (بل لا يوقنون: أي إذا سئلوا: من خلقكم .. قالوا: الله، وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون)<sup>(٢)</sup>. فدل هذا على أن من يثبت منهم وجود الله فهو يثبته على شك فيه وريب! أي هو في أحسن أحواله شك في وجود الله لا جازم بوجوده ولا جازم بإنكاره! بل سيأتي قول الطبري «إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم».

ثانيا: القول بأن كفر المشركين كفر نعمة هو أمر عجيب غريب! لأنه يجعل المشركين مسلمين وليسوا كفارا! وذلك لأن «كفر النعمة ليس من الكفر والشرك المخرج من الملة»<sup>(٣)</sup>، لأن «التكفير نوعان: أحدهما: كفر النعمة. والثاني: الكفر بالله. والكفر الذي هو ضد الشكر: إنها هو كفر النعمة لا الكفر بالله»<sup>(٤)</sup>. و«الكفر قد يكون كفراً عملياً وليس كفراً اعتقادياً فإذا ليس الكفر فقط يعني الجحود..

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٣٣١).

(٢) البحر المحيط (٨ / ١٤٩).

(٣) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (٢ / ٢٠٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ١٣٧).

فقد يكون كفر نعمة مثلاً: «يكفرن النعمة ويكفرن العشير» كما جاء في حديث البخاري عن النساء<sup>(١)</sup>.

ولذلك هذا - أي كفر النعمة - يوصف به المسلم أحياناً، وذلك مثلاً إذا أتى كبيرة من الكبائر التي وصفت في بعض النصوص بأنها كفر أو شرك، كمن أتى كاهناً «فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» أخرجه الترمذي، وقال بعده: وإنما معنى هذا عند أهل العلم على التعليل<sup>(٢)</sup>، يعني أن «هذا على التشديد والتأكيد، أي: قارب الكفر والمراد كفر النعمة»<sup>(٣)</sup>.

(١) موسوعة الألباني في العقيدة (٤ / ٢٢٣)،

(٢) جاء في «سنن الترمذي» (١ / ٢٤٣ ت شاكر): عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى حائضاً، أو امرأةً في دبرها، أو كاهناً، فقد كفر بما أنزل على محمد». لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم، عن أبي تيممة الهجيمي، عن أبي هريرة، وإنما معنى هذا عند أهل العلم على التعليل. اهـ. وجاء في «مسند أحمد» (١٥ / ٣٣١ ط الرسالة): «.. عن أبي هريرة، والحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى كاهناً، أو عرافاً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد» وجاء في «صحيح مسلم» (٤ / ١٧٥١ ت عبد الباقي): «عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة».

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، دار الصميعي، الرياض (ص:

وكمَن ينسب المطر إلى نوء كذا فقد جاء أنه كافر كما في حديث «وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»، فإن «لم يعتقد تأثير النوء بإنزال المطر؛ فيكون من كفر النعم، لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها، ونسبتها إلى غيره، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾<sup>(١)</sup>.

وترك الصلاة، فقد ورد أنه كفر، فقال الجمهور «المراد بالكفر في الأحاديث المذكورة كفر دون كفر، وليس المراد الكفر المخرج عن ملة الإسلام، واحتجوا لهذا بأحاديث كثيرة يصرح فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر.. على معنى قد قارب الكفر وقد جاءت أحاديث في غير الصلاة أريد بها ذلك.. «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» متفق عليه<sup>(٢)</sup>. اهـ

**مفارقة: كفر أهل الجاهلية هو كفر نعمة، وأما كفر القبورية فهو**

**كفر مخرج من الملة!!**

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٧).

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٤ / ٤٠٢).

وهكذا فالقول عندكم بأن كفر المشركين هو كفر نعمة لا كفر اعتقاد يجعلهم في حكم المسلمين<sup>(١)</sup>، إذ المسلم قد يصدر منه كفر النعمة كما سبق! مع أنكم كَفَرْتُمْ خصومكم المسلمين الذين تنبذونهم بالقبورية، فجعلتم كفرهم كفرًا مخرجًا من الملة من أجل بعض المسائل الفرعية الخلافية وهي بعض مسائل القبور! وهذه هي في الحقيقة خلاصة نظرية تقسيم التوحيد؛ فكأنها تبرع للمشركين بالتوحيد مع سلبه من المسلمين!! وكذا هنا جعل السلفية كفرَ مشركي قريش كفر نعمة، وأما كفر «القبورية» فكفر مخرج من الملة! ثم يقولون نحن لسنا تكفيريين!!

قول الألويسي: والمراد بكفرهم به تعالى إلحادهم في ذاته سبحانه!

ثالثا: وأما قول الألويسي السابق: فلم يشكروا نعمة الله سبحانه.. فالجواب أنه هو نفسه يقول أيضا: والمراد بكفرهم به تعالى إلحادهم في ذاته سبحانه وصفاته عز وجل، وخروجهم عن الحق اللازم له جل شأنه على عباده من توحيده، واعتقاد ما يليق بذاته

(١) علّق أخي الفاضل الشيخ رضوان سنبل حفظه الله هنا فقال: إن هذا يلزم منه أنّ المشركين بعد طول عذاب في النار حكمهم مثل أهل الكبائر يخرجون من النار؛ لأنهم كفروا نعمة الله تعالى، أو أنّ كفرهم كان كفرًا دون كفر، ثم يدخلون الجنة، وهذا لا يقول به مسلم عامي عاقل، فضلاً عن مسلم عالم. اهـ

وصفاته جل جلاله، فلا ينزهونه تعالى عن صفات الأجسام، ولا يثبتون له القدرة التامة والنعوت اللائقة به سبحانه وتعالى، ولا يعترفون بإرساله تعالى الرسل وبعثه سبحانه الأموات حتى كأنهم يزعمون أنه سبحانه خلق العباد عبثا وتركهم سدى<sup>(١)</sup>. اهـ

فتأمل كيف نصّ الألوسيُّ هنا على كفریات كثيرة لهم، وهي كفرهم به تعالى، وبتوحيده، وعدم تنزيهه عن الجسمية، وكفرهم بقدرته وبصفاته، وكفرهم برسله، وبالبعث والنشور!! فكيف يقال إن الألوسي يرى أنّ كفرهم هو فقط كفرٌ بنعمه؟!

رابعا: وأما قول الطبري، أي «وهم يجحدون وحدانية الله، ويكذبون بها»<sup>(٢)</sup>، فهذا حجة لنا لأنه لم يقيد الوحدانية التي ينكرونها ويكذبونها بأنها هي فقط توحيد الربوبية كما زعمتم، بل أطلق، أي أنهم ينكرون توحيد الله مطلقا دون تقييد، هذا فضلا عن أنه قال في موضع آخر: «وما يهلكنا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر، إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم .. وبنحو الذي قلنا في ذلك

(١) روح المعاني (٢٤ / ٩٩)

(٢) جامع البيان ت شاكر (١٦ / ٤٤٥)، ونقله الأفغاني في جهود علماء الحنفية

قال أهل التأويل<sup>(١)</sup>.. وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون: الذي يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان<sup>(٢)</sup>. اهـ.

### تتكرون المجاز ثم تستخدمونه للدفاع عن المشركين!

خامسا: قولكم «المراد من كفرهم بالله هو كفرهم بكتاب الله» هو تأويل للآيات التي تُبين وتنصّ على أنهم كافرون بالله نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ..﴾ [البقرة: ٢٨]، وحملها على مجاز الحذف، ولكن هذا يتنافى مع مذهب الخصم الذي ينكر المجاز والتأويل ويعتبرهما رجسا من عمل الشيطان، وهو «أصل خراب الدين والدنيا»<sup>(٣)</sup> كما سبق، ويعتبر ذلك تحريفا إذا قلنا مثلاً إن المراد بنزوله تعالى نزول رحمته أو ملائكته، فهذه إحدى الكبر عند الخصم<sup>(٤)</sup>، فما بال المجاز صار حلالاً زلالاً ما دام في صالحه؟! ونحن حين جعلنا الاستغاثة بالرسول من قبيل المجاز أنكرتم ذلك<sup>(٥)</sup>، والطريف أنكم

(١) جامع البيان ط هجر (٢١ / ٩٦).

(٢) جامع البيان ط هجر (٢١ / ٩٦).

(٣) أعلام الموقعين (٥ / ١٨٧ - ١٨٩).

(٤) كما سيأتي في المجلد الرابع.

(٥) انظر (ص ٣٧٨) من هذا الكتاب.

جعلتم قول المشركين «وما يهلكنا إلا الدهر» من قبيل المجاز كما سنرى<sup>(١)</sup>!!

سادسا: لو سلّمنا جدلا بصحة تلك الأجوبة التي أجبتم بها عن هذه الآيات فهذا لا يفيدكم ولا يضرنا، لأن تلك الآيات تدل في نهاية المطاف على أن مشركي العرب ساهم القرآن كفارا، بغض النظر هل المقصود بذلك كفرهم بالله أو بالرسول أو بالقرآن أو باليوم الآخر أو بالنعم أو غير ذلك، وإن كنا قد قلنا إنهم كفرون بكل ذلك، بل جاءت بعض الآيات تيين وتنص على أنهم كفرون بالله نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ..﴾ [البقرة: ٢٨].

على كلٍ نحن يكفينا أن القرآن ساهم كفارا، وأيضا ساهم مشركين بإطلاق كما أثبتنا ذلك، وبالتالي فلا يصح بحال القول بأنهم مؤمنون بالله فضلا عن قولكم بأنهم موحدون في الربوبية، أو غير ذلك من التسميات المحدثّة المبتدعة المخالفة للقرآن، ولا سيما أن الخصوم (أي الوهابية) هم من الأعداء اللدودين للبدع والمحدثات، ومن الداعين للتمسك بالألفاظ الشرعية وترجيحها على غيرها من الألفاظ

(١) كما رأينا (ص ٣٧٥).



المبتدعة إذ «التزام الألفاظ الشرعية.. هو منهج السلف، وهو المذهب الحق»<sup>(١)</sup>، كما سبق بيانه<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الخامس:

### تحاكم أهل الجاهلية إلى الطاغوت ووقوعهم في شرك التشريع

كان أهل الجاهلية يشرعون الأحكام، ويتحاكمون إلى الطاغوت، كما ثبت ذلك في آيات كثيرة، وقد أقرتم بذلك، والتشريع من صفات الربوبية كما أقر بعضكم به، وفيما يلي بيان هذين الأمرين:

### المطلب الأول: بيان أن أهل الجاهلية كانوا يشرعون الأحكام ويتحاكمون إلى الطاغوت

(١) قال ابن تيمية: فمن شرع من الدين ما لم يأذن به الله، وحرم ما لم يحرم الله ورسوله، فهو من دين أهل الجاهلية، المخالفين لرسوله.. حيث شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله. فحرموا ما لم يحرمه الله، وأحلوا ما حرمه الله، فذمهم الله وعابهم على

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١٠٣)

(٢) انظر (ص ٢٦٨) من كتابنا «تنوير الرب الإله».

ذلك<sup>(١)</sup>، «وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى: وقالوا هذه أنعام وحرث حجر»<sup>(٢)</sup>، «ولهذا ذمَّ الله المشركين الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وحرّموا ما لم يجرمه في سورة الأنعام من قوله تعالى «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث..»<sup>(٣)</sup>. وقال: وقد كان المشركون يجرمون من الطعام واللباس أشياء ويتخذون ذلك ديناً»<sup>(٤)</sup>. اهـ

(٢) قال أبو بكر زكريا: «ومن الشرك بالله جل شأنه في الربوبية بالأنداد بإثبات صفات الله لبعض مخلوقاته: الشرك بإعطاء حق التشريع والتحليل والتحرير والحكم لغير الله، فإن من المعلوم أن الحكم أو الحكم من صفات الله عز وجل، وهكذا التشريع والتحليل والتحرير، فقد قال تعالى أغير الله أبتغي حكماً»<sup>(٥)</sup>.. ولقد وقع مشركو العرب في هذا النوع من الشرك.. كما في قوله تعالى ﴿أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٦٨)، وانظر أيضا: الفتاوى الكبرى (٥/ ١٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩/ ١٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٨٤).

(٥) الشرك في القديم والحديث (ص ٤٩٠).

يَأْذُنُ بِهِ اللَّهُ ﴿ [الشورى: ٢١]، وقوله: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقوله: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩]، إلى «غير ذلك من الآيات التي تدل صراحة على أنهم وقعوا في شرك التحليل والتحريم والتشريع لغير الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

(٣) ثم يقول زكريا: كما أن هناك آيات تدل على أنهم وقعوا في شرك إعطاء حق الحكم والتحاكم لغير الله.. ﴿ أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.. ثم يقول: فهذه آيات من القرآن الكريم تدل على أن مشركي العرب كان عندهم من التحاكم إلى الطاغوت، وقد نهاهم الله عن ذلك، بل ذكر ما يدل على أن الإيمان لا يصح بالكفر بالطاغوت..

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٩٢.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُثْقَى﴾<sup>(١)</sup>.

(٤) ثم يقول زكريا: ومن أصرح الأدلة على أن العرب كان عندهم  
نوع من التحاكم إلى غير الله: استقسامهم بالأزلام، قال تعالى:  
﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ﴾، ثم يقول: والمقصود  
أن هذا النوع من الشرك قد كان في العرب، وهو شرك بالله في  
الربوبية بالأنداد، وذلك بإعطاء حق التشريع والتحليل  
والتحريم والحكم والتحاكم لغير الله، وقد ذكر المفسرون في  
تفسير هذه الآيات من الأسباب ما يدل على أن العرب قد  
وقعوا في هذا الشرك<sup>(٢)</sup>. ثم سرد زكريا ما يلي من أقوال ابن كثير  
في تفسيره وتاريخه، ونسردها فيما يلي:

### نصوص ابن كثير في شرك التشريع في الجاهلية

(٥) يقول ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى: «فمن اضطر غير باغ  
ولا عاد».. والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على  
المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٩٣.

(٢) الشرك في القديم والحديث ص ٤٩٤.

أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك<sup>(١)</sup>. اهـ

(٦) وقال ابن كثير: نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرّموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك مما كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم، فقال: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب». اهـ

(٧) وعند قوله تعالى: «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله» ذكر ابن كثير أمثلة كثيرة من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحرّيم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٨) وقال ابن كثير في تاريخه: وقد أنكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز.. تحريم ما لم يحرمه الله، كتحرّيمهم السائبة<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٩٨)

(٢) تفسير ابن كثير (١٢/ ٢٦٦)

(٣) البداية والنهاية ط هجر (٣/ ١٩٢)

٩) قال الحازمي: «قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يجرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: هو ما حرم أهل الجاهلية عليهم في أموالهم البحرية والسائبة والوصيلة والحام<sup>(٢)</sup>. وقال ابن زيد: كان قومٌ يجرمون من الشاة لبنها ولحمها وسمنها، فأنزل الله ﴿قل من حرم﴾<sup>(٣)</sup>.. وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ .. قال الشوكاني<sup>(٤)</sup> .. : هم الكفار الذين كانوا يُجرِّمُون البحرية والسائبة ونحوهما<sup>(٥)</sup>. اهـ

**المطلب الثاني: بيان أن تشريع الأحكام من صفات الربوبية وأن التحاكم إلى غير الشرع هو قدح في توحيد الربوبية:**

- (١) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في الدر المنثور للسيوطي (٦ / ٣٧٥).
- (٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة كما في الدر المنثور (٦ / ٣٧٥).
- (٣) أخرجه أبو الشيخ عن ابن زيد كما في الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (٦ / ٣٧٥).
- (٤) فتح القدير للشوكاني (٢ / ١٧٨).
- (٥) شرح مسائل الجاهلية للحازمي (١٢ / ١٠، ت. ش).

في الواقع اختلف السلفية في قضية التحاكم إلى غير شرع الله أهو قدح في توحيد الربوبية أم في توحيد الألوهية أم في كليهما؟ فاختلفوا في ذلك على ثلاثة مذاهب، نفصلها فيما يلي:

### التشريع من صفات الربوبية

الرأي الأول: وهو أن بعضهم جعل التحاكم إلى غير شرع الله قادحا في توحيد الربوبية، وإليه ذهب أبو بكر زكريا حيث قال: ومن الشرك بالله جل شأنه في الربوبية: الشرك بإعطاء حق التشريع والتحليل والتحریم والحكم لغير الله.. ولقد وقع مشركو العرب في هذا النوع من الشرك<sup>(١)</sup>. وإِنْ حق التشريع هو من أخص خصائص الربوبية وأنه نوع من أنواع التدبير الذي يدبر به الله عز وجل هذا الكون، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. لذلك فإن من نازع الله في شيء منه كان مشركا لأدلة كثيرة منها<sup>(٢)</sup>. اهـ، ولذا فإن من نواقض توحيد الربوبية «الاعتقاد بأن للمخلوق حقاً في سن القوانين

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٩٠

(٢) شرح منظومة الإيوان، البشير بن محمد عصام المسفيوي المراكشي (ص: ١٨١، ت.

وتشريعتها، وهي تلك النظم التي تحكم في أموال الناس وأعراضهم»<sup>(١)</sup>.

### التحاكم إلى الطاغوت قدح في توحيد الربوبية والألوهية

الرأي الثاني: رأى بعضهم أن التحاكم إلى غير شرع الله قاذح في توحيد الألوهية، وهو رأي الغنيمان حيث قال: فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير شرع الله فقد كذب في شهادته، واقترف قاذحا من قواعد توحيد العبادة والتأله<sup>(٢)</sup>. اهـ وهذا رأي خليفة التميمي حيث قال وهو يعدد أقسام التوحيد: توحيد الاتباع أو توحيد الحاكمية، ثم يقول: ولكن يلاحظ على من ذكر هذا القسم أن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية<sup>(٣)</sup>.

الرأي الثالث: بعضهم جعل التحاكم إلى غير شرع الله مناقضا لشقّي التوحيد في الربوبية والألوهية حيث قال: وأصل الدين هو توحيد الله عز وجل بشقيه، الربوبية والألوهية أو العبادة، وهو بذاته

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص: ٢٨٥)

(٢) جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة، للغنيمان ص ٦١٦.

(٣) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، لخليفة التميمي (ص:

٣٧)، وكذا في الموسوعة العقدية - الدرر السنية (١/ ١٦٠، ت. ش).

يقتضي التحاكم إلى الله ورسوله والولاء لله ورسوله والتوجه بالنسك والشعائر لله تعالى وحده<sup>(١)</sup>. اهـ

### (سبب خلاف السلفية في توصيف التحاكم إلى الطاغوت)

هذا وقد وضح الشيخ أحمد الحازمي وجه كون التحاكم إلى غير الله قادحا في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال: .. على خلاف بين أهل العلم، هل الشرك في التحاكم إلى غير الشرع يعتبر شركاً في الربوبية أم شركاً في الألوهية<sup>(٢)</sup>.. ثم ذكر سبب الخلاف فقال إن: الحكم إما داخل في أفراد الربوبية، وإما داخل في أفراد الألوهية، .. ففيه حينئذٍ نظران: نظرٌ إلى كونه فعلاً من أفعال الرب، ونظرٌ إلى كون المكلف يجب عليه أن يُحْكَمَ الشرع وأن يتحاكم إلى الشرع<sup>(٣)</sup>. اهـ ثم خلاص إلى أن التحاكم «إلى غير شرع الله قدحٌ في أصل التوحيد»<sup>(٤)</sup>، وأن من أراد التحاكم إلى غير الله ورسوله فهو «كافرٌ كفوفاً أكبر، ووقع في الشرك الأكبر»<sup>(٥)</sup>. اهـ

(١) حقيقة الإيذان لطارق عبد الحليم (ص: ٤٨، ت. ش).

(٢) شرح مسائل الجاهلية للحازمي (١٢ / ٦، ت. ش)

(٣) شرح مسائل الجاهلية للحازمي (١٢ / ٦، ت. ش)

(٤) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٨١ / ٦، ت. ش)

(٥) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٨١ / ٦، ت. ش)

## الخلاصة أنهم مشركون في الربوبية لأنهم تحاكموا إلى غيره تعالى

وهكذا نرى أن التحاكم إلى غير الله قادح في توحيد الربوبية والألوهية معا، وعليه فالمشركون في الجاهلية كانوا مشركين في الربوبية والألوهية؛ لأنهم كانوا يشترعون أحكاما من عند أنفسهم، فضلا عن أنهم كانوا يتحاكمون إلى الطاغوت وإلى دين آبائهم في تحريم ما أحله الله وتحريم ما أحله الله كما سبق، فكيف يقال بعد هذا إنهم موحدون في الربوبية مشركون في الألوهية؟! إنهم مشركون في الربوبية والألوهية معا لتحاكمهم لغير الله، وهذا قادح في أصل التوحيد كما أقررتم بذلك. وبالله التوفيق

## المبحث السادس:

### نسبة المشركين الولد إلى الله تعالى سبحانه

#### المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك

كانوا ينسبون إلى الله الولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهذا واضح جدا أقر به السلفية<sup>(١)</sup>، ودلّ عليه آيات صريحة كثيرة في القرآن، وهاكم طائفة منها:

(١) ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ بَلِّغُوا لَهُمْ بَلَاتًا وَقَدِيبًا﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٠] أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٣]

(٢) وقال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]

(٣) ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لُمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨]

(٤) ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٩٥

بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)  
 أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا  
 الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا تَأْتُوا بِخَلْقِهِمْ سَتُّكَتُبِ  
 شَهَادَتِهِمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا  
 هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿ [الزخرف: ١٥ -  
 [٢٠

(٥) ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ  
 أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ  
 مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي  
 التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) ﴾ [النحل: ٥٧ - ٦٠]

### المطلب الثاني: نصوص ابن تيمية وأتباعه في ادعاء المشركين لله الولد

فقد أقر بذلك ابن تيمية وأتباعه، وهاكم نصوصهم في ذلك:

يقول ابن تيمية: .. وذلك شبيهه بقول مشركي العرب وغيرهم  
 الذين جعلوا له بنين وبنات .. وقال تعالى ﴿ألا إنهم من إفكهم  
 ليقولون \* ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ وكانوا يقولون: الملائكة بنات  
 الله<sup>(١)</sup>. اهـ

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٧)

قال ابن عبد الوهاب وهو يسرد اعتراضات خصمه: فإن قال :  
إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء وإنما يكفرون لما قالوا، الملائكة  
بنات الله، فإننا لم نقل عبد القادر ابن الله ولا غيره؛ فالجواب أن نسبة  
الولد إلى الله كفر مستقل<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال شكري الألوسي وهو يعدد خصال الجاهلية: الثلاثون نسبة  
النقائص إليه سبحانه كالولد والحاجة، فإن النصارى قالوا: ﴿المسيحُ  
ابنُ الله﴾، وطائفة من العرب قالوا: الملائكة بنات الله، .. وقد نزه الله  
نفسه عن كل ذلك ونفاه ..<sup>(٢)</sup>. اهـ

**المطلب الثالث: هل نسبة الولد إلى الله تقدح في توحيد الربوبية؟!  
وتخبط السلفية في ذلك**

قال وليد - هداه الله -: ما دام ابن تيمية وأتباعه قد أقرروا بأن  
المشركين كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله! فكيف يصح والحال  
هذه القول بأن المشركين موحدون في الربوبية؟! فهل نسبة الولد إلى  
الله لا تقدح في توحيد الربوبية؟!

(١) كشف الشبهات (ص: ٢٨)

(٢) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت علي مخلوف (ص: ٥٥)

فإن قيل: نسبة الولد إلى الله لا تقدر في توحيد الربوبية ما دام المكلف لا ينسب تدبيراً أو خلقاً أو ملكاً لذلك الولد المنسوب لله - سبحانه - .

قلنا: أولاً: أقرّ بعض السلفية بأن هذا يقدر في توحيد الربوبية، حيث قال: «فمن المعلوم ما وقعت به النصراني من شرك في ربوبية الله تعالى، حيث أثبتوا له الولد والصاحبة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً..»<sup>(١)</sup>.

**دعوى أن المشركين كفروا بتشفعهم بالملائكة لا بزعمهم أنهم**

**بنات الله!!**

ثانياً: إذا كانت نسبة الولد لله - سبحانه - لا تقدر في توحيد الربوبية، بشرط ألا ينسب للولد الخالقية والتدبير، فينبغي ألا تقدر أيضاً في توحيد الألوهية ما دام المكلف لا يعبد ذلك الولد بأي نوع من العبادات. وبالتالي فنسبة الولد لله ليست شركاً أصلاً، وما أشرك المشركون بقولهم إن الملائكة بنات الله، وإنما لدعائهم الملائكة!! ولا النصراني مشركون بقولهم إن المسيح ابن الله .. وإنما لدعائهم المسيح!

(١) آراء الصاوي في العقيدة والسلوك ص ١٣٠، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى،

للباحثة أسماء ملا حسين، لعام/ ٢٠٠٤م.

الواقع أن هذا الكلام ليس مجرد إلزام أو تشنيع أو افتراء على القوم .. فقد قاله بعض الوهابية على الأقل، بل ذهب إلى ما هو أبعد حيث ذكر أن سبب كفر المشركين وشركهم ليس نسبتهم الولد لله، وإنما هو لتشفعهم بالأصنام!! حيث ينقل عبد العزيز العبد اللطيف عن خصوم الوهابية نصوصاً يسميها «ادعاءات» حاصلها أن «سبب كفر مشركي العرب هو نسبتهم الولد لله تعالى، وليس لأنهم جعلوا الأصنام، أو الأولياء شفعاء تقربهم عند الله زلفى<sup>(١)</sup>».

ثم اسمع بما سيرد على ذلك، حيث يقول العبد اللطيف معقبا: يتبين من خلال هذه النقول أن هؤلاء الخصوم يدعون أن العلة التي أوجبت كفر المشركين، هي اعتقادهم في الأنبياء، والملائكة أنهم أبناء الله وبناته - تعالى الله عن ذلك -، أو اعتقادهم أن الأصنام تنفع وتضر، وليست علة كفرهم اتخاذهم الأصنام، أو الأولياء شفعاء كي تقربهم عند الله زلفى .. فيبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب مشابهة هؤلاء الذين اتخذوا الصالحين شفعاء، ووسائط بينهم وبين الله ويدعونهم، ويرجونهم، بحال المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه

(١) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٢٨١)

وسلم ممن اتخذ الأصنام، أو الأولياء شفعاء تقربهم عند الله زلفى، مع اعتقاد أن النفع والضرر من عند الله<sup>(١)</sup>. اهـ

قال وليد - رأف الله به -: فأنت ترى كيف يستنكر هذا المؤلف الوهابي المدعو العبد اللطيف على من يقول «ليس سبب كفر مشركي العرب هو اتخاذ الأولياء شفعاء تقربهم عند الله زلفى، وإنما كان كفرهم بسبب اعتقادهم أن الملائكة والأولياء بنات وأبناء الله»، لأن العلة عنده - أي عند العبد اللطيف - في كفر مشركي العرب هي الشفاعة بالأنبياء والأولياء ولذلك قاتلهم رسول الله، أما قول المشركين بأن الأنبياء آلهة وأن الملائكة بنات الله فليس هذا عنده كفراً ولا قاتلهم النبي عليه!

والطريف أن هذا المؤلف يستشهد بابن عبد الوهاب بل كتابه<sup>(٢)</sup> هو للدفاع عنه، ونسي أن ابن الوهاب نفسه أقر بأن «نسبة الولد إلى الله كفر مستقل» كما سبق نقله. ونزيد الأمر بياناً بنقل كلام ابن تيمية نفسه فيمن نسب لله الولد وأن ذلك كفر وشرك واستدلّ له بآيات كثيرة على ذلك، وإليك نصوصه في ذلك:

(١) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٢٨٦)

(٢) المسمى «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»

## (نصوص ابن تيمية وابن القيم في أن نسبة الولد كفر وشرك)

يقول ابن تيمية : .. وقد ضاهوا في ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولدا شريكا قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿التوبة: ٣٠﴾<sup>(١)</sup>. اهـ فتأمل كيف جعل ابن تيمية نسبة الولد لله شركا في قوله «الذين جعلوا لله ولدا شريكا»!

ويقول ابن تيمية أيضا: فإن المسيح رسول كريم وجيه عند الله في الدنيا والآخرة ومن المقربين، فإذا كان الذين قالوا: إنه هو الله وإنه اتحد به أو حلّ فيه قد كفرهم وعظم كفرهم؛ بل الذين قالوا إنه اتخذ ولدا حتى قال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿[مريم: ٨٨ - ٩٢]﴾<sup>(٢)</sup>. اهـ فتأمل كيف جعل نسبة الولد لله كفرا عظيما في قوله «قد كفرهم وعظم كفرهم؛ بل الذين قالوا إنه اتخذ ولدا».

(١) الجواب الصحيح (٣/ ١٨٥)

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٤)

وقال ابن تيمية: وقال تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف  
 ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ وهو قول من قال من العرب: إن  
 الملائكة بنات الله.. ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ ..  
 وقال تعالى: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين﴾  
 ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين﴾ .. ﴿وجعلوا الملائكة  
 الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ .. وهذا القدر الذي عابه الله على من  
 جعل الملائكة بناته من العرب مع كراحتهم أن يكون لهم بنات فنظيره  
 في النصارى؛ فإنهم يجعلون لله ولدا وينزهون أكابر أهل دينهم عن أن  
 يكون لأحدهم صاحبة أو ولدٌ فيجعلون لله ما يكرهونه لأكابر دينهم.  
 وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا..﴾<sup>(١)</sup> . اهـ

وقال: وأيضا فرعمهم أن العقول والنفوس التي جعلوها  
 الملائكة وزعموا أنها معلولة عن الله .. هو قول بتولدها عن الله، وأن  
 الله ولد الملائكة، وهذا مما رده الله ونزه نفسه عنه وكذب قائله، وبين  
كذبه بقوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ .. وقال تعالى: ﴿ألا إنهم من إفكهم  
 ليقولون﴾ ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ وإنهم لكاذبون﴾ .. وبقوله: ﴿.. وخرقوا له بنين

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٤٠)

وبنات بغير علم .. ﴿ وقوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه  
بل عباد مكرمون ﴿ (١).

وقال أيضا: ففي الجملة ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله إلا  
وقول النصرارى أقبح منه، ولهذا كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول  
لا ترحمهم، فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر، ولهذا  
يعظم الله فريتهم على الله في القرآن أشد من تعظيم افتراء غيرهم،  
كقوله: « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا» .. وفي الصحيحين  
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: يقول الله عز وجل: كذبني  
ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما شتمه  
إياي فقولهُ اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي  
كفوا أحد .. (٢). اهـ

وهكذا نرى كيف سرد ابن تيمية نفسه هذه الآيات الكثيرة جدا  
- مع أنني حذف بعضها اختصارا - فضلا عن بعض الأحاديث والآثار  
مستشهدا بها كلها على أن قول مشركي العرب بأن الملائكة بنات الله  
هو كفر عظيم وشرك أكبر، وأنه من أشد الكذب والافتراء، وأنه شتم  
وسب لله تعالى، فكيف يقال بعد كل ذلك إن نسبة الولد لله ليست كفرا

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ١٢٧)

(٢) الجواب الصحيح (٤ / ٤٥٧)

ولا بذلك كفر مشركو العرب ولا على ذلك قاتلهم رسول الله، وإنما قاتلهم لأنهم كانوا يتشفعون بالأنبياء والأولياء<sup>(١)؟!؟</sup>

وقال ابن القيم: فإثبات الولد لله تعالى من أعظم الإشراك به..  
والنصارى جعلوا له شريكا هو نظير وجزء من اجزائه، كما جعل بعض المشركين الملائكة بناته<sup>(٢)</sup>. اهـ

### نسبة الولد لله هو نسبة العجز إليه بإقرار السلفية

وأخيرا نشير إلى أن نسبة الولد لله فيه - في حقيقة الأمر - نسبة العجز إليه - تعالى الله عن ذلك - وهذا أقرّ به السلفية، يقول ابن عبد الوهاب وهو يعدد خصال الجاهلية: «نسبة النقائق إليه سبحانه، كالولد والحاجة والتعب، مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك»<sup>(٣)</sup>. «فإن النصارى قالوا: المسيح ابن الله، وطائفة من العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وقوم من الفلاسفة قالوا بتوليد العقول، وقوم من اليهود

- 
- (١) وقد بسطنا الكلام على دعوى تشفع المشركين بالصالحين، وبيّنا بالأدلة بطلان هذه الدعوى، وذلك في كتابنا الكبير الذي سيطلع ما تبقى منه لاحقا بحول الله.
- (٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ١٥٧٣)
- (٣) ١٢٨ مسألة من مسائل الجاهلية (ص: ٥)

قالوا: العزيز ابن الله، إلى غير ذلك. وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك ونفاه عنه»<sup>(١)</sup>.

وذلك في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] أي أنه تعالى هو «الواحد القهار فهو الذي أبدع هذا الكون من العدم، فما حاجته إلى الولد؟ والولد إنما هو امتداد لمن كتب الله عليه الفناء، والمحتاج إلى المعين والنصير، وقد اقتضت حكمة القادر العليم أن التكاثر في النوع الإنساني وغيره من المخلوقات لا بد له من صاحبة من جنسه، فكيف يكون لله ولد ولم تكن له صاحبة؟ فقد تفرد سبحانه بالألوهية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه النصوص للسلفية إقرار واضح بأن نسبة الولد لله هي قدح في قدرته المطلقة بل فيها نسبة العجز والنقص إلى الله تعالى، وما هذا شأنه فهو قدح في ربوبية الله وفي وجوده، فضلا عن أن يكون ذلك قدحا في توحيد الربوبية، وبالتالي: فكيف يكون مشركو العرب الذين نسبوا الولد إلى الله: موحدين في الربوبية!

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت محب الدين الخطيب (١/ ٢٣٥)

(٢) مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٩٢).

## قول ابن عمر «ولا أعلم من الإشراف شيئاً أكبر من أن تقول المرأة

### ربها عيسى»

ومما يؤيد القول بأن نسبة الولد إلى الله شرك هو ما جاء في صحيح البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكُحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ، وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال إن الله حرم المشركات على المؤمنين ولا أعلم من الإشراف شيئاً أكبر من أن تقول المرأة: ربها عيسى، وهو عبد من عباد الله<sup>(١)</sup>.

وقوله: «(من أن تقول المرأة ربها عيسى) إشارة إلى قول النصراني المسيح ابن الله واليهود عزيز ابن الله»<sup>(٢)</sup>. «والظاهر أن ابن عمر أراد بذلك الكراهة كما روى ذلك عن أبيه عمر، أو كان يخص ذلك بمن ادعى الألوهية في عيسى»<sup>(٣)</sup>.

فأفاد قول ابن عمر أمرين:

### (اعتقاد النصراني بأن المسيح خالقهم)

- (١) صحيح البخاري بتحقيق البغا (٥/ ٢٠٢٤)
- (٢) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ١٥٦)
- (٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٩/ ٣٠)

**الأول:** أن النصارى يقولون عن عيسى ربّ، وليس هو عندهم إلها فقط، وهذا يبطل قول دمشقية بأن النصارى مع تثليثهم هم موحدون في الربوبية!! حيث قال «والتجربة تثبت أنه حتى النصارى المثلثة ما زالوا يقولون: نحن نؤمن بالرب الواحد!» وهذا عجيب، وقد رددنا عليه في غير هذا الموضوع<sup>(١)</sup>، وأتينا بنص ابن تيمية: «والمسيح عليه السلام عندكم هو الإله الخالق الذي يقال له اغفر لنا وارحمنا»<sup>(٢)</sup>. ويقول ابن القيم وهو يتكلم عن أحد النصارى فيقول «إن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه، وابن ولده إبراهيم وربه وخالقه ورازقه»<sup>(٣)</sup>.

**الثاني:** أن القول بأن «عيسى ابن الله» هو بحد ذاته شرك وكفر، خلافا لزعمكم أن الكفر هو التشفع بعيسى عليه السلام لا القول بأنه ولد الله! تعالى الله عن ذلك.

وهكذا يتبين أن نسبة الولد إلى الله سبحانه من قبل المشركين والنصارى هو قدح في توحيد الربوبية، وبالتالي قول المشركين عن

(١) انظر كتابنا: «تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله» ص ١٠٤، ط ١ / دار الأصيلين.

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٣ / ٢٢٧)

(٣) هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (٢ / ٤٨٩)

الملائكة بأنهم بنات الله هو دليل قاطع على أنهم غير موحدين في الربوبية خلافاً لزعم السلفية طبعاً.

## المبحث السابع:

### سبهم الله عندما تسب آلهتهم

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وهذا ناقض لتوحيد الربوبية إلا إن قلتم: إن مجرد سب الله ليس ناقضا لتوحيد الربوبية وكذا نسبة الولد والصاحبة لله، وأن هذا كله لا ينقض توحيد الربوبية ما دام المكلف لا ينسب لغير الله تدبيرا وخلقا وملكا! بل يبقى بذلك موحدا في الربوبية!!

قلنا: بناء على ما قلتم فإن سبَّ الله ونسبة الولد والصاحبة له مثلما أنه لا ينقض توحيد الربوبية فإنه لا ينقض توحيد الألوهية ما دام أنّ المكلف لا يتوجه بأي عبادة لغير الله! ولو اعتقد بوجود آلهة شتى مع الله بل لو قال عن النجوم والبشر والحجر والشجر آلهة! فهذا لا ينقض توحيد الألوهية ما دام أنه لا يتجه بالعبادة لغيره تعالى!!

وكفى بهذا زندقة وكفرا بواحا، فماذا أبقى من الإسلام والإيمان والتوحيد من يقول عن النجوم والبشر والحجر والشجر آلهة وإن لم يعبدها؟! هذا هدم لدين الرسل جميعا الذين ما جاؤوا إلا لتقرير أنه لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي حديث «أمرت أن

أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، فضلا عن أنه هدم لأحد أهم أصول نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، وهو أن الرسل جاؤوا بتوحيد الألوهية المعبر عنه بلا إله إلا الله، ولم يأتوا بتوحيد الربوبية «فتوحيد الربوبية كان يعتقده المشركون، ولذلك لم يدعهم إليه الرسل لعلمهم أن الله فطرهم عليه»<sup>(١)</sup>.

وقد رأينا السلفية يوردون فعلا اعتذارات عن المشركين في سبهم لله!! ويفسرون الآية بتفسيرات أخرى مخالفة لظاهرها، كما سيأتي بسط ذلك<sup>(٢)</sup>، ليخلص السلفية في آخر المطاف إلى أن سب المشركين لله هذا لا يقدر في إقرارهم بتوحيد الربوبية، تماما مثلما أن فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، لا يقدر في توحيد الربوبية عند السلفية كما بسطناه في الكتاب السابق<sup>(٣)</sup>!!

(١) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ٩٥)

(٢) كما سيأتي بسط ذلك في المجلد الرابع بحول الله.

(٣) انظر «ولئن سألتهم» (ص: ٨١) تحت عنوان: فرعون والنمرود والنصارى

موحدون في الربوبية عند ابن تيمية مع تصريحهم بخلاف ذلك!!

## المبحث الثامن:

### آية الزمر «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فهذه الآية نفسها تفيد أن المشركين يعتقدون في آلهتهم الضر والنفع ولو عن طريق التشفع، بأن تشفع لهم عند الله ليقضي لهم حاجاتهم الدنيوية لا الآخروية؛ لأنهم منكرون للآخرة أصلاً.

فهم بادعائهم الشفاعة لها يعتقدون أن لأصنامهم تأثيراً ما ولو عن طريق الشفاعة، حتى وإن فسرنا الشفاعة هنا بمعنى أن تدعوا آلهتهم المزعومة الله ليكشف عنهم ما بهم من ضر، وتجلب لهم ما فيه نفع لهم كما سيأتي ذلك عن المعلمي اليماني.

وأما إذا فسرنا الشفاعة بتفسير ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - وسيأتي نصهما<sup>(١)</sup> - وهي أن المشركين يعتقدون أن أصنامهم تشفع لهم وتحقق لهم ما يريدون من جلب نفع ودفع ضر دون إذن الله، فالأمر أظهر في أن الآية دالة على أنهم غير موحدين في الربوبية؛

(١) انظر (ص ٢٩٢) من هذا الكتاب.

لأنهم ينسبون جلب الضر والنفع إلى الأصنام مباشرة دون إذن الله  
ومشيئته.

### نصوص المفسرين والسلفية على أن الآية تدل على اعتقاد الضر والنفع في الأصنام:

فقد أقرّ بعض السلفية بأنّ آية الزمر تدل على أن المشركين  
يعتقدون الضر والنفع في أصنامهم، وفيما يلي نصوصهم مع نصوص  
بعض المفسرين:

(١) قال الطبري: يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى

الله زلفى، قرابة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا<sup>(١)</sup>.

(٢) وقال ابن أبي زمنين: ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قربي؛

زعموا أنهم يتقربون إلى الله بعبادة الأوثان لكي يصلح لهم

معايشهم في الدنيا، وليس يقرون بالآخرة<sup>(٢)</sup>.

(٣) وقال محمد لوح: «وحتى الذين كانوا ينسبون الفعل إلى الله

منهم كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام وما يسكنها من

(١) جامع البيان ط هجر (٢٠ / ١٥٦)

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٤ / ١٠٢)

روحانيات لها تأثير في تحقيق ما يريدون، وهذا ما عبروا عنه

بقولهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى<sup>(١)</sup>

(٤) وقال الملكاوي: «كانوا يرجون شفاعتها ويعتقدون فيها النفع

والضر كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ

زُلْفَى﴾<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٥) وقال دمشقية: «ولكن زين الشيطان أن هؤلاء عباد الله

الصالحين ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلاً كما اعتقده

أهل الجاهلية في الأصنام<sup>(٣)</sup>.

(٦) وقال المعلمي اليماني: «وعبَّاد الأصنام يزعمون أنه يحصل لهم

منافع بعبادتها، وهكذا عبَّاد الشياطين تساعدهم الشياطين

بأعمال كثيرة<sup>(٤)</sup>.

(٧) قال المعلمي اليماني: «إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ»

وهذا يدلُّ أنهم كانوا يعتقدون في آلهتهم نوعاً من القدرة على

(١) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/ ١٦٨)

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٨١)

(٣) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ١٢٢٤)

(٤) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٣/ ٦٦٣)

## النفع والضّرّ، وكأنه على معنى أنهم - أي: الآلهة - يسألون الله تعالى أن ينفع أو يضرّ (١). اهـ

٨) يقول د. الهذيل: «لم يقل أحد إن المشركين لم يكونوا يرجون في آلهتهم جلب نفع أو دفع ضرر وإلا لما عبدوها وأحبوها كحب الله، فهم ما صرفوا لها أنواع العبادة إلا لاعتقادهم أنها باب عظيم، لحصول ما يرجون من نصرة أو رزق أو نحو ذلك، ودفع ما يحدرون من عذاب وعقاب وفقر ومرض ونحوه،

(١) آثار الشيخ المعلمي اليماني (٣/ ٦٨٥)، وصدر كلام اليماني هذا يدل على أن المشركين كفروا لأنهم ادّعوا لأصنامهم الألوهية بإثبات نوع من القدرة على النفع والضّر، لا لأنهم ادّعوا لها الشفاعة بالتفسير الذي ذكره في عجز كلامه، وحاصله أنهم يزعمون أن أصنامهم تشفع لهم إذا عبدوها، بمعنى أن أصنامهم تسأل الله تعالى أن ينفع ويضر، أي أن ينفع الله من يعبدها من المشركين، وأن يضر من يكفر بها ويعادي عابديها! وكلام اليماني هكذا صحيح، إذ الطلب من الغير بأن يدعو الله لك لا كفر فيه ولا شرك، وذلك باتفاق بيننا وبينكم، وبالتالي فالشفاعة ليس هي سبب شرك كفار قريش، وإنما هو ادعائهم الألوهية لغيره تعالى، وبذلك يكون اليماني نفسه أبطل أكبر ذريعة للوهابية وأدعياء السلفية التي من أجلها رموا المسلمين بالشرك وهي قضية التشفع بالصالحين وما تفرع عنها من قضايا الاستغاثة والتوسل ومسائل القبور، إذ لا يوجد مسلم ينسب الألوهية لغير الله، بل كل مسلم يشهد أن إله إلا الله، وهذا بسطناه في كتابنا الكبير. وبالله التوفيق

وذاك بأن جعلوها وسيلة تشفع لهم عند الله تعالى في حصول  
مطلوبهم ودفع مكروههم»<sup>(١)</sup>

٩) وقال الهذيل أيضا: «كانوا يرجون في آلهتهم النفع ويخافون منها  
الضرر عن طريق الشفاعة والتوسط، وإلا لما عبدوها والتجؤوا  
إليها فخوفوا هودا عليه الصلاة والسلام بما يخشونه هم من  
آلهتهم التي يظنونها وسائط تقربهم إلى ربهم»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى أن آية الزمر هذه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ التي يستدل بها السلفية مئات وآلاف المرات، هي نفسها تفيد  
أن المشركين يعتقدون في أصنامهم جلب النفع ودفع الضرر بقدرتها على  
التشفع بالمعنى الذي ذكره المعلمي، أو بمعنى أن شفاعتها تحصل من  
غير إذن الله كما ذكره ابن القيم<sup>(٣)</sup>، وسيأتي مزيد بسط لنا في هذه الآية  
إن شاء الله<sup>(٤)</sup>.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٦، ٢٩٧

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٣٠٩

(٣) ويتخذونهم شفعاء بدون إذن الله

(٤) انظر (ص ٧٠٢) من هذا الكتاب.

## المبحث التاسع:

### اعتقاد أهل الجاهلية بتأثير الجن وخشية ضررهم

كان أهل الجاهلية يعتقدون بتأثير الجن ويخشون ضررهم، ولذلك «كانوا يستعيذون بسادة الجن من أذى قومهم»<sup>(١)</sup> كما قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] «أي: يلتجئون إليهم ليدفعوا عنهم الشرور»<sup>(٢)</sup>، وسبب ذلك ما قاله غير واحد من السلف: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فلما استغاثت الإنس بالجن ازدادت الجن طغيانا وكفرا»<sup>(٣)</sup>، وقيل «كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر فأمسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح»<sup>(٤)</sup>، وسبب هذا أنهم كانوا «يعتقدون أن لكل مكان مخوف جنيا أو سيذا من الجن يخدم ذلك المكان، هو له ويسيطر عليه، فكانوا إذا نزلوا واديا، أو مكانا قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه،

(١) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ٧٥)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد لل فوزان (١ / ٢٦١)

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١١ / ٣٠٤)، وانظر أيضا مجموع الفتاوى (١٩ / ٣٣)

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (٢ / ٧٠٨)

يعنون الجن<sup>(١)</sup> «وكبيرهم»<sup>(٢)</sup>، «فأنزل الله هذه الآية.. فهذه عقيدة جاهليّة، أبطلها الله سبحانه وتعالى بالأمر بالاستعاذة به وحده لا شريك له»<sup>(٣)</sup>، والحاصل أنه «كان أهل الجاهليّة يتعوّذون برؤساء الجنّ من شرّ عامّتهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٧١)

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص: ٤٠٠)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (١ / ٢٦١)

(٤) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٣ / ٦٦٢)

## المبحث العاشر:

### قتل المشركين أولادهم خشية قلة الرزق

دَلَّ بعض الآيات على أن المشركين كانوا يقتلون أولادهم خشية الإملاق والفقير وقلة الرزق، بل كانوا ينسبون الرزق لغير الله، فأين إيمانهم بأن الله هو الرزاق وحده؟! وفيما يلي بسط ذلك في ثلاثة مطالب.

### المطلب الأول: الآيات التي تبين قتل المشركين لأولادهم خشية الإملاق

نهى الله في آيات عديدة عن قتل الأولاد خشية الإملاق أو العار، ونسرد فيما يلي بعض الآيات في ذلك:

(١) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]

(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]

(٣) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾

[الممتحنة: ١٢]

٤) وقال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾  
[التكوير: ٨ - ١٠]

### المطلب الثاني: نصوص المفسرين عن قتل المشركين لأولادهم خشية العار وقلة الرزق

قد نصّ المفسرون بأن هذه الآيات تنهى عمّا كان أهل الجاهلية يفعلونه من قتل أولادهم خشية الفقر والعار، وفيما يلي سرد لبعض النصوص في ذلك:

(١) روى غير واحد عن ابن عباس ولا تقتلوا أولادكم من إملاق قال: خشية الفقر<sup>(١)</sup>. اهـ

(٢) وعن قتادة أنه قال «من إملاق»: من خشية الفاقة، قال: وكان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته مخافة الفاقة عليها والسبأ<sup>(٢)</sup>.

(٣) قال الطبري في آية الأنعام السابقة: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام.. ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإن الله هو رازقكم وإياهم، ليس

(١) أخرجه عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (٦/ ٢٥٤)

(٢) أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ عنه كما في الدر المنثور (٦/ ٢٥٤)

عليكم رزقهم، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم<sup>(١)</sup>. اهـ

(٤) وقال السمعاني في آية التكوير: الموءودة: هي الولد، كان أهل الجاهلية يقتلونهم، وكان الواحد منهم إذا ولد له ابن تركه، وإذا ولد له بنت دفنها حية.. وكانوا يفعلون ذلك إما خشية الإملاق، أو دفعا للعار وأنفة عن أنفسهم<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٥) وقال ابن أبي زمنين: (وإذا الموءدة سُئلت) وهي بنات أهل الجاهلية كانوا يدفنونهنَّ أحياءً، لخصلتين: أما إحداها فكانوا يقولون: إن الملائكة بناتُ الله، فألحقوا البنات به فهو أحقُّ بهنَّ، وأما الخصلة الأخرى: فمخافة الحاجة<sup>(٣)</sup>.

(٦) وقال البغوي في آية التكوير: وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة<sup>(٤)</sup>.

**قول القرطبي: (فإذا اعترفتُم بأن الله خالق هذه الاشياء، فكيف**

**تشكون في الرزق)؟**

(١) جامع البيان ط هجر (٩ / ٦٥٦)

(٢) تفسير السمعاني (٦ / ١٦٦)

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (٥ / ٩٩)

(٤) تفسير البغوي (٨ / ٣٤٨)

(٧) وقال القرطبي : قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض) الآية. لما عيّر المشركون المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء، وكان هذا تمويهاً، وكان في الكفار فقراء أيضاً أزال الله هذه الشبهة. وكذا قول من قال إن هاجرنا لم نجد ما ننفق. أي فإذا اعترفتم بأن الله خالق هذه الاشياء، فكيف تشكون في الرزق، فمن بيده تكوين الكائنات لا يعجز عن رزق العبد؟! ولهذا وصله بقوله تعالى: «الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له».. أي لا يختلف أمر الرزق بالايان والكفر، فالتوسيع والتقتير منه فلا تعيير بالفقر، فكل شي بقضاء وقدر<sup>(١)</sup>.  
اهـ

### المطلب الثالث: نصوص السلفية عن قتل المشركين لأولادهم خشية الرزق

وفيما يلي نصوص لبعض السلفية في ذلك:

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٦ / ٣٨٦)

- (١) وقال الدويش في زوائد مسائل الجاهلية: قتل أولادهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾<sup>(١)</sup>. اهـ
- (٢) وقال الفوزان: كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر، يسيئون الظن بالله تعالى كأن الرزق من عندهم<sup>(٢)</sup>. اهـ
- (٣) وقال الغنيان: «وأما اتخاذ الأنداد في الربوبية فهو أن يعتقد أن لله شريكا في ملكه يتصرف بهذا الكون، أو أن له صفات الربوبية من الخلق والرزق والتدبير والملك ونحوه كما زعمت غلاة المتصوفة والرافضة، كما يكون ذلك أيضا بأن يعتقد العبد أن لأحد من الناس تصرفا في الكون أو بعضاً منه وقد وقع المشركون قديما وحديثا في هذا النوع من الشرك، وإن كان وقوعهم من ناحية الأثر فينسبون الرزق إلى غير الرازق، والشكر إلى غير المنعم كما جاء في الأثر «وأرزق ويشكرون سواي».. أي تجعلون شكركم وشكر ربكم التكذيب بإنعام

(١) زوائد مسائل الجاهلية (ص: ١٤)، عبد الله الدويش (ت: ١٤٠٩هـ)، ت: المشيخ، دار العليان، ط ١ / ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (١ / ٣٣)، وانظر نحوه في شرح كتاب التوحيد - اللهيميد (ص: ١٢).

الله، وإضافة الرزق إلى غيره كالأنواء كما ثبت في  
الصحيح..»<sup>(١)</sup>.

قال وليد: فهذه النصوص تدل بوضوح على أن المشركين في  
الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر وقلة الرزق، بل كانوا  
ينسبون الرزق إلى غيره تعالى كالأنواء، وقد رأينا الغنيان - وغيره من  
السلفية - كيف أقرّ بأن هذا شرك في توحيد الربوبية، وأنه وقع من  
المشركين قديما وحديثا!

لقد عرفتم توحيد الربوبية بأنه «الاعتقاد بأن الله هو وحده  
الخالق الرازق والمدبر والنافع..»<sup>(٢)</sup>، وبتطبيق هذا التعريف على  
المشركين نجد أنهم لم يتلبسوا به، وذلك لما سبق بيانه من نسبتهم الرزق  
إلى غيره تعالى كالأنواء كما سبق، ولكونهم قتلوا أولادهم خشية قلة  
الرزق، وبالتالي بطل زعمكم «أن المشركين كافة بألوانهم وأصنافهم،  
ولا سيما مشركي العرب لم ينكروا توحيد الربوبية والخالقية والرازقية  
لله سبحانه؛ بل كانوا يعترفون ويقرّون: بأن الله تعالى هو وحده: الرب

(١) انظر : جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيان،  
ص ٥٢٤، ٥٢٥.

(٢) جهود علماء الحنفية (١ / ١١٥)

الخالق الرازق المالك»<sup>(١)</sup>. اهـ فهذا غير صحيح، لأنهم لم يوحدوه في الرازقية كما سبق، فضلا عن أنهم لم يوحدوه في الربوبية والخالقية، كما بينا على طول كتابنا هذا.

---

(١) «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (١/ ٢٠٣)

## المبحث الحادي عشر:

### إنكار المشركين للبعث والنشور وهذا قدح في الربوبية

كان المشركون من كل الأمم ينكرون البعث والنشور، وهذا يقدح في توحيد الربوبية بل يقدح في الربوبية نفسها، بل يُبطل اعتقادهم بوجود الله، وفيما يلي بيان الأمرين؛ الأول: أن المشركين ينكرون البعث، والثاني: أن هذا الإنكار قدح في الربوبية وفي وجود الله.

### المطلب الأول: بيان أن المشركين ينكرون البعث والنشور خلافا لبعض السلفية

لا يخفى إنكار المشركين للبعث، وهو ظاهر في آيات كثيرة، بل إن مقاصد كثير من السور المكية كان منحصرًا تقريبًا في إثبات البعث! وهاكم بعض الآيات في ذلك:

(١) ﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُحْرَجُونَ

(٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا

الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿ [المؤمنون: ٣٥ -

- (٢) ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢)، لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨١ - ٨٣]
- (٣) ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصفات: ١٦، ١٧]
- (٤) ﴿وَكَاْنُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧، ٤٨]
- (٥) ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧].
- (٦) ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩]
- (٧) ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَاتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدخان: ٣٤ - ٣٦]
- (٨) ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]

٩ ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ

بِمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ [التغابن: ٧]

١٠ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴿

[سبأ: ٣].

إلى غير ذلك من آيات كثيرة جدا تحكي عن المشركين إنكارهم للبعث والنشور والحساب ويوم القيامة، يقول الشنقيطي في آية سبأ الأخيرة: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار أنكروا البعث.. وما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة من إنكار الكفار للبعث، جاء موضحا في آيات كثيرة ..<sup>(١)</sup> بل إن «البعث هو الذي أنكره الكفار من عهد نوح إلى عهد محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا يؤمن به إلا المنتسبون إلى دين الرسل .. ولهذا المكذبون للرسول مكذبون باليوم الآخر»<sup>(٢)</sup>.

قال وليد - وفقه الله - : مع كل هذه الآيات التي تثبت تكذيب المشركين باليوم الآخر، فقد نسب كثير من الوهابية إلى المشركين أو إلى

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٦/ ٦٧٢)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للبرك (ص: ٢٤١)

بعضهم على الأقل: الإيمان باليوم الآخر، وسيأتي بسط ذلك ومناقشته<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني: بيان أن إنكار البعث هو قدح في الربوبية خلافا لبعض السلفية

إن إنكار المشركين البعث والنشور هو قدح في الربوبية خلافا لبعض أدعياء السلفية الذين زعموا أن إنكار المشركين للبعث لا يقدر بالإقرار بالربوبية، بزعم أنه ثمة «فرق بين إنكارهم البعث والمعاد وبين إنكار وجود الله وأنه الخالق الرازق»، فالأول ينكره المشركون، ولا يؤمنون به كما هو صريح نص القرآن الكريم، والثاني يؤمن به المشركون ولا ينكرونه كما هو صريح نص القرآن الكريم.. وعلى هذا فالاستدلال بالنصوص المثبتة لإنكار المشركين للبعث والمعاد على أنهم ينكرون وجود الخالق الرازق خلطٌ بيِّنٌ، وغلطٌ ظاهرٌ، إذ لا تلازم بين إنكار البعث وإنكار الربوبية.<sup>(٢)</sup>

والجواب عن ذلك أولا: إن إنكار البعث والنشور هو قدح في توحيد الربوبية، إذ هو يقتضي «أنهم أفردوا الله تعالى بالأفعال ولم

(١) كما سيأتي بسط ذلك في المجلد الرابع بعون الله.

(٢) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٧٧)

يجعلوا له شركاء فهذا باطل؛ وبطلانه بدليلين: أما الأول: فإنكارهم لبعض أفعال الله تعالى كالبعث والحشر ونشر الصحف، والجزاء، وغير ذلك من أفعاله جل جلاله، فجميع هذه الأفعال لله تعالى يكفرون بها<sup>(١)</sup>.

إذ إن «أفعال الرب - سبحانه وتعالى - غير محصورة في الخالقية، أو الرزق، أو التدبير.. فكيف نقول: إنهم قد وحدوا الله في أفعاله (أي في ربوبيته) وهم قد جحدوا أشياء من أفعاله، منها البعث والنشور فيقول قائلهم - وقد أخذ عظمًا قد أرم - : يا محمد أتزعم أن ربك يعيد هذا؟! والقائل هو العاص بن وائل القرشي. وقال تعالى: «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا..» فأين التوحيد في الربوبية؟! فكونهم اعترفوا ببعض الأفعال لا يعني ذلك توحيدهم في بقية الربوبية»<sup>(٢)</sup>.

**البعث الذي ينكره المشركون هو من خصائص الربوبية كما قال**

**الشنقيطي**

(١) وقفات وإيضاحات مع كشف الشبهات (ص: ٢٠) للشيخ غيث بن عبد الله الغالبي.

(٢) درر الألفاظ العوالي في الرد على الموجان والحوالي، للشيخ غيث بن عبد الله الغالبي ص: ٨١، بترقيم البي دي إف.

بل إن إنكارهم للبعث هو طعن في خالقيّة الله وقدرته التي هي  
أخص خصائص الربوبية بإقرار بعض السلفية أنفسهم، قال  
الشنقيطي عند قوله تعالى «أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من  
السماء والأرض أله مع الله..» «فهذه المذكورات التي هي بدء خلق  
الناس وإعادته يوم البعث، ورزقه للناس من السماء بإنزال المطر، ومن  
الأرض بإنبات النبات من خصائص ربوبيته جل وعلا، ولذا قال  
بعدها أله مع الله<sup>(١)</sup>. اهـ

وبالتالي فإن استبعاد المشركين للبعث، وقدحهم في قدرته تعالى  
حيث زعموا «أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم»<sup>(٢)</sup>، ولذا  
أقسموا أنها لن تأتيهم كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا  
يُعْثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨]، وقال تعالى  
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]  
أي «ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد  
فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم»<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى عنهم:  
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨)

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٧ / ٦٥٧)

(٢) القيامة الكبرى لعمر الأشقر (ص: ٧١).

(٣) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٩ / ٢٠٩)

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿يس: ٧٨،  
٧٩﴾، وقال: ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿ق: ٣﴾.

أقول: هذا الاستبعاد والقدح هو قدح في خصيصة من خصائص الربوبية وهي القدرة المطلقة، والظعن في قدرته هو ظعن في كونه خالقا للسموات والأرض وما بينهما، لأن هذا الخلق إنما يتم بقدرته، فمن يظعن في قدرة الله على البعث والنشور فهو يظعن بقدرته على الخلق من باب أولى، لأن الإعادة أهون - في نظر البشر - من الخلق المبتدأ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، قال ابن كثير: ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بدأهم مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض .. وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة.. يقولون كفرا وعنادا ما نصدقك على وقوع البعث<sup>(١)</sup>.

ولذلك جعل الله من ينكر البعث كافرا بالخالق! قال تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿الكهف: ٣٦، ٣٧﴾، وجعله أيضا كافرا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤١٨)

بربه فقال: ﴿وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]. أي «هؤلاء الذين أنكروا البعث ووجدوا الثواب والعقاب .. جحدوا قدرة ربهم وكذبوا رسوله، وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم .. هم فيها ما كانوا أبدا»<sup>(١)</sup>.

فقد «حكم عليهم بأمور ثلاثة: الأول أولئك الذين كفروا بربهم أي أولئك المنكرون لقدرة سبحانه على البعث هم المتهادون في الكفر الكاملون فيه ..»<sup>(٢)</sup>. وقال الشنقيطي: «وقوله .. أكفرت بالذي خلقتك من تراب، بعد قوله: وما أظن الساعة قائمة، يدل على أن الشك في البعث كفر بالله تعالى، وقد صرح بذلك .. في قوله تعالى: وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم ..»<sup>(٣)</sup>. اهـ

**ابن القيم: منكر البعث كافر برّب العالمين ولو زعم أنه مُقَرَّبٌ به**

(١) جامع البيان ط هجر (١٣ / ٤٣٤)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٨١)

(٣) أضواء البيان (٤ / ١٣٤)

وقد قرر ذلك أيضا ابن القيم بأجلى بيان فقال: .. فليس مع المكذبين بالقيامة إلا مجرد تكذيب الله ورسوله وتعجيز قدرته ونسبة علمه إلى القصور والقذح في حكمته ولهذا يخبر الله سبحانه عمّن أنكر ذلك بأنه كافر بربه جاحد له، لم يقر برب العالمين فاطر السموات والأرض كما قال تعالى .. ثم سرد آيتي الرعد والكهف السابقتين ثم قال: فمنكر المعاد كافر برب العالمين وإن زعم أنه مقر به<sup>(١)</sup>. اهـ

فتأمل قول ابن القيم هذا كيف جعل منكر البعث مكذبا لله مُعَجِّزا له قادحا في علمه وقدرته وحكمته، بل جعله كافرا بربه مهما زعم أنه مقر به! فهل يقال بعد هذا «لا تلازم بين إنكار البعث وإنكار الربوبية»<sup>(٢)</sup>.

### قول الرازي: لزوم من إنكار البعث الكفر بربهم

ومثل هذا الذي قاله ابن القيم قول الفخر الرازي: قوله: «أولئك الذين كفروا بربهم»، وهذا يدل على أن كل من أنكر البعث والقيامة فهو كافر، وإنما لزوم من إنكار البعث الكفر بربهم من حيث إن إنكار البعث لا يتم إلا بإنكار القدرة والعلم والصدق؛ أما إنكار

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ٢٦٧)

(٢) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٧٧)

القدرة فكما إذا قيل: إن إله العالم موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يقدر على الإعادة، أو قيل: إنه وإن كان قادرا لكنه ليس تام القدرة<sup>(١)</sup>. اهـ ثم بسط ذلك.

### إحياء الموتى هو من توحيد الربوبية

ثانيا: قرّر ابن تيمية أن توحيد الربوبية يقتضي أن الله يفعل ما يشاء، حيث يقول: «فتوحيد الربوبية» أنه لا خالق إلا الله؛ فلا يستقلّ شيء سواه بإحداث أمر من الأمور؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن<sup>(٢)</sup>. اهـ وما دام توحيد الربوبية يقتضي أن الله يفعل ما يشاء، فإن إحياء الموتى من جملة ما يشاء الله، وهذا ما قرره الله تعالى في أواخر سورة يس التي سيقّت للردّ على منكري البعث حيث قال فيها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

### بيان ابن القيم لكون إنكار البعث طعنا في الخالقية

(١) مفاتيح الغيب (١٩/١٠) وانظر حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي

(٢٢٠/٥)

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣١/١٠)

وقد بسط ذلك ابن القيم وأجاد، فقال مقررا لدلالة أواخر آيات يس على إمكان البعث والنشور مبينا أن إنكار البعث والنشور هو طعن خالقية الله وقدرته: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ فهذا جواب واستدلال قاطع، ثم أكد هذا المعنى بالإخبار بعموم علمه لجميع الخلق، فإن تعذر الإعادة عليه إنما يكون لقصور علمه أو قصور في قدرته، ولا قصور في علم من هو بكل خلق عليم، ولا قدرة فوق قدرة من خلق السماوات والأرض، وإذا أراد شيئا قال له كن فيكون ويده ملكوت كل شيء، فكيف تعجز قدرته وعلمه عن إحيائكم بعد مماتكم ولم تعجز عن النشأة الأولى ولا عن خلق السموات والأرض؟ إلى أن يقول: ومن لم تعجز قدرته وعلمه عن هذا الخلق العظيم الذي هو أكبر من خلق الناس كيف تعجز عن إحيائهم بعد موتهم؟ ثم قرر هذا المعنى بذكر وصفين من أوصافه مستلزمين لما أخبر به فقال: ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ فكونه خلاقا عليما يقتضي أن يخلق ما يشاء، ولا يعجزه ما أراده من الخلق، ثم قرر هذا المعنى بأن عموم إرادته وكماله لا يقصر عنه ولا عن شيء أبدا، فقال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ فلا يمكنه الاستعصاء عليه، ولا يتعذر عليه، بل يأتي طائعا منقادا لمشيئته وإرادته، ثم زاده تأكيدا وإيضاحا بقوله: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾، فنزه نفسه عما نطق

به أعداؤه المنكرون للمعاد معظما لها بأن ملك كل شيء بيده يتصرف فيه تصرف المالك الحق في مملوكه الذي لا يمكنه الامتناع عن أي تصرف شاءه فيه<sup>(١)</sup>. اهـ

فتأمل قوله: «فكونه خلّاقا عليما يقتضي أن يخلق ما يشاء، ولا يعجزه ما أراده من الخلق»، وقوله: «فنزّه نفسه عما نطق به أعداؤه المنكرون للمعاد..» «وقد قرر ابن تيمية أن هذا جزء من توحيد الربوبية كما سبق، وبالتالي فكيف يكون إنكار المشركين للبعث والنشور غير قادح في توحيد الربوبية كما زعم بعض الوهابية؟!»

**توحيد الربوبية يتضمن الإقرار بأن الله هو المحيي المميت  
والمشركون منكرون لذلك**

ثالثا: يتضمن توحيد الربوبية - بحسب تعريفكم له - الإقرار بأن الله هو المحيي المميت، فقد قلت: «توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت»

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١ / ١٠٩)

النافع الضار»<sup>(١)</sup>، وأن هذا ما كان يقر به المشركون، حيث قلتهم بالحرف: «ان المشركين كانوا معترفين بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت وحده»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فإن سلمنا جدلاً بأن المشركين فعلاً أقرّوا بتوحيد الربوبية وأقروا أنه تعالى هو الخالق الرازي المحيي المميت، فإن إنكار المشركين للبعث والنشور وتعجيزهم وشكهم بقدرة الله على إحياء الموتى هو: نقض لإقرارهم بتوحيد الربوبية!

أو أن إقرارهم بتوحيد الربوبية غير ثابت من أصله، ما دام أنه لم يتحقق جزء أساسي، أو ركن أكيد من هذا التوحيد وهو الإقرار بأن الله هو المحيي المميت، لأنهم أنكروا إحياء الله الموتى وبعثهم للحساب يوم القيامة كما سبق بسطه.

وهذا صالح آل الشيخ يقول بالحرف الواحد: وقول الله تعالى:

﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾

هذه الآية ظاهرة في أن نسبة الأشياء إلى الدهر من خصال المشركين

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٩)، المؤلف: نخبة من العلماء،

الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية

السعودية، ط١، ١٤٢١هـ

(٢) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٨٠، وانظر ص ٢٠٣، ٢٧٩)

أعداء التوحيد، فنفهم منه أن خصلة الموحدين أن ينسبوا الأشياء إلى الله - جل وعلا - ولا ينسبوا الإهلاك إلى الدهر، بل الله - جل وعلا - هو الذي يحيي ويميت<sup>(١)</sup>. اهـ

فتأمل كيف جعل الموحدين هم الذين يقولون بأن الله هو الذي يحيي ويميت، وأن المشركين بخلاف ذلك! ومن هذه الوجوه الثلاثة يتبين أن إنكار المشركين للبعث والنشور هو قدح في وجود الله وربوبيته فضلا عن أن يكون قدحا في توحيد الربوبية.

**لو لم يكن المشركون مقرين بأن الله خلقهم لما قامت عليهم الحجة**

**بالبعث**

نعم قد يقال: إن الله احتج على المشركين على صحة البعث بالخلق الأول، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] أي كما أنه خلقها أول مرة من العدم فكذلك يحييها ويعيد خلقها مرة ثانية، بل هذا - من منظورنا البشري طبعاً - أهون عليه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ولو لم يكن المشركون مقرين

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٦٩)

بأن الله خلقهم لما قامت هذه الحجة على البعث، إذ كان لهم حينها أن يعترضوا على ذلك بالقول: ومن قال لك بأننا نسلّم بأن الله خلقها أول مرة حتى نسلّم لك بأنه يعيدها مرة ثانية وأن ذلك أهون عليه؟!

وأيضاً لو كانوا لا يسلّمون بأن الله هو الخالق لما صحّ أن يحتج الله عليهم بذلك للدلالة على أنه لا يصح أن يعبدوا سواه، وفي ذلك يقول القرطبي: (قل أفأنتخذتم من دونه أولياء) هذا يدل على اعترافهم بأن الله هو الخالق وإلا لم يكن للاحتجاج بقوله: «قل أفأنتخذتم من دونه أولياء» معنى، دليلاً قوله: «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله»، أي فإذا اعترفتم فلم تعبدون غيره؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضر، وهو إلزام صحيح<sup>(١)</sup>.

قلنا: هذا دليل لنا على أن إقرارهم - المفترض - بالله لم يكن إقراراً يقينياً عندهم بل كان مجرد تقليد أو لقلقة لسان، وهذا دين الكفار والمشركين ودينتهم إذ إن «دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٢ / ٤٦)

تعالى: ﴿.. قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾<sup>(١)</sup>، وهذا بسطناه في كتابنا: «ولئن سألتهم»<sup>(٢)</sup>.

ولو كانوا مقرّين بالله عن علم ويقين لأقروا بالبعث، وأقروا بقدرة الله على ذلك من باب أولى ما داموا قد أقروا بقدرة الله على الإنشاء والخلق من عدم، إذ الإعادة أهون في نظرنا من الإنشاء كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وأما أن يُعجزوا قدرة الله على البعث فهذا يكرّ على إقرارهم بكونه خالقاً: بالبطلان! ويجعلهم بمثابة من ينكر الله أصلاً! وقد سبق قول ابن القيم «فمنكر المعاد كافر برب العالمين وإن زعم أنه مقرّ به»<sup>(٣)</sup>. اهـ بل سبق أن سردنا آيات في عدّ المنكر للبعث منكرًا للخالق نفسه وإن قرّبه كما قال ابن القيم.

(١) مسائل الجاهلية (ص: ٨)

(٢) ولئن سألتهم: ص ١٩٧.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١ / ٢٦٧)

## المبحث الثاني عشر:

### قول المشركين بمصاهرة الله للجن تعالى الله عن ذلك

كان المشركون من العرب وغيرهم من الأمم وبعض أهل الأديان القديمة ينسبون إلى الله الصاحبة ومصاهرة الجن، وهذا شرك في الربوبية لأنهم يدعون أن الله بحاجة إلى الصاحبة والولد، وهذا ينافي القدرة والغنى المطلق وهما من خصائص الربوبية، لذا ردّ الله عليهم ذلك في عدة آيات، وإليكم بيان ذلك في مطالب:

### المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك مع أقوال المفسرين والسلفية فيها

الآية الأولى: قال ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَمَّا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠٠، ١٠١]، قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: وجعل هؤلاء العادلون برهم الآلهة والأنداد لله ﴿شركاء الجن﴾ كما قال جل ثناؤه: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾.. ﴿وخرقوا له بنين وبنات﴾ يقول: وتخرصوا لله كذبا، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلا بالله وبعظمته

وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك.. ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ تنزه الله وعلا فارفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه في ادعائهم له شركاء من الجن، واختراقهم له بنين وبنات، وذلك لا ينبغي أن يكون من صفتة، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد، والذين تضطروهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ صاحبة لقضاء اللذات، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة. (١)

فتأمل كيف بيّن الطبري أن المشركين ينسبون إلى الله الولد، وأن هذا يستلزم الحاجة والضعف والشهوة واتخاذ صاحبة، وهذا كله حريّ أن ينزهوا الله عنه، ولكن لجهلهم ينسبون الولد إليه تعالى غير مدركين أو مبالغين بهذه اللوازم الشنيعة.

الآية الثانية: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

[الجن: ٣]، قال الطبري: .. وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها،

(١) جامع البيان ط هجر (٩ / ٤٥٣)

وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد..<sup>(١)</sup> اهـ.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٥٨، ١٥٩] ونسرد فيما يلي أقوال المفسرين في الآية:

(١) قال الطبري: وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا، واختلف أهل التأويل في معنى النسب .. فقال بعضهم: هو أنهم قالوا - أعداء الله -: إن الله وإبليس أخوان .. وقال آخرون: هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله، وقالوا: الجنة هي الملائكة.

(٢) ثم روى الطبري بسنده عن قتادة أنه قال هنا: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن، فخرج منها الملائكة، قال: سبحانه سبح نفسه<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(٣) أخرج جويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش سليم وخزاعة وجهينة، وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال: قالوا صاهر إلى كرام الجن الآية<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع البيان ط هجر (٢٣ / ٣١٦)

(٢) جامع البيان ط هجر (١٩ / ٦٤٤)

(٣) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٢ / ٤٨٣)

(٤) وأخرج الطبري والبيهقي وآخرون عن مجاهد رضي الله عنه في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا، قال: قال كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: بناتُ سروات<sup>(١)</sup> الجن<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٥) وأخرج ابن أبي حاتم عن عطية رضي الله عنه في قوله «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا» قال: قالوا: صاهر إلى كرام الجن.<sup>(٣)</sup> اهـ

(٦) وقال البغوي: وقال الكلبي: قالوا -لعنهم الله - بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة تعالى الله عن ذلك<sup>(٤)</sup>. اهـ

(٧) قال المعلمي اليماني: وأما قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾؛ فقد جاء عن جماعة من السلف، منهم: مجاهد، وعكرمة، وأبو صالح، وقتادة أن المراد بالجنة: الملائكة، واختاره الجبائي. ويبعد ما قيل: إن الجنة هم الجن، وأن المراد [من] قولهم: «بنات الله»: بناتُ سروات الجن أن النسب لا يكاد يُطلق على

(١) جاء في النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٦٣): ومنه الحديث [لما حصر بني شيان وكلم سراتهم ومنهم المثنى بن حارثة] أي أشرافهم. وتجمع السرة على سروات - ومنه حديث الأنصار [قد افترق ماؤهم وقتلت سرواتهم]، أي أشرافهم. اهـ

(٢) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٢/ ٤٨٣)

(٣) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٢/ ٤٨٣)

(٤) تفسير البغوي (٧/ ٦٣)

المصاهرة. قال الراغب: «النَّسَبُ والنَّسْبَةُ: اشتراك من جهة أحد الأبوين .. كالاتِّشراك بين الآباء والأبناء»<sup>(١)</sup>.

قال وليد - ألهمه مولاه الصواب -: فيتحصل من هذه الروايات عن ابن عباس وقتادة وعطية والكلبي أن المشركين كانوا يدعون أن الله قد صاهر الجن أي تزوج منهم، تعالى الله عما يقولونه علوا كبيرا، وهو ظاهر قوله تعالى: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا»، ولكن هذا القول ليس متعينا، لأنه ثمة تفسيرات أخرى مروية في معنى هذه الآية كما ذكر الطبري آنفا وغيره<sup>(٢)</sup>.

### تفسير ابن تيمية وابن القيم لآية «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا»

والذي رجحه ابن تيمية وابن القيم<sup>(٣)</sup> هو ما روي عن مجاهد وغيره<sup>(٤)</sup> هو أن معناها أن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله. ولكن ربما يقال: إن هذا القول الذي رجّحاه يعود إلى الأول وهو مصاهرة الجن، لأن كون المشركين ينسبون إلى الله البنات فهذا يلزم منه أن ينسبوا إلى الله الزوجة التي أنجبت له البنات، والعياذ بالله، وقد سبق

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٦ / ١٦٥)

(٢) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٢ / ٤٨٣)

(٣) مجموع الفتاوى (١٧ / ٢٧٢)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٩٥).

(٤) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٢ / ٤٨٣)

أن رأينا أن هذا ما حكاه البغوي عن الكلبي حيث قال: قالوا - لعنهم الله - بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة تعالى، وهو ما حكاه الطبري عن قتادة عن اليهود. ورواية الكلبي هذه أوردها ابن تيمية<sup>(١)</sup> وإن استبعد صحتها كما سيأتي، وأوردها تلميذه ابن القيم أيضا، وزاد: وقال قتادة: قالوا صاهر الجن<sup>(٢)</sup>. اهـ

### المطلب الثاني: اعتقاد أهل الديانات الوثنية بأن للإله زوجة

سبق<sup>(٣)</sup> أن قلنا بأن اليهود عبدوا «آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم .. كآلهة الآشوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين وغير ذلك من الأمم، من هذه الآلهة: الإله آشور وعشتاروت ملكة السموات وزوجة الإله تموز وإله الشمس بعل والإله داجون وغير ذلك من الآلهة»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١٧ / ٢٧٢)

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٩٥)

(٣) انظر (ص ٤٠٦) من هذا الكتاب.

(٤) «جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر» عرض ونقد» (ص ١٣٣)، رمضان مصطفى الدسوقي حسنين (ت ١٤٣٣هـ)، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر - فرع المنصورة / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

ومن الطريف أن بعض العلمانيين وهو سيد القمني زعم أن الخضر مأخوذ من أسطورة الإله تموز، وقد رد عليه بعض الباحثين فقال و«لم يستبعد سيد القمامة أن الولي الخضر ليس إلا أسطورة الإله تموز عشيق الإلهة الزهرة». وذلك ببساطة وخفة لا يُحسد عليها لأن الخضر مشتق من الخضرة. والخضرة هي الخصب خاصة تموز والزهرة»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: خلاف السلفية في نسبة المشركين الصاحبة لله سبحانه

حكى ابن تيمية عن بعض النصارى نسبة الصاحبة لله تعالى، فقال: ولهذا ذهب طوائف من النصارى إلى أن مريم امرأة الله وزوجته، وقالوا أبلغ من ذلك حتى ذكروا شهوته للنكاح، ولقد قال بعض أكابر عقلاء الملوك ممن كان نصرانيا: إنهم كانوا إذا نبهوا على قولهم إن عيسى بن الله لم يفهم من ذلك إلا أن الله أحبل أمه وولدت له المسيح ابنه كما يجبل الرجل المرأة وتلد له الولد، فيكون قد انفصل من الله جزء في مريم

(١) «العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام» (ص ٦٨)، أبو سفيان مصطفى باحو السلاوي المغربي، المكتبة الإسلامية بالقاهرة، ط ١ / ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

بعد أن نكحها، وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم ولدته مريم كما  
تلد المرأة الولد الذي منها ومن زوجها<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال ابن القيم: وإن كان أعداؤه من المشركين يؤذونه ويشتمونه  
.. ومن ذلك قول أعدائه: إنه فقير وإن يده مغلولة، وإنه اتخذ صاحبة  
وولدا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا<sup>(٢)</sup>. اهـ وقال أيضا: وكإله  
النصارى الذي فرضوه قد اتخذ صاحبة وولدا<sup>(٣)</sup>. اهـ

ومع ذلك فقد نفى ابن تيمية أن يكون المشركون قد نسبوا إلى الله  
الزوجة، وفي ذلك يقول ابن تيمية عن المشركين: وقد علموا كلهم أن  
لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الإنس فلم يقل أحد  
منهم: إن له صاحبة، فلهذا احتج بذلك عليهم، وما حكي عن بعض  
كفار العرب أنه صاهر الجن، فهذا فيه نظر، وذلك إن كان قد قيل: فهو  
مما يُعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة<sup>(٤)</sup>. اهـ وقال هذا الكلام أيضا شكري  
الألوسي<sup>(٥)</sup> دون أن ينسبه لابن تيمية.

(١) الجواب الصحيح (٤ / ٢٨٢)

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤ / ١٤٩٤)

(٣) مدارج السالكين (٣ / ٣٣٨)

(٤) مجموع الفتاوى (١٧ / ٢٧٢)

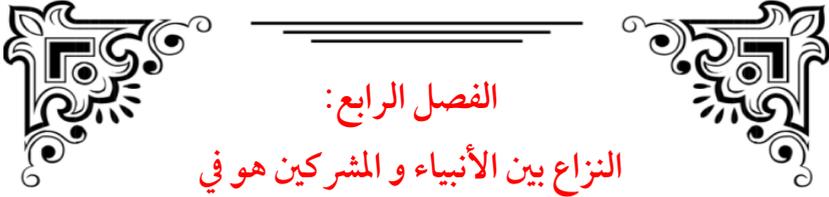
(٥) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت علي مخلوف (ص: ٥٨)

## نسبة الصحابة لله تعالى شرك في الربوبية

وهكذا نرى خلافا بين ابن تيمية وابن القيم في أن المشركين هل كانوا يقولون بأن الله - سبحانه - صاحبة؟ فأثبت ذلك عن المشركين ابنُ القيم، ونفاه ابن تيمية! وبعض السلفية توسط فعلق ذلك على ثبوت الروايات السابقة، وفي ذلك يقول أبو بكر زكريا: «ومن الشرك بالله في بعض صفاته: إثبات صفات المخلوق الناقصة لله عز وجل، ومن مظاهر هذا الشرك لدى العرب في جاهليتهم ما يلي: خرق البنات والبنين لله .. «إلى أن يقول: ومن مظاهره أيضا: إثبات المصاهرة بين الله وبين الجنات .. ثم قال بعد أن سرد الروايات السابقة التي رويت في مصاهرته تعالى للجن، وبعد أن سرد رأي ابن تيمية السابق، قال زكريا: «فإن كانت هذه الروايات ثابتة يكون إثباتهم هذه المصاهرة من الشرك بالله في الربوبية بإثبات صفات المخلوق الناقصة لله جل وعلا»<sup>(١)</sup>.

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٤٩٦، ٤٩٩.





## الفصل الرابع:

النزاع بين الأنبياء و المشركين هو في

الربوبية وليس في الألوهية فحسب

ثمة آيات كثيرة تدل على أن النزاع بين الأنبياء وبين المشركين هو في الربوبية، وليس في الألوهية فحسب كما يدعي ابن تيمية وأتباعه<sup>(١)</sup>، وهذه الآيات تنقسم إلى أقسام تأتي في المباحث التالية:

### المبحث الأول:

آيات فيها ردّ من الأنبياء وأتباعهم

على المشركين بإثبات ربوبية الله وحده

جاءت آيات ردّ فيها الأنبياء وأتباعهم على المشركين شركهم، وذلك بإثبات ربوبية الله وحده مما يدل على أن المشركين يشركون في ربوبية الله، بل منها ما يثبت أن المشركين كانوا ينازعون في ربوبية الله

---

(١) كما في جهود علماء الحنفية (١ / ٢٠٦) حيث قال: توحيد الربوبية: هو الذي أقرت به الكفار جميعهم.. وأما توحيد الألوهية فهو أفراد العبادة لله الواحد الصمد.. وإذا علمت هذا تبين لك: أن المعركة بين أهل التوحيد والمشركين في الألوهية فقط. اهـ وانظر الكتاب نفسه: (١ / ٢١٧) و (١ / ٣٠٥).

أصلاً، وإليك هذه الآيات مع بيان وجه الدلالة منها، وفي ذلك  
مطالب:

**المطلب الأول: نسرده بعض الآيات التي تفيد بأن نزاع المشركين في  
توحيد الربوبية**

**الآية الأولى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا﴾**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيدا وإلهاً<sup>(١)</sup>، وقال  
الطبري: «أسوى الله أطلب سيدا يسودني. ﴿وهو رب كل شيء﴾<sup>(٢)</sup>  
يقول: وهو سيد كل شيء دونه، ومدبره ومصالحه»<sup>(٣)</sup>. اهـ

وقال ابن كثير: أي أطلب ربا سواه «وهو رب كل شيء» يربيني  
ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري؟! أي لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا  
إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والأمر<sup>(٣)</sup>. اهـ وقال  
السعدي: أي: أيحسن ذلك ويليق بي، أن أتخذ غيره مربيا ومدبرا والله  
رب كل شيء، فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون لأمره؟

(١) تفسير البغوي (٣/ ٢١٢)

(٢) جامع البيان ط هجر (٤٨ / ١٠)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥ / ٤٥٩)

فتعيّن عليّ وعلى غيري، أن يتخذ الله ربا، ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من الربويين الفقراء العاجزين<sup>(١)</sup>. اهـ

### (كان المفروض أن تكون الآية: أغير الله أبغي إلهها)

وهذا كله يدل على أن المشركين يتخذون أصنامهم أربابا وآلهة من دون الله، ولذلك قال تعالى «قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ»، ولولا ذلك أي لو كانوا يتخذون الله فقط ربا لهم - لقال لهم - «قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا إلهها» على أصل ابن تيمية في الفرق بين الرب والإله وأن نزاع المشركين هو في تعدد الآلهة لا في تعدد الأرباب!

سيقول أدعياء السلفية إن الرب في هذه الآية بمعنى الإله، لأن الرب يأتي بمعنى الإله كما قال السهسواني في آية «ألست بربكم» إن المراد بالرب المعبود<sup>(٢)</sup>! قلنا: نقضتم الأصل الأصيل لنظريتكم في تقسيم التوحيد إذ هي كلها قائمة على التباين بين الرب والإله!! وهذا بسطناه بشكل مطول جدا في كتابنا «تنوير الرب الإله».

### الآية الثانية ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٨٢)

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: ٤٤٧)

قال تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ﴿ [الكهف: ٣٨، ٣٩]، قال القرطبي: دل مفهومه على أن الأخ الآخر كان مشركا بالله تعالى يعبد غيره، ويحتمل أنه أراد لا أرى الغنى والفقر إلا منه، وأعلم أنه لو أراد أن يسلب صاحب الدنيا دنياه قدر عليه، وهو الذي آتاني الفقر، ويحتمل أنه أراد: جحدك البعث مصيره إلى أن الله تعالى لا يقدر عليه، وهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى، ومن عجزه سبحانه وتعالى شبّه بخلقه، فهو إشراك<sup>(١)</sup>. اهـ

وقوله «ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله»: «أي: هلا قلت حين دخلتها: الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان .. لا قوة إلا بالله أي: هلا قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، تحضيضا له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله، إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها، وعلى الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له من عمارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته. قال الزجاج: لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله»<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٣/ ٢٧٩)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٠)

لو كان صاحب الجنتين لا يشرك بربوبية الله لردّ على صاحبه الذي قال «ولا أشرك بربي أحدا»: «وأنا أيضا لا أشرك بربي أحدا، وأعلم أن تلك الجنتين من نعم الله وبقدرة الله ومشيتته، وإنما أشرك به إلهاء»، ولكن لم يقل ذلك وإنما قال كما في:

### الآية الثالثة: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾

قال تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] أي يا ليتني عرفت نعم الله عليّ، وعرفت أنها كانت بقدرة الله ولم أكفر به<sup>(١)</sup>. اهـ ولو كان لم يشرك بربوبية الله لقال: يا ليتني لم أشرك بإلهي أحدا.

### الآية الرابعة: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الرعد: ٣٠]، قال الطبري: إن كفر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم يا محمد بالرحمن، فقل أنت: الله ربي<sup>(٢)</sup>. اهـ وقال ابن كثير: أي هذا الذي

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٣/ ٢٨٦)

(٢) جامع البيان ط هجر (١٣/ ٥٣٠)

تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والإلهية هو ربي لا إله إلا هو<sup>(١)</sup>. اهـ

ولو أن المشركين كانوا لا يشركون في ربوبية الله لقالوا ردا على هذه الآية: «ونحن أيضا نقول: هو ربنا أيضا، بل نزيد فنقول: الله وحده ربنا، وإنما تلك الأصنام آلهة نعبدها، أو هي مجرد رموز لأنبياء وصالحين نستشفع بها عند الله، وليست أربابا خالقة أو مؤثرة!»!

### الآية الخامسة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٥٦] أي «وأنا على ذلكم من أن ربكم هو رب السماوات والأرض الذي فطرهن دون التماثيل التي أنتم لها

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ١٥٠)

عاكفون»<sup>(١)</sup> فقوله: ﴿بَلْ رَبُّكُمْ﴾ إلخ إضراب عما بنوا عليه مقالهم من اعتقاد كون تلك التماثيل أرباباً لهم»<sup>(٢)</sup>.

فواضح من آيات سورة الأنبياء هذه أن خلاف سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه هو فيما يسمى بتوحيد الربوبية؛ فالخليل عليه السلام كان يتخذ الله وحده ربا، وقومه كانوا يتخذون الأصنام أربابا من دون الله فرد عليهم قائلا: «بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. الآية» يعني لا أربابكم التي تعبدونها»<sup>(٣)</sup>، ليثبت لهم أن الله وحده هو ربهم، لا هذه الأصنام التي اتخذوها أربابا من دون الله. وهذا ما قاله المفسرون كما سبق، وهو ما أقر به ابن تيمية وابن القيم كما سنرى.

**نصوص ابن تيمية وابن القيم على أن قوم إبراهيم والصابئة اتخذوا الكواكب أربابا مدبرة**

يقول ابن تيمية: بل قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم كانوا يتخذونها أربابا يدعونها ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها

(١) جامع البيان ط هجر (١٦ / ٢٩٢)

(٢) روح المعاني (ج ١٢ / ص ٤١٠).

(٣) كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثي للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص ٢٣.

والسجود والقرايين وغير ذلك، وهو دين المشركين<sup>(١)</sup>، وقال أيضا: فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أرباباً، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا هم ولا أحد العقلاء يعتقد أن كوكباً من الكواكب خلق السماوات والأرض<sup>(٢)</sup>.

وقال تلميذه ابن القيم وهو يتحدث عن الصابئة: وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنما، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي<sup>(٣)</sup>. اهـ وطائفة أخرى يقولون: «لا سبيل لنا إلى الوصول إلى جلاله إلا بالوسائط، فالواجب علينا أن نتقرب إليه بتوسطات الروحانيات القريبة منه وهم الروحانيون المقربون المقدسون عن المواد الجسمانية وعن القوى الجسدانية، بل قد جبلوا على الطهارة فنحن نتقرب إليهم ونتقرب بهم إليه، فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب وإله الآلهة، فما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٣١١)، وانظر أيضا: بيان تلبس الجهمية (١ / ٥٣٠)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٩٩٢.
- (٢) اقتضاء الصراط المستقيم - (٢١ / ٣٤)، ط/ عالم الكتب.
- (٣) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٢٣). وانظر: معارج القبول (٢ / ٤٧١)
- (٤) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٥٢)، والشرك في القديم والحديث ص ٢٦٣

## نص المعلمي بأن الصابئة تقول بأن الزهرة ملكة الآلهة وعطار ربّ الأرباب الذي لا مثيل له

بل «كانوا يصفون المشتري بالربّ العظيم، والملك، ومملك الآلهة، والإله المجيد، والقاضي، والقديم، وقاضي الآلهة، ورب الحروب، ومملك السماء، ورب الأبدية العظيم، ورب الكائنات، ورئيس الآلهة، وإله الآلهة. والمريخ بإله الحرب والصيد، الرجل العظيم، البطل القدير، ملك الحرب، المهلك، جبّار الآلهة. ومن صفاتهم للزهرة ملكة الآلهة والآلهات. لعطار ربّ الأرباب الذي لا مثيل له.. فوصفهم لتلك الكواكب صريحٌ في أنهم يعتقدون لها التدبير والتصرّف»<sup>(١)</sup>.

«فإن عندهم الإبداع الخاص بالرب تعالى هو اختراع الروحانيات، ثم تفويض أمور العالم العلوي إليها. والفعل الخاص بالروحانيات هو تحريك الهياكل، ثم تفويض أمور العالم السفلي

(١) آثار الشيخ المعلمي اليماني (٢/ ٤٥٤)، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير (١/ ٢٢٨): وكان اليونان يعتقدون أن الأرض كانت معمورة بمخلوقات تدعى (التيتان) وأن (زفس) وهو (المشتري) كبير الأرباب في اعتقادهم جلاهم من الأرض لفسادهم. اهـ

إليها<sup>(١)</sup>. «ويقولون: إن لكل روحاني من الروحانيات العلوية جرما سماويا، وهو هيكله، فهو مدبره والمتصرف فيه»<sup>(٢)</sup>.

هذا كله يؤكد أن الصابئة ومنهم قوم سيدنا إبراهيم لا يسلمون بأن الرب هو الله وحده، وإنما يعدّدون الأرباب التي تدبّر الكون تماما كما يعدّدون الآلهة التي تُعبد كما رأينا، ولو كان قومه يُقرون بأن الله وحده هو ربهم، لردّوا على الخليل عليه السلام حين قال لهم «بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» وقالوا: نحن نسلم بأن ربنا هو الله وحده، ولكن لا نسلم بأنه الإله وحده<sup>(٣)</sup>، بل ندّعي أن ثمة آلهة أخرى ينبغي أن تُعبد وهي هذه الأصنام والكواكب.

الجواب عن قول الطبري إن معنى بل ربكم رب السماوات والأرض أي فيأيه فاعبدوا

لا يقال: إن المقصود من هذه الآيات «بل ربكم رب السماوات..» «هو أن يعبدوا الله وحده الذي خلقهم، وإليه يشير كلام الطبري السابق حين قال: «فيأيه فاعبدوا، لا هذه التماثيل التي هي خلقه، التي

(١) الملل والنحل (٢/ ٩٢)، وانظر: آثار الشيخ المعلمي اليماني (٢/ ٤٥٥)

(٢) الشرك في القديم والحديث ص ٢٦٢

(٣) طبعا هذا لو كانوا فعلا يفرّقون بين الرب والإله وأنهم فعلا يقرون بتوحيد

الربوبية دون توحيد الألوهية كما يدعي ابن تيمية.

لا تضر ولا تنفع»، وقال الألوسي في تنمة كلامه السابق: «ولكن انظروا إلى هذه العظيمة وهي أنكم تتركون عبادة خالقكم .. وتشتغلون بعبادتها دونها»<sup>(١)</sup>.

### (من عبد غير الله فقد اتخذها إلها وربا عند السهسواني)

لأننا نقول: هم ما عبدوها من دون الله إلا لأنهم اتخذوها أربابا من دونها، فجاء النهي عن اتخاذها أربابا ليلزم منه ألا يعبدوا سواه، فالأمران - وهما اتخاذها أربابا وعبادتها - متلازمان، وهذا ما نقوله وهو أن ما يسمى بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية: متلازمان لا ينفكان، إذ «من صرف شيئا من العبادة إلى غير الله فقد اتخذها إلها رباً.. لأن الربوبية من لوازم الإلهية، فنفي أحدهما نفي للآخر، وإثبات أحدهما إثبات للآخر»<sup>(٢)</sup>. وقد سبق توضيح ذلك<sup>(٣)</sup>.

ولا يقال أيضا: إن قصد ابن تيمية من اتخاذها أربابا من قبل قوم إبراهيم هو أنهم عبدوها من دون الله، وهو ما يوضحه قوله السابق

(١) روح المعاني (١٧ / ٦١)

(٢) صيانة الإنسان للسهسواني (ص: ٤٥٠) نقلا عن «العلامة الإمام حسن بن خالد

(رحمه الله) في (منفعة قوت القلوب في إخلاص توحيد علام الغيوب)»

(٣) انظر (ص ٦٨٦) من هذا الكتاب، و(ص ٤٧٩) من كتابنا «ولئن سألتهم».

نفسه: «يتخذونها أربابا يدعونها، ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود والقرايين»، ونحوه قوله الآخر السابق: «يدعونها ويسألونها...».

لأننا نقول: هذا ينقض أصل نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد القائم على أن التباين بين الرب والإله، وهو أن الرب هو الخالق، والإله هو المعبود، فهنا رجعتم عن ذلك وجعلتم الرب هو المعبود، وأن من عبد غير الله فقد عدّد الأرباب كما عدّد الآلهة، وهذا عين قولنا، فما الداعي إلى نظريتكم هذه إذن؟! وماذا بقي منها أصلاً؟! نعم بقي منها تكفير المسلمين واتهامهم بالشرك لأجل أوهام هذه النظرية البائدة!!

**نصوص العلماء قديما وحديثا على أن قوم إبراهيم الخليل  
اعتقدوا أن الكواكب مدبرة للعالم)**

والحاصل أن هذه الآية الرابعة تفيد نزاع قوم إبراهيم فيما يسمى توحيد الربوبية وهو ما أكده كثير من العلماء والباحثين قديما وحديثا بمن فيهم بعض السلفية، وهو أن أهل بابل الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام كانوا يعتقدون أن الكواكب فاعلة مدبرة للعالم، وفيما يلي بعض النصوص في ذلك:

(١) قال الشهرستاني وهو يتحدث عن «مذهب أصحاب الروحانيات: ومذهب هؤلاء: أن للعالم صناعا، فاطرا، حكيما، مقدسا عن سمات الحدثان.. وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون، المطهرون.. فنحن نتقرب إليهم، ونتوكل عليهم، وهم أربابنا وأهتنا، ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله، وهو رب الأرباب، وإله الآلهة رب كل شيء، ومليكه.. فقالوا: الروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع، والإيجاد، وتصريف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات.. فمنها مدبرات الكواكب السبعة.. وهي هياكلها، فلكل روحاني هيكل.. فهو ربه ومدبره ومديره. وكانوا يسمون الهياكل: أربابا، وربما يسمونها: آباء، والعناصر أمهات. ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص، ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر، فيحصل من ذلك تركيبات. اهـ

(٢) ثم يتكلم عن عبدة القمر: زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي والأمور

الجزئية فيه، ومنه نضج الأشياء المكتوبة وإيصالها إلى كمالها،  
وبزيادته<sup>(١)</sup>. اهـ

(٣) وقال ابن القيم وهو يتكلم عن عبّاد القمر: «وطائفة أخرى  
اتخذت للقمر صنما، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة، وإليه  
تدبير هذا العالم السفلي»<sup>(٢)</sup>

(٤) قال ابن كثير: قال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له صف  
لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل  
من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو  
كافر<sup>(٣)</sup>. ونقله عن الشافعي غير واحد من السلفية مقرا<sup>(٤)</sup>.

(١) الملل والنحل للشهرستاني (٣ / ١٠٤)، ونقله في «نهاية الأرب في فنون الأدب»

(١ / ٥٧)، وانظر نحوه «مفاتيح الغيب» (١٣ / ٣٠)

(٢) «إغاثة اللفهان في مصايد الشيطان» (٢ / ٢٢٤ ت الفقي)، ونقله الوهابية عنه كما

في «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٢ / ٤٧١)، «الشرك في القديم  
والحديث» (١ / ٢٦٥)

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٥٤٧).

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد، دار الصميعي (ص: ٦٨١)، جهود أئمة الشافعية في

تقرير توحيد العبادة (ص: ٤٢٥)، شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص:

٦٦٢).

(٥) وقال ابن كثير أيضا: «واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوّض تدبير أمر هذا العالم إليها، قال: وهذا القول هو المنسوب إلى الكشدانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادًا عليهم ومُبطلا لقولهم»<sup>(١)</sup>.

(٦) قال الحافظ في الفتح: قال أبو بكر الرازي في الأحكام له: كان أهل بابل قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم وعملوا أوثانا على أسماؤها .. وهم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام .. يستعملون سائر وجوه السحر، وينسبونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم. اهـ

نص الراجحي على أن الصابئة مشركون في الربوبية

(٧) قال الراجحي: علم التنجيم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: ادعاء أن الكواكب فاعلة مختارة، وأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الحوادث

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٤)، ثم قال ابن كثير «وأظهر الأقوال - والله أعلم - قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصرى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه». وانظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٢٧٩).

مركبة من تأثيرها، وهذا كفر بإجماع المسلمين.. وهذا الشرك هو الذي وقع فيه الصابئة عباد الكواكب، وهم الذين بعث فيهم إبراهيم الخليل.. وهذا شرك أكبر، وهو شرك في الربوبية. اهـ

(٨) وقال الميلي: سحر البابليين من الكلدان الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويرونها مدبرة هذا العالم، فيستميلونها إليهم، أو يصرفون ضررها عنهم بالرقى<sup>(١)</sup>.

### قول عمر الأشقر: المنكرون للخالق يزعمون أن النجوم مدبرة للكون لا الملائكة بأمر الله

(٩) وقال د. عمر الأشقر: فالملائكة موكلون بالسموات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: (فالمدبرات أمرا)، وقال: (فالمقسات أمرا)، ويزعم المكذبون للرسول المنكرون للخالق أن النجوم هي التي تقوم بذلك كله، وكذبوا، فالذي يدبر ذلك كله الملائكة بأمر الله تعالى<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) رسالة الشرك ومظاهره (ص: ٢٢٩)، وقوله: بالرقى والدخن، لعل الصواب: بالرقى والدخان. والله أعلم

(٢) عالم الملائكة الأبرار (ص: ٨١)، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣/

وهكذا نرى أن هذه النصوص - التي معظمها للسلفية - تؤكد أن قوم إبراهيم عليه السلام مشركون في الربوبية لأنهم ادعوا في الكواكب أنها فاعلة مؤثرة مدبرة للكون، وكذا يعتقد من ينكر من وجود الله أصلاً كما ذكر د. الأشقر، وهذا يدفع الزعم بأن قوم إبراهيم أنهم موحدون في الربوبية لأنهم لم يعتقدوا في الكواكب التي يعبدوها تديراً أو تأثيراً، وسيأتي مزيد بسط لذلك<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: آيات دالة على أن نزاع المشركين هو في ربوبية الله

ثمة آيات تدل على أن نزاع المشركين هو في ربوبية الله، بل ربما دلت على أن نزاعهم أو نزاع بعضهم على الأقل هو في وجوده تعالى أصلاً، وإليك بعضها:

الآية الأولى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا

رَبُّنَا اللَّهُ﴾

قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا

(١) وقد سبق بسط ذلك (ص ٥٧٢).

رَبُّنَا اللهُ ﴿١﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، أي «لم يُخْرَجُوا من ديارهم إلا بقولهم: ربنا الله وحده لا شريك له»<sup>(٢)</sup>، فهم «منعواهم أن يقيموا بمكة مع الإيمان، وهم لا يمكنهم ترك الإيمان فقد أخرجوهم إذا كانوا مؤمنين»<sup>(٣)</sup>.

قلت: فهذه الآية دلت بشكل واضح على أن سبب قتال المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو أن النبي وصحبه رضي الله عنهم قالوا: «ربنا الله»، ولو أن المشركين كانوا يقرّون بأن ربهم هو الله وحده لا شريك له - كما يدعي ابن تيمية وأتباعه - لما قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولما أخرجوهم من ديارهم من مكة، وهذا ما صرّحت الآية بخلافه تماما، ولو كان ادعاء ابن تيمية صحيحا لقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين قالوا «ربنا الله»: «ونحن أيضا نشهد أن ربنا الله، ونزيد عليكم فنقول: ربنا الله وحده، ولكننا أخرجناكم لأنكم تعبدون الله وحده، وتوحدونه في الألوهية»،

(١) ومثله قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [المتحنة: ١]

(٢) تفسير الطبري (١٨ / ٦٤٦)

(٣) منهاج السنة النبوية (٨ / ٤٧٢)

وقد سبق أن أوضحنا ذلك<sup>(١)</sup>، والكلام عينه يقال في الآيتين الآتيتين؛  
آية غافر وآية الممتحنة.

فبطل قول النجدي: وإلا فهو لاء المشركون يشهدون أن الله هو  
الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت  
إلا هو.. وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم  
والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم<sup>(٢)</sup>. اهـ فهذا  
كله باطل، إذ لو كان صحيحا لما أخرجوا المؤمنين بسبب قولهم ربنا  
الله، كما دلت عليه آية الحج السابقة، ودلت عليه أيضا آية الممتحنة  
وهي:

### الآية الثانية: يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ  
تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ  
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ

(١) انظر (ص ٥٨١) من هذا الكتاب.

(٢) كشف الشبهات (ص: ٤)

**مَرَضَاتِي** ﴿ [المتحنة: ١] أي «يخرجون الرسول وإياكم من دياركم لأن آمنتم بالله»<sup>(١)</sup>.

### الآية الثالثة: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] أي «أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله؟»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الآيات الثلاثة تدل بشكل واضح على أن الكفار أخرجوا المؤمنين لقولهم: ربنا الله، وهذا يعني أن الكفار لا يؤمنون بل لا يقولون بأن الله ربهم، وإلا لما أخرجوا المؤمنين بسبب قولهم بأن الله ربهم.

### المبحث الثاني من الآيات:

وهي التي أعلن فيها بعض الكفرة إسلامهم وإيمانهم بربهم

(١) جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٥٥٩)

(٢) جامع البيان ط هجر (٢٠ / ٣١٢) ونحوه في تفسير البغوي (٧ / ١٤٦)، تفسير

السمعاني (٥ / ١٦)

فقد جاءت آيات أعلن فيها بعض الكفرة والمشركين عن رجوعهم عن كفرهم وشركهم، وأعلنوا فيها إسلامهم وإيمانهم، فشهدوا بعد إسلامهم وإيمانهم ورجوعهم عن الكفر والشرك شهدوا بأن الله ربهم!! وهذا يدل على أنهم كان قبل ذلك لا يقرون بأن الله ربهم! ومن ذلك:

### قول سحرة فرعون بعد توبتهم وإسلامهم ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

وقد ورد ذلك في عدة مواضع من القرآن نوردها فيما يلي:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥ - ٤٨].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣] أي «إنا أقرنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعدته ووعدته. وأن ما جاء به موسى حق»<sup>(١)</sup>.

(١) جامع البيان ط هجر (١١٧ / ١٦)

فهذه الآيات إخبار عن سجود السحرة لله تعالى بعد «إيمانهم وهو مما قبله الله منهم وأدخلهم به الجنة»<sup>(١)</sup>. وهنا قد «وصف الله السحرة بالإسلام والإيمان معا»<sup>(٢)</sup>، فهم آمنوا بربوبية الله حين كفروا بربوبية فرعون التي كانوا يعتقدونها حيث كانوا «بسبب تلبيسه عليهم، وفساد فطرهم يعتقدون أن ربهم فرعون»<sup>(٣)</sup>، «وكانوا يجحدون الصانع -تعالى- ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إني رسول رب العالمين﴾، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف»<sup>(٤)</sup>.

ومعنى هذا أن السحرة لم يكونوا قبل ذلك يؤمنون بالله رب العالمين، وإنما كان ربهم فرعون فإنه ادعى ذلك كما قال تعالى عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وسيأتي المزيد حول هذه الآيات<sup>(٥)</sup>، فكيف يقال بعد هذا إن «معرفة الربوبية وهي خاصة للمكلفين من بني آدم وهي تعمّ مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي

(١) مجموع الفتاوى (٢٨٣ / ٢١)، الفتاوى الكبرى (١ / ٣٥٣)

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٢٦٢)

(٣) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (ص: ٥٧٥)

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠ / ٣٤٠)

(٥) سيأتي بسط ذلك في المجلد الخامس من نقض نظرية تقسيم التوحيد..

ضرورية أيضا<sup>(١)</sup>، وأن «جميع الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، مقرون بعبوديته طوعاً وكرهاً»<sup>(٢)</sup>، «ولم ينكره أحد من بني آدم»<sup>(٣)</sup>؟!

### المبحث الثالث:

#### نصوص تشهد لمن آمن بربوبيته تعالى بالإيمان والفوز في الآخرة

لدينا آيات وأحاديث تثني على من يقول الله ربنا وتشهد له بالإيمان وبالنجاة يوم القيامة، وهذا يعني أنه لو كان المشركون يشهدون بربوبية الله كما تقولون لكانوا بذلك مؤمنين وناجين بدليل الآيات التي ستأتي، وهذا باطل لأن الله توعدّهم بالخلود في جهنم بسبب كفرهم وشركهم، فثبت أنهم منازعون لله في ربوبيته، وإليك بعض هذه الآيات والأحاديث، نبسطها في مطلبين:

#### المطلب الأول: آيات من القرآن

الآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ﴾

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (٨ / ٥٠٨)

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ / ٤٧٩)

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ٩٤٩)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] أي «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ أَي: لا غيره»<sup>(١)</sup>. فدلّت هاتان الآيتان (الأولى والثانية) على أن من قال الله ربنا ثم استقام على ذلك بأنه ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بل إنه من الذين تنزل عليه الملائكة لتبشّره بذلك كما دلت آية فصلت السابقة.

اعتراض بأن الرب في الآيتين هو الإله، وبيان أن هذا نقض لأصل نظرية تقسيم التوحيد

(١) محاسن التأويل (٨ / ٤٤٤)

اعترض السلفية بأن الربّ في آيتي فصلت والأحقاف ونحوهما جاء مفردا فيراد به الإله والرب معا؛ لأن القاعدة أن هذين اللفظين إذا تفرقا اجتماعا، وإذا اجتمعا افترقا كما تقدمت نصوصهم في ذلك<sup>(١)</sup>. وسبق أن أجبنا عن هذا الاعتراض<sup>(٢)</sup> بما حاصله أن قاعدة «إذا تفرقا اجتماعا» سينتج منها حتما إما أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية والألوهية معا فيما لو طبقا هذه القاعدة على آيات سورة المؤمنون ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، لأن كلمة الرب جاءت هنا وحدها دون أن تقترن بكلمة الإله، فيراد بالرب الربّ والإله معا لقاعدة أن هذين اللفظين إذا تفرقا اجتماعا!

وإما سينتج منها (أي من قاعدة إذا اجتمعا افترقا..) أن المشركين كانوا مشركين في الربوبية وفي الألوهية معا فيما لو طبقناها على آية الصافات ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لأن كلمة الإله جاءت وحدها دون أن تقترن بها كلمة الرب فيراد بالإله الإله والربّ معا، وذلك لنفس القاعدة السابقة، وكلا الأمرين - أي كون المشركين موحدين في الربوبية والألوهية معا، أو كونهم مشركين في

(١) انظر (ص ٢٨) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ٣٣) من كتابنا «ولئن سألتهم».

الربوبية والألوهية معا - خلاف نظرية تقسيم التوحيد لأن النظرية تقول بأن المشركين موحدون في الربوبية، مشركون في الألوهية.

### (دعوى أن الاستقامة في الآيتين مفسرة بشهادة أن لا إله إلا الله)

نعم قد يقال إن الاستقامة في آية فصلت والأحقاف فسرت بالاستقامة على شهادة ألا إله إلا الله وعدم الشرك وعبادة الأوثان، فقد أخرج الطبري وغيره عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: في قوله «والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا» قال: فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان<sup>(١)</sup>، فقد أخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال: على شهادة أن لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>، وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس أنه سئل أي آية في كتاب الله أرحب؟ قال: قوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله<sup>(٣)</sup>. وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم ومجاهد في قوله ثم استقاموا قال: قالوا لا إله إلا الله لم يشركوا بعدها بالله شيئا حتى يلقوه<sup>(٤)</sup>. بل بعضهم فسّر قوله: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

(١) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٣ / ١٠٤)

(٢) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٣ / ١٠٤)

(٣) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٣ / ١٠٥)

(٤) الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (١٣ / ١٠٥)

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴿١﴾ أَي: وَحَدُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَمْ يَجِدُوا عَنْ تَوْحِيدِهِمْ وَلَا أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ، وَالتَّزَمُوا طَاعَتَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّوْا عَلَى ذَلِكَ» كما قال القاضي عياض<sup>(١)</sup>.

والجواب: أولاً: ثمة تفسيرات أخرى للاستقامة، نوردتها فيما يلي:

### (التفسيرات المختلفة للاستقامة)

(١) أنها الاستقامة على أداء الفرائض وطاعة الله، وهذا مروى عن ابن عباس نفسه، وجاء مثله عن عمر وعلي وابن زيد وقتادة والحسن<sup>(٢)</sup>.

(٢) أنها الإخلاص، كما قال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله<sup>(٣)</sup>.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١ / ٢٧٥) وشرح النووي على مسلم (٢ / ٩)  
(٢) فقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: استقاموا على أداء فرائض الله، وأخرج أحمد في الزهد وغيره عن عمر بن الخطاب: استقاموا بطاعة الله ولم يروغوا روغان الثعلب، وقال علي: ثم أدوا الفرائض، وقال ابن زيد وقتادة: استقاموا على الطاعة لله، وقال الحسن: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. انظر: الدر المنثور للسيوطي (١٣ / ١٠٥)، تفسير القرطبي (١٨ / ٤١٧)، روح المعاني (٢٤ / ١٢٠)، تفسير ابن كثير (١٢ / ٢٣٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٤١٧).

- ٣) وقال سفيان الثوري: عملوا على وفاق ما قالوا<sup>(١)</sup>.  
 ٤) وقال الربيع: أعرضوا عمّا سوى الله<sup>(٢)</sup>.  
 ٥) وقال الفضيل بن عياض: زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية<sup>(٣)</sup>.

### (الاستقامة هي الثبات على الإقرار بربوبيته)

٦) ومنهم من فسّرهما بظاهرهما وهو الثبات على الإقرار بربوبيته، كما قال الزمخشري: والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته<sup>(٤)</sup>. اهـ  
 وقال أبو السعود: أي قالوا اعترافاً بربوبيته تعالى وإقراراً بوحدانيته ثم استقاموا أي ثبتوا على الإقرار ومقتضياته .. فإن الاستقامة لها الشأن كله، وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها<sup>(٥)</sup>.

- (١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٤١٧).  
 (٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٤١٨).  
 (٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٤١٧)، روح المعاني (٢٤ / ١٢٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢ / ٢٣٥).  
 (٤) الكشاف (٤ / ٢٠٤).  
 (٥) تفسير أبي السعود (٨ / ١٣).

ولكن قال الألوسي شارحا كلام الزمخشري: وأراد أن من قال ربي الله تعالى، فقد اعترف أنه عز وجل مالكة ومدبر أمره ومربيه وأنه عبد مربوب بين يدي مولاه، فالثبات على مقتضاه ألا تزل قدمه عن طريق العبودية قلبا وقلبا ولا يتخطاه، وفيه يندرج كل العبادات والاعتقادات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لمن طلب أمرا يعتصم به: قل ربي الله تعالى ثم استقم<sup>(١)</sup>. اهـ

وهكذا نرى أن الاستقامة لها عدة تفسيرات، منها أن الاستقامة هي الثبات على الإقرار بربوبيته تعالى كما رأينا، وهذا هو ظاهر الآية. ثانياً: أنه على التسليم بأن المراد بالاستقامة هو عدم الشرك في عبادته، فهذا يدل وبشكل واضح على أن من يشرك بعبادة غير الله لم يستقم على قوله الله ربنا، بل نقض ذلك بعبادته غير الله إذ «من صرف شيئاً من العبادة إلى غير الله فقد اتخذها إلهاً رباً.. لأن الربوبية من لوازم الإلهية، فنفي أحدهما نفي للآخر، وإثبات أحدهما إثبات للآخر<sup>(٢)</sup>»، ولذلك فإن «أهل السنة لا ينازعون في أن المشركين واقعون فيما هو قادر في توحيد الربوبية ومناقض له، وذلك بصرفهم العبادة لغير

(١) روح المعاني (٢٤ / ١٢٠)

(٢) صيانة الإنسان للسهبواني (ص: ٤٥٠) نقلا عن «العلامة الإمام حسن بن خالد رحمه الله» في (منفعة قوت القلوب في إخلاص توحيد علام الغيوب)

الله<sup>(١)</sup>، وهذا عين ما نقوله من التلازم التام بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأن من أشرك في الألوهية أشرك في الربوبية، والعكس صحيح! وبالتالي فإن المشركين غير موحدين في الربوبية كما تزعمون.

### (من شهد الله بأن الله ربّه فقد وحّده)

وأما ما قاله القاضي عياض من أن معنى «الله ربنا» أي «وحّدوا الله وأمنوا به» فهذا يفيد أن من قال «الله ربنا» فهو موحد، إذ تعريف الجزئين يفيد الحصر كما ذكر السيوطي وغيره<sup>(٢)</sup>، لذلك قال صديق حسن خان في آية الحج: «أي أخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم لكن لقولهم: ربنا الله وحده» كما سبق.

وهو خلاف ما تقولون من أن هذه العبارة - أي الله ربنا أو ربنا الله - لا تعبّر عن التوحيد المطلوب بحجة أن المطلوب هو توحيد الإلهية، وأنه «هو المنجّي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرد»<sup>(٣)</sup>، و«هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٣٠٢

(٢) انظر (ص ٢٤١ و ٢٤٢) من كتابنا «ولئن سألتهم».

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص: ٤٦)، دار ابن كثير دمشق،

الأولى والآخرة؛ فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين»<sup>(١)</sup>، لأن «عباد الأصنام كانوا مقرّين بأن الله وحده خالق كل شيء وربّه ومليكه، ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته»<sup>(٢)</sup>. و«بهذا عرفنا أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي»<sup>(٣)</sup>. اهـ وهذا توسعنا في نقضه في كتابنا الكبير بتوفيق الله.

### الآية الثالثة: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾

قال تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] فالآية مدحت هؤلاء الفتية من أصحاب الكهف لأنهم آمنوا برّبهم، فمن يؤمن بالله ربا فهو محمود ممدوح، خلافا لزعمكم أن الإيمان بربوبية الله لا مدح فيه بحجة «أن الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق وحده هو إيمان فطري .. إذ لم يخالف أبو جهل ولا أبو لهب هذه الحقيقة»<sup>(٤)</sup>، وإنما الذي يُمدح عليه هو توحيد الألوهية فهو «الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٨٠)

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٤٦)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: ٢٨)

(٤) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: ٧١)

الجزاء والثواب في الأولى والآخرة؛ فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين»<sup>(١)</sup>.

### الآية الرابعة: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾

قال تعالى ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣] أي «فمن يصدق بربه .. لا يخاف أن ينقص من حسناته، فلا يجازى عليها»<sup>(٢)</sup>.

### الآية الخامسة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾

فالآية تشني - كما دل على ذلك سياقها<sup>(٣)</sup> - على من لا يشرك بربه، وجعلها خصلة حميدة في خصال أخرى حميدة، ثم قال في آخرها «أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»، أي «هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفة

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٨٠)

(٢) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٢٣ / ٣٣١)

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾

[المؤمنون: ٥٧ - ٦١]

عند الله بطاعته»<sup>(١)</sup>، ف«همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه»<sup>(٢)</sup>.

إذن فعدم الإشراف في الربوبية هو أمر يستحق الثناء والثواب بدليل هذه الآيات، وليس فقط توحيد الألوهية مستحق للثناء والثواب كما ادعى ابن تيمية، ولو كان الأمر كذلك لقال الله هنا «والذين هم بإلههم لا يشركون»، اللهم إلا إن قلتم إن الرب هنا بمعنى الإله وأن المراد: «الذين يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ولا صنم، ولا يراؤون بها أحدا من خلقه»<sup>(٣)</sup> و«لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله»<sup>(٤)</sup> كما قال الطبري وابن كثير وغيرهما كما سبق<sup>(٥)</sup>، ولكن هذا إقرار بأن الرب والإله مترادفان، وبهذا ينتقض أصل نظرية تقسيم التوحيد، وهو دعوى التباين بين لفظي الرب والإله!!

(١) جامع البيان ط هجر (١٧ / ٧٢)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٥٤)

(٣) جامع البيان ط هجر (١٧ / ٦٦)

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠ / ١٢٩)، تفسير السعدي (ص: ٥٥٤)

(٥) انظر (ص ١٨٣) من كتابنا تنوير الرب والإله.

## الآية السادسة

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولو «كان الإقرار بالربوبية غير كاف، وكان متحققاً عند المشركين، ولكنه لا ينفعهم - كما يقول ابن تيمية - ما صحَّ أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا، ولا صحَّ أن يقولوا يوم القيامة: ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾ وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق إلى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الألوهية، حيث إن توحيد الربوبية غير كاف - كما يقول هؤلاء<sup>(١)</sup>. وهذه الآية جادل فيها السلفية كالعادة، ولذا بسطت الكلام فيها في كتابي الكبير، ورددت عليهم هناك بشكل مفصل بفضل الله.

الآية السابعة: قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

روى مسلم عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك، فيقول ربي الله ونبيي محمد

(١) نقد تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية للشيخ يوسف الدجوي (ص: ٣).

(صلى الله عليه وسلم)؛ فذلك قوله عز وجل ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]<sup>(١)</sup>.

فدل هذا الحديث على أن السؤال في القبر يكون: من ربك؟ وكان حريّاً أن يكون: من إلهك؟ باعتبار أن الكل يؤمن بالله ربّاً على زعمكم!! كما دلت الآية مع الحديث على أن من يجيب بأن الله ربه: فقد أتى بالقول الثابت المنجى من عذاب القبر، فيُكتفى منه بذلك، ولا يقال له «إنما عرفت توحيد الربوبية واعترفت به فقط، ولم تعترف بتوحيد الألوهية.. وليس توحيد الربوبية كافياً في الإيمان»<sup>(٢)</sup> كما تزعمون، فالآية والحديث الذي يفسرها يثبتان أن الثواب والعقاب يكون حول الربوبية، خلافاً لزعمكم بأن الربوبية لا ثواب ولا عقاب عليها لأنها أمر مفطور عليها عند البشر كلهم.

### المطلب الثاني: أحاديث من السنة المطهرة

- 
- (١) انظر: صحيح مسلم (٢٨٧١)، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.
- (٢) السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد ص ٨٩ بتصرف يسير، جميل حلیم، دار المشاريع.

ثمة أحاديث نبوية تمدح من آمن بالله وبربوبيته خلافا لزعيم السلفية أن ذلك لا مدح فيه، وإليك بعضها:

### أولاً: حديث «قل: آمنت بالله، فاستقم»

ومن الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل: آمنت بالله، فاستقم»<sup>(١)</sup>، وفي بعض نسخ صحيح مسلم «قل: آمنت بالله، ثم استقم»<sup>(٢)</sup>، «ولم يقل له: قل إلهي الله ثم استقم، فاكتمى بتوحيد الربوبية في النجاة والفوز لاستلزامه وعدم تغييره لتوحيد الألوهية»<sup>(٣)</sup>، «فالتوحيد حاصل بقوله: آمنت بالله، والطاعة بأنواعها مندرجة تحت قوله: (ثم استقم)؛ لأن الاستقامة امثال كل مأمور واجتناب كل محذور.. ثم استقم محمول على الثبات فيهما»<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً حديث «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً»

- (١) صحيح مسلم (١/ ٦٥)
- (٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٢١)
- (٣) السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد ص ٩٠
- (٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٨٤)

ومن الأحاديث التي مدحت من آمن بربوبية الله قوله صلى الله عليه وسلم: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللّٰهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلًا. «والرضا بربوبية الله يستلزم القبول لكل ما كان من عنده من الأوامر الشرعية والأمور المقدّرة»<sup>(١)</sup>. «ومعنى: (رضيت بالله ربًّا)؛ أي لست بمكره على ذلك بل أنا راض»<sup>(٢)</sup>، «بربوبيته وجميع قضائه وقدره فإن الرضا بالقضاء باب الله الأعظم»<sup>(٣)</sup>، أو «فنعنتُ به واكتفيتُ به ولم أطلب معه غيره»<sup>(٤)</sup>، «أي وحده لا شريك له»<sup>(٥)</sup>، «و «ربا» تمييز محوّل عن المضاف أي رضيت بربوبيته، ويحتمل أن يكون حالاً أي رضيت بالله مريياً ومالكا»<sup>(٦)</sup>، أو «(رضيت بالله ربًّا) أي: اطمأنت بكونه ربّه نفسه، وخالطت البشاشة قلبه، فلم يطلب منه

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٤ / ٥٣٢)

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (١ / ٣٤٧)

(٣) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٧ / ٣٧)، تحفة الأحوذى (١ / ٥٢٩)، المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٤ / ١٩٨)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢ / ٣٦٧) و (٨ / ١٤١).

(٤) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (٣ / ١٢٠)، التحبير لإيضاح معاني التيسير (١ / ١٢٨)

(٥) فيض القدير (٣ / ١٩٦)، التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٤٣١)، السراج المنير شرح الجامع الصغير (٣ / ٤)

(٦) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٢ / ٤٥٥)

غيره<sup>(١)</sup>، فهذا «الحديث قد تضمّن مثل هذا من التصريح بحقيقة الإيمان، والاعتراف بقواعده»<sup>(٢)</sup>.

فالحديث يشني على من رضي بالله ربا إذ قال: «ذاق طعم الإيمان من قال رضيت بالله ربا»، وكان حريّاً بحسب نظريتكُم في تقسيم التوحيد أن يقول «رضيت بالله إلهاً»، لأن أبا جهل يرضى بالله ربا كما تقولون! فما وجه الشناء على من رضي بالله ربا؟! تنبه بعض الوهابية إلى ذلك فقالوا ما معناه أن من «عَرَفَ ذلك لم يَطْلُبْ غيرَ الله تعالى له ربّاً وإلهاً، بل رَضِيَ به سبحانه وتعالى ربّاً، ومَنْ كانت هذه صِفَتُهُ ذاق طعمَ الإيمان وحلاوته»<sup>(٣)</sup>، هذا على قاعدتهم أن لفظي الرب والإله إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وهنا في هذا الحديث افترقا أي في الذكر فاجتمعا في المعنى، ولذا قالوا المعنى «عَرَفَ ذلك لم يَطْلُبْ غيرَ الله تعالى له ربّاً وإلهاً»، ولكننا بيّنا في غير هذا الموضوع من هذا الكتاب<sup>(٤)</sup>،

(١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩ / ٣١١)

(٢) البحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٩ / ١٢٠)

(٣) «الموسوعة العقدية - الدرر السننية» (٢ / ٤١٨ ت. ش)

(٤) انظر (ص ١٠٧ و ٥٩٠) من هذا الكتاب.

وفي كتاب آخر<sup>(١)</sup>، أن تطبيق هذه القاعدة (أي إذا اجتمعا افترقا ..) ينسف نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية من أصلها.

وهكذا نرى كيف أن الآيات والأحاديث السابقة تضمنت أعظم المديح لمن قال بأن الله ربه، فأين ما قاله ابن تيمية وأتباعه من أن من قال بأن الله ربه أو فسّر بأن لا إله إلا الله بلا رب إلا الله لم يزد على إيمان أبي جهل، وأين قول الأفغاني «وخرق بعضهم فارتكب حمقا جليا فقال: إن القائل (ربي الله) معترف بتوحيد الربوبية والألوهية»<sup>(٢)</sup>!

فأين هذا كله بعد هذه الآيات والأحاديث التي سبقت؟! إن حديث البراء بمفرده - وهو: (فيقال له: من ربك، فيقول ربي الله)، فضلا عن الآيات والأحاديث السابقة، يهدم كل هذه الدعاوى العريضة والأصول التي تضمنتها نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية رحمه الله.

(١) انظر كتابنا: ولئن سألتهم ص ٣٣، ط ١ / دار المنهل، وانظر أيضا كتابنا: تنوير

الرب الإله ص ١٦٤، ط ١ / دار الأصلين .

(٢) عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ٣ / ١٨٠

## المبحث الرابع:

### ثمة آيات تُعرِّف المشركين بالله بأنه خالق السموات والأرض

وهذا بحد ذاته دليل على أنهم لا يعرفونه، ويبان ذلك أن من يتتبع «النصوص القرآنية يلاحظ أن منهج القرآن الكريم في إثبات أن الله عز وجل رب السموات والأرض ورب كل شيء في الكائنات الحاديات، خلقا وإمدادا وتصرفا دواما، وفي إثبات أنه واحد في ربوبيته لا يشاركه فيها أحد .. والنصوص القرآنية المشتملة على هذا المنهج إجمالا وتفصيلا كثيرة جدا، ولعلها تعادل ربع القرآن الكريم أو أكثر»<sup>(١)</sup>، وإليك بعضها:

الآية الأولى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقد عرض «هذا النص من آثار ومظاهر ربوبيته للكون ثماني ظواهر، كل واحدة منها تدل على أنها لم تحدث إلا من قبل رب يفعل ما يشاء ويختار، وهذا الرب واحد لا شريك له في ربوبيته، في الكون كله، وفي كل جزء من أجزائه مهما صغر

(١) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص ٢١

ودق»<sup>(١)</sup>، وثمة آيات أخرى مشابهة كثيرة كقوله ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

الآية الثانية: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٧]، فلو كانت: «معرفة الربوبية وهي خاصة للمكلفين من بني آدم وهي تعم مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورية أيضا»<sup>(٢)</sup>؛ وأن «جميع الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، مقرون بعبوديته طوعاً وكرها»<sup>(٣)</sup>، «ولم ينكره أحد من بني آدم»<sup>(٤)</sup>؛ ولذلك فإن «الله تعالى لم يبعث رسله عليهم السلام وينزل كتبه ليعرف خلقه بأنه هو الخالق لهم»<sup>(٥)</sup>؛ أقول إذا كان هذا صحيحاً فلماذا إذن حينما سأل فرعون: وما

(١) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص ٥٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (٨ / ٥٠٨)

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ / ٤٧٩)

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ٩٤٩)

(٥) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٣٦)

ربّ العالمين؟ اشتغل موسى عليه السلام ببيان أن الله هو رب السماوات والأرض وأنه ربكم ورب آبائكم الأولين؟! ما دام جميع الإنس والجن مقرين بالخالق كما زعمتم!

### ابن تيمية: في الآية دليل على أن صانع العالم قادر حكيم عالم خبير

الآية الثالثة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِبُ فِي الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، يقول ابن تيمية في كلام له حول هذه الآية: «فتصلح بهذه الأمور معاش الناس وتكثر بها منافعهم، وباجتماع هذه الأمور ومعاونة بعضها بعضاً يتم صلاح أمر العالم وينتظم، وفي ذلك دليل على أن صانع العالم قادر حكيم عالم خبير»<sup>(١)</sup>.

الآية الرابعة: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧] أي «نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئاً، فأوجدناكم بشراً، فهلا تصدقون من فعل ذلك بكم في قوله لكم: إنه يبعثكم بعد

(١) بيان تلبس الجهمية (١/ ١٨١)

مما تكتم»<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: «خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك»<sup>(٢)</sup>، وقيل «فلولا ﴿﴾ فهلا ﴿﴾ تصدقون ﴿﴾ بالبعث»<sup>(٣)</sup>، «أي: هلا تصدقون مع ظهور هذه الدلائل أي: صدقوا»<sup>(٤)</sup>.

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿﴾ [الطارق: ٥ - ٧]

قال ابن تيمية: وأما أن الآيات المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي مختصرة في هذين الجنتين من الدلالة؛ فهذا بيّن لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى، إذا تُصَفِّحت وُجِدت على ثلاث أنواع: إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع، وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعاً.. وأما الآيات التي تضمنت دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿﴾،

(١) تفسير الطبري (٢٢ / ٣٤٥)

(٢) تفسير البغوي (٨ / ١٩) وانظر: زاد المسير (٨ / ١٤٦)

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (٤ / ٣٤١)

(٤) تفسير السمعاني (٥ / ٣٥٤)

ومثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى<sup>(١)</sup>. اهـ

وهذا الكلام نقله ابن تيمية<sup>(٢)</sup> عن ابن رشد، ثم أقره قائلًا: ذكره لهذين النوعين كلام صحيح حسن في الجملة، وإن كان في ضمنه مواضع قصّر فيها، مثل ما ذكره في دلالة حركة الفلك، وتفسير الآية، وتسبيح المخلوقات، واستدلال إبراهيم. ودليل الإحداث والاختراع يدل على ربوبية الله تعالى، ودليل الحكمة والعناية والرحمة يدل على رحمته.. وإن كان لم يستقص الكلام في دلالة ثبوت الصانع تعالى<sup>(٣)</sup>. اهـ

وثمة آيات كثيرة في القرآن تعرّف الناس بأن الله هو ربهم وخالقهم بل تقيم الأدلة على ذلك كما سيأتي، وبالتالي بطل قولكم: (اعلم أن الله تعالى لم يبعث رسله عليهم السلام وينزل كتبه ليعرف خلقه بأنه هو الخالق لهم، الرازق لهم ونحو ذلك، فإن هذا يقرّ به كل

(١) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (١/ ٤٩٥)، لابن تيمية،

ط١/ مجمع الملك فهد.

(٢) ونقله أيضا في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩/ ٣٢٦)

(٣) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (١/ ٥٠٠)

مشرك قبل بعثة الرسل، .. بل بعث رسله، وأنزل كتبه، لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة<sup>(١)</sup>. اهـ

قال وليد - تلطف الله به - : هذا كلام غريب عجيب، فالقرآن من أوله إلى آخره يخبرنا بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وذلك في أكثر من مئتي آية، بل قيل كما سبق: إِنَّ الآيات التي تبين ربوبيته وخالقيته تبلغ ربع القرآن وأكثر! فكيف يقال بعد هذا كله «الله تعالى لم يبعث رسله عليهم السلام وينزل كتبه ليعرف خلقه بأنه هو الخالق لهم، الرازق لهم»؟!!

### المبحث الخامس:

آيات تبطل خالقية الأصنام وتجادل المشركين في ذلك.

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ..﴾

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتُّنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤] أي «أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من

(١) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٣٦)

الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتوها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا، فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة.. أم لأهتكم التي تعبدونها أيها الناس، شرك مع الله في السماوات السبع، فيكون لكم أيضا بذلك حجة في عبادتكموها.

﴿اتنوني بكتاب من قبل هذا﴾.. جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذي أنزل علي، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئا، أو أن لهم مع الله شركا في السماوات، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها؛ لأنها إذا صح لها ذلك صحت لها الشركة في النعم التي أنتم فيها، ووجب لها عليكم الشكر<sup>(١)</sup>، «أم لهم شركة مع الله في خلقها، أو ملكها، أو التصرف فيها حتى يستحقوا بذلك الشركة في الإلهية»<sup>(٢)</sup>.

«فتأويل الكلام إذن: اتنوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب، بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدعون لأهتكم»<sup>(٣)</sup>. والمقصود من الآية «أنه ليس لهم شرك، لا في خلق الأرض، ولا في خلق السماء أي: نصيب، فكيف تعبد مع الله؟! وقوله:

(١) جامع البيان ط هجر (٢١ / ١١١)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٤٠٧)

(٣) جامع البيان ط هجر (٢١ / ١١١)

﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾ أي: بكتاب من قبل القرآن يدل على ما زعمتموه<sup>(١)</sup>. وفي «هذا تبكيت لهم وإظهار لعجزهم وقصورهم عن الإتيان بذلك»<sup>(٢)</sup>. والحاصل أن «الآية تشير إلى أن المشركين كانوا يعتقدون أن لأربابهم شراكة مع الله في ربوبيته، فلذا طالبهم الله بالدليل على صدق ما يزعمون»<sup>(٣)</sup>.

ونحوه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]، قال الطبري: رأيتهم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا، فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة، فإن من حجتي على عبادتي إلهي، وإفرادي له الألوهة، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل، وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: أَمْ لَأَهْتَكُمُ التي تعبدهونها - أيها الناس - شرك مع الله في السماوات السبع،

(١) تفسير السمعي (٥ / ١٤٨)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥ / ١٧)

(٣) كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثي للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص ١٨.

فيكون لكم أيضا بذلك حجة في عبادتكموها، فإن من حجتي على إفرادي العبادة لربي، أنه لا شريك له في خلقها، وأنه المنفرد بخلقها دون كل ما سواه<sup>(١)</sup>.

**قول ابن تيمية نفى الله بالدليل السمعي والعقلي شرك الإلهية**

**والربوبية**

ويقول ابن تيمية: ولهذا نفى سبحانه عن الشرك الطريق السمعي والعقلي ونفى شرك الإلهية والربوبية في مثل قوله: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض..﴾، فطالبهم أولا بالطريق العقلي وثانيا بالطريق السمعي، ونظيره قوله: ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾<sup>(٢)</sup>. اهـ يقصد بالطريق العقلي قوله تعالى «أروني ماذا خلقوا من الأرض» وبالسمعي قوله: «أم آتيناهم كتابا..»، ولكن «لا دليل لكم نقليا ولا عقليا على ذلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع البيان ط هجر (٢١ / ١١٢)

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧ / ٣٩٤)

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧ / ٢٧٤)

فتأمل قول ابن تيمية «نفى سبحانه عن الشرك الطريق السمعي والعقلي، ونفى شرك الإلهية والربوبية»، فهذا إقرار من ابن تيمية ومن تبعه أن الله أقام الحجة على المشركين عقلا وسمعا بأن الله لا شريك له في الخالقية ولا في الإلهية، وهذا بحد ذاته يُبطل الزعم بأن القرآن لم يأت بتوحيد الربوبية! وأن الرسل لم تدعُ الناس إلى الإيمان بأن الله هو الخالق وحده بحجة أن البشر كلهم يسلمون بذلك بحكم الفطرة!

### المطلب الثاني: قوله ﴿فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١٠، ١١]، وسيأتي كلام ابن القيم في هذه الآية<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: «فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه، كما

(١) انظر (ص ٦٢٢) من هذا الكتاب.

استحق ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عدتها عليكم؟»<sup>(١)</sup>.

الجواب عن قول الطبري «ما عبد المشركون الأوثان من أجل أنها تخلق»

فإن قيل: ولكن الطبري نفسه يقول بعد ذلك في نفس الآية: وقوله: ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره: ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئاً، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم، وذهابهم عن سبيل الحق».

قلنا: هذا مجرد اجتهاد من الطبري في تفسير الضلال هنا، وإلا فالآية لا تدل من قريب ولا بعيد على قوله «ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئاً»، بل لو قيل إن معنى الضلال هنا هو أنهم زعموا في آلهتهم الخلق والتدبير، فعبدوها؛ لكان أقرب، بدليل أن الطبري نفسه أقرّ بنحو ذلك في مواضع أخرى، وفيما يلي بعض تلك المواضع:

(١) جامع البيان ط هجر (١٨ / ٥٤٤)

(نصوص الطبري في أن المشركين عبدوا الأصنام لاعتقادهم ضررها ونفعها وتأثيرها)

(١) قال الطبري عند قوله تعالى ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلا بالله وبِعظمتِهِ، وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك<sup>(١)</sup>. اهـ

فتأمل قوله «ولا أن يشركه في خلقه شريك» فهو يعني أن المشركين جهلوا أن الله ليس له شريك في خلقه أي في تخليقه، لا يقال: يقصد بـ«خلقته» مخلوقاته لا المعنى المصدرى للخلق، فيكون المعنى أنهم جهلوا أن الله ليس له شريك في العبادة من مخلوقاته؛ لأننا نقول لو كان الأمر كذلك لقال: «من خلقه»، ومما يؤيد أن الطبري أراد المعنى المصدرى وهو التخليق، هو أنه روى هنا بسنده عن يحيى بن يعمر، أنه قال: (شركاء الجن وخلقهم) بجزم اللام. ثم قال الطبري: بمعنى أنهم قالوا: إن الجن شركاء لله في خلقه إيانا. اهـ يعني أن الجن شاركوا الله في خلقه لنا، أي أن

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٩ / ٤٥٦)، «تفسير ابن كثير - ت

الله والجن خلقوا البشر، هذا بزعم المشركين طبعاً! وإن رجح الطبري القراءة الثانية التي بفتح اللام<sup>(١)</sup>.

(٢) وقال الطبري عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]: إن الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله، وتعبدهونها شركاً منكم وكفراً بالله، ﴿عباد أمثالكم﴾ يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له ممالك. فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتهم، فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر<sup>(٢)</sup>. اهـ

(٣) وقال الطبري أيضاً كما سبق: فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه أتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان<sup>(٣)</sup>. اهـ

(١) حيث قال كما في «جامع البيان - ط دار التربية والتراث» (١١ / ٨): «قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب، قراءة من قرأ ذلك: (وَخَلَقَهُمْ)، لإجماع الحجة من القرأة عليها»

(٢) جامع البيان ط هجر (١٠ / ٦٣٥)

(٣) فتح الباري (٣ / ٤٦٢)

### المطلب الثالث: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ...﴾

قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخُلُقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، قال الطبري: أخلق أوثانكم التي اتخذاها أولياء من دون الله كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهاب عن الصواب؟ فإنه لا يشكل على ذي عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع من الفعل جهل وأن العبادة إنما تصلح للذي يرجى نفعه، ويخشى ضرره.. ثم روى عن مجاهد: «﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه﴾ حملهم ذلك على أن شكوا في الأوثان»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: ولكن قال الطبري نفسه بعد ذلك: وقوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين إذا أقروا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئاً، فالله خالقكم وخالق أوثانكم وخلق كل شيء، فما وجه إشراككم ما لا تخلق ولا تضر<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) جامع البيان ط هجر (١٣/ ٤٩٥)

(٢) جامع البيان ط هجر (١٣/ ٤٩٦)

قلنا: قول الطبري «قل لهؤلاء المشركين إذا أقروا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئاً» ليس فيه أنهم أقروا بذلك فعلاً، لأنه قرنه بأداة الشرط «إذا» فقال: «إذا أقروا بذلك» أي فقل لهم كذا وكذا. ولكن هل أقروا أم لا<sup>(١)</sup>؟ لا دلالة في الآية على أنهم أقروا بذلك<sup>(٢)</sup>، كما في قولنا: إذا أتيتني أكرمتك، فهذا لا يعني أنك أتيت، كما لا يعني أنني أكرمتك، وإنما غاية ما فيه هو تعليق الإكرام على المجيء، والأدلة قائمة من القرآن وغيره على أنهم نسبوا إلى أصنامهم التأثير والضر والنفع كما سبق بسطه في طول هذا الكتاب،

(١) والكلام نفسه يقال في قول القرطبي في تفسيره (١٦ / ٣١٠): (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) أي تستقرون فيه من النصب. (أفلا تبصرون) ما أنتم فيه من الخطأ في عبادة غيره، فإذا أقررتم بأنه لا يقدر على إيتاء الليل والنهار غيره فلم تشركون به. اهـ، فقوله «فإذا أقررتم بأنه لا يقدر على إيتاء الليل والنهار غيره» ليس فيه إقرار فعلي من المشركين بتوحيد الربوبية كما ظن بعضهم، لأن الكلام هنا مقرون بأداة الشرط على ما بيناه أعلاه.

<http://www.ksfy.com/ib/sahab.html> = 43732

(٢) انظر (ص ٦١٨) من هذا الكتاب.

وكما أقر الطبري نفسه بذلك كما رأينا هنا، بل نقلنا نصوص السلفية بالإقرار بذلك<sup>(١)</sup>.

### المطلب الرابع: آيتا الحج والإسراء

أما آية الحج فهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وهذه الآية من الآيات التي أقر ابن تيمية أنها تتضمن دليلا على وجود الله وهو دليل الاختراع كما سبق كلامه<sup>(٢)</sup>. وقال الطبري: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقه جميعها<sup>(٣)</sup>.

وأما آية الإسراء فهي قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] قال البغوي: ﴿إِذَا

(١) انظر (ص ٣٠٨) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ٦٠٨) من هذا الكتاب.

(٣) جامع البيان ط هجر (١٦ / ٦٣٥)

لَا بُتْغُوا ﴿ لطلبوا يعني الآلهة ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ بالمبالغة والقهر  
ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض<sup>(١)</sup>. اهـ.

**المطلب الخامس: الإشكالات الواردة على الآيات السابقة لو قلنا بأنهم  
لا يعتقدون التأثير في أصنامهم**

وحاصل الآيات السابقة سوى آيتي الحج والإسراء: هو نفي أن تكون آلهة المشركين المزعومة قد خلقت شيئاً من الأرض أو السماء، ومحاجة القرآن المشركين في ذلك، وأفادت آية الحج بعدم قدرة آلهتهم المزعومة على مغالبة الله كما سبق، ولا يخلو أن يكون المشركون المخاطبون بهذه الآيات يعتقدون في آلهتهم أنها تخلق وتضر وتنفع وتؤثر وتستطيع مغالبة الله، أو أن المشركين لا يعتقدون في آلهتهم ذلك؛ فإن كان الأول - أي يعتقدون في آلهتهم أنها تخلق وتدبر ونحو ذلك - فالأمر ظاهر، لأن هذا عكس دعواكم، ويكون معنى الآيات هنا الرد على اعتقادهم في آلهتهم أنها تخلق، وذلك بالقول: أنتم تزعمون أن آلهتكم خالقة فأروني مصداق كلامكم، هاتوا لي شيئاً واحداً خلقتة

(١) وأضاف البغوي في تفسيره (٥ / ٩٥): وقيل: معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً بالتقرب إليه. قال قتادة: لعرفوا الله وفضله وابتغوا ما يقربهم إليه. اهـ. وأرى أن المعنى الأول أرجح لموافقته لآية ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

آهتكم المزعومة! وهذا هو حاصل الآيات الثلاث الأولى وهي آية الأحقاف وفاطر ولقمان.

أو بالقول: ما هي الأشياء التي خلقتها آهتكم بحيث تشابه عليكم ما خلقت بما خلقت؟! وهذا ما تفيده آية الرعد، أو بالقول: إن هذه الآلهة مجتمعة لن تستطيع أن تخلق ذبابة كما تفيده آية الحج، أو لماذا لم تغالب آهتكم الله وتزيل ملكه كما تفيده آية الإسراء.

وهذا كله ردّ عليهم وإبطال لقولهم بأن آهتهم خالقة أو قادرة، ولا يرد هنا اعتراض قط على هذه الآيات، لأن معناها هكذا يكون سليماً لا إشكال فيه، بخلاف ما إذا قلنا إنهم لا يعتقدون في آهتهم الضر والنفع والخلق والتدبير فهكذا سيرد على الآيات السابقة إشكال بل ربما إشكالات كما سيأتي.

(قول ابن القيم: إن زعموا أن آهتهم خلقت شيئاً مع الله طولبوا بأن يروه إياه)

وابن القيم يقرر نحو ذلك، فيقول: ومن ذلك قوله تعالى «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه»، فله ما أحلى هذا اللفظ وأوجزه وأدله على بطلان الشرك فإنهم إن زعموا أن آهتهم خلقت شيئاً مع الله طولبوا بأن يروه إياه، وإن اعترفوا بأنها أعجز وأضعف

وأقل من ذلك: كانت إلهيتها<sup>(١)</sup> باطلا ومحالا، ومن ذلك قوله تعالى «قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض»، فطالبهم بالدليل العقلي والسمعي<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقال العمراني: وكقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقَ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ..﴾ ﴿فَأَثَبَ الْخَلْقَ لِنَفْسِهِ وَنَفَى الْخَلْقَ عَنْ غَيْرِهِ ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فوصف من أثبت الخلق لغير الله سبحانه بالظلم وأنهم في ضلال مبين﴾<sup>(٣)</sup>. اهـ

وأما إن كان المراد المعنى الثاني؛ أي إن كان المشركون المخاطبون بتلك الآيات لا يعتقدون الخالقية ولا الضر ولا النفع في آلهتهم، وإنما يعتقدون أن ذلك لله وحده كما يقول ابن تيمية في نظريته في تقسيم التوحيد، فهنا إشكال واعتراض قوي؛ حاصله: أن هذه الآيات الستة وأمثالها لا فائدة منها حينئذ، إذ يمكن أن يعترض عليها المشركون ويقولوا للنبي: ومن قال لك أننا ندعي أن آلهتنا خالقة حتى

(١) ضُبِطَتْ «إلهيتها» في «الصواعق المرسلّة - ط عطاءات العلم» (١ / ٢٣٢) هكذا: «كانت إلهيتها باطلاً ..». وفي «الصواعق المرسلّة - ط العاصمة» (٢ / ٤٦٥): «كانت آلهتها ..»، ونقلها السعدي عن الصواعق المرسلّة في «حقيقة المثل الأعلى وآثاره» (ص ٨٩): «كانت إلهيتها باطلة ومحالة» وهذا أصح. والله أعلم

(٢) الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة (ص: ٢٨٧)

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢ / ٣٨٧)

تطالبنا بأن نأتيك بمثال على خلق آلهتنا له؟! ألم تسألنا عمن خلق  
السموات والأرض فأجبتنا بأنه الله؟ فلماذا تفترض أننا ندعي في آلهتنا  
الخالقية؟ وإنما نقول بأنها شفعاء لنا عند الله ليقضي حوائجنا الدنيوية  
بجهاها.

بل لقالوا له يبدو أنك لا تعلم لغتنا جيدا فكيف نتحدانا بها؟!  
فلغتنا العربية تفرّق بين الإله والرب، إذ الإله فيها هو المعبود، والرب  
هو الخالق، ونحن اتخذنا الأصنام آلهة لنعبدها، ولم نتخذها أربابا ندعي  
فيها الخلق والتدبير؟ ولقالوا أيضا: إنك لا تعلم عقيدتنا بالضبط،  
فكيف ترد علينا؟ فإنك تأتينا بالبرهان تلو البرهان على أن الله هو  
الخالق وحده، ونحن لا ننازع في ذلك أصلا. أليس هذا الجواب أو  
الاعتراض هو المتعين من المشركين؟!

لو كان المشركون يعتقدون أن آلهتهم خالقة لادعوا لها حين قيل  
لهم أروني ماذا خلقوا

قد يقال: نقلب عليكم الآية السابقة، فنقول: لو كان المشركون  
يعتقدون أن آلهتهم خالقة، لقالوا حين قيل لهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾  
[الأحقاف: ٤]: «إن آلهتنا خلقت السموات والأرض والإنس

والجن»، تماما كما ادعى نمرود الإحياء والإماتة معارضةً لسيدنا إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ولما لم يُجب المشركون ولم يدعوا أن آلهتهم خلقت شيئا من السماوات والأرض دَلَّ ذلك على أنهم سلّموا بأن آلهتهم لا تخلق شيئا، وإلا لأجابوا النبيّ وأتوا بمثال واحد خلقتهم آلهتهم المزعومة ولا سيما أنّ الله تحداهم ان تخلق تلك الأصنام ذبابة ولو اجتمعت كما سبق بيانه.

قلنا: هذا غير مسلّم، إذ لا يلزم من عدم جوابهم للنبي بأن آلهتهم خلقت كذا وكذا أنهم سلّموا بأنها لا تخلق، غاية ما في الأمر أنهم بهتوا بهذه الحجة، وإلا لاعترضوا على النبي، تماما كما بهت النمرود في آخر المطاف حين قال له سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فلم يجر النمرود جوابا فيها!

**المطلب السادس : كونهم بهتوا بحجج القرآن على توحيد الخالقية لا**

**يعني أنهم سلّموا بها**

فإن قلت: سلمنا أن المشركين كانوا يعتقدون في آلهتهم الخلق والضر والنفع، ولكن حين واجه القرآن المشركين بتلك الحجج والأدلة العقلية السابقة على أن أصنامهم لا تخلق ولا تضر ولا تنفع، بهتوا بهذه الحجج، ويبدو أنهم سلموا بها، لأنهم لم يعترضوا على النبي ولم يردوا على الآيات التي تلاها عليهم في ذلك؛ فهذا يعني أنهم عدلوا عن اعتقادهم الضر والنفع والخالقية في أصنامهم، ولكن بقي شركهم متمثلاً في الاستشفاع بالأصنام، وهذا يدل على أن الاستشفاع بها هو شرك بحد ذاته ولو لم يقترن باعتقاد الخلق والضر والنفع فيها، فهذا ما نقوله وهو أن توحيد الربوبية لا يكفي ما لم يقترن بتوحيد الألوهية.

قلنا: قولكم أنهم حين «بهتوا بهذه الحجج سلموا بها...»: غير صحيح، لأنه لا تلازم بين كونهم بهتوا بهذه الحجج وبين كونهم سلموا بها، بل ثمة فرق بين أن يبهتوا بالحجة وبين أن يسلموا بها، مع أن كلا الأمرين يعني عدم الجواب وعدم الاعتراض وعدم الرد، والفرق بينهما أن من يسلم للخصم بالحجة يدعن له فيترك مذهبه وينتقل إلى مذهب الخصم، وأما من يبهت بالحجة ولا يدعن لها فهذا يبقى مُصراً على مذهبه عنادا واستكبارا كما حدث مع النمرود فإنه بهت ولكن لم يؤمن.

(وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)

وهذا يحدث في كثير من المناظرات حيث يُبْهت أحد الخصمين من حجج خصمه دون أن ينتقل إلى مذهبه؛ وذلك لأن الأول - وهو المدّعون لحجة الخصم - كان يبتغي الحق من الجدل والمناظرة فلما تبين له ذلك سلّم به وآمن، وأما الثاني وهو الذي يبْهت بالحجة دون أن يدّعن لها فهو أصلاً لا يريد الحق من المناظرة، وإنما يريد التغلب على خصمه فحسب<sup>(١)</sup>، وذلك بالجدال ولو بالباطل كما قال تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦]<sup>(٢)</sup>، أي «ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل.. ليطلوا به الحق ويزيلوه ويذهبوا به»<sup>(٣)</sup>، ومن كان هذا شأنه لا يرجع إلى الحق مهما استبان له ومهما قطعه خصمه، بل سيصرّ غالباً على مذهبه

(١) ولذا قال طاش كبرى زاده في منظومة آداب البحث والمناظرة: المناظرة

هي النظر من جانبي خصمين .. معلل وسائل اثنين

في نسبة بينهما حكمية .. ليظهر الصواب والخفية

انظر : منظومة طاش كبرى زاده ضمن مجموع المتون الكبير (ص: ٥٤٨) ،  
و«المناظرات العقديّة لشيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٣٤)، هيثم الحمري، دار النصيحة  
- الرياض، ط ١ / ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

(٢) وكذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]

(٣) جامع البيان ط هجر (١٥ / ٣٠٢)

الباطل عنادا ومكابرة، وذلك لأن قصده من المناظرة ليس البحث عن الحق لا تباعه والالتزام به، وإنما كان قصده التغلب على خصمه بشتى الوسائل، غاية ما في الأمر أنه إذا بهت قد يتوقف عن المجادلة عجزا لا تسليما ولا إذعانا، أي لعجزه عن الجواب لا تسليما بحجة خصمه، وبين المقامين فرق كما ترى.

وهذا بالضبط ما حدث بين سيدنا إبراهيم الخليل والنمرود كما سبق، وهو ما حدث أيضا مع سيدنا محمد وسائر الرسل مع أقوامهم، فالرسل أقاموا حجة الله البالغة على أقوامهم كما قال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ومع ذلك فقد بقي كثير من المشركين مصرين على كفرهم وشركهم استكبارا وحسدا كما قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وهذا بيناه في موضع آخر<sup>(١)</sup>.

**لما بهت المشركون افتروا على الرسول وعلى القرآن**

(١) وذلك في المجلد الرابع.

ثم لما بُهت المشركون والكفار من كل الأمم بحجج الرسل القاطعة اعتذروا بأنهم هكذا وجدوا آباءهم وهم على آثارهم مقتفون، وقالوا عن الحق الذي جاءهم: سحر، وتارة قالوا عنه: كهانة، وأخرى قالوا: أساطير الأولين، وأنه: شعر، والآيات في ذلك كثيرة كما بسطناه في موضعه<sup>(١)</sup>، منها: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) .. وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٣٠]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ كَيْدُ لُؤْلُوكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿﴾ [الأنعام: ٢٥].

### عناد فرعون وإذعان سحرته لنبوة موسى عليه السلام

وهذا ما نراه واضحا لدى فرعون وسحرته حين جاءهم موسى عليه السلام بالبينات، فسلم بها السحرة وأذعنوا فأمنوا بموسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْقَىٰ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ [الشعراء: ٤٥ - ٤٧]، ولم يُسلم بها فرعون ومن بقي معه بل كابروا،

(١) وذلك في المجلد الرابع من نقض نظرية التوحيد عند ابن تيمية.

على الرغم من أنهم بهتوا بها واستيقنوا صدقها كما في قول الله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٢ - ١٤]، قال الطبري: فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا، يعني أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته، وهي الآيات التسع .. ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق، ومعرفتهم به<sup>(١)</sup>. اهـ

### «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ»

وهذا أيضا كأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون صدق سيدنا محمد، ولكنهم لم يؤمنوا به عنادا واستكبارا ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، لذلك فرّق العلماء بين الإيمان بالله ورسوله وبين العلم والمعرفة بذلك، فالإيمان يقتضي الإذعان، والعلم لا يقتضي ذلك، وقد بيّنت في كتابي «ولئن سألتهم» أن الإيمان ما لم يقترن بالإذعان

(١) جامع البيان ط هجر (١٨ / ٢٢)

والخضوع والتسليم والانقياد لا يسمى إيماناً أصلاً، كما قرر ذلك العلماء وفيهم ابن تيمية وأتباعه، وقد سردت نصوصهم في ذلك<sup>(١)</sup>.  
وعليه فالمشركون كانوا يبهتون بالحجج التي يوردها النبي عليهم سواء في بطلان ألهتهم، أو في وحدانيته تعالى، أو في صدق النبي، وكون القرآن من عند الله، ومع ذلك كانوا يصرون على باطلهم، وهذا لا يستلزم أنهم أذعنوا للنبي وإلا لكانوا آمنوا به.

### المطلب السابع: أدلة قرآنية أخرى على الوحدانية والنبوة والبعث وعناد المشركين لها

وإليك طائفة أخرى من الآيات التي فيها أدلة عقلية على وحدانية الله وصدق النبي، وأنه ليس بساحر ولا شاعر، وأن القرآن هو من عند الله لا من قول البشر، وأن الله قادر على البعث وإحياء الموتى، وقد تضمنت أيضاً ردوداً على شبهاتهم وافتراءاتهم في هذه الأمور:

(١) قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١] فقلوه تعالى «إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ

(١) انظر: ولئن سألتهم ص ٤٥٣.

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» هو برهان على أن الله لا ولد له ولا خالق معه.

(٢) وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿يس: ٧٨، ٧٩﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، فما تحته خط وهو قوله «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»، وقوله «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» دليل عقلي على إحياء الموتى وإمكان البعث والنشور.

(٣) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، «قال المفسرون: إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي كان بين ظهرهم غلام لبعض بطون قريش قيل اسمه بلعام... فردّ الله عز وجل عليهم ذلك الافتراء بقوله تعالى: ﴿لسان الذي...﴾ أي: فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني

إسرائيل، كيف يتعلم من رجل أعجمي، لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل»<sup>(١)</sup>.

(٤) وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩، ٧٠]، ففي الآية «ردُّ قولهم - عن القرآن - شعر وكهانة»<sup>(٢)</sup>، «أي: ما يتسهّل له ذلك، وما كان يتزن له بيت من شعر، حتى إذا تمثّل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا»<sup>(٣)</sup>.

(٥) وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨] أي «إن كان كما تقولون أني اختلقته وافتريته، فإنكم مثلي من العرب، ولساني وكلامي مثل لسانكم، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن ... فإن لم تفعلوا ذلك فلا شك أنكم كذّبة في زعمكم أن محمدا افتراه؛ لأن محمدا لن يعدوا أن يكون بشرا مثلكم، فإذا عجز الجميع من

(١) معارج القبول (١/ ٢٨١) وانظر: الدر المنثور للسيوطي، ط/ هجر (٩/ ١١٥).

(٢) معارج القبول (١/ ٢٨٢)

(٣) تفسير البغوي - طيبة (٧/ ٢٦)

الخلق أن يأتوا بسورة مثله، فالواحد منهم عن أن يأتي بجميعه  
أعجز»<sup>(١)</sup>.

(٦) وكذا قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ  
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّا  
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ  
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤] «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد  
صلى الله عليه وسلم كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم به ودلالة  
على صحة نبوتك، هذا القرآن من سائر الآيات غيره، إذ كانت  
الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه، لعجز جميع الخلق  
عن أن يأتوا بمثله... . فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون  
الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات... . فاعلموا  
وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم  
الله وإذنه، وأن محمدا لم يفتريه، ولا يقدر أن يفتريه»<sup>(٢)</sup>

(٧) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠] فهذه الآية فيها إقامة البرهان على

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٢ / ١٨٢)

(٢) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٢ / ٣٤٣)

صدق القرآن، وأنه من عند الله ردا على المشركين المشككين بصدق القرآن، فمعناها «قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين»<sup>(١)</sup> كيف «وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء قبلي، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به»<sup>(٢)</sup>، فمثلا شهد «موسى بن عمران عليه السلام على مثله، يعني على مثل القرآن، قالوا: ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة»<sup>(٣)</sup> فتضمن «القرآن من المعاني الموجودة في التوراة المطابقة له من إثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك»<sup>(٤)</sup>.

٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ .. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)﴾ [سبأ: ٣ - ٦]، وفي هذه الآيات برهان على صحة البعث والنشور في اليوم الآخر.

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٢١ / ١٢٤)

(٢) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٧ / ٢٧٨)

(٣) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٢١ / ١٢٤)

(٤) «فتح القدير للشوكاني» (٥ / ٢٠)

إذ المعنى «ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم .. استهزاء بوعدك إياهم، وتكذيبا لخبرك، قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسما به لتأتينكم الساعة»<sup>(١)</sup>، «ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. أي: إتيان الساعة فائدته جزاء المؤمنين بالثواب، والكافرين بالعقاب»<sup>(٢)</sup> أو «لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين»<sup>(٣)</sup>.

(٩) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وفيها برهان صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق ما جاء به من عند ربه، فمعناها «ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان»<sup>(٤)</sup> اللذين

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (١٩ / ٢٠٩)

(٢) «فتح القدير للشوكاني» (٤ / ٣٥٨)

(٣) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٦ / ٤٩٥)

(٤) المراد بعدم معرفته صلى الله عليه وسلم بالإيمان أي بشرائع الإيمان كما قال كثير من المفسرين، جاء في «تفسير البغوي - طيبة» (٧ / ٢٠١): ﴿ما الكتاب ولا الإيمان﴾ يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال ابن خزيمة: «الإيمان» في هذا الموضع: الصلاة، ودليله: قوله عز وجل: «وما كان الله ليضيع إيمانكم». وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد

أعطيناكما .. ولكن جعلنا هذا القرآن .. ضياء للناس، يستضيئون  
بضوئه الذي بين الله فيه .. مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن  
النار النجاة»<sup>(١)</sup>.

(١٠) ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ  
يُصَدِّكُمْ عَمَّا كَانِ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) وَمَا  
آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾  
[سبأ: ٤٣، ٤٤]، قال القرطبي: أي لم يقرؤوا في كتاب أوتوه  
بطلان ما جئت به، ولا سمعوه من رسول بعث إليهم، كما قال:  
«أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون»، فليس لتكذيبهم  
وجه يتشبه به ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا

الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه». اهـ وانظر نحوه في «تفسير  
السمعاني» (٥ / ٨٨)، وجاء في «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٦ /  
٥٩): معنى الإيمان في هذه الآية شرائع الإيمان ومعامله، ذكره الثعلبي. وقيل: تفاصيل  
هذا الشرع.. وقال بكر القاضي: ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام. قال: وكان  
قبل مؤمنا بتوحيده، ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدرها قبل.. وقال ابن خزيمة:  
عنى بالإيمان الصلاة.. فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص. وقال الحسين بن الفضل:  
أي ما كنت تدري ما الكتاب ولا أهل الإيمان. اهـ

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٢٠ / ٥٤٢)

مبطلين: نحن أهل كتاب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل  
الله<sup>(١)</sup>. اهـ

### كيف ردّ القرآن عليهم حين قالوا (لو نشاء لقلنا مثل هذا)

(١١) «وردّ عليهم تعالى في قولهم ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١] بقوله عز وجل ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ كَلَهُ وَبَانَ كَذِبُهُمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤]<sup>(٢)</sup>.

ففي كل هذه الآيات وأمثالها براهين عقلية قاطعة أقامها الله على المشركين، يبين فيها وحدانيته وقدرته على البعث، وأن اليوم الآخر حق، وأن القرآن من عنده، وأن النبي صادق وليس بشاعر ولا كاهن ولا ساحر، إلى غير ذلك من العقائد الإيمانية التي أثبتها تعالى بالأدلة

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٧ / ٣٢٧)

(٢) معارج القبول للحكمي (١ / ٢٨٢)

العقلية القاطعة، وعدم ردّ المشركين عليها لا يعني أنهم أذعنوا لها أو آمنوا بها، بل ظلّوا على عنادهم واستكبارهم عن قبول الحق فطبع على قلوبهم، وضاعف من عذابهم عند الله، كما دل على ذلك آيات كثيرة منها نسوق بعضها في المطلب التالي.

### المطلب الثامن: آيات تبين عنادهم واستكبارهم عن قبول الحق بعد إقامة الحجة عليهم

(١) قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿٤٢﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣]

(٢) قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَتَنَا لَتَارِكُوا آهْلِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿[الصفات: ٣٣ - ٣٨].

(٣) وقال ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٤) وقال: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٥) وقال: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ [نوح: ٧].

**ليس للمشركين حجة على عبادتهم للأصنام سوى التقليد  
لآبائهم ولذا عاندوا حجج القرآن**

إذن كان المشركون يُبهتون من حجج القرآن التي يقدمها في التوحيد والنبوات والمعاد، ولكن مع ذلك كانوا يعاندون، فقط لأن ذلك يخالف ما كان عليه آباؤهم الذين هم لآثارهم مقتفون، أي أن تقليدهم لآبائهم هو السبب في تركهم للحق والهدى، فإن هؤلاء المشركين اتخذوا أصنامهم آلهة وأربابا من دون الله، لا بناءً على بحث عقلي أو مقدمات منطقية أو أدلة عقلية، بحيث لو أعادوا النظر فيها، وتبين لهم أو بيّن لهم خطأ تلك الأدلة والمقدمات: رجعوا عما ادعوه في أصنامهم من أنها آلهة وأرباب لها التدبير والشفاعة، ولكنهم ادعوا أنها آلهة وأرباب وعبدها تقليدا محضا لآبائهم، ولذا لم يلتفتوا إلى البراهين القرآنية العقلية التي تبطل معتقداتهم في الأصنام تمسكا بما وجدوا عليه

آباءهم؛ لذلك قرّعهم الله بسبب هذا التقليد الأعمى لآبائهم في آيات كثيرة، كما سيأتي.

وفي ذلك يقول ابن الجوزي في تليس إبليس تحت عنوان ذكر تليسه على الجاهلية: «ذكرنا كيف لبس عليهم في عبادة الأصنام ومن أقبح تليسه عليهم في ذلك تقليد الآباء من غير نظر في دليل كما قال الله عز وجل «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...» (١)». اهـ.

ولنسرّد طائفة من الآيات في ذلك:

(١) قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣].

(٢) وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

(١) تليس إبليس (ص: ٤٠٢) / ط دار الوطن

(٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا لَنَا آيَاتٍ وَلَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

(٤) ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٩ - ٢٣].

### اتخاذ المشركين للأصنام كان لأسباب قومية

(٥) قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، أي «جعلوا الأوثان التي يعبدونها من دون الله رموز مودة بينهم، نظير الشعارات والأعلام التي تتخذها الشعوب رموزاً لوحدتهم القومية، أو وحدتهم الوطنية إلا أنهم أضافوا إلى هذه

الرمزية تقديسها وعبادتها من دون الله»<sup>(١)</sup>، و«إن ألهتهم التي اتخذوا لها أوثانا يعبدونها ويقدمونها قد كانت بمثابة رموز رباط وحدة قومية تجمع أفرادهم على مودة، توجب عليهم التعاون والتناصر وكل ما تقتضيه الأخوة بين جماعة ذات كيان واحد»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذه الآيات وغيرها نرى كيف أن الله كان يذم المشركين بسبب تقليدهم لأبائهم في الشرك، وكان يقيم لهم الأدلة العقلية على أن هذه الأصنام إنما هي حجارة صماء لا تضر ولا تنفع، ولا تستحق أن تتخذ أربابا أو آلهة من دون الله، وأن مجرد اتخاذ آبائهم لها لا يصلح دليلا على صحتها، لا سيما أن آباءهم كانوا جهالا لا يعلمون شيئا ولا يهتدون.

### أعظم أصول دين المشركين هو التقليد لأبائهم عند النجدي

وقد قرر ما سبق ابنُ عبد الوهاب، فقال وهو يعدد مسائل الجاهلية: الرابعة: أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم.. ثم سرد الآيات

(١) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص ٩٣

(٢) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص ٩٢

السابقة في ذم تقليدهم لأبائهم<sup>(١)</sup>. قال أحد شراح كتابه وهو شكري الألويسي: «يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في رتبة التقليد، لا يُحْكَمون لهم رأياً، ولا يُشغَلون فكرياً؛ فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان»<sup>(٢)</sup>. اهـ

### المبحث السادس:

#### آيات تدعو إلى الإيثار بالله أو بربوبيته وإليك بعضها:

مما يدل على أن المشركين غير موحدين في الربوبية أن الله تعالى دعاهم إلى الإيثار به و بربوبيته، ولو كانوا مؤمنين بربوبيته موحدين فيها كما تزعمون لما دعاهم إلى ذلك، لأنه سيكون تحصيل حاصل، وإليكم بعض الآيات في ذلك:

الآية الأولى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٧، ٨].

(١) مسائل الجاهلية لابن عبد الوهاب (ص: ٨)

(٢) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت علي مخلوف (ص: ٢٣)

الآية الثانية: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الآية الثالثة: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تنقض ادعاء ابن تيمية وأتباعه من أن الرسل لم تدعُ الناس إلى الإيمان بالله أو بربوبيته بحجة أنه أمر ضروري فُطر عليه الناس كافة كما سبق أن نقلنا كلامه في ذلك مراراً<sup>(١)</sup>، وقد خصصت فصلاً في كتابي الكبير لنقض هذه الدعوى، وسيطع في كتاب مستقل لاحقاً بحول الله<sup>(٢)</sup>.

### المبحث السابع:

#### الآيات التي تبسط البراهين على وجود الله وترد على المشركين

فلدينا في القرآن آيات كثيرة تقيم الدليل على وجود الله وأنه الخالق وحده، وترد على المشركين شبهاتهم في ذلك، وهذا يدل على أن المشركين كانوا يمتازون في وجود الله أصلاً، فضلاً عن أنهم يشركون في ربوبيته ويتخذون أرباباً كثيرة، وفيما يلي بيان ذلك في مطالب:

(١) انظر (ص ٩٨) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ١٤٨) من هذا الكتاب.

## المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك

وهي في الواقع آيات كثيرة، نذكر منها:

### الآية الأولى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ»

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، يقول ابن تيمية في معرض استدلاله على وجود الله: هذا الوجود المشهود، إما أن يكون موجودًا بنفسه، وإما ألا يكون. وإذا كان موجودًا بنفسه، فإما أن يكون قديمًا - وهو القسم الذي تقدم بيان تناقض أصحابه - وإما أن يكون محدثًا بنفسه، فيقال: هذا القول أظهر فسادًا وتناقضًا؛ فإنه من المعلوم بالفطرة البديهية، أن المحدث قبل أن لم يكن لا يتصور أن يحدث عن غير محدث، ولا أن يحدث نفسه. فلا يكون الشيء صانعًا لنفسه، لا مصنوعًا لنفسه، ولا يكون أيضًا علة غائية لنفسه، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ قالوا: من غير خالق لهم، قال

جبير بن مطعم: لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية في صلاة المغرب أحسست بفؤادي قد انصدع<sup>(١)</sup>. اهـ  
(لو كان جبير بن مطعم موحدًا في الربوبية ما انصدع فؤاده لآية أم خلقوا من غير شيء)

لاحظ كيف أن ابن تيمية نفسه يقر بأن جبير بن مطعم كاد ان ينصدع فؤاده حين فهم من الآية الدليل القاطع على وجود الله الخالق، فلو كان مؤمنًا بتوحيد الخالقية هل كان سيحدث معه ذلك؟ لو كان موحدًا في الربوبية ما انصدع فؤاده ولا تحركت فيه شعرة! بل على العكس لازداد طمأنينة بما هو مؤمن به أصلاً كما هو مفترض، وهذا شأن أي إنسان يجد مزيداً من الأدلة على ما يؤمن به فيزداد إيماناً ويطمئن أكثر، ولذا طلب سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أن يرى كيفية إحياء الموتى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمئنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ قال الضحاك وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم: معنى ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾: «ليزداد يقيناً»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً قتادة وسعيد بن جبير

(١) بيان تليس الجهمية (١ / ٤٨٢)

(٢) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر «٤ / ٦٣١»

والربيع، واللفظ لقتادة: «وأراد نبي الله إبراهيم ليزداد يقينا إلى يقينه»<sup>(١)</sup>، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: «لأزداد إيمانا مع إيماني»<sup>(٢)</sup>.

### الآية الثانية: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»

وتضمنها الأدلة على وجوده تعالى كما قال ابن القيم والشوكاني

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] «والمراد: ذات السموات والأرض وصفاتها واختلاف الليل والنهار أي: تعاقبها، وكون كل واحد منهما يخلف الآخر، وكون زيادة أحدهما في نقصان الآخر، وتفاوتها طولا وقصرا، وحرا وبردا، وغير ذلك لآيات أي: دلالات واضحة، وبراهين بينة، تدل على الخالق سبحانه»<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر ابن القيم أن هذه الآية هي من الآيات التي يدعو الرب تعالى عباده في القرآن إلى معرفته عن طريق النظر في مفعولاته إذ هي «دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات فإن المفعول يدل على فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيبته وعلمه لاستحالة

(١) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٤ / ٦٣١)

(٢) «تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر» (٤ / ٦٣٢)

(٣) فتح القدير للشوكاني (١ / ٤٧٠)

صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة»<sup>(١)</sup>. وقد سبق قول ابن تيمية في آية البقرة المشابهة لهذه الآية: «وفي ذلك دليل على أن صانع العالم قادر حكيم عالم خبير»<sup>(٢)</sup>.

### الآية الثالثة: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

وما فيها من دلالة على وجود الله عند ابن تيمية وغيره

قال الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

[الغاشية: ١٧]، قال ابن تيمية نقلا عن أحد الحنابلة<sup>(٣)</sup>: (وأما حاجتنا في حصول المعرفة بمجرد العقل فقولته تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وقال في موضع آخر ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وقال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٢٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢/١٩٧٣ م. وانظر أيضا: إتحاف الخلق بمعرفة الخالق ص ٢٤٩، للشيخ عبد الله آل جار الله، الرياض ١٤١٢ هـ.

(٢) بيان تلبس الجهمية (١/ ١٨١) انظر (ص ٦٠٧) من هذا الكتاب.

(٣) هو كما ساه ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٢٥): أبو الفرج صدقة ابن الحسين البغدادي الحنبلي في كتابه محجة الساري في معرفة الباري.

الحق ﴿ فهذا كله دعوة إلى الدلائل العقلية وهو التأمل في الآيات الدالة على حدوث العالم وقدم الصانع ﴾<sup>(١)</sup>. «وكل من وقف على آثار صنعته بنور عقله، يقع له العلم بوجود الصانع. إذ لا يتصور مصنوع بلا صانع، ولا مخلوق بلا خالق) .. فوجه دلالة الإنسان من نفسه على الله تعالى أنه قد كان نطفة، ثم تقلبت به الأحوال إلى أن انتهى إلى حال الكمال، فلا بد لهذا التنقل والتغير من مغير<sup>(٢)</sup>. «.. فصحَّ أن للإنسان فاعلاً مخالفاً له، وهو الله تعالى)»<sup>(٣)</sup>.

و«الاستدلال بحدوث الإنسان فإنها حجة صحيحة وهي من الحجج التي دل عليها القرآن وأرشد إليها»<sup>(٤)</sup>. وقد «نبَّههم في كتابه على الاستدلال به على ربوبيته فقال: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ .. (وقال: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾، وقوله: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات﴾، وما أشبه ذلك مما يدل على إثبات الصانع)»<sup>(٥)</sup>. وهذه من «الآيات التي تضمنت دلالة

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ / ٢٧)

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٨ / ٣١)

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٨ / ٣٣)

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ / ٣٥)

(٥) «درء تعارض العقل والنقل» (٨ / ٣٤٨) نقلاً عن الخطابي.

الاختراع فقط»<sup>(١)</sup>، «ومن سنة العربي أن يركب راحلته فيسير عليها فيما قرب من الأرض باغياً حاجته .. فإذا تأمل هذه الأشياء استبان فيها أثر الصنعة ولطف الحكمة - مما جمع الله له من المرافق فيها- أن صانعها لطيف خبير، عالم قدير، حكيم عليم. وقد قيل: إن الإبل خصت بالذكر من بين سائر الحيوان، وذلك أن الأنعام ضرورها أربعة: حلوبة، وركوبة، وأكولة، وحمولة. والإبل تجمع هذه الخلال كلها<sup>(٢)</sup>. وفي ذلك إشارة إلى ما فيها من آثار الصنعة، ولطف الحكمة، الدالين على جود الصانع الحكيم..<sup>(٣)</sup>، بحيث «إذا تأملها صحيح التأمل والنظر وجدها مؤسسة على غاية الحكمة .. وينادي عليها: هذا صنع العليم الحكيم وتقدير العزيز العليم»<sup>(٤)</sup>.

ولذا ذكر الله «ما نصب من الدلائل كيف لم تغن؟! فقال: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت.. «أى أفلا يعتبرون بكل ذلك ويستدلون على الصانع»<sup>(٥)</sup>، «وكانوا يسرون على الإبل منفردين

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٩ / ٣٢٨)

(٢) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (١ / ٥٠٧)

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٧ / ٢٩٩)

(٤) «الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطلة» (٤ / ١٥٦٦)

(٥) «البرهان في تناسب سور القرآن» (ص ٣٦٢)، لأبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت

مستوحشين عن الناس، ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره، فقد ينظر في مركوبه، ثم يمد بصره إلى السماء ثم إلى الأرض. فأمرُوا بالنظر في هذه الأشياء، فإنها أدل دليل على الصانع المختار القادر»<sup>(١)</sup>.

### الآية الرابعة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ..﴾

يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، قال ابن كثير: «أي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جليلة كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد، وليس وجوده من نفسه، ولا مستندا إلى شيء من المخلوقات، لأنه بمثابة فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء، ولهذا قال المؤمن: لكننا هو الله ربي، أي لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية»<sup>(٢)</sup>.

### الآية الخامسة: ﴿إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠ / ٣٦)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩ / ١٣٧)

قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، أي «لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إله بخلقه، واستبدَّ به، وامتاز ملكه عن ملك الآخر، ووقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب، ولعلا بعضهم على بعض أي: غلب القوي على الضعيف، وقهره، وأخذ ملكه، كعادة الملوك من بني آدم، وحيثئذ فذلك الضعيف المغلوب لا يستحق أن يكون إلهًا»<sup>(١)</sup>.

«فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل، وحيثئذ فلا يرضى شركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره وتفردته بالإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به.. وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي.. وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد: من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره كما دل دليل التمايز على أن خالقه واحد لا رب له غيره»<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٨٧)

(٢) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة (ص: ١٨١)

فدلت الآية على أن الشرك في الربوبية واقع بين البشر «كقول بعض المشركين: إن ثم خالقا خلق بعض العالم، وكما يقول الثنوية من المجوس من النور والظلمة والفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك، ولذلك فقد جاء بيان بطلان هذا النوع من الشرك في القرآن»<sup>(١)</sup>.

### الآية السادسة: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

ونصوصهم في دلالتها على وحدانية الخالق

قال تعالى ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي  
الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، قال الطبري: قل  
يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، السائلين الآيات على صحة ما  
تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: ﴿انظروا﴾ أيها  
القوم ﴿ماذا في السموات﴾ من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم  
إليه من توحيد الله من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها..  
وسائر صنوف عجائبها؛ فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة  
ومعتبرا، ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٤٩ .

شريك ولا له على تدبيره وحفظه ظهير، يغنيكم عما سواه من الآيات<sup>(١)</sup>.

اهـ

فقوله «مِن فِعْلٍ مِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي مَلِكِهِ شَرِيكٌ، وَلَا لَهُ عَلَى تَدْبِيرِهِ ظَهِيرٌ» واضح أن المراد هنا إقامة البرهان على المشركين في توحيد الربوبية، إذ هو أثبت لهم أنه ليس له شريك في ملكه، ولا له على تدبيره ظهير أو معاون، ومعلوم أن التدبير والملك هو عندكم جزء من توحيد الربوبية، ولو أراد توحيد الألوهية لقال: لا يجوز أن يكون في عبادته وألوهيته شريك!

وبالتالي يكون التوحيد الذي سأل المشركون عن صحته في أول كلام الطبري وهو قوله «قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، السائلينك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله» هو توحيد الربوبية وما يتضمنه من الملك والتدبير والسيطرة، وهذا يعني أنهم غير مسلمين به أصلاً، وإلا كيف يسألون عن صحته؟!

ويقول البيهقي معلقاً على هذه الآيات: يعني والله أعلم من الآيات الواضحات والدلالات النيرات، وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد.. وفي هذا دلالة واضحة على أن

(١) جامع البيان ط هجر (١٢ / ٣٠٠)

العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعا حكيمًا تام القدرة بالغ الحكمة .. ثم ينقل عن الخطابي أنه قال في قوله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾: أولم ينظروا فيها نظر تفكر وتدبر؟ حتى يستدلوا بكونها محلا للحوادث والتغيرات على أنها محدثات، وأن المحدث لا يستغنى عن صانع يصنعه على هيئة لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات<sup>(١)</sup>.

وقد أقر بعض السلفية بأن آية يونس هذه إنما جاءت لإثبات وجود الله، وفي ذلك يقول أحمد الغامدي معلقا على الآية وعلى كلام البيهقي السابق: فهذا التكامل التام الذي نجده مودعا في هذا الكون، أرضه وسماؤه، يدل على وجود الخالق الذي أوجده ..<sup>(٢)</sup>.

**قول الشوكاني «ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها»**

**الآية السابعة: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**

«والمعنى: كم من آية .. تدلهم على توحيد الله سبحانه، وأنه الخالق لذلك، الرزاق له المحيي والمميت، ولكن أكثر الناس يمرون على هذه

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٣٨)

(٢) البيهقي وموقفه من الإلهيات للغامدي (ص: ١٢٣)

الآيات غير متأملين لها، ولا مفكرين فيها، ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها، وأنه المتفرد بالألوهية»<sup>(١)</sup>.

فتأمل قول الشوكاني: ولكن أكثر الناس يمرون على هذه الآيات غير متأملين لها، ولا مفكرين فيها، ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها. اهـ ففيه نصّ على أن أكثر الناس لا يلتفتون إلى أدلة وجود الله، وهذا يفضي إما إلى ضعف الإيـان به تعالى بأن يؤمن المكلف تقليداً، أو ربما يفضي إلى الإلحاد وإنكار وجوده تعالى أصلاً ما دام أنه لم ينظر في أدلة وجوده تعالى!

**الآية الثامنة: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾**

أي وهم «عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكماله قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة»<sup>(٢)</sup>، «وهم عن شمسها وقمرها ونجومها وغير ذلك من آياتنا، معرضون عن التفكير فيها، وتدبر ما فيها من الحجج والدلائل

(١) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٧٠)

(٢) «تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٤ / ٥٠)

على توحيد الله وقدرته»<sup>(١)</sup>، ولو تدبروا فيها «لعلموا أن لها صانعا قادرا واحدا فيستحيل أن يكون له شريك»<sup>(٢)</sup>.

والحاصل أن المشركين «يعرضون عن التفكير فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلالاتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها، ولا تصلح إلا له»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نكون سردنا ثماني آيات، وثمة آيات كثيرة مثلها تثبت وجود الله بالأدلة العقلية، وهذه الآيات موجهة أولاً لمشركي مكة لأن معظمها آيات مكية، وهذا يدل على أن هؤلاء المشركين أو على الأقل قسم منهم منكرون لوجود الله أصلاً، أو على الأقل هم شاكون في وجوده، أو مشركون في توحيد الربوبية، وإلا لما كان لكل هذه الآيات السابقة وغيرها معنى! لأن هذه الآيات تقيم الأدلة العقلية على وجوده تعالى كما أقررتم بذلك، والمفروض أنهم يؤمنون به تعالى ولا ينازعون في وجوده! بل لا ينازعون في وحدانيته في الربوبية والخالقية! وإنما ينازعون في توحيد الألوهية، فيكون ما في تلك الآيات تحصيل حاصل!! هو باطل.

(١) «الهداية الى بلوغ النهاية» (٧ / ٤٧٥٢)

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١١ / ٢٨٥)، ط ٢ / دار الكتب المصرية.

(٣) «جامع البيان - ط دار التربية والتراث» (١٨ / ٤٣٦)

## المطلب الثاني: دعوى أن هذه الآيات من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية

واعترض السلفية فقالوا إن هذه الآيات ليست لإثبات وجود الله للمشركين، وإنما هي من باب الاستدلال بتوحيد الربوبية الذي يقرون به لإثبات توحيد الألوهية الذي ينكرونه، وقد سبق أن نقلنا نصوص السلفية في ذلك<sup>(١)</sup>.

ونزيد هنا فننقل نصوصاً أخرى في ذلك، فمثلاً يقول عبد الرزاق البدر مجيباً عن آيات الغاشية ونحوها هو «أن المقصود بذلك هو التفكير الحامل على إفراده بالعبادة لا على إثبات الخالق لأن هذا معلوم لهم ولأنه لا يكفي، وقد تقدم في كلام ابن كثير رحمه الله قوله: «فإذا كان الأمر كذلك [أي: أن الله الخالق الرازق المدبر] فلم يُعبد غيره؟ ولم يُتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيراً ما يقرّر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية» وهو كثير في القرآن .. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

(١) انظر: (ص ٢١٤) من كتابنا «ولئن سألتهم».

خَلَقَكُمْ .. فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾، أي: فلا تجعلوا شركاء مع الله في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله ﴿٢﴾. اهـ

وينقل بعض السلفية<sup>(٣)</sup> نصوصا عن بعض المفسرين تؤيد ذلك، وهو أن هذه الآيات من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية الذي يقرون به لإثبات توحيد الألوهية الذي ينكرونه، مثل قول الطبري في آية الأنعام: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ..﴾: إن الذي له العبادة أيها الناس دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان، هو الله الذي فلق الحب، يعني: شق الحب من كل ما ينبت من النبات، فأخرج منه الزرع والنوى من كل ما يغرس مما له نواة<sup>(٤)</sup>. اهـ

ونحوه قول الطبري في آية يوسف ﴿يَمْرُونَ عَلَيْهَا﴾ يقول: يعاينونها فيمرون بها معرضين عنها، لا يعتبرون بها، ولا يفكرون فيها، وفيما دلت عليه من توحيد ربها، وأن الألوهة لا تنبغي إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء فدبرها<sup>(٥)</sup>. اهـ ومثل قول ابن كثير في تفسيره لسورة البقرة: ثم ذكر الدليل على تفردة بالإلهية بخلق

(١) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٦٧)

(٢) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: ٣٦٩)

(٣) جامع البيان ط هجر (٩ / ٤٢٠)

(٤) جامع البيان ط هجر (١٣ / ٣٧٢)

السموات والأرض وما فيها .. «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك..»<sup>(١)</sup>. اهـ

كذا قالوا!! والجواب من وجوه:

الوجه الأول: أن قولكم إن هذا «من باب الاستدلال بتوحيد الربوبية الذي يقرون به لإثبات توحيد الألوهية الذي ينكرونه» مصادرة على المطلوب، لأن هذا مبني على أمرين:

الأول: أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وإلى توحيد الألوهية، وهذا مبني على التباين بين الربوبية والألوهية، بحجة التباين بين ما اشتقا منه وهما كلمتا الرب والإله، وهذا ما نقضناه بالتفصيل وبشكل مسهب في كتابنا «تنوير الرب الإله في دعوى التباين لكلمتي الرب والإله» والحمد لله.

الثاني: أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وهذا ما خصصنا كتابنا هذا لنقضه وإبطاله بأدلة كثيرة، بل نقلنا نصوصا لكم تقرّون فيها بأن المشركين كان توحيدهم في الربوبية منقوصا بل منقوصا<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٣٩)

(٢) انظر (ص ٦٧٨) من هذا الكتاب.

الوجه الثاني: أن المشرك لا تقنعه ولا تردعه هذه الآيات السابقة - كآيات الغاشية ونحوها - عن شركه؛ لأنها تضمنت براهين وجود الله والرد على من أنكر وجوده - كما أقررتم بذلك وقد سبق بيان ذلك مفصلاً<sup>(١)</sup> - والمشرك عندكم مثبت لأصل وجود الله ولا ينكره، فهذا لا يفيد ولا يقنعه كيفية خلق الإبل والسموات والأرض، وأن لها خالقا واحدا وهو الله، لأنه مسلمٌ بذلك كما تزعمون، وإنما الذي يفيد هنا ويقنعه - إن تفكّر - ويردعه عن عبادة الأصنام هو الآيات الأخرى التي تبطل بالأدلة العقلية الفائدة من عبادة الأصنام، وذلك عن طريق إثبات أنها جماد لا تسمع ولا تبصر ولا حول لها ولا قوة ولا تضر ولا تنفع، وعن طريق إبطال شفاعتها ونحو ذلك؛ وقد جاءت آيات كثيرة لهذا الغرض متضمنة براهين كثيرة على بطلان ألوهية تلك الأصنام، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩٤) أَهْمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥]،

(١) انظر (ص ٦٠٧ و ٦٠٨) من هذا الكتاب.

وسوف نسرد العديد من الآيات الأخرى ونسبب الكلام عليها لاحقاً<sup>(١)</sup>.

ونكتفي بالقول هنا: إن القرآن بسط للمشركين أدلة كثيرة على أن أصنامهم لا تضر ولا تنفع ولا تشفع ولا تملك من أمرها شيئاً قط، كل ذلك ليبطل كونها آلهة تعبد من دونه، لأن المشركين ما اتخذوا تلك الأصنام آلهة وأرباباً من دون الله إلا لكونهم اعتقدوا - جهلاً وتقليداً - أن لها القدرة على ضرهم ونفعهم ونصرهم وعزهم كما سبق أن سردنا الآيات الدالة على ذلك<sup>(٢)</sup>، ولولا ذلك لما عبدوها أصلاً كما أقرتم بذلك كما سبق<sup>(٣)</sup>.

فإذا أثبت لهم القرآن أن أصنامهم لا تضر ولا تنفع ولا تملك من أمرها شيئاً أصلاً، وأن تقليدهم لأبائهم باطل؛ لأن آباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون، وإذا اقتنع المشركون بذلك؛ فهم حتماً لن يتخذوها أرباباً ولا آلهة ولن يعبدوها، وسيدخلون في الإسلام، اللهم إلا أن

(١) انظر (ص ٧٠٧) من هذا الكتاب.

(٢) انظر (ص ٣٢٠) من هذا الكتاب.

(٣) انظر (ص ٤٧٤) من هذا الكتاب.

يمنعهم عن ذلك الكبر والحسد ونحو ذلك، وقد بيّنا في كتابنا الكبير أسباب امتناع بعض المشركين عن الدخول في الإسلام<sup>(١)</sup>.

الوجه الثالث: أقر السلفية كابن تيمية وابن القيم أن هذه الآيات جاءت لإثبات وجود الله عن طريق دليل العناية والحكمة، وقد سبقت نصوصهم<sup>(٢)</sup>. ونورد هنا نصوصاً أخرى:

«فلا يتأمل العاقل المستبصر مخلوقاً حق تأمله إلا وجده دالاً على فطره وبارئه وعلى وحدانيته.. وهذه طريقة القرآن في إرشادة الخلق إلى الاستدلال بأصناف المخلوقات وأحوالهم على: إثبات الصانع وعلى التوحيد والمعاد والنبوات»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم: والآيات الدالة للعباد على الله ووحدانيته وصفاته .. ومن نظر في الموجودات ببصيرة قلبه رآها كالأشخاص الشاهدة الناطقة بذلك .. فلا يتأمل العاقل المستبصر مخلوقاً حق تأمله إلا وجده دالاً على فطره وبارئه وعلى وحدانيته وعلى كمال صفاته .. وهذه طريقة القرآن في إرشاده الخلق إلى الاستدلال بأصناف المخلوقات

(١) وهذا ما بسطناه في المجلد الرابع.

(٢) انظر (ص ٦٠٨) من هذا الكتاب.

(٣) «آثار حجج التوحيد في مؤاخذه العبيد» (ص ١٢٩) نقلاً عن بدائع التفسير: (١)

وأحوالها على إثبات الصانع وعلى التوحيد والمعاد والنبوات .. فلو تأمل العاقل الروح وحركتها فقط لاستخرج منها الإيمان بالله تعالى وصفاته .. فقف الآن عند كل كلمة من قوله تعالى: ﴿إِن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .. فهذا كله من الحق .. أن يعرفوا الله تعالى وصفات كماله عز وجل وأن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً<sup>(١)</sup>.

الوجه الرابع: أنه جاء في الكتاب والسنة ما يرد زعمكم السابق وهو أن تلك الآيات هي من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وذلك مثل آيات سورة الطور التي تثبت وجود الخالق، وقول الجبير بن مطعم حينما سمعها كاد قلبي أن يطير! وهذا ما نوضحه في المطلب التالي.

### المطلب الثالث: الكلام عن آية أم خلقوا من غير شيء وقول ابن مطعم كاد قلبي أن يطير منها

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٥، ٣٦]، وهذه الآية موجهة لمشركي قريش لتقييم لهم الدليل على وجوده تعالى، يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن محمد بن جبير بن

(١) «بدائع الفوائد - ط عطاءات العلم» (٤/ ١٥٨٩)

مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ..» كاد قلبي أن يطير<sup>(١)</sup> . اهـ

قال الخطابي: «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفة بما تضمنته فهم الحجة فاستدركها بلطف طبعه .. أي هل خلقوا باطلا لا يؤمرون ولا ينهون، وقيل المعنى أم خلقوا من غير خالق، وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد والبطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟! وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا<sup>(٢)</sup> .

ثم قال: أم خلقوا السماوات والأرض أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق السماوات والأرض وذلك لا يمكنهم فقامت الحجة، ثم قال «بل لا يوقنون» فذكر العلة التي عاقبتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير ومال إلى الإسلام انتهى<sup>(٣)</sup> . اهـ

(١) صحيح البخاري بتحقيق د. البغا (٤ / ١٨٣٩)

(٢) وانظر كلام الخطابي أيضا في كتاب: مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٣٦٢)

(٣) فتح الباري (٨ / ٦٠٣)

فقد «كان أنزعاجه عند سماع الآية؛ لحسن تلقيه معناها، ومعرفته بما تضمنه بليغ الحجة .. فلا بُدَّ له من خالقٍ، وإذا أنكروا الإله الخالق؛ أفهم الخالقون لأنفسهم؟! وذلك في الفساد أكفر، وفي البطلان أشدُّ، لأنَّ ما لا وجود له كيف يخلق؟! وإذا أبطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأنَّ لهم خالقاً»<sup>(١)</sup>. اهـ. وقوله «بل لا يوقنون»: أي بأنهم خلقوا أي هم معترفون.. أو لا يوقنون بأن الله خالق واحد<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ونحوه قال كثير من المفسرين سواء كانوا من أهل التفسير بالمأثور أو بالرأي، مع إشارة بعضهم إلى أن الآية محتملة لمعان أخرى، وفيما يلي نسرده أقوالهم في قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٥، ٣٦]:

(١) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح للبرماوي (١٢ / ٤٤٢) وكذا قال الكرمانى في الكواكب الدراري (١٨ / ١١٠)، وذكر احتمالين آخرين في قوله ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ «معناه: ليس هم أشدُّ خلقاً من خلق السماوات والأرض؛ لأنَّهم خلقتنا من غير شيءٍ، وهم خلقوا من آدم، وهو من التراب. والقول الآخر: أنَّ المعنى: خلقوا الغير شيءٍ، أي: خلقوا باطلاً لا يؤمرون ولا يُنهون». اهـ وذكر نحوه الحافظ في فتح الباري (٨ / ٦٠٣).

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني (٧ / ٣٥٨)

## (أقوال المفسرين في آية «أم خلقوا من غير شيء» وأنها لإثبات الصانع الذي يشك فيه المشركون)

(١) قال السمعاني في تفسيره: قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ فيه قولان: أحدهما أن معناه: أم خلقوا من غير أن يكون لهم خالق وصانع أي: تكوّنوا بأنفسهم. وقوله: ﴿أم هم الخالقون﴾ أي: خلقوا أنفسهم، والمراد على هذا القول، أنهم إذا لم يدعوا أنهم تكوّنوا من غير خالق وصانع، ولا ادعوا أنهم الذين هم خلقوا أنفسهم، وأقروا أن خالقهم هو الله<sup>(١)</sup>، فلا ينبغي أن يعبدوا معه غيره. والقول الثاني أن معناه: أم خلقوا من غير شيء أي: لغير شيء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنها خلقناكم عبثاً﴾ .. والأول أظهر في المعنى<sup>(٢)</sup>.

(١) غني عن البيان أن هذا كله ليس فيه أنهم أقروا بأن الله خالقهم كما هو ظاهر لأن المقصود بقوله «وأقروا أن خالقهم هو الله» أي «إذا أقروا أن خالقهم هو الله» لأنه معطوف على قوله «إذا لم يدعوا أنهم تكوّنوا من غير خالق»، فإقرارهم بالله معلق أو مشروط أو مفترض وليس مطلقاً، وكما سيأتي بيان نحو ذلك من كلام الطبري، انظر (ص ٦١٨) من هذا الكتاب.

(٢) تفسير السمعاني (٥ / ٢٧٨)، وتتمة كلامه: قوله ﴿بل لا يوقنون﴾ أي لا يوقنون بما يدعون، وقيل أم خلقوا السموات والأرض أي أهم الذين خلقوا السموات والأرض. معناه: أنهم لم يخلقوا السموات والأرض. وفي التفسير: أنهم كانوا مقرين

٢) وقال البغوي: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: من غير رب، ومعناه: أَخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ خَلَقَهُمْ فَوُجِدُوا بِلا خَالِقٍ؟ وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فإن أنكروا الخالق لم يجوز أن يوجدوا بلا خالق، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لأنفسهم وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي. وقال الزجاج: معناه: أَخْلَقُوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون؟ .. (١) اهـ

بأن الله خالق السموات والأرض. فالمعنى: أنهم إذا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق فلم يشركوه معه غيره؟! اهـ قلت: أيضا هذا ليس إقرارا محققا، وإنما هو إقرار معلق لقوله «إنهم إذا كانوا مقرين».

(١) تفسير البغوي (٧ / ٣٩٢)

- (٣) وقال ابن الجوزي: قوله تعالى أم خلقوا من غير شيء فيه أربعة أقوال<sup>(١)</sup>: أحدها أم خلقوا من غير رب خالق.. قوله تعالى «بل لا يوقنون» بالحق وهو توحيد الله وقدرته على البعث<sup>(٢)</sup>. اهـ
- (٤) وقال البيضاوي: (بل لا يوقنون إذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله؛ إذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته)<sup>(٣)</sup>.
- (٥) وقال أبو حيان: (بل لا يوقنون: أي إذا سئلوا: من خلقكم.. قالوا: الله، وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون)<sup>(٤)</sup>.
- (٦) وقال أبو السعود: «بل لا يوقنون» أي إذا سئلوا من خلقكم.. قالوا الله، وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن

(١) «زاد المسير في علم التفسير» (٤ / ١٨٠) وتتمة كلامه: والثاني: أم خلقوا من غير آباء ولا أمهات، فهم كالجناد لا يعقلون؟ والثالث: أم خلقوا من غير شيء كالسماوات والأرض؟ أي: إنهم ليسوا بأشد خلقا من السماوات والأرض. لأنها خلقت من غير شيء، وهم خلقوا من آدم، وآدم من تراب. والرابع: أم خلقوا لغير شيء؟ فتكون «من» بمعنى اللام. والمعنى: ما خلقوا عبثا فلا يؤمرون ولا ينهون. اهـ والطبري اقتصر في تفسيره على القول الأول والرابع من هذه الأقوال الأربعة، انظر جامع البيان ط هجر (٢١ / ٥٩٦).

(٢) زاد المسير (٨ / ٥٥)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥ / ١٥٥)

(٤) البحر المحيط (٨ / ١٤٩)

عبادته»<sup>(١)</sup>، «فإن من عرف خالقه وأيقن به امتثل وانقاد له»<sup>(٢)</sup>.

اهـ

**قول ابن القيم: «فهل خلُقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا من**

**المحال الممتنع»**

وقال ابن القيم: ومن هذا احتجاجه سبحانه على المشركين بالدليل المقسم الحاصر الذي لا يجد سامعه إلى رده ولا معارضته سبيلا حيث يقول تبارك وتعالى «أم خلُقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلُقوا السموات والأرض بل لا يوقنون» فتأمل هذا التردد والحصر المتضمن لإقامة الحجة بأقرب طريق وأفصح عبارة يقول تعالى هؤلاء مخلوقون بعد أن لم يكونوا! فهل خلُقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا من المحال الممتنع عند كل من له فهم وعقل أن يكون مصنوع من غير صانع ومخلوق من غير خالق، ولو مر رجل بأرض قفر لا بناء فيها ثم مر بها فرأى فيها بيانا وقصورا وعمارات محكمة لم يُخالجه شك ولا ريب أن صناعا صنعها وبانبا بناها، ثم قال «أم هم الخالقون» وهذا أيضا من المستحيل أن يكون العبد موجدا خالقا لنفسه، فإن من لا

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨ / ١٥١)

(٢) روح المعاني (٢٧ / ٣٨)

يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة  
ولا أصبعا ولا ظفرا ولا شعرة كيف يكون خالقا لنفسه في حال عدمه،  
وإذا بطل القسمان تعين أن لهم خالقا خلقهم وفاطرا<sup>(١)</sup>. اهـ

---

(١) «الصواعق المرسلّة - ط عطاءات العلم» (١ / ٢٥١)، وانظر «الصواعق المرسلّة

- ط العاصمة» (٢ / ٤٩٣)

## خلاصة الباب الثاني

وهكذا نكون قد سردنا في الباب الثاني أدلة متنوعة وكثيرة من الكتاب والسنة، وكلها مشفوعة بتفسيرات السلف ونصوص السلفية ابن تيمية وأتباعه من الوهابية، وكلها تفيد أن المشركين لاسيما مشركي العرب كانوا يرتكبون ما يقدح في توحيد الربوبية، وهذا ما حدا بكثير من السلفية - بعد أن كانوا يزعمون أن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية كان كاملا تاما لا يشوبه شائبة كما رأينا<sup>(١)</sup> - إلى الإقرار بأن توحيد المشركين في الربوبية لم يكن كاملا، وإنما كان منقوصا بل منقوصا وباطلا، وهذا أقرب به ابن تيمية وأتباعه، وإليك نصوصهم في ذلك:

إقرار السلفية بأن توحيد المشركين في الربوبية كان منقوصا بل منقوصا (١) يقول ابن تيمية: «والمقصود أن كثيراً من أهل الشرك والضلال قد يضيف وجود بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث إلى غير الله، وكل من قال هذا لزمه حدوث الحادث بلا سبب، وهم مع شركهم وما يلزمهم من نوع تعطيل في الربوبية لا يثبتون مع الله شريكاً مساوياً له في أفعاله ولا في صفاته»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر (ص ٢٧٣) من هذا الكتاب.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤٧)، ونقله البدر في القول السديد (ص: ٧٨)

٢) وقال أيضا بأن توحيد الربوبية «لم ينازع في أصله أحد من بني آدم وإنما نازعوا في بعض تفاصيله كنزاع المجوس والثنوية والطبيعية والقدرية وأمثالهم من ضلال المتفلسفة والمعتزلة ومن يدخل فيهم، وأما توحيد الإلهية فهو الشرك العام الغالب»<sup>(١)</sup>.

٣) وقال ابن القيم: .. فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج عليهم به، ويقرّرهم به، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية<sup>(٢)</sup>. اهـ. فهم نقضوا توحيد الربوبية بشركهم في الألوهية، وسيأتي المزيد من نصوص مماثلة عن السلفية، وهذا يدل على تلازم التوحيدين، وبالتالي فكيف يقال إنهم موحدون في الربوبية؟!

(١) مجموع الفتاوى (٣٧ / ٢) جهود علماء الحنفية (١ / ٢٧٩)

(٢) مدارج السالكين (١ / ٤١٣)

٤) قال المقرئزي: «.. فأبان سبحانه بذلك أنَّ المشركين إنَّما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا توحيد الربوبية، على أنَّ منهم من أشرك في الربوبية»<sup>(١)</sup>.

٥) وقال القاسمي عند قوله تعالى «وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء»: أي: الله في الربوبية، واستحقاق العبادة<sup>(٢)</sup>. اهـ.

٦) قال الغنيان «وأما اتخاذ الأنداد في الربوبية فهو أن يعتقد أن الله شريكا في ملكه يتصرف بهذا الكون، أو أن له صفات الربوبية .. وقد وقع المشركون قديما وحديثا في هذا النوع من الشرك..»<sup>(٣)</sup>.

٧) وقال محمد لوح بأن المشركين «كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام وما يسكنها من روحانيات لها تأثير في تحقيق ما يريدون.. وإذا كانت - أي البركة - من الله كان طلبها من غيره سبحانه وتعالى

(١) تجريد التوحيد المفيد (ص ٩)، ونقله في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٧٨)

(٢) محاسن التأويل (٤ / ٤٣٤)، جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ / ١٤١٨ هـ.

(٣) انظر: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيان، ص ٥٢٤، ٥٢٥.

شركا بالله، نابعا من اعتقاد سييء بأن هناك جالبا للرزق والنصر  
والعافية أو دافعا للشر غيره سبحانه»<sup>(١)</sup>.

### بعض الأقسام والملل التي أشركت في الربوبية

٨) وقال أبو بكر زكريا «يبدو لمن تصفح تاريخ العرب في الجاهلية أن الشرك فيهم كان على أشكال عدة.. فبعضهم كانوا مشركين بالله في الربوبية، وبعضهم كانوا يشركون في الألوهية»، ولذلك مظاهر كثيرة، من ذلك إتيانهم للكهان وهذا يُعد «شركا في الربوبية.. وبهذا يكونون قد أشركوا بالله في الربوبية من جهة إعطائهم سلطة التشريع والتحكيم من دون الله»<sup>(٢)</sup>

وقد «ذهب بعض المشركين إلى أن ثمّ خالقا خلق العالم، كما يقوله الثنوية في الظلمة، وكما يقوله القدرية في أفعال الحيوان، وكما يقوله الفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك، أو حركات النفوس أو الأجسام الطبيعية، فإن هؤلاء يثبتون أمورا محدثة بدون إحداث الله إياها، فهم مشركون في بعض

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢ / ١٦٩)

(٢) الشرك في القديم والحديث ١ / ٤٦٤.

الربوبية، وكثير من مشركي الأمم قد يظن في آلهته شيئا من نفع أو ضرر، بدون أن يخلق الله ذلك. فلما كان هذا النوع من الشرك في الربوبية موجودا بين الناس حتى في مشركي العرب .. بين القرآن بطلانه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وبعد أن عدّ أبو بكر زكريا كثيرا من مظاهر شرك العرب في الربوبية وأفاض في ذلك مما سبق نقله عنه، قال: «فهذه بعض مظاهر الشرك بالله جل وعلا في بعض خصائص الربوبية التي كانت لدى العرب في جاهليتهم، ولكن كما أسلفنا أن هذه المظاهر ما كانت بصفة عامة لدى جميع العرب، بل العرب كان أغلب شركهم في الجاهلية في العبادة والألوهية وفي المعاملة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشرك في القديم والحديث ص ٣٨٠.

(٢) الشرك في القديم والحديث ص ٤٩٩.

الهديل: إن المشركين واقعون فيما هو قاذح في توحيد الربوبية ومناقض له

(٩) قال د. عبد الله الهديل: القول بأن المشركين مقرون بربوبية الله تعالى، ووحدانيتها في ذلك، لا يعني أن إقرارهم كان على التمام والكمال، وقد تقدم أنهم واقعون فيما هو مناقض لحقيقة ذلك الإقرار، وهذا الذي وهم فيه من نسبة الإهلاك للدهر هو من هذا الباب، إذ أنهم قوم جاهلون بالله وتعالى ولم يقدره حق قدره، وذلك ظن كاذب قاذح في إقرارهم بربوبية الله تعالى<sup>(١)</sup>.

(١٠) وقال الهديل أيضا بأن: أهل السنة والجماعة لما قالوا إن كفار قريش والأمم السابقة قبلهم كانوا مقرين بربوبية الله تعالى، ولا يعنون بذلك أنهم كانوا مستكملين لجوانبها عاملين بلوازمها محققين نتائجها التي تقتضيها. لم يكن هذا المراد أبدا<sup>(٢)</sup>.

(١١) وقال أيضا: إن أهل السنة لا ينازعون في أن المشركين واقعون فيما هو قاذح في توحيد الربوبية ومناقض له، وذلك بصرفهم العبادة لغير الله، ولذلك فإنهم - أي المشركين -

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص ٢٩٩).

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص ٢٨٣).

يُلزَمون اللوازم الباطلة بأنهم اتخذوا هذه الأوثان أرباباً لأنهم عبدوها، والعبادة لا تكون إلا لرب خالق مدبر، وإن كانوا هم يقولون إنهم يعبدونها لا على أنها تخلق وترزق ولكن تقربهم إلى الله زلفى. فأقوالهم وأفعالهم في حقيقتها قدح للربوبية»<sup>(١)</sup> بل «كل ما وقع فيه المشركون من صرف العبادة لغير الله تعالى، ومساواتهم له بالله تعالى كما في هذه الآية، وكمحبتهم آلهتهم كحب الله تعالى، لازمة القدح في جناب الربوبية»<sup>(٢)</sup>، وبالتالي فإن «إقرار المشركين بربوبية الله تعالى لا يعنى أنهم محققون لمقتضاها، بل هم واقعون بما هو مناقض لذلك من عبادة غيره سبحانه ونسبة الولد إليه ..»<sup>(٣)</sup>.

١٢) وقال عبد الرزاق البدر بأن قولنا «عن المشركين بأنهم يعترفون بتوحيد الربوبية ليس المراد به أنهم اعترفوا بهذا القسم من التوحيد على التمام والكمال، فهذا لا يقول به أحد من أهل العلم، وإنما مرادهم .. اعترافهم بالخالق الرازق .. ثم هذا أيضاً ليس حكماً عاماً مطرداً على جميع المشركين، إذ منهم من

- 
- (١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص ٣٠٢).  
 (٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص ٣٠٢).  
 (٣) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة (ص ٢٩٣).

وجد عنده حتى الشرك في الربوبية، ومنهم من آمن ببعض خصائص الربوبية دون بعض<sup>(١)</sup>. اهـ

(١٣) وقال الأفغاني بأن المشركين «كانوا يعتقدون في آلهتهم أن لهم بعضاً من القدرة على النفع والضرر وشيئاً من التصرف والتدبير»، ولكن الأفغاني استدرك قائلاً: «ولكن هذا كله بإذن الله تعالى، فالله هو الذي خلع عليهم هذه الخلعة، وأن الله قد فوّض إليهم بعض التدبير»<sup>(٢)</sup>، وقد سبق أن أبطلنا استدراكه هذا<sup>(٣)</sup>.

(١٤) وقال شكري الآلوسي: «.. فهذا شركٌ في الربوبية، لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية، بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفاً وتديراً»<sup>(٤)</sup>

(١٥) قال الموجان: «كأنك .. فهمت من قولنا إن المشركين كانوا يقرون بالخالق أنهم كانوا يوحدون توحيد الربوبية توحيداً تاماً، وهذا خلل عندك لا يرد على ساحتنا والحمد لله»<sup>(٥)</sup>. اهـ

(١) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٧٧)

(٢) جهود علماء الحنفية (١/ ٢٨٠).

(٣) انظر (ص ٢٩٢) من هذا الكتاب.

(٤) جهود علماء الحنفية (٢/ ١١٨٢).

(٥) الرد الشامل للموجان (ص ١١١).

(١٦) وقال السهسواني: «ومن هنا تعلم أن من صرف شيئاً من العبادة إلى غير الله فقد اتخذها إلهاً رباً.. علمت أن من قصد غير الله بشيء من العبادة أو أثبت له بعض خواص الرب سبحانه وتعالى فقد اتخذها رباً وإلهاً»<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١٧) قال محمد ملكاوي: .. وآيات غيرهما كثيرة تبين اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية.. لكنهم لما أنكروا توحيد الألوهية، كان إقرارهم بتوحيد الربوبية باطلاً..<sup>(٢)</sup>.

(١٨) ألفت أحد السلفية وهو د. سلطان العميري كتابا بعنوان «تحقيق الإفادة بتحرير مفهوم العبادة» نبه فيه «إلى أن تقرير أن الأمم المشركة كلها كانت مؤمنة بتوحيد الربوبية إيماناً مستقيماً لا انحراف فيه، تقرير غير دقيق؛ لأن هذا الإطلاق مخالف للحقائق التاريخية التي تنقل عن أمم اليونان والرومان وغيرها، وأشار إلى أنه لا توجد أمة مشركة في الألوهية إلا ولديها انحراف وخلل في توحيد الربوبية حتى كفار قريش، وأنه لا بد من التفريق بين الإقرار بوجود الله في حد ذاته، وبين باقي معاني الربوبية .. لأننا لا ننكر أن المشركين كانوا

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: ٤٥٠)

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٢٦٥)

منحرفين في باب الربوبية، ولم يكونوا محققين له، وإنما نقول:  
إنه كانت لهم انحرافات كبيرة»<sup>(١)</sup>.

قال وليد ابن الصلاح - جبر الله ضعفه -: وحاصل هذه النصوص أن كثيرا من السلفية سلّموا بأن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية كان غير كامل بل كان منقوصا بل منقوصا وباطلا، ومع هذا التسليم الواضح فما زال السلفية جميعا - بمن فيهم أصحاب هذا التسليم - يصرون على أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية!!!

### كيف هم مقرون بتوحيد الربوبية مع اعترافكم بأنهم نقضوه؟

والسؤال هنا: كيف يصح أن تنسبوا المشركين إلى توحيد الربوبية مع إقراركم أنفسكم - كما في النصوص السابقة - بأن إقرارهم كان منقوصا غير كامل بل منقوصا وباطلا؟! شيء ناقص ومنقوض وباطل ماذا بقي منه حتى تثبته للمشركين؟ رأيتم من صلى دون ركوع أو دون وضوء أو دون استقبال للقبلة في حال الاختيار دون الاضطرار: هل يصح أن تقولوا: إنه صلى؟ كيف؟!!

(١) انظر <https://dar.iaa.atide/1949>

والنبي قال لمن لم يطمئن في صلاته: «ارجع فصل فإنك لم تُصل»<sup>(١)</sup>، فدلّ على أن من «لم يفعل الواجب الذي يقدر عليه في المرة الأولى، مثل أن يصلي بلا طمأنينة، فعليه أن يعيد الصلاة.. وكذلك من نسي الطهارة وصلى بلا وضوء فعليه أن يعيد»<sup>(٢)</sup>، وإن قلتُم هو صلى ولكن صلاة باطلة لاختلال بعض أركانها أو شروطها؟ فهذا يعني أن صلاته لا أثر لها وهي كعدمها ويجب عليه إعادتها، ألا ترى أن الشرط يلزم من عدمه العدم، فما بالك بالركن إذا اختل؟! فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بالتوحيد فكيف يختل ركنه ويبقى توحيده؟!!

إن مجرد اعترافكم بأن توحيد المشركين في الربوبية لم يكن تاماً أو لم يكن كاملاً بل كان ناقصاً، فهذا يعني بكل بساطة أن المشركين كانوا ينسبون جزءاً - قلّ أو كثر - من الربوبية لألهتهم، ولا معنى للشرك في الربوبية إلا هذا! إذ لو أنهم شهدوا بأنه الخالق وحده ثم «استثنوا نملة من مخلوقاته، أو ذرة من التراب وقالوا: خلق الله جميع الخلق إلا هذه النملة أو هذه الذرة من التراب، لكانوا بذلك كفاراً غير موحدين في الربوبية، فكيف وقد جحدوا البعث

(١) أخرجه الشيخان، انظر: صحيح البخاري بتحقيق البغا (١ / ٢٦٣)، صحيح

مسلم (١ / ٢٩٨).

(٢) انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢ / ١٤).

والنشور، وزعموا أن أصنامهم شريكة لله في التصرف والتدبير  
وغير ذلك من ترهاتهم؟»<sup>(١)</sup>

### هل تقولون بأنهم مشركون في الألوهية بشكل ناقص كما قلتم عنهم في الربوبية؟!

تحصّل الآن أنّ المشركين ينازعون في الربوبية من حيث الجملة،  
لأنهم لا ينسبون الربوبية كلها إلى الله وحده بل هم ينسبون جزءاً منها  
- ولو بسيطاً - لآلهتهم المزعومة، أي أنهم في نهاية المطاف غير موحدون  
في الربوبية. وعليه فلا معنى لقولكم «إنهم موحدون في الربوبية ولكن  
ليس بشكل كامل»! لأن التوحيد لا بد أن يكون كاملاً وإلا كان شركاً،  
مثاله: توحيد الألوهية هل يمكن أن يكون ناقصاً؟ أو هل ينقسم  
توحيد الألوهية عندكم إلى توحيد كامل وتوحيد ناقص؟ أي هل  
يمكن أن تقولوا إن فلاناً موحد في الألوهية ولكن ليس بشكل كامل  
لأنه صرف بعض العبادات إلى غير الله؟! هل هذا كلام قويم أو  
تركيب سليم؟! أو أنتم أنفسكم تعتبرون من صرف عبادة واحدة إلى  
الله ولو مرة في العمر إلى غير الله صار مشركاً مرتداً، ولا بد من أن يعود  
ويتوب ويدخل الإسلام من جديد بالشهادتين؟!

(١) درر الألفاظ العوالي في الرد على الموجان والحوالي ص: ٨١، بترقيم البي دي إف.

إذن فالقسمة إما توحيد وإما شرك، وليس هناك شيء اسمه توحيد ناقص وآخر كامل، وإن كان فعلا ثمة شيء كهذا فليكن في قسمي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، أي ليكن كل منهما قسما: كامل وناقص، وحينئذ سنجد أن المشركين كما أنهم كانوا موحدين في الربوبية توحيدا ناقصا، فكذلك سنجدهم موحدين في الألوهية توحيدا ناقصا، لأن المشركين كانوا «يعرفون الله ويعرفون ربوبيته، وملكه وقهره، وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له أنواعا من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الاضطرار ونحو ذلك»<sup>(١)</sup>.

وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يقال عن هؤلاء المشركين إنهم موحدون في الألوهية لكونهم «يخلصون له أنواعا من العبادات .. وقت الاضطرار ونحو ذلك» ولكن توحيدهم في الألوهية كان ناقصا، لكونهم يصرفون بعض العبادات لأصنامهم في وقت الرخاء كما في قولكم إن المشركين «كانوا يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنما يخلصون لله وحده»<sup>(٢)؟! وإذا لم يصح ولم يصلح أن يسمى المشركون موحدين في الألوهية توحيدا ناقصا، فلماذا صح وصلح عندكم أن</sup>

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، دار الصميعي، الرياض (ص: ١٢١)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٩)

يسمى المشركون موحدين في الربوبية توحيدا ناقصا؟! أليس هذا  
تحكما!؟

والحاصل أن اعترافكم بأن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية كان  
غير كامل يعني أنهم كانوا مشركين في الربوبية، بل أنتم أنفسكم  
أقرتم بأن إقرارهم هذا كان منقوصا بل منقوصا وباطلا كما سبق نقله  
من نصوصكم؟! فهل يقال بعد هذا أن المشركين كانوا موحدين في  
الربوبية ولو مع القول بأنه كان ناقصا؟! لو صحّ هذا لصحّ أن يقال  
أيضا إنهم موحدون في الألوهية توحيدا ناقصا كما سبق بيانه!

**اعتراض بأن نقض المشركين لتوحيدهم**

**في الربوبية بمعنى أنهم أشركوا في الألوهية**

لا يقال: إن إقرارهم بتوحيد الربوبية إنما كان ناقصا ومنقوصا  
وباطلا؛ لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهية كما في قولنا «أن المشركين  
واقعون فيما هو قادح في توحيد الربوبية ومناقض له، وذلك بصرفهم  
العبادة لغير الله»<sup>(١)</sup>.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٣٠٢

لأننا نقول: أولاً: إنكم أقررتم بأنهم أشركوا في الربوبية ليس فقط بمعنى أنهم نقضوا إيمانهم بتوحيد الربوبية حين أشركوا في الألوهية وعبدوا غيره، بل أقررتم أنهم أشركوا في الربوبية نفسها بمعنى أنهم أشركوا في خصائص الربوبية من الرزق والتدبير والملك والتأثير، وقد سبق أن نقلنا كثيراً من نصوصكم التي أقررتم فيها بأنهم أشركوا في الربوبية لأنهم نسبوا كثيراً من الحوادث والنعم لغير الله كالأنواء والكواكب والدهر والأصنام والجن والسحرة والكهان والطير وغير ذلك.

ومن ذلك في قول ابن تيمية السابق: «والمقصود أن كثيراً من أهل الشرك والضلال قد يضيف وجود بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث إلى غير الله، وكل من قال هذا لزمه حدوث الحوادث بلا سبب، وهم مع شركهم وما يلزمهم من نوع تعطيل في الربوبية لا يشبتون مع الله شريكاً مساوياً له في أفعاله ولا في صفاته»<sup>(١)</sup>. اهـ وكما في قول البدر السابق «إذ منهم من وجد عنده حتى الشرك في الربوبية» إلى غير ذلك.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/٣٤٧)، ونقله البدر في القول السديد في الرد على

من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٧٨)

## التلازم بين أقسام التوحيد وأن نقض توحيد الألوهية نقض لتوحيد الربوبية والعكس صحيح

ثانيا: هذا إقرار منكم بأن من يُجَلِّ بتوحيد الألوهية فقد أخلّ بتوحيد الربوبية، وأن نقض أحدهما هو نقض للآخر، أي أنهما متلازمان لا ينفكّان كما أقررتم بذلك فقلتم بأن «الشرك في الألوهية هو شرك في الربوبية وشرك في الأسماء والصفات، فهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد «متلازمة من حيث الوجود، ومتلازمة من حيث الانتفاء، إذا وُجد توحيد الربوبية على وجه التمام تضمن وجود ماذا؟ توحيد الأسماء والصفات، واستلزم توحيد الألوهية. إذا وقع الشرك في توحيد الألوهية استلزم وقوع الشرك في النوعين الآخرين، فانتفت كلها الثلاث»<sup>(١)</sup>. وهذا بسطناه في كتاب آخر<sup>(٢)</sup>.

## من صرف عبادة واحدة لغيره تعالى هل يقال عنه موحد في الألوهية بشكل ناقص؟

(١) كتاب شرح القواعد الأربع، أحمد بن عمر الحازمي / انظر:

<https://al-islam.org/ibn-kayyem/31922/79>

(٢) انظر: ولئن سألتهم ص ٤٦٧

ونحن لا نقول بأكثر من هذا التلازم بين أقسام التوحيد الذي أقرتم به؛ حيث جعلتم نقض أحد أقسامه هو نقض للأقسام الأخرى للتوحيد، وبالتالي هو نقض للتوحيد برمته، وعليه فلا داعي أصلاً لتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية ما دام أن نقض أحد القسمين هو نقض للآخر، وما دام أن المشركين نقضوا توحيدهم في الربوبية لكونهم لم يحققوا توحيد الألوهية لأنهم صرفوا العبادة لغير الله في وقت الرخاء، فكيف تسمونهم موحدين في الربوبية؟! هذا مثله مثل: من صرف عبادة ما إلى غير الله فنقض توحيد الألوهية ثم ما زلتم تسمونه موحدًا في الألوهية!!

## المبحث الثامن:

### دلالة شركهم في الألوهية على شركهم في الربوبية

إن كونهم مشركين في الألوهية هذا بحد ذاته يدل على أنهم مشركون في الربوبية، وهاكم بيان ذلك في عدة مطالب:

### المطلب الأول: لو كان المشركون موحدين في الربوبية لكانوا موحدين في الألوهية

وذلك أن «توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أيقن أن الله ربه وخالقه، فلا بد أن يصرف العبادة له وحده»<sup>(١)</sup>، وبعبارة أخرى «من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده»<sup>(٢)</sup>، وعليه فإن «المُقرّ بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة»<sup>(٣)</sup>.

(١) المفيد في مهيات التوحيد (ص: ٥١)

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٣/ ٤٩٠)

(٣) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣/ ٤٩٣) ونقله عن الشنقيطي

البدري في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٢٧).

ومادام توحيد الربوبية «يستلزم توحيد الألوهية»<sup>(١)</sup> و«العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية»<sup>(٢)</sup>، «إذا عرفت أن الله ربك ورب كل شيء، وأنه هو الذي بيده الخير والشر، وجب عليك أن تعبده وحده»<sup>(٣)</sup>، «فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية»<sup>(٤)</sup>.

قال وليد: إذا تقرر هذا عندكم، وهو أن توحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية، فإن هذا نفسه يلزم منه أن مشركي العرب مشركون في الربوبية، وبرهان ذلك أنهم لو كانوا موحدين في الربوبية للزم أن يكونوا موحدين في الألوهية، ولكنهم مشركون في الألوهية فيلزم من ذلك أنهم مشركون في الربوبية<sup>(٥)</sup>.

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص: ٢٢٦)، د عثمان ضميرية، مكتبة السوادي، ط ٢ / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (ص: ٣٨٦)

(٣) شرح فتح المجيد للغنيمان (٧٩ / ١٧، ت. ش)

(٤) إغائة اللهفان (٢ / ١٣٥)

(٥) وهذا البرهان منتظم من قياس شرطي متصل، يتكون من مقدّم وتالي، مثاله: لو كانت الشمس طالعة (مقدّم)، لكان النهار موجودا (التالي)، ولكن النهار ليس موجودا فالشمس ليست طالعة. انظر: ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن حبنكة ص ٨٦، ٨٧، دار القلم. وسيأتي في حاشية لاحقة أن ابن تيمية لم يكن ضد هذا القياس

## المطلب الثاني: تقرير قياس شرطي متصل

فانتظم قياس شرطي متصل، فيه مقدم وتالٍ ونتيجة، أما المقدم فهو «لو كانوا موحدين في الربوبية للزم أن يكونوا موحدين في الألوهية»، وبرهانه ما سيأتي، وأما التالي فهو «ولكنهم مشركون في الألوهية»، وهذا ثابت بإقراركم، إذ أنتم مقرون بأنهم مشركون في الألوهية.

أما برهان الملازمة وهي «لو كانوا موحدين في الربوبية للزم أن يكونوا موحدين في الألوهية» فهو ما قررتم أنتم أنفسكم من أن «العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية»<sup>(١)</sup>، فمن اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن

ولكن ضد أن يُحصَر التعبير عنه بهذه الألفاظ والمصطلحات. انظر الرد على المنطقيين

(ص: ١٦٦) دار المعرفة. وقال في السلم:

٥٦ ... وَإِن عَلَى التَّعْلِيْقِ فِيهَا قَدْ حُكِمَ ... فَإِنَّهَا شَرْطِيَّةٌ وَتَنْقَسِمُ

٥٧ ... أَيْضاً إِلَى شَرْطِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ ... وَمِثْلُهَا شَرْطِيَّةٌ مُنْفَصِلَةٌ

٥٨ ... جُزْأَهُمَا مُقَدَّمٌ وَتَالِيٌّ

(١) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (ص: ٣٨٦)

يعبد وحده»<sup>(١)</sup>، وقولكم: «فإذا عرفت أن الله ربك ورب كل شيء، وأنه هو الذي بيده الخير والشر، وجب عليك أن تعبده وحده»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: يتنفي الملزوم إن انتفى اللازم كما قال ابن تيمية

ما دام الكفار ليسوا موحدين في الألوهية باتفاق بيننا وبينكم، فهذا يدل على أنهم ليسوا موحدين في الربوبية، لأنه يستدل «بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم»<sup>(٣)</sup>، كقولنا: إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، ولكن النهار ليس موجودا، فالشمس

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٣/ ٤٩٠)

(٢) شرح فتح المجيد للغنيمان (٧٩/ ١٧، ت. ش)

(٣) الرد على المنطقيين (ص: ١٦٦) لابن تيمية، دار المعرفة. وكلام ابن تيمية بتامه: فإن ما يسمونه الشرطي المتصل مضمونه الاستدلال بثبوت الملزوم على ثبوت اللازم وبانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم، سواء عبر عن هذا المعنى بصيغة الشرط أو بصيغة الجزم واختلاف صيغ الدليل مع اتحاد معناه لا يغير حقيقة والكلام، وإنما هو في المعاني لا في الألفاظ. فإذا قال القائل: إن كانت الصلاة صحيحة فالمصلي متطهر، وإن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود.. فهذا معنى قوله: «صحة الصلاة تستلزم صحة الطهارة» وقوله: «يلزم من صحة الصلاة صحة ثبوت الطهارة».. وأمثال ذلك من أنواع التأليف للألفاظ والمعاني التي يتضمن هذا الاستدلال من غير حصر الناس في عبارة واحدة. اهـ

ليست طالعة، فهنا انتفى اللازم وهو عدم طلوع الشمس لانتفاء الملزوم وهو عدم وجود النهار.

وهنا كذلك في قولنا لو كانوا موحدين في الربوبية للزم أن يكونوا موحدين في الألوهية، فإن انتفاء اللازم - وهو هنا التوحيد في الألوهية، فإنهم مشركون في الألوهية باتفاق بيننا وبينكم - يدل على انتفاء الملزوم وهو التوحيد في الربوبية، أي أن المشركين ليسوا موحدين في الربوبية، وهو المطلوب.

وهذا لا انفكاك لكم عنه إلا بأن تنقضوا غزلكم من جديد، وترجعوا عما قرّرتم هنا من أن توحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية، وتقولوا بأنه لا يلزم من توحيد الربوبية توحيد الألوهية، وحينها سينتقض ما قرّرتم في موضع آخر من أن الله جعل «توحيد الربوبية دليلاً على وجوب توحيد الإلهية»<sup>(١)</sup>، لأن «العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية»<sup>(٢)</sup>، بل أنتم جعلتم أحد الأدلة على التفريق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية هو أن الأول - أي توحيد الربوبية - دليل على الثاني - أي

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (٧٩ / ١٧، ت. ش).

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (ص: ٣٨٦).

على توحيد الألوهية - وليس عينه، وقد بسطناه في موضعه<sup>(١)</sup>، وها أنتم أولاء نقضتم ذلك هنا، وكفى الله المؤمنين القتال!

### المطلب الرابع: شركهم في الألوهية ناتج عن شركهم في الربوبية

والواقع أن المشركين ما أشركوا في الألوهية إلا بعد أن ادّعوا بعض صفات الربوبية من التأثير والضرر والنفع في آلهتهم المزعومة، وهذا أدى بهم إلى عبادتها ولولا ذلك لما عبدوها أصلاً فهم كانوا يعتقدون «أن هذه الأصنام وما يسكنها من روحانيات لها تأثير في تحقيق ما يريدون وهذا ما عبّروا عنه بقولهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»<sup>(٢)</sup> فقد «كانوا يرجون شفاعتها ويعتقدون فيها النفع والضرر»، إذ هم «أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات.. صوراً وتمائيل»<sup>(٣)</sup>، وقد سبق بسط ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر (ص ٦٩٢) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١٦٨ / ٢)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١ / ٣١٢)

(٤) انظر (ص ٤٤٢ و ٥٢٨) من هذا الكتاب.

**(فعبدوا الكراكي لذلك، وقالوا: هذه ربّنا وهذه فعالته هزم**

**أعداءنا)**

ونضيف هنا بعض النصوص الأخرى، فقد جاء في رحلة ابن فضلان: ومنهم من يزعم أنّ له اثني عشر ربّاً: للشاء ربّ وللصيّف ربّ وللمطر ربّ وللريح ربّ وللشجر ربّ وللنّاس ربّ.. وطائفة تعبد الكراكي<sup>(١)</sup> فعرفوني أنّهم كانوا يجاربون قوما من أعدائهم فهزموهم، وأن الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهمزوا، بعدها هزموا فعبدوا الكراكي لذلك، وقالوا: هذه ربّنا وهذه فعالته هزم أعداءنا فهم يعبدونها لذلك<sup>(٢)</sup>. اه فتأمل كيف عبدوا الكراكي واتخذوها أربابا من دون الله بسبب ظنّهم أنّها هزمت أعداءهم!

(١) قال الإمام الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٧١): الكركي: طائر كبير معروف، والجمع الكراكي، وكنيته أبو عريان... وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق، وهو أغبر طويل الساقين، والأنثى منه لا تقعد للذكر عند السفاد، وسفاده سريع كالعصفور، وهو من الحيوان الذي لا يصلح إلا برئيس، لأن في طبعه الخذر والتحارس في النوبة... إلخ.

(٢) رسالة ابن فضلان = رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة (ص: ٧٣)، ونقل كلامه ياقوت في «معجم البلدان» (١/ ٣٢٣)، والقزويني في «آثار البلاد وأخبار العباد» (ص ٦٠٩).

(قول القاسمي لو كانوا موحدين في الربوبية لما عبدوا غيره)

يقول القاسمي عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاَهُمْ مَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]:  
«ما لهم بذلك من علم» إذ لو علموا ذلك لكانوا موحدين، لا ينسبون التأثير إلا إلى الله. فلا يسعهم إلا عبادته دون غيره. إذ لا يرون حينئذ لغيره نفعا ولا ضرا<sup>(١)</sup>. فقوله «إذ لو علموا ذلك لكانوا موحدين، لا ينسبون التأثير إلا إلى الله» مفهومه أنهم ليسوا موحدين لأنهم ينسبون التأثير إلى غير الله.

### المبحث التاسع:

بيان القرآن مرارا أن آلهتهم المزعومة

هي إنما حجارة صماء لا تملك لهم ضرا ولا نفعا

إن الله كثيرا ما حاجج المشركين بأن آلهتهم هي إنما هي حجارة صماء لا تملك لهم ضرا ولا نفعا، وهذا يدل على أن المشركين كانوا معتقدين ضررها ونفعها، وإلا لما كان لمحاججتهم بذلك معنى، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) محاسن التأويل للقاسمي نقلا منه عن القاشاني مقرا له (٨ / ٣٨٣)

## المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك

نسرده فيما يلي بعض الآيات التي تحاجّ المشركين وتبين لهم أن أصنامهم لا تضر ولا تنفع:

(١) قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)﴾ [الفرقان: ٥٥]. فقد «وصف آلهة المشركين بالعجز البالغ.. وإذا كانوا بحيث لا يقدرّون على الدفع والنفع، فيما يتعلق بأنفسهم، فكيف يملكون ذلك لمن يعبدهم. ثم زاد في بيان عجزهم فنصص على هذه الأمور فقال: ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أي: لا يقدرّون على إماتة الأحياء، ولا إحياء الموتى»<sup>(١)</sup>.

(٢) وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨] والمقصود أن «المعبود لا بد وأن يكون أكمل قدرة من العابد، وهذه الأصنام لا تنفع ولا تضر البتة، وأما هؤلاء الكفار فهم قادرّون على التصرف في هذه الأصنام تارة بالإصلاح وأخرى بالإفساد، وإذا كان العابد أكمل حالا من المعبود كانت العبادة باطلة»<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٧١)

(٢) مفاتيح الغيب (١٧ / ٢٢٧)

(٣) وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦].  
 أي «فما بالكم اتخذتم لأنفسكم من دونه أولياء عاجزين لا يملكون لأنفسهم نفعا ينفعونها به ولا ضرا يضرهم به غيرهم أو يدفعونه عن أنفسهم، فكيف ترجون منهم النفع والضرر وهم لا يملكونها لأنفسهم»<sup>(١)</sup>.

(٤) وقوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، «يخبر تعالى عن جهل المشركين .. عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فكيف يملكون لعابديهم؟»<sup>(٢)</sup>، أي «إذا كانوا لا يستطيعون ذلك لأنفسهم فمن باب أولى لا يستطيعوه لعابديهم»<sup>(٣)</sup>، فهم «لا يقدر أن يضرها أنفسهم أو ينفعوها بشيء، ولا لمن يعبدهم، لأنها جمادات»<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٨٩)

(٢) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٦ / ٩٣)

(٣) «تفسير العثيمين: الفرقان» (ص ٢٩)، مؤسسة العثيمين الخيرية، ط ١ / ١٤٣٦

هـ.

(٤) «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٣ / ٣)

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]. قال الشنقيطي: ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه، لا تقدر أن تكشف ضرا أراد الله به أحدا، أو تمسك رحمة أراد بها أحدا، جاء موضحا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا، وقوله تعالى: قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. وقوله تعالى: ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده.. والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة<sup>(١)</sup>. اهـ

**المطلب الثاني: لو كانوا يعتقدون أنها لا تضر ولا تنفع لكانت الآيات في ذلك تحصيل حاصل!**

لو كان المشركون لا يعتقدون في أصنامهم الضر والنفع لما تمت الحجة عليهم، إذ لدوا على الآيات السابقة وأمثالها كقوله تعالى ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٧ / ٦٢)

الْعَلِيمُ ﴿المائدة: ٧٦﴾، وقالوا مثلاً: نحن نعبدهم لا لأجل الضر والنفع، وإنما نتوسل بهم إلى الله، بل لما كان لهذه الآية وأمثالها - كآية الزمر: هل هن كاشفات ضره - كلها داع، إذ حينها ستكون هذه الآيات تحصيل حاصل! بمعنى أن المراد من تلك الآيات هو إثبات أن الأصنام لا تضر ولا تنفع، وهذا المراد حاصل عند المشركين أصالة كما تزعمون، إذن فما الفائدة من تلك الآيات؟

فإن قلتم: وهذا ما حدث فعلاً، حيث قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية - أي: هل هن كاشفات ضره - سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا، وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئاً من قدر الله ولكنها تشفع<sup>(١)</sup>. اهـ وهم أيضاً قالوا في آية أخرى قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فصرّحوا أنهم لا يريدون من آلهتهم سوى أن تقرّبهم إلى الله، فهم إذن مسلمون بأن أصنامهم لا تضر ولا تنفع، ولذلك احتج عليهم بهذا الذي يسلّمون به وهو توحيد الربوبية، ليقودهم إلى توحيد الألوهية وهو عبادة الله وحده.

وهذا حاصل كلام الطبري حيث قال في تفسير آية الزمر السابقة: يقول: إن أردني ربي أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به

(١) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٥٣٣)، وانظر الشرك في القديم والحديث ص ٥٠٧

من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون: لا، فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي، وييده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع<sup>(١)</sup>. اهـ

وتأمل قول الطبري: والمعنى: فإنهم سيقولون لا، فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، .. وييده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع. اهـ فهو جليّ فيما قلنا.

### رواية مقاتل: أنه لما نزلت «هل هن كاشفات ضره» سكتوا

قلنا: أولاً: أما قول مقاتل «لما نزلت هذه الآية سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا» لم أجد من أسنده إليه، وإنما هو شيء ذكره عنه القرطبيّ ومن قبله البغويّ في تفسيرهما دون سند<sup>(٢)</sup>، حتى لو وُجد إسناد إلى مقاتل فمقاتل من أتباع التابعين فأين إسناد مقاتل إلى النبي

(١) جامع البيان ط هجر (٢٠ / ٢١١)

(٢) تفسير البغوي (٧ / ١٢١)، الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط / الرسالة

(٢٨٢ / ١٨)

صلى الله عليه وسلم؟ حتى لو أسنده فلا يقبل منه ذلك لأنه متهم بالكذب<sup>(١)</sup> كما بسطناه في كتابنا السابق<sup>(٢)</sup>.

### قول المشركين: لا تدفع شيئاً من قدر الله ولكنها تشفع

ثانياً: أما قول الشوكاني «وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئاً من قدر الله ولكنها تشفع» فقد أخذ عن القرطبي في تفسيره<sup>(٣)</sup>، والقرطبي لم يذكر من أخرجه ولا من أسنده، ولم أجده عند غيره.

### قول الطبري: فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع

ثالثاً: وأما قول الطبري: «والمعنى: فإنهم سيقولون لا» فلم يذكر روايةً أو شيئاً يؤكد ذلك، والطبري نفسه يقول في غير هذا الموضع «فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتوهم، فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر»<sup>(٤)</sup>، وقال أيضاً «فأراد

(١) انظر: ميزان الاعتدال (٤ / ١٧٣)، سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٠٢)، وفي الكامل

لابن عدي (٨ / ١٨٥)

(٢) انظر: ولئن سألتهم ص ٣٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (١٨ / ٢٨٢)

(٤) جامع البيان ط هجر (١٠ / ٦٣٥)

عمر أن يعلم الناس أن استلامه أتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان<sup>(١)</sup>، فأثبت الطبري أن المشركين يثبتون الضرَّ والنفع للأصنام، وسيأتي بسط ذلك<sup>(٢)</sup>.

**الجواب عن استدلالهم بأية ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾**

رابعاً: وأما أن المشركين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فنعم ولكن رد الله عليهم فكذبهم مراراً، بشكل مباشر وغير مباشر! أمّا بشكل مباشر فقد قال في آخر الآية نفسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] قال ابن القيم: «شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر: أنه لا يهديهم فقال: إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار»<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري (٣ / ٤٦٢).

(٢) انظر (ص ٦١٧ و ٣٤١) من هذا الكتاب.

(٣) مدارج السالكين - ابن القيم (١ / ٢٥٦).

## أخذتم بقول المشركين وتركتم ما أخبر الله عنهم من أنهم اتخذوا الأصنام للنصر وللعز

وأما أنه تعالى كذبهم بشكل غير مباشر، فهذا حدث مرارا، من ذلك حين شهد الله على المشركين بخلاف ما زعموه هنا، حيث شهد عليهم بأنهم اتخذوا الأصنام آلهة من دون الله لتكون لهم عزا ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]، ولتكون لهم ناصرا ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤]، وأنهم كانوا يدعون فيها الضر والنفع كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦] وقد سبق أن بسطنا الكلام على هذه الآيات<sup>(١)</sup>.

فكيف تركتم ما شهد الله به عليهم من أنهم عبدوا أصنامهم لأجل جلب منفعة ودفع مضرة، ثم أخذتم بما قاله المشركون عن أنفسهم من أنهم لم يريدوا بعبادتها سوى الشفاعة، مع أن الله كذبهم في ذلك في الآية نفسها؟!

ثم آية الزمر نفسها تفيد أنهم اتخذوا أصنامهم للضر والنفع إذ دلت - كما أقر بذلك أحد السلفية - على أنهم «كانوا يعتقدون أن هذه

(١) انظر (ص ٢٦٢) من هذا الكتاب.

الأصنام وما يسكنها من روحانيات لها تأثير في تحقيق ما يريدون، وهذا ما عبّروا عنه بقولهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»<sup>(١)</sup>، حتى شفاعة الأصنام كانوا يعتقدون أنها تحصل بغير إذن الله كما قال ابن القيم فيما سبق.

### المطلب الثالث: الرد على دعوى أنهم لو كانوا يعتقدون تأثير أصنامهم لردوا على القرآن حين نفاه

فإن قلت: لو كان المشركون يعتقدون في آلهتهم الضر والنفع لما تمت الحجّة عليهم بالآيات السابقة التي تنفي الضر والنفع عن آلهتهم المزعومة! إذ لردّوا وقالوا: إننا لا نسلم بأنها لا تضر ولا تنفع ولا ترزق ولا تنصر ولا تخلق. ولكان اعتراضهم هذا صحيحا، إذ من المقرر في علم البحث والمناظرة أن الحجّة على الخصم لا تكون إلا بدليل يُسلمه، وإلا كان مصادرة على المطلوب، وهو ممنوع في المناظرة.

قلنا: هذا يكون صحيحا لو أن نفي الله الضر والنفع والنصر والخلق عن آلهتهم كان مجردا عن الأدلة العقلية، ولكن ما أكثر الأدلة العقلية التي تبين وتبرهن على أن آلهة المشركين لا تشفع ولا تملك شيئا ولا تخلق شيئا، وإليكم طائفة من تلك البراهين من كتاب الله:

(١) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/ ١٦٨).

الآيات التي برهنت على أن آلهتهم جماد لا تخلق ولا تضر ولا

تنفع:

الآية الأولى: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ.. أَهْمُ  
أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا»

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ  
فَلَيْسَتْ جِبُودُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَهْمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ  
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ هُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ  
ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥]،  
فهذه الآية أتت بالدليل الحسي على أن آلهتهم المزعومة هذه لا تضر ولا  
تنفع، وهذا الدليل هو أنها مجرد جمادات لا يتأتى منها أي حس أو  
حركة لتنفع بها نفسها فضلا عن أن تنفع من يعبدها.

ثم تحدّاهم بالقول فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع وأنها  
تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا  
دعوتوهم، فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها  
لا تنفع ولا تضر؛ لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع

مسألة سائل وأعطى وأفضل، ومن إذا شكى إليه من شيء سمع فضرّ من استحق العقوبة ونفع من لا يستوجب الضر<sup>(١)</sup>.

ولذلك «وصفها بأنها عباد مع أنها جماد تنزيلاً لها منزلة العقلاء على وفق معتقدهم، ولذلك قال: (فادعوهم فليستجيبوا لكم)<sup>(٢)</sup>»، وذلك أنه «لما اعتقد المشركون أن الأصنام تضر وتنفع، أجراها مجرى الناس فقال: (فادعوهم) ولم يقل فادعوهم»<sup>(٣)</sup>. أي «ادعوا شركاءكم الذين تزعمون أن لهم قدرة على النفع والضر»<sup>(٤)</sup>.

فأقوال المفسرين هذه تبين أن الآية موجهة للمشركين لكونهم معتقدين الضر والنفع في أصنامهم، وأن الآية ردّت عليهم اعتقادهم هذا، وبيّنت بالدليل الحسي بطلان ذلك على الوجه الذي سبق بيانه.

**الآية الثانية: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾**

(١) جامع البيان ط هجر (١٠ / ٦٣٥)

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٥ / ١٠٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط / الرسالة (٩ / ٤١٥)

(٤) فتح القدير للشوكاني (٢ / ٣١٦)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ.. قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ [الأنبياء: ٥١ - ٦٧]

فانظر إلى هذه القصة المشوقة التي تضمنت أدلة عقلية وحسية على بطلان ألوهية تلك الأصنام، التي كان يعبدها قوم إبراهيم عليه السلام، حيث برهن بتكسيه لأصنامهم على أنها عاجزة عن النطق وعن حماية نفسها، وبعد ذلك البرهان القاطع قال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. أي: «أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا، ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها من أراها بسوء، ولا

هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء ، فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا؟»<sup>(١)</sup>.

**(قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ تمهيد للاستدلال على أن الأصنام ليست بأهلة)**

ومعلوم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لو يعلم أنهم لا يعتقدون في تلك الأصنام ضرا ولا نفعا لما كان لكل ما قام به من تكسير من الأصنام معنى، إذ هو قام بذلك ليثبت لهم أنها لا تضر ولا تنفع، والمفروض أصلا أنهم يسلمون بذلك كما تقولون! إذن ما الفائدة من فعله هذا؟!

ولا سيما أن صنيعه هذا عُدَّ في الحديث النبوي إحدى كذبات ثلاث! ولولا أنه أراد بذلك إثبات عجز تلك الأصنام لما ساغ أن يرتكب ذلك، كما أنهم لو كانوا يعتقدون عجزها لكان صنيعه كله عبثا حاشاه عليه السلام، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) جامع البيان ط هجر (١٦ / ٣٠٣)

قال: (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل. قوله: ﴿إني سقيم﴾. وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾.. «<sup>(١)</sup>).

وهذا الكذب وإن قيل إنه تعريض إلا أن «التعريض نوع من الكذب؛ إذ كان كذبا في الأفهام؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله﴾ وهي معارض كقوله عن سارة: إنها أختي؛ إذ كان ليس هناك مؤمن إلا هو وهي»<sup>(٢)</sup>.

«وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ قال القرطبي: هذا قاله تمهيدا للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة، وقطعا لقومه في قولهم: إنها تضر، وتنفع، وهذا الاستدلال يتجاوز فيه في الشرط المتصل، ولهذا أردف قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ بقوله: ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾»<sup>(٣)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ١٢٢٥ ت البغا): «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل. قوله: ﴿إني سقيم﴾. وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾.. «

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٥٩)

(٣) «البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج» (٣٨/ ١١٥)

فهو قال لهم ﴿بل فعله كبيرهم﴾ ليثبت أنها ليست بألهة لأنها لا تضر ولا تنفع، وإلا لدفعت الضر والكسر عنها، ولولا أنه أراد أن يثبت لهم ذلك لما جاز أن يقول لهم «بل فعله كبيرهم»، بل لوجب أن يقول لهم الصدق، وهو أنه هو الذي فعل ذلك ولكن حينها لا فائدة من تكسيره للأصنام كما سبق.

**الآية الثالثة:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، ففي هذه الآية أراد الله أن يثبت للمشركين عجز آلهتهم ببرهان عقلي حيث «أخبر تعالى أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو سلبتهم الذبابة شيئاً من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا إنقاذه منها، فمن هذه صفته وحاله كيف يُعبد ليرزق ويستنصر؟»<sup>(١)</sup>، و«كيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه؟!»<sup>(٢)</sup>.

### (أربّ يبول الثعلبان برأسه)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٤٨٦)

(٢) شرح كتاب التوحيد - اللهميد (ص: ١١١)

«وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه عليهم، فهم عن غيره ممّا هو أكبر منه جرماً وأشد منه قوة: أعجز وأضعف»<sup>(١)</sup>، فهو - كما يقول الفوزان - «يقع عليه الذباب ويقذره ولا يستطيع أن ينفي عن نفسه، الذباب الضعيف .. يروى أن بعض المشركين له صنم، فجاء الثعلب وبال عليه، فلما رآه عابده فكّر وقال: أربّ يبول الثعلبان برأسه .. لقد هان من بالت عليه الثعالب فعند ذلك فكّر وترك عبادة الأصنام»<sup>(٢)</sup>. اهـ

**ولو كان الأمر كذلك لما فكّر ولما ترك عبادتها كما قال الفوزان  
ولو بال عليها ألف ثعلب)**

فتأمل قول الفوزان «فعند ذلك فكر وترك عبادة الأصنام» فهذا يبطل القول بأن المشركين لا يعتقدون في أصنامهم الضر والنفع وإنما أرادوا منها الشفاعة عند الله، إذ لو كان الأمر كذلك لما فكّر ولما ترك عبادتها حتى لو بال عليها ألف ثعلب وحمار، إذ المفروض أن المشرك هو أصلاً معتقد عجزها، وأن الله هو وحده الخالق القادر على اعتبار أنه موحد في الربوبية، فلماذا تفاجأ حين رأى الثعلب يبول عليها؟!!

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٥٥)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٨٤)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٠٦)

كما يبطل القول بأن العرب لا تسمى الصنم رباً وإنما تسميه إلهاً، على اعتبار أنهم لا يعدّون الأرباب فالرب عندهم هو الله وحده، وإنما يعدّون الآلهة، وهذا البيت «أرب يبول الثعلبان برأسه ..» يبطل ذلك، وقد بسطنا الكلام عنه وعن أمثاله في كتابنا «تنوير الرب الإله»<sup>(١)</sup>.

### إقرار ابن القيم أن المشركين أعطوا الإلهية وقدراتها المطلقة للتماثيل والصور

قال ابن القيم تعليقا على آية الحج: «فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟ وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم .. حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات.. فأعطوها صوراً وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) تنوير الرب الإله ص ١٥١، ط ١ / دار الأصيلين.

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢ / ٣١٣ ت مشهور)

فتأمل قول ابن القيم: «أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات.. صوراً وتمثيل»، وأن هذه الآية جاءت لإبطال هذا الشرك وهذا الاعتقاد، ولو أن المشركين كانوا لا يعتقدون خلقاً ولا تأثيراً في آلهتهم، لما كان لهذا البرهان معنى أصلاً، بل لردوا على رسول الله وقالوا له: ومن قال لك بأننا نعتقد في آلهتنا الخلق والتدبير حتى تبرهن لنا على بطلان ذلك من أنها لا تستطيع أن تخلق ذباباً؟! إنما نزاعنا معك في تشفعنا بها لتقربنا إلى الله زلفى.

**الآية الرابعة:** ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤] قال الطبري: «هذا مثل ضربه الله، أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر، لا يستجيب له بشيء أبداً، ولا يسوق إليه خيراً، ولا يدفع عنه سوءاً، حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليلبغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشاً»<sup>(١)</sup>.

وفي الآية أقوال؛ الأول: معناها أن المشرك «كالظمان الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير

(١) جامع البيان ط هجر (١٣ / ٤٨٩)

إليه بيده فلا يأتيه أبداً، لأن الماء لا يستجيب، وما الماء ببالغ إليه، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. الثاني - أنه كالظمان الذي يرى خياله في الماء، وقد بسط كفه فيه ليلبغ فاه وما هو وبالغه، لكذب ظنه، وفساد توهمه، قاله ابن عباس. الثالث - أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يجمد في كفه شيء منه.. قال علي رضي الله عنه: هو كالعطشان على شفة البئر، فلا يبلغ قعر البئر، ولا الماء يرتفع إليه<sup>(٢)</sup>.

### الأصنام جمادات ولكن نُزِلت منزلة العقلاء لاعتقاد المشركين فيها الضر والنفع

«والمقصود من الجملة الكريمة نفي استجابة الأصنام لما يطلبه المشركون منها نفيًا قاطعًا، حيث شبهه - سبحانه - حال هذه الآلهة الباطلة عند ما يطلب المشركون منها ما هم في حاجة إليه، بحال إنسان عطشان ولكنه غبي أحمق، لأنه يمد يده إلى الماء طالبا منه أن يصل إلى فمه دون أن يتحرك هو إليه. فلا يصل إليه شيء من الماء لأن الماء لا يسمع نداء من يناديه. ففي هذه الجملة الكريمة تصوير بليغ لخيبة

(١) روى الطبري في تفسيره (١٣ / ٤٨٨) بسنده عن مجاهد قال: «يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه بيده، فلا يأتيه أبداً».

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٤٢) وروى الطبري في تفسيره (١٣ / ٤٨٨) بسنده عن علي: قال: «كالرجل العطشان، يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه، وما هو وبالغه».

وجهالة من يتوجه بالعبادة والدعاء لغير الله تعالى، وأجرى سبحانه على الأصنام ضمير العقلاء في قوله «لا يستجيبون» مجازاة للاستعمال الشائع عند المشركين، لأنهم يعاملون الأصنام معاملة العقلاء»<sup>(١)</sup>.

فدلت هذه الآية وغيرها من الآيات «من كتاب الله على أن المعبودين غافلون عن عبادة من عبدهم، أي: لا يعلمون بها، لكونهم غير عقلاء، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾، وإنما كانوا غافلين عنها لأنهم جماد لا يعقلون. وإطلاق اللفظ المختص بالعقلاء عليهم نظرًا إلى أن المشركين نزلوهم منزلة العقلاء»<sup>(٢)</sup>.

**لم يطلب المشركون من الأصنام إلا لاعتقادهم أن فيها حظا من**

**الربوبية**

إذن المشركون يعاملون الأصنامَ معاملة العقلاء وينزلونها منزلتهم، لأنهم يعتقدون أنها قادرة على تنفيذ ما يطلبون منها، وقد صور الله حماقتهم وخيبتهم بهذا المثل الرائع الذي ضربه في سورة

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي (٧ / ٤٥٩)

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٦ / ٣٣١ ط عطاءات العلم)

الرعد، ولو كانوا لا يعتقدون فيها القدرة على تنفيذ ما يطلبون منها لما طلبوا منها أصلاً، ولذلك لا يُسَلَّم «أن من لجأ إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أنه لم يعتقد فيه التأثير، وإلا فما الذي ألجأه إلى أن يستعيث به ويدعوه؟»<sup>(١)</sup>، ولذا «فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن هؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية»<sup>(٢)</sup>.

### المشركون لو كانوا يعتقدون العجز في أصنامهم لما كان في آية الرعد حجة عليهم

ثم لو أن المسألة - كما تزعمون - هي أنهم يعتقدون أنها حجارة صماء عاجزة، ولكن يعبدون ما ترمز إليه من رجال صالحين؛ ليشفعوا لهم في قضاء حوائجهم عند الله بزعمكم: لما كان في الآية حجة عليهم! بل لا اعتراضوا بالقول: نحن نعلم أن هذه الأصنام عاجزة، ونحن لا نطلب منها شيئاً حتى نُشَبَّهَ بأننا كمن يطلب الماء بسط كفيه وليس ببالغته، وإنما نحن نطلب مما ترمز إليه وهم الصالحون الذين لهم جاه عند الله؛ ليشفعوا لنا عنده فيقضي هو تعالى حوائجنا، لأننا نعلم أنه

(١) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ١/ ١٩٢، خالد محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية.

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٦/ ٦١)

تعالى هو وحده القادر على قضائها دون غيره من الصالحين، فضلا عن الأصنام التي ترمز لهم.

**الآية الخامسة:** ﴿أَمْ هُمْ آلهةٌ مَنَعَهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣] «والتقدير ألهم آلهة من تمنعهم.. فهذه الآلهة لا تستطيع حماية أنفسهم عن الآفات، وحماية النفس أولى من حماية الغير. فإذا لم تقدر على حماية نفسها فكيف تقدر على حماية غيرها<sup>(١)</sup>».

وقوله «(لا يستطيعون) يعنى الذين زعم هؤلاء الكفار أنهم ينصرونهم لا يستطيعون (نصر أنفسهم) فكيف ينصرون عابديهم»<sup>(٢)</sup>. أو المعنى «(لا يستطيعون) أي الآلهة التي يزعمون أنها تنفعهم، أو هم - لأنهم لا مانع لهم من دوننا - (نصر أنفسكم) من دون إرادتنا فكيف بغيرهم<sup>(٣)</sup>، وفي ذلك «إبطال ما اعتقدوه فإن من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره»<sup>(٤)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب (٢٢ / ١٧٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط / الرسالة (١٤ / ٢٠٨)

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥ / ٨٦)

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤ / ٥٢)

## المطلب الرابع: آيات تبرهن بأن آلهتهم لا تشفع ولا تملك شيئاً ولا تعقل

حيث أقام «الحجة عليهم بأن آلهتهم التي جعلوها شركاء لله جل جلاله، لا تملك لهم جلب نفع ولا حجب ضر ولا إنزاله بهم، ثم حينما لا يجدون جواباً مقنعاً لأولي الألباب، يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، أو ليكونوا شفعاءنا عند الله»<sup>(١)</sup>، ومن الآيات في ذلك:

### آية (إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم...)

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

فانظر كيف برهن على بطلان عبادتهم للأصنام، وأنها لا تملك من قطمير بدليل أنها لا تسمع، وأنها إن سمعت لن تستطيع أن

(١) توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص ١٢، ١٣

تسجيب لهم، وما ذلك إلا لأنها أصنام وأحجار صماء لا تضر ولا تنفع البتة، ولو أنهم كانوا فقط يستشفعون بها لما قامت عليهم الحجة بذلك، ولقالوا: نحن نعلم أنها لا تسمع ولا تستجيب، ولكن نستشفع بها عند ربنا باعتبارها رموزاً وصوراً لأنبياء وأولياء! كما يزعم ابن تيمية وأتباعه!

ولنقرأ ما يقول الطبري: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ﴿ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ .. لأنها ليست ناطقة .. فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضرركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضرركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم<sup>(١)</sup>. اهـ فتأمل كيف أكد الطبري أنهم يعبدون جمادا أحجارا صماء لا تضر ولا تنفع.

الآية الثانية: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، «وهذه غاية الجهالة منهم، حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضرر في الحال.. وقيل: المعنى أي يعبدون ما لا

(١) جامع البيان ط هجر (١٩ / ٣٥٠)

يسمع ولا يبصر ولا يميز» ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيكذبون، وهل يتهدى لكم أن تنبئوه بما لا يعلم<sup>(١)</sup>. اهـ

الآية الثالثة: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس : ٣]  
«فأعلمهم الله أن أحدا لا يشفع لأحد إلا بإذنه، فكيف بشفاعة أصنام  
لا تعقل»<sup>(٢)</sup>.

آية (أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا  
وَلَا يَعْقِلُونَ)، وقول الرازي بأنهم يعبدون الجهادات

الآية الرابعة: وقال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ  
كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر : ٤٣ ، ٤٤]، أي  
«أنتخذون هذه الآلهة شفعا كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم  
نفعاً ولا ضراً، ولا يعقلون شيئا.. وأنتم متى أخلصتم له العبادة،  
فدعوتوه، وشفعكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرطبي، ط / الرسالة - (١٠ / ٤٧٠، ٤٧١)، وانظر: جامع البيان (١٥)

(٤٦ /

(٢) تفسير القرطبي، ط / الرسالة - (١٠ / ٤٥٢)

(٣) جامع البيان ط هجر (٢٠ / ٢١٧)

و«.. إن هؤلاء إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام، أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها، (والأول) باطل؛ لأن هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يُعقل صدور الشفاعة عنها. (والثاني) باطل؛ لأن في يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً، ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله، فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة، فكان الانشغال بعبادته أولى من الانشغال بعبادة غيره، وهذا هو المراد من قوله تعالى: قل لله الشفاعة جميعاً»<sup>(١)</sup>. اهـ

### نفي الضر والنفع عن الأصنام جاء مع الأدلة العقلية في القرآن

وهكذا نرى أن نفي الضر والنفع عن الأصنام، ونفي الشفاعة عنهم، ونفي قدرتهم على الخلق لم يأت في القرآن مجرداً عن الدليل، وإلا لكان مصادرة على المطلوب ما دام أن الخصوم - وهم المشركون - لا يسلّمون بذلك، بل جاء نتيجةً لأدلة عقلية ومقدمات منطقية أقامها القرآن، ولو كان قوم إبراهيم يسلّمون بأن هذه الأصنام لا تملك ضراً ولا نفعاً لاعترضوا مثلاً على سيدنا إبراهيم عليه السلام واتهموه بالجهل - حاشاه - فقالوا له: ومن قال لك إننا نعتقد في أصنامنا الضر

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٦ / ٤٥٦)

والنفع؟! بل من قال لك: إننا نعبد حجارة؟! وإنما هذه تماثيل للأنبياء والصالحين نتوسل بهم إلى الله كما يقول ابن تيمية وأتباعه! فما تمت بذلك حجة إبراهيم على قومه، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

**المطلب الخامس: الجواب عن دعوى أن الرازي أقر بأن الكفار لا يعتقدون في أصنامهم سوى الشفاعة**

استدل بعض السلفية<sup>(١)</sup> على ذلك بقول الفخر الرازي: واعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً، فقالوا نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى بأن قال: أم اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون<sup>(٢)</sup>.

والجواب من وجوه:

(١) «هذه مفاهيمنا» (ص ١٥٨)، «المجموع الثمين في حكم دعاء غير رب العالمين»

(ص ١٠ ت. ش).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٢٦ / ٢٨٧)

الوجه الأول: إن تنمة كلام الرازي يبيّن أن هذا مجرد احتمال أوردته ضمن احتمالين ذكرهما، فالرازي بعد أن قال: «واعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً .. لا يملكون شيئاً ولا يعقلون» قال: «وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام»<sup>(١)</sup> إلى بقية كلامه الذي ذكرناه آنفاً.

وكلامه الأخير واضح منه أنه كان يردّد احتمالات هنا، فذكر احتمالين وأبطلهما، فقال «إن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها، والأول: باطل لأن هذه الجمادات، وهي الأصنام، لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها؟ والثاني: باطل لأن في يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً، ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله».

وهذا حاصله أن الكفار سواء أكانوا يطلبون الشفاعة من الأبحار نفسها، أو مما تمثله من أشخاص، فطلبهم باطل على كلاً الحالين لما ذكره الرازي، فقول الرازي في أول كلامه «واعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً ..» هذا كان أحد الاحتمالين المذكورين لاحقاً، فجاء بعض الوهابية فاخطف كلام الرازي الأول وبتر تنمة

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٦ / ٤٥٦)

كلامه! ثم طار به فرحا ظانًا أنه وجد بُغيته عند الرازي! ولكن كما يقال: يا فرحة ما تمت! ومما يؤكد ما ذكرنا هو:

**الوجه الثاني:** لو غضضنا الطرف عن تنمة كلام الرازي، ونظرنا في أول كلامه الذي اختطفه بعض الوهابية لما كان فيه حجة! لأن الإمام الرازي لم يذكر دليلًا أو رواية تدل على قوله «واعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً، فقالوا.. وإنما نعبدها لأجل أنها تماثل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين»، فأين قال الكفار ذلك؟! وفي أي كتاب من أسباب النزول ورد هذا؟ هذا لم يرد على حد علمي، ومع ذلك احتفى الوهابية بكلام الرازي هذا<sup>(١)</sup>، مع أنهم هم من ينادون بنبذ آراء الرجال ويقولون:

«ودع آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح»<sup>(٢)</sup>

فما بالك إذا كان هذا الرأي مخالفاً للقرآن، إذ قول الرازي هذا يرده ظاهر قوله تعالى «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ»، فالآية دلت على أنهم يعبدون ما لا يعقل

(١) «هذه مفاهيمنا» (ص ١٥٨)، «المجموع الثمين في حكم دعاء غير رب العالمين» (ص ١٠ ت. ش)، د. محمد بن عبد الله المقشي.

(٢) «توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيم الكافية الشافية» (١ / ٤٦١)

وهي هذه الأحجار، فكيف قدمتم قول الرازي على القرآن؟ وهل هذا ما أنكره ابن تيمية على المتكلمين فقال مخاطباً لهم «وجعلتم فيه آراء الرجال مقدمة على ما أنزل الله وبعث به رسله»<sup>(١)؟!!</sup>

الوجه الثالث: قد قرر الإمام الرازي نفسه في أول تفسيره أن «كل من اتخذ لله شريكاً فإنه لا بد وأن يكون مُقَدِّماً على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه، إما طلباً لنفعه، أو هرباً من ضرره..»<sup>(٢)</sup>، فمن يُقدم على عبادة غيره تعالى فهو معتقد في معبوده لا محالة الضر والنفع، وهذا بحد ذاته شرك سواء أكان اعتقاده هذا بالأصنام نفسها بأنها تضر وتنفع، أو بمن ترمز له من أشخاص صالحين بأنهم يضررون وينفعون، هذا إن سلمنا بقضية الرمز هذه أصلاً.

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١ / ١٠٥)

(٢) مفاتيح الغيب: ١ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ونقله في «الشرك في القديم والحديث» (١)

## الخاتمة

وهكذا نكون قد انتهينا - بفضل الله - من جولة جديدة كانت في رحاب هذا الجزء أو المجلد الثالث من سلسلة نقض نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية رحمه الله، وقد تضمن هذا المجلد باين، نأتي فيما يلي على خلاصة ما فيهما من فصول وأهم ما فيها من مباحث:

فالباب الأول ناقشت فيه أدلة ابن تيمية وأدلة أتباعه في أن المشركين موحدون في الربوبية، وقد تضمن ثلاثة فصول: الفصل الأول: ناقشت فيه أدلة ابن تيمية على ذلك من القرآن، فتناولت استدلاله بآية «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» وأمثالها، ولكن ناقشت دلالتها بشكل مختصر لأنني بحثت ذلك بالتفصيل في المجلد الثاني الذي كان بعنوان «ولئن سألتهم».

وتناولت هنا أيضا استدلاله آية «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»، وناقشت الاستدلال بآية ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾، كما ناقشت الاستدلال بالآيات التي فيها ذكر لاسم الله على لسان المشركين، ومنها قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِهَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت ١٤] وغيرها.

وفي الفصل الثاني بسطت الكلام حول أدلة ابن تيمية من السنة والآثار والأخبار على توحيد المشركين في الربوبية، فناقشت استدلاله

فيه بحديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..»،  
وبحديث مرض أبي طالب، وبتلبية المشركين.. إلا شريكاً هو لك،  
تملكه وما ملك»، وفي الفصل الثالث: ناقشت مدى دلالة الشعر  
الجاهلي على توحيد المشركين في الربوبية.

وخلصت من هذا الباب الأول أن كل ما سرده ابن تيمية  
وأتباعه من أدلة على دعوى أن المشركين موحدون في الربوبية من  
كتاب أو سنة أو أخبار وأشعار، كل ذلك لا ينهض دليلاً على دعواه،  
بل أتيت بأدلة على خلاف ذلك، وهو ما بسطته في:

الباب الثاني الذي كان بعنوان «أدلتنا على أن المشركين كانوا  
غير موحدين في الربوبية»، فذكرت في الفصل الأول: اعتقاد المشركين  
الضر والنفع في أصنامهم وهذا ينافي توحيد الربوبية، وأوردت في  
المبحث الأول: الأدلة من القرآن على اعتقاد المشركين الضر والنفع في  
أصنامهم، ومن تلك الآيات آية هود ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا  
بِسُوءٍ﴾، وآية يس ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ وآية  
مريم ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، وبسطت أوجه  
دلالتها على ذلك، ودفعت اعتراضات الوهابية عن تلك الدلالة.

وذكرت في المبحث الثاني الأدلة من السنة والآثار والأخبار  
على اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم، ومن ذلك خبر «يا

ضمّام اتق البرص والجذام، اتق الجنون»، وقول الفاروق «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع»، وخبر «اعبد ضمّار فإنه ينفعك ويضرك»، وخبر «هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا»، وخبر «فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى»، وقصة «أربُّ يبول الثعلبان برأسه».

وبحثت في الفصل الثاني إضافة المشركين كثيرا من الحوادث إلى غيره تعالى، وبرهنت على ذلك من وجوه كثيرة وهي ما يلي:

١. نسبة المشركين الأحداث إلى الدهر
٢. نسبة المشركين التأثير والرزق إلى الكواكب والنجوم
٣. أدلة من السنة على اعتقادات جاهلية تنسب التأثير إلى غير الله
٤. اعتقاد المشركين بأن الكهان يعلمون الغيب ولذا قصدوهم
٥. اعتقاد أهل الجاهلية بالعدوى اعتقاد المشركين بتأثير التمام
٦. اعتقاد أهل الجاهلية بالهامة وضررها
٧. تعاطي المشركين للسحر وهذا شرك في الربوبية
٨. اعتقاد أهل الجاهلية بالغول وضررها
٩. الطيرة عند المشركين

وتحدثت في الفصل الثالث عن دلالة استقراء آيات القرآن على أنهم مشركون في الربوبية، وذلك من الوجوه الآتية:

١. تسمية المشركين لأصنامهم بالآلهة والأرباب
٢. المشركون جعلوا أصنامهم عدلاً لله وندا وكفؤاً له تعالى
٣. اعتقاد المشركين بأن أصنامهم تشفع بدون إذن الله
٤. تسمية القرآن لهم بالمشركين مطلقاً خلافاً لتقييد ابن تيمية
٥. تحاكم أهل الجاهلية إلى الطاغوت ووقوعهم في شرك التشريع

٦. نسبة المشركين الولد إلى الله تعالى سبحانه
  ٧. سبهم الله عندما تُسب آلهتهم المزعومة
  ٨. آية الزمر «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»
  ٩. اعتقاد أهل الجاهلية بتأثير الجن وخشية ضررهم
  ١٠. قتل المشركين أولادهم خشية قلة الرزق
  ١١. إنكار المشركين للبعث والنشور وهذا قدح في الربوبية
  ١٢. قول المشركين بمصاهرة الله للجن تعالى الله عن ذلك
- وتكلمت في الفصل الرابع عن النزاع بين الأنبياء والمشركين هو في الربوبية وليس في الألوهية فحسب، وتناولت عدة مباحث وهي:

- ١ . آيات فيها ردّ من الأنبياء - عليهم السلام - وأتباعهم على المشركين بإثبات ربوبية الله وحده
  - ٢ . الآيات التي أعلن فيها بعض الكفرة إسلامهم وإيمانهم بربهم
  - ٣ . نصوص تشهد لمن آمن بربوبيته تعالى بالإيمان والفوز في الآخرة
  - ٤ . ثمة آيات تُعرّف المشركين بالله بأنه خالق السموات والأرض
  - ٥ . آيات تبطل خالقية الأصنام وتجادل المشركين
  - ٦ . آيات تدعو إلى الإيمان بالله أو بربوبيته
  - ٧ . الآيات التي تبسط البراهين على وجود الله وترد على المشركين، مثل آية الطور «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ»، وآية «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وبينت تضمنها الأدلة على وجوده تعالى كما قال ابن القيم والشوكاني.
  - ٨ . دلالة شركهم في الألوهية على شركهم في الربوبية
  - ٩ . بيان القرآن مرارا أن آلهتهم المزعومة هي إنما حجارة صماء لا تملك لهم ضرا ولا نفعا.
- وهكذا نكون قد انتهينا من نقض الأصل الثاني لنظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، وهو أن المشركين موحدون في الربوبية، ومشركون في الألوهية، وهذا كان قد جعله ابن تيمية دليلا ثانيا على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، وكان دليله الأول هو أن الرب والإله لفظان متباينان، وهذا نقضناه في المجلد الأول من نقض نظرية

تقسيم التوحيد المسمى «تنوير الرب الإله...»، ونقضنا الأصل الثاني وهو زعمه أن المشركين موحدون في الربوبية، وذلك في المجلد الثاني وهو «ولئن سألتهم»، وأتمنا - بحول الله - نقض هذا الأصل الثاني، وذلك في هذا المجلد الثالث بين أيديكم.

وخلصت إلى أن هذا غير صحيح؛ إذ قد بيّنت أن المشركين كانوا مشركين في الربوبية وفي الألوهية معا، وأثبت بحمد الله ذلك بأدلة ساطعة من الكتاب والسنة ومن الأخبار والأشعار ونصوص للسلف وإقرار كثير من السلفية، طبعاً هذا كله لو سلمنا بالفرق بين الربوبية والألوهية، وإلا فهذا أصلاً غير مسلم كما بسطناه في المجلد الأول.

وسوف نتقل في المجلد الرابع بحول الله إلى نقض أصله الثالث، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قاتل المشركين على توحيد الألوهية لا على توحيد الربوبية، لنبيّن أن هذا أيضاً غير صحيح، ثم أنتقل بعد ذلك إلى المجلد الخامس والأخير لنقض ما تبقى من أصول نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية.

وبعد ذلك سأتفرغ إن شاء الله في السنة القادمة - أي سنة ٢٠٢٤م - وما بعدها للنظر في آثار نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية وتطبيقاتها العملية في مسائل الاستغاثة والتوسل والتشفع، وكذا

التبرك القبور والطواف بها والذبح لها وشد الرحال لزيارتها ونحو ذلك، ولنقض دعوى الشرك في هذه المسائل الفقهية، وهذا قد يأخذ خمسة مجلدات أخرى، وبذلك أكون قد نقضت تقسيم التوحيد نظريا في خمسة مجلدات، ونقضته عمليا في خمس مجلدات أخرى، فيكون المجموع عشرة مجلدات. وبالله التوفيق والسداد

وأختتم بالصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى فضل ربه ورحمته وعفوه: وليد بن صلاح الدين الزير، وذلك في العاصمة التركية أنقرة في ١٥ ذي الحجة لعام ١٤٤٤هـ الموافق ٣/٧/٢٠٢٣م.

## فهرس المحتويات

٧	تقارظ .....
٩	تقريظ الأستاذ الكبر: مهنا حمد المهنا حفظه الله .....
١١	تقريظ الدكتور عبد القادر الحسين حفظه الله .....
١٥	تقريظ الدكتور سيف العصري حفظه الله .....
١٩	المقدمة .....
٢٠	منهجي في هذا الكتاب .....
٢٠	ترحم وشكر وتقدير .....
	الباب الأول: مناقشة أدلة ابن تيمية وأتباعه في أن المشركين موحدون في
٢٥	الربوبية .....
٢٧	الفصل الأول: مناقشة أدلة ابن تيمية من القرآن .....
٢٧	المبحث الأول: آية ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾ وأمثالها .....
	المطلب الأول: توقف هذا الاستدلال على ثبوت التباين بين الإله
٢٧	والرب .....
	المطلب الثاني: الآيات الثمانية تضمنت إقرارا مشروطا بعدة شروط
٣١	.....
٣١	المرصد الأول: اشتراط أن يسألوا عن الخالق .....
	المرصد الثاني: اشتراط أن يتفكروا في أدلة وجود الله وينصفوا
٤١	.....

- المرصد الثالث: بيان أنهم لا يتفكرون ولا يُعملون عقولهم  
 لأنهم مقلدون لأبائهم..... ٤٢
- المطلب الثالث: إشارة بعض آيات الباب الثمانية نفسها إلى شكهم  
 في الخالق..... ٤٤
- المطلب الرابع: غاية ما تدل على الآيات الثمانية هو معرفتهم القلبية  
 بالله..... ٤٥
- المطلب الخامس: لا دلالة في تلك الآيات على التوحيد الذي  
 تبرعتم به للمشركين..... ٤٧
- المطلب السادس: فهمُ ابن تيمية لتلك الآيات الثمانية يخالف فهم  
 السلف الذي دعا هو إليه..... ٥٠
- المطلب السابع: السلفية يهبون التوحيد للمشركين ليسلبوه عن  
 المسلمين؟!..... ٥٣
- المطلب الثامن: خطأ تقدير السلفية لكلمة وحده في آيات الباب  
 الثمانية..... ٥٥
- المطلب التاسع: نقض المشركين لتوحيد الربوبية وعدم إذعانهم له  
 ..... ٥٦
- أولاً: بيان عدم إيقانهم..... ٥٧
- ثانياً: بيان عدم إذعانهم..... ٥٩
- المطلب العاشر: آياتُ الباب الثمانية عارضها آياتُ أخرى  
 وأحاديثُ أصرَح منها..... ٦٠

- المبحث الثاني: آية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ..... ٦٢
- المطلب الأول: الآية نصّ على أنهم مشركون مطلقاً ..... ٦٥
- المرصد الأول: الجواب عن أثر ابن عباس وغيره «فيقولون: الله وهم يعبدون غيره» ..... ٦٦
- المرصد الثاني: قول عكرمة فذلك إيمانهم بالله ولم يقل فذاك توحيدهم ..... ٦٨
- ابن القيم يقرّ بأن الآية أثبتت لهم إيماناً به وليس توحيداً بل شركاً ..... ٧١
- نصوص الطبري وغيره على أنهم اتخذوا الأرباب والآلهة شركاء مع الله ..... ٧٣
- الآية ليست بلفظ «وما يوحد الله أكثرهم إلا وهم مشركون»!!! ..... ٧٦
- قول ابن تيمية إنهم مشركون في الألوهية فقط مصادرة على المطلوب ..... ٧٧
- المرصد الثالث: إشارة بعض الآثار في تفسير الآية إلى أنهم مشركون في الربوبية ..... ٧٩
- المرصد الرابع: الجواب عن الروايات في أن شرك العرب كان بعبادتهم غير الله ..... ٨١
- المرصد الخامس: بيان أن شرك قريش كان في الربوبية أيضاً ..... ٨٤

- الحراني والنجدي يقرّان باتخاذ المشركين أربابا من دون الله  
 ٨٦ .....
- المطلب الثاني: تفسيرات أخرى كثيرة للشرك في آية يوسف .. ٨٩  
 ابن تيمية يقتصر على تفسير من أربعة عشر تفسيراً لآية  
 يوسف ..... ٩٣
- ابن عاشور: وهذا إبطال لما يزعمونه من الاعتراف بأن  
 الله خالقهم ..... ٩٥
- المطلب الثالث: دلالة الآية على عدم إيمان بعض المشركين بالله  
 ..... ٩٦
- الجواب عن القول بأن المراد وما أكثر الناس بمؤمنين بك  
 يا محمد ..... ٩٨
- الخلاصة أنه لا دلالة في آية يوسف على توحيد المشركين  
 في الربوبية ..... ١٠٠
- المبحث الثالث: آية ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾  
 ..... ١٠٤
- مطلب في قول المشركين كيف يسع الخلق كلهم إله واحد .. ١٠٥  
 المراد بآية الإسراء عند الطبري: وإذا قلت: لا إله إلا الله  
 انفضوا ..... ١٠٨
- المبحث الرابع: الآيات التي فيها ذكر الله على لسان المشركين ..... ١١٠
- المطلب الأول: ذكرهم الله لا يدل بالضرورة على إقرارهم به ١١٣

- تقليد المشركين لأبائهم تقليداً أعمى حتى إطلاق كلمة الله  
 ١١٣ .....
- قول العقاد: «الله» الذي وصفه المشركون والذي وصفه  
 الإسلام لا يتشابهان بغير الحروف! ..... ١١٥
- قول ابن تيمية بأن المشركين كانوا يفضلون أنفسهم على ربهم  
 ١١٧ .....
- الجواب عن شبهة دعاء المشركين الله عند الغرق ..... ١١٩
- أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ ..... ١٢١
- قول البيضاوي «وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام  
 وتوادهم عليها» ..... ١٢٣
- المشركون لم يكونوا صادقين في دعائهم الله في الغرق  
 لرجوعهم إلى شركهم بعد نجاتهم ..... ١٢٤
- الطبري «إذا نجوا وصاروا إلى البر اتخذوا الأوثان آلهة وأربابا»  
 ١٢٥ .....
- أبو السعود والألوسي والشوكاني: دعوا الله مخلصين له الدين  
 أي كائنين في صورة من أخلص دينه ..... ١٢٥
- المطلب الثاني: لا توحيد في الآيات التي استدلتتم بها ..... ١٢٧
- الفصل الثاني: مناقشة أدلته من السنة والآثار والأخبار ..... ١٢٩
- المبحث الأول: الأدلة من السنة والأحاديث المرفوعة ..... ١٢٩

- المطلب الأول: حديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا  
إله إلا الله..» ..... ١٢٩
- المطلب الثاني: حديث مرض أبي طالب ..... ١٣٢
- إذا روينا في الحلال والحرام والسنن والأحكام شددنا في  
الأسانيد ..... ١٣٤
- المطلب الثالث: حديث تلبية المشركين «..إلا شريكاً هو لك، تملكه  
وما ملك» ..... ١٤٠
- تناقض المشركين في توحيد الربوبية ..... ١٤١
- اتخذوا الأصنام آلهة لتنصرهم وتدفع عنهم وليست هي مجرد  
شفعاء كما تزعمون ..... ١٤٣
- من حققهم اتخذهم الأصنام شفعاء ..... ١٤٤
- الرد المختصر على الزعم بأن أوثانهم رموز عندهم للأنبياء  
عليهم السلام ..... ١٤٥
- فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان فقال: إلا شريكاً هو لك ..... ١٤٦
- لو كانوا صادقين لما اشمأزت قلوبهم من ذكر الله، ولما سبّوه  
عند سبّ آلهتهم ..... ١٤٦
- المبحث الثاني: الأدلة من الآثار والأخبار غير المرفوعة ..... ١٤٨
- المطلب الأول: أثر ابن عباس «وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم  
يرزقكم غيره» ..... ١٤٨

المطلب الثاني: خبر «اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين..»

١٥٤ .....

ضبط «اللهم أقطعنا الرحم، وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة»،

وتوجيهها ..... ١٦١

استعجال المشركين لعذاب الله هو استهزاء منهم وعناد وليس

إيماناً بالله ..... ١٦٥

الدعاء لا يدل على توحيد الربوبية أصلاً ..... ١٦٧

الفصل الثالث: مدى دلالة الشعر الجاهلي على توحيد المشركين في الربوبية

١٧٠ .....

المبحث الأول: أبيات من الشعر الجاهلي التي استدلووا بها على توحيدهم

في الربوبية ..... ١٧٠

دعوى أن العرب كانت موحدة في الربوبية لأنها كانت تحلف

بالله وتحج البيت ..... ١٧٣

المبحث الثاني: التشكيك بالشعر الجاهلي الذي فيه ذكر اسم الله .... ١٧٦

لا عبرة بتشكيك المستشرقين ومن لف لفهم في الشعر الجاهلي

برمته ..... ١٧٧

تشكيك جواد علي بأبيات لامرئ القيس وغيره فيها ذكر الله

..... ١٧٧

التشكيك بقول عبيد بن الأبرص في معلقته: والله ليس له

شريك .. ١٧٨

- التشكيك بقول النابغة الجعدي: والحمدُ لله لا شريك له  
١٧٩ .....
- قصيدة النابغة الجعدي التي استوحاها من القرآن في تقرير  
النشأة الأولى والآخرة ..... ١٨١
- النابغة الجعدي شاعر إسلامي أو هو من حنفاء الجاهلية  
١٨٧ .....
- طرفة لابن الجوزي في نسبة أحد الحمقى بيت النابغة لسورة  
الدخان ..... ١٩٠
- الجواب عن أبيات أخرى فيها ذكر الله عند أصحاب المعلقات  
١٩١ .....
- الاختلاف في وجود بعض أبيات المعلقات ..... ١٩٣
- اختلاف الرواة في ألفاظ كثيرة من أبيات المعلقات .... ١٩٧
- المبحث الثالث: الحنفاء في الجاهلية الذين نبدوا عبادة الأصنام الذين  
أغفلهم الوهاية ..... ٢١٢
- إغفال السلفية لذكر الحنفاء في الجاهلية لأنهم يفسدون عليهم  
غرضهم! ..... ٢١٤
- كعب بن لؤي من الحنفاء ..... ٢١٥
- عبد المطلب ذكر الدار الآخرة ورفض عبادة الأصنام آخر عمره  
٢١٦ .....
- جميع أصول النبي عليه الصلاة والسلام كانوا موحدين .... ٢١٧

- زيد بن عمرو بن نفيل من الحنفاء في الجاهلية ..... ٢١٩
- رثاء ورقة لزيد ..... ٢٢١
- ورقة بن نوفل كان من الحنفاء في الجاهلية ..... ٢٢٢
- خبر قس: «كل من مات فات وكل ما هو آت آت، إن في السماء  
لخبرًا...» ..... ٢٢٥
- التملس بن أمية الكناني كان من الحنفاء ..... ٢٣٤
- تجاهل الوهابية لكون أمية بن الصلت من الحنفاء ..... ٢٣٦
- تستر السلفية على أخبار الحنفاء في الجاهلية خشية انهيار نظرية  
تقسيم التوحيد ..... ٢٤٠
- الجواب عن الشعراء الجاهليين الذين وحدوا في الربوبية دون  
الألوهية ..... ٢٤١
- تفضيل المشركين لأصنامهم على الله كما يقول ابن تيمية .... ٢٤٥
- قول الطبري أن المشركين كانوا يدفعون ما قد ثبت عندهم صحته  
واستحكمت لديهم معرفته ..... ٢٤٧
- أبيات الشعر التي فيها الإقرار بالبعث لا تدل على أنهم موحدون  
في الربوبية ..... ٢٤٩
- الخلاصة: لا دليل لابن تيمية في كل ما سبق على توحيد المشركين  
في الربوبية ..... ٢٥٣
- الباب الثاني: أدلتنا على أن المشركين كانوا غير موحدين في الربوبية ..... ٢٥٦

- الفصل الأول: اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم وهذا يناه في توحيد الربوبية..... ٢٦٠
- المبحث الأول: الأدلة من القرآن على اعتقاد المشركين الضر والنفع في أصنامهم..... ٢٦٢
- المطلب الأول: آية هود ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ ..... ٢٦٢
- ثالثا: قول ابن تيمية وابن القيم في الآية: ..... ٢٦٦
- تأويل السلفية لقوله تعالى: «إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ» ..... ٢٦٧
- تنصل السلفية من دعواهم أن المشركين ما كانوا يعتقدون ضرا ولا نفعا في أصنامهم ..... ٢٦٨
- نصوص السلفية في أن المشركين لم يعتقدوا الضر والنفع في آلهتهم المزعومة ..... ٢٧٠
- الدعوى الأولى: أن المشركين يعتقدون تأثيرا جزئيا في أصنامهم. .... ٢٧٧
- اعتقاد المشركين في أصنامهم أنها أنداد لله يفيد أنهم يعتقدون التدبير الكلي ..... ٢٧٨
- نصوص العلماء في إثبات ملل تقول بأن الله فَوْضَ تديير الكون لبعض خلقه ..... ٢٨٣

- الدعوى الثانية: أن المشركين يعتقدون بأن أصنامهم تضر وتنفع بإذن الله وتفويض منه..... ٢٨٨
- كلمة «إذن الله» كلمة إسلامية لم تكن معروفة في الجاهلية حتى تنسبها إليها..... ٢٨٩
- نصوص السلفية على أن المشركين يعتقدون بحدوث بعض الممكنات من غير إذن الله وتقديره..... ٢٩٢
- هل اعتقاد تفويض الله لبعض خلقه بالتصرف بالكون يقدر في توحيد الربوبية؟..... ٢٩٦
- نص ابن تيمية على أن الاعتقاد بالوسائط والأغواث كفر واضطرابه في ذلك..... ٢٩٦
- تناقض السلفية في عقيدة تفويض تدبير الكون لبعض خلقه، فتارة هي كفر وتارة هي توحيد!..... ٢٩٨
- تناقض الوهابية في الحكم على خصومهم بتوحيد الربوبية..... ٢٩٩
- تفويض تدبير الكون واضطراب الوهابية في الحكم على معتقد ذلك..... ٣٠٤
- دعوى أن المشركين كانوا يعتقدون أن آلهتهم تضر وتنفع عن طريق الشفاعة..... ٣٠٦
- الجواب عن تأويل أدعياء السلفية لآية هود وبيان اضطرابهم في ذلك:..... ٣٠٧

- إقرار السلفية بأن آية هود دلت على خوف المشركين من  
 أصنامهم ..... ٣٠٨
- رابعاً: شفاعة المشركين التي كانوا يرجونها من أصنامهم  
 تحصل عندهم بغير إذن الله ..... ٣١٠
- خامساً: أنهم أرادوا الشفاعة والنصر معا ..... ٣١١
- المطلب الثاني: آية يس «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ»  
 ..... ٣١٨
- المطلب الثالث: آية مريم ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ  
 عِزًّا﴾ ..... ٣٢٠
- المطلب الرابع: آية «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ  
 رِزْقًا» ..... ٣٢٢
- المطلب الخامس: آية «أَمْ هُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا» ..... ٣٢٤
- المطلب السادس: آية «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا»  
 ..... ٣٢٥
- نصوص بعض العلماء أن المشركين عبدوا الأصنام لترزقهم  
 ..... ٣٢٦
- هبل كان إله الخصب والرزق والسعادة عند المشركين!! ٣٢٧
- المشركون قدحوا في توحيد الرازقية ..... ٣٢٨
- دعوى بأنهم اتخذوا الآلهة لا لترزقهم وإنما لتشفع لهم عند الله  
 فيرزقهم تعالى ..... ٣٢٩

- المشركون غلوا في الأصنام حتى أعطوها خصائص الإلهية  
 عند ابن القيم ..... ٣٣٢
- سبب خوف المشركين من آلهتهم هو أنهم كانوا يتصورون أن  
 هذه الآلهة لديها قدرات مستقلة ..... ٣٣٢
- الناس إنما يعبدون من يعتقدون فيه الربوبية ..... ٣٣٤
- الجواب عن كلام أبي السعود الذي قد يفهم منه أن المشركين  
 موحدون في الربوبية ..... ٣٣٤
- المبحث الثاني: الأدلة من السنة والآثار والأخبار على اعتقاد المشركين  
 الضر والنفع في أصنامهم ..... ٣٣٩
- المطلب الأول: خبر «يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون»  
 ..... ٣٣٩
- المطلب الثاني: قول الفاروق «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا  
 تنفع» ..... ٣٤١
- لو كانوا لا يعتقدون الضر والنفع فيها لما كان لقول الفاروق  
 عند تقبيله للحجر الأسود معنى ..... ٣٤٣
- المطلب الثالث: خبر «اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك» .... ٣٤٤
- المطلب الرابع: خبر «هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا،  
 ونستنصرها فتنصرنا» ..... ٣٤٥
- المطلب الخامس: خبر (فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا  
 اللات والعزى) ..... ٣٤٦

- المطلب السادس: قصة «أربُّ يبول الثعلبان برأسه» ..... ٣٤٦
- الفصل الثاني: إضافة المشركين كثيرا من الحوادث إلى غيره تعالى ..... ٣٥٠
- المبحث الأول: نسبة المشركين الأحداث إلى الدهر ..... ٣٥٠
- المطلب الأول: الأدلة والشواهد على نسبة المشركين الأحداث إلى الدهر ..... ٣٥٠
- المطلب الثاني: الرد على تأويل أديعاء السلفية لآية الجاثية «وما يهلكنا إلا الدهر» ..... ٣٥٣
- المرصد الأول: الزعم بأن الآية في الدهرية وليست في مشركي العرب ..... ٣٥٤
- المرصد الثاني: نصوص العلماء سلفا وخلفا في أن آية الجاثية تتناول المشركين ..... ٣٥٦
- المرصد الثالث: نصوص ابن تيمية وأتباعه على أن آية الجاثية نزلت في أهل الشرك ..... ٣٦٠
- الجواب عن قول الشهرستاني بأن آية الجاثية خاصة بمنكري الخالق من العرب ..... ٣٦٦
- المرصد الرابع: سياق الآية وسباقها يدل على أن المراد بها المشركون ..... ٣٦٧
- المرصد الخامس: الزعم بأن المراد بآية الجاثية هو إنكار المشركين لملك الموت ..... ٣٦٩

- نسبة المشركين الموت إلى الدهر هو قدح بتوحيد الربوبية  
 ٣٦٩ .....
- المرصد السادس: نصوص مفسري الحنفية في نسبة المشركين  
 الحوادث إلى الدهر ..... ٣٧٠
- المرصد السابع: دعوى بعض المفسرين بأن مراد المشركين هو  
 إنكار ملك الموت ..... ٣٧٢
- بطلان القول بأن المراد إنكار المشركين لملك الموت .... ٣٧٣
- قول النسفي بأنهم لا يعلمون قدرة الله على البعث .... ٣٧٤
- المرصد الثامن: دعوى المعلمي أن نسبة المشركين الحوادث  
 للدهر مجازية! ..... ٣٧٦
- يعتذرون عن الدهرية بالمجاز بما لا يعتذرون به عن المسلمين  
 في مسألة الاستغاثة ..... ٣٧٨
- المرصد التاسع: دعوى أن الذين أنكروا الله هم بعض الزنادقة  
 من أهل الجاهلية ..... ٣٨٢
- تناقض الوهابية في نطق المشركين بتوحيد الربوبية ..... ٣٨٣
- المشركون يعلمون في قلوبهم بأنه لا إله ولا رب إلا الله ولكن  
 لا يذعنون ولا تقر ألسنتهم بذلك ..... ٣٨٥
- المرصد العاشر: خبط بعض الوهابية في آية الجاثية ينقض  
 نظرية تقسيم التوحيد برمتها ..... ٣٨٦
- المبحث الثاني: نسبة المشركين التأثير والرزق إلى الكواكب والنجوم ٣٩٢

- المطلب الأول: الأدلة على أن المشركين كانوا ينسبون التأثير  
والغيث إلى الكواكب والأصنام: ..... ٣٩٢
- قول القرطبي «اعتقادهم الفاسد في أن النجوم توجد المطر  
وتخلقه» ..... ٣٩٣
- قول ابن تيمية: «يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره  
ويشركه به» ..... ٣٩٤
- «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» أي الأنواء التي ينسب  
المشركون إليها الرزق ..... ٣٩٥
- المطلب الثاني: نصوص العلماء على أن مشركي العرب نسبوا  
التأثير للكواكب ..... ٣٩٧
- المطلب الثالث: إقرار السلفية بوقوع المشركين في شرك الربوبية  
لاعتقادهم بتأثير الكواكب في نزول المطر ..... ٤٠٠
- تجعلون رزقكم من عند غير الله تكذيبا وشكرا لغيره .. ٤٠٢
- المطلب الرابع: اعتقاد أهل الأديان الأخرى بتأثير الكواكب  
والنجوم وعبادتهم لها ..... ٤٠٤
- عبادة اليهود للنجوم والكواكب واعتقاد أنها مدبرة تأثرا بأهل  
الديانات الوثنية ..... ٤٠٦
- الثالوث الهندي الشمس والنار والروح الذي تأثر به النصراني  
..... ٤٠٧
- نسبة الأمطار إلى غير الله في الديانات الوثنية القديمة .. ٤٠٩

- المبحث الثالث: أدلة من السنة على اعتقادات جاهلية تنسب التأثير إلى  
غير الله ..... ٤١٠
- المطلب الأول: اعتقاد المشركين بأن الكهان يعلمون الغيب ولذا  
قصدوهم ..... ٤١١
- الكهانة شرك في الربوبية والألوهية ..... ٤١٤
- المطلب الثاني: اعتقاد أهل الجاهلية بالعدوى ..... ٤١٥
- المطلب الثالث: اعتقاد المشركين بتأثير التمايم ..... ٤١٧
- نصوص العلماء في اعتقاد أهل الجاهلية بتأثير التمايم في دفع  
الأمراض ..... ٤٢٠
- نصوص السلفية في أن أهل الجاهلية يعتقدون النفع والضرر في  
التمايم: ..... ٤٢٣
- المطلب الرابع: اعتقاد أهل الجاهلية بالهامة وضررها ..... ٤٢٧
- المطلب الخامس: تعاطي المشركين للسحر وهذا شرك في الربوبية  
..... ٤٢٩
- السحر من الشرك في الربوبية لأن فيه نسبة العلم والقدرة  
لغيره تعالى ..... ٤٣٣
- المطلب السادس: تلبية المشركين في الحج ..... ٤٣٦
- المرصد الأول: دلالة صيغة تلبية المشركين على شركهم في  
الربوبية ..... ٤٣٦

- المرصد الثاني: آيات تنفي عن الأصنام ما يعتقد المشركون فيها من ملك الشفاعة والضر والنفع ..... ٤٣٨
- المرصد الثالث: كيف يكون المملوك شريكاً للمالكه؟! وكيف يكون شريكاً ولا يملك شيئاً؟! ..... ٤٣٩
- المرصد الرابع: الأصنام تملك الشفاعة بدون إذن الله عندهم كما ذكر ابن القيم ..... ٤٤٠
- المرصد الخامس: تناقض السلفية في قضية تأثير الأصنام عند المشركين ..... ٤٤١
- المرصد السادس: قول السلفية بأن المشركين لم يدعوا في أصنامهم التأثير الاستقلالي ..... ٤٤٣
- المرصد السابع: تقرير أن «ما» موصولة وليست نافية في «تملكه وما ملك» ..... ٤٤٤
- المطلب السابع: اعتقاد أهل الجاهلية بالغول وضررها ..... ٤٤٥
- حديث «ولا غول» ..... ٤٤٦
- المطلب الثامن: الطيرة عند المشركين ..... ٤٤٨
- بعض الآيات في تطير الأمم السابقة والنهي عنه ..... ٤٤٩
- حديث «لا عدوى ولا طيرة» وأقوال الشراح فيه ..... ٤٥١
- إقرار السلفية بأن الطيرة من خصال الجاهلية ..... ٤٥٢
- تقرير السلفية أن الطيرة ونحوها شرك في الربوبية وسوء ظن بالله ..... ٤٥٥

- الفصل الثالث: دلالة استقراء آيات القرآن على أنهم مشركون في الربوبية  
 ٤٥٨ .....
- المبحث الأول: تسمية المشركين لأصنامهم بالآلهة والأرباب ..... ٤٥٨  
 نصوص السلف والسلفية على أن المشركين اتخذوا أصنامهم أربابا  
 ٤٥٨ .....
- المبحث الثاني: المشركون جعلوا أصنامهم عدلا لله وندا وكفؤا له تعالى  
 ٤٦١ .....
- المطلب الأول: الآيات التي دلت على ذلك ..... ٤٦٢  
 تصريح بعض الوهابية بأن المشركين ما كانوا بربهم يعدلون!  
 ٤٦٥ .....
- آيات صرحت بأنهم اتخذوا الأصنام آلهة وأندادا لله ... ٤٦٦  
 المطلب الثالث: تأويل ابن تيمية وأتباعه للأنداد وكلام المفسرين  
 في ذلك ..... ٤٦٩  
 قول ابن تيمية: «فهؤلاء لما سببت آلهتهم سبوا الله مقابلةً،  
 فجعلوهم ممثلين لله وأعظم» ..... ٤٧٢  
 (نصوص السلفية في أن المشركين ما عبدوا الأصنام إلا  
 لاعتقادهم فيها القدرة على الضر والنفع) ..... ٤٧٣  
 الجواب عن قول بعض المفسرين الذين نفوا اعتقاد المشركين  
 بتأثير الأصنام ..... ٤٧٥  
 المبحث الثالث: اعتقاد المشركين بأن أصنامهم تشفع بدون إذن الله. ٤٧٦

- المبحث الرابع: تسمية القرآن لهم بالمشركين مطلقا خلافا لتقييد ابن تيمية  
 ٤٧٨ .....
- المطلب الأول: تسميتهم في القرآن بالمشركين مطلقا ..... ٤٧٨  
 (ابن تيمية يخالف قاعدته في أن ما أطلق من الأسماء لا يقيد  
 إلا بدليل) ..... ٤٨١  
 استدلال السلفية على تقسيم التوحيد مصادرةً على المطلوب  
 ٤٨٢ .....
- (تكذيب النجدي للقرآن حينما شهد للمشركين بالتوحيد  
 بأوضح العبارات) ..... ٤٨٦  
 المطلب الثاني: تسميتهم في القرآن أنهم كفّار بالله ..... ٤٨٧  
 المطلب الثالث: دعوى أن كفر المشركين هو كفر نعمة! ... ٤٩١  
 (نصوص بعض المفسرين على أن المشركين كافرون بوجود  
 الله) ..... ٤٩٢  
 مفارقة: كفر أهل الجاهلية هو كفر نعمة، وأما كفر القبورية  
 فهو كفر مخرج من الملة!! ..... ٤٩٥  
 قول الألويسي: والمراد بكفرهم به تعالى إلحادهم في ذاته  
 سبحانه! ..... ٤٩٦  
 تنكرون المجاز ثم تستخدمونه للدفاع عن المشركين! .. ٤٩٨  
 المبحث الخامس: تحاكم أهل الجاهلية إلى الطاغوت ووقوعهم في شرك  
 التشريع ..... ٥٠٠

كان أهل الجاهلية يشرعون الأحكام، ويتحاكمون إلى الطاغوت،  
كما ثبت ذلك في آيات كثيرة، وقد أقررتم بذلك، والتشريع من  
صفات الربوبية كما أقرّ بعضكم به، وفيما يلي بيان هذين الأمرين:  
٥٠٠ .....

المطلب الأول: بيان أن أهل الجاهلية كانوا يشرعون الأحكام  
ويتحاكمون إلى الطاغوت ..... ٥٠٠

نصوص ابن كثير في شرك التشريع في الجاهلية ..... ٥٠٣

المطلب الثاني: بيان أن تشريع الأحكام من صفات الربوبية وأن  
التحاكم إلى غير الشرع هو قلدح في توحيد الربوبية: ..... ٥٠٥

التشريع من صفات الربوبية ..... ٥٠٦

التحاكم إلى الطاغوت قلدح في توحيد الربوبية والألوهية  
..... ٥٠٧

(سبب خلاف السلفية في توصيف التحاكم إلى الطاغوت)

..... ٥٠٨

الخلاصة أنهم مشركون في الربوبية لأنهم تحاكموا إلى غيره

تعالى ..... ٥٠٩

المبحث السادس: نسبة المشركين الولد إلى الله تعالى سبحانه ..... ٥١٠

المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك ..... ٥١٠

المطلب الثاني: نصوص ابن تيمية وأتباعه في ادعاء المشركين لله

الولد ..... ٥١١

- المطلب الثالث: هل نسبة الولد إلى الله تقدر في توحيد الربوبية؟!  
وتحبط السلفية في ذلك..... ٥١٢
- دعوى أن المشركين كفروا بتشفعهم بالملائكة لا بزعمهم أنهم  
بنات الله!!..... ٥١٣
- (نصوص ابن تيمية وابن القيم في أن نسبة الولد كفر وشرك)  
..... ٥١٦
- نسبة الولد لله هو نسبة العجز إليه بإقرار السلفية..... ٥١٩
- قول ابن عمر «ولا أعلم من الإشراف شيئاً أكبر من أن تقول  
المرأة ربها عيسى» ..... ٥٢١
- (اعتقاد النصارى بأن المسيح خالقهم) ..... ٥٢١
- المبحث السابع: سبهم الله عندما تسب آلهتهم ..... ٥٢٤
- المبحث الثامن: آية الزمر «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» .... ٥٢٦
- نصوص المفسرين والسلفية على أن الآية تدل على اعتقاد الضر  
والنفع في الأصنام: ..... ٥٢٧
- المبحث التاسع: اعتقاد أهل الجاهلية بتأثير الجن وخشية ضررهم .. ٥٣١
- المبحث العاشر: قتل المشركين أولادهم خشية قلة الرزق ..... ٥٣٣
- المطلب الأول: الآيات التي تبين قتل المشركين لأولادهم خشية  
الإملاق ..... ٥٣٣
- المطلب الثاني: نصوص المفسرين عن قتل المشركين لأولادهم  
خشية العار وقلة الرزق ..... ٥٣٤

- قول القرطبي: (فإذا اعترفتُم بأن الله خالق هذه الاشياء، فكيف تشكون في الرزق)؟ ..... ٥٣٥
- المطلب الثالث: نصوص السلفية عن قتل المشركين لأولادهم خشية الرزق ..... ٥٣٦
- المبحث الحادي عشر: إنكار المشركين للبعث والنشور وهذا قدح في الربوبية ..... ٥٤٠
- المطلب الأول: بيان أن المشركين ينكرون البعث والنشور خلافا لبعض السلفية ..... ٥٤٠
- المطلب الثاني: بيان أن إنكار البعث هو قدح في الربوبية خلافا لبعض السلفية ..... ٥٤٣
- البعث الذي ينكره المشركون هو من خصائص الربوبية كما قال الشنقيطي ..... ٥٤٤
- ابن القيم: منكر البعث كافر برّب العالمين ولو زعم أنه مُؤرَّب به ..... ٥٤٧
- قول الرازي: لزم من إنكار البعث الكفر برهم ..... ٥٤٨
- إحياء الموتى هو من توحيد الربوبية ..... ٥٤٩
- بيان ابن القيم لكون إنكار البعث طعنا في الخالقية .... ٥٤٩
- توحيد الربوبية يتضمن الإقرار بأن الله هو المحيي المميت والمشركون منكرون لذلك ..... ٥٥١

- لو لم يكن المشركون مقرين بأن الله خلقهم لما قامت عليهم  
 ٥٥٣ ..... الحجة بالبعث
- المبحث الثاني عشر: قول المشركين بمصاهرة الله للجن تعالى الله عن ذلك  
 ٥٥٦ .....
- المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك مع أقوال المفسرين  
 ٥٥٦ ..... والسلفية فيها
- تفسير ابن تيمية وابن القيم لآية «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا»  
 ٥٦٠ .....
- المطلب الثاني: اعتقاد أهل الديانات الوثنية بأن للإله زوجة  
 ٥٦١ ..... المطلب الثالث: خلاف السلفية في نسبة المشركين الصاحبة لله
- ٥٦٢ ..... سبحانه
- ٥٦٤ ..... نسبة الصاحبة لله تعالى شرك في الربوبية
- الفصل الرابع: النزاع بين الأنبياء و المشركين هو في الربوبية وليس في  
 ٥٦٦ ..... الألوهية فحسب
- المبحث الأول: آيات فيها ردّ من الأنبياء وأتباعهم على المشركين بإثبات  
 ٥٦٦ ..... ربوبية الله وحده
- المطلب الأول: نسرده بعض الآيات التي تفيد بأن نزاع المشركين في  
 ٥٦٧ ..... توحيد الربوبية
- ٥٦٧ ..... الآية الأولى: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾
- ٥٦٨ ..... (كان المفروض أن تكون الآية: أعبدوا الله أعبدوا إلهها)

- الآية الثانية ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ..... ٥٦٨
- الآية الثالثة: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ..... ٥٧٠
- الآية الرابعة: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ..... ٥٧٠
- الآية الخامسة ..... ٥٧١
- نصوص ابن تيمية وابن القيم على أن قوم إبراهيم والصابئة  
اتخذوا الكواكب أربابا مدبرة ..... ٥٧٢
- نص المعلمي بأن الصابئة تقول بأن الزهرة ملكة الآلهة  
وعطارده رب الأرباب الذي لا مثيل له ..... ٥٧٤
- الجواب عن قول الطبري إن معنى بل ربكم رب السماوات  
والأرض أي فيأيه فاعبدوا ..... ٥٧٥
- (من عبد غير الله فقد اتخذها إلها وربا عند السهسواني) . ٥٧٦
- (نصوص العلماء قديما وحديثا على أن قوم إبراهيم الخليل  
اعتقدوا أن الكواكب مدبرة للعالم) ..... ٥٧٧
- نص الراجحي على أن الصابئة مشركون في الربوبية ... ٥٨٠
- قول عمر الأشقر: المنكرون للخالق يزعمون أن النجوم  
مدبرة للكون لا الملائكة بأمر الله ..... ٥٨١
- المطلب الثاني: آيات دالة على أن نزاع المشركين هو في ربوبية الله  
..... ٥٨٢
- الآية الأولى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ  
يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ..... ٥٨٢

الآية الثانية: يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ

٥٨٤ .....

الآية الثالثة: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ..... ٥٨٥

المبحث الثاني من الآيات: وهي التي أعلن فيها بعض الكفرة إسلامهم

وإيمانهم بربهم ..... ٥٨٥

قول سحرة فرعون بعد توبتهم وإسلامهم ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

٥٨٦ .....

المبحث الثالث: نصوص تشهد لمن آمن بربوبيته تعالى بالإيمان والفوز في

الآخرة ..... ٥٨٨

المطلب الأول: آيات من القرآن ..... ٥٨٨

الآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ﴾ ..... ٥٨٨

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ ..... ٥٨٩

اعتراض بأن الرب في الآيتين هو الإله، وبيان أن هذا نقض

لأصل نظرية تقسيم التوحيد ..... ٥٨٩

(دعوى أن الاستقامة في الآيتين مفسرة بشهادة أن لا إله إلا

الله) ..... ٥٩١

(التفسيرات المختلفة للاستقامة) ..... ٥٩٢

(الاستقامة هي الثبات على الإقرار بربوبيته) ..... ٥٩٣

- ٥٩٥ ..... (من شهد الله بأن الله ربّه فقد وحّده)
- ٥٩٦ ..... الآية الثالثة: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾
- الآية الرابعة: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾
- ٥٩٧ .....
- ٥٩٧ ..... الآية الخامسة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾
- ٥٩٩ ..... الآية السادسة
- الآية السابعة: قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
- ٥٩٩ .....
- المطلب الثاني: أحاديث من السنة المطهرة ..... ٦٠٠
- أولاً: حديث «قل: آمنت بالله، فاستقم» ..... ٦٠١
- ثانياً حديث «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً» ..... ٦٠١
- المبحث الرابع: ثمة آيات تُعرّف المشركين بالله بأنه خالق السموات والأرض ..... ٦٠٥
- ابن تيمية: في الآية دليل على أن صانع العالم قادر حكيم عالم خير ..... ٦٠٧
- المبحث الخامس: آيات تبطل خالقية الأصنام وتجادل المشركين في ذلك. .... ٦١٠
- المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ..... ٦١٠

- قول ابن تيمية نفى الله بالدليل السمعي والعقلي شرك الإلهية والربوبية ..... ٦١٣
- المطلب الثاني : قوله ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ .. ٦١٤  
الجواب عن قول الطبري «ما عبد المشركون الأوثان من أجل أنها تخلق» ..... ٦١٥
- (نصوص الطبري في أن المشركين عبدوا الأصنام واعتقادهم ضررها ونفعها وتأثيرها) ..... ٦١٦
- المطلب الثالث: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ .. ٦١٨
- المطلب الرابع: آيتا الحج والإسراء ..... ٦٢٠
- المطلب الخامس: الإشكالات الواردة على الآيات السابقة لو قلنا بأنهم لا يعتقدون التأثير في أصنامهم ..... ٦٢١
- (قول ابن القيم: إن زعموا أن آلهتهم خلقت شيئا مع الله طولبوا بأن يروه إياه) ..... ٦٢٢
- لو كان المشركون يعتقدون أن آلهتهم خالقة لادعوها لها حين قيل لهم أروني ماذا خلقوا ..... ٦٢٤
- المطلب السادس : كونهم هُبتوا بحجج القرآن على توحيد الخالقية لما يعني أنهم سلّموا بها ..... ٦٢٥
- (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) .... ٦٢٦
- لما هُبت المشركون افتروا على الرسول وعلى القرآن .... ٦٢٨
- عناد فرعون وإذعان سحرته لنبوة موسى عليه السلام ٦٢٩

- «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ» .. ٦٣٠
- المطلب السابع: أدلة قرآنية أخرى على الوحدانية والنبوة والبعث  
وعناد المشركين لها ..... ٦٣١
- كيف ردّ القرآن عليهم حين قالوا (لو نشاء لقلنا مثل هذا)  
..... ٦٣٨
- المطلب الثامن: آيات تبين عنادهم واستكبارهم عن قبول الحق  
بعد إقامة الحجة عليهم ..... ٦٣٩
- ليس للمشركين حجة على عبادتهم للأصنام سوى التقليد  
لآبائهم ولذا عاندوا حجج القرآن ..... ٦٤٠
- اتخاذ المشركين للأصنام كان لأسباب قومية ..... ٦٤٢
- أعظم أصول دين المشركين هو التقليد لآبائهم عند النجدي  
..... ٦٤٣
- المبحث السادس: آيات تدعو إلى الإيمان بالله أو بربوبيته وإليك بعضها:  
..... ٦٤٤
- المبحث السابع: الآيات التي تبسط البراهين على وجود الله وترد على  
المشركين ..... ٦٤٥
- المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك ..... ٦٤٦
- الآية الأولى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» ٦٤٦
- (لو كان جبير بن معطم موحدًا في الربوبية ما انصدع  
فؤاده لآية أم خلقوا من غير شيء) ..... ٦٤٧

- الآية الثانية: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» ..... ٦٤٨
- الآية الثالثة: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَ﴾ .. ٦٤٩
- الآية الرابعة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ..﴾  
..... ٦٥٢
- الآية الخامسة: ﴿إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ ..... ٦٥٢
- الآية السادسة: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾  
..... ٦٥٤
- قول الشوكاني «ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها» ..... ٦٥٦
- الآية السابعة: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ..... ٦٥٦
- الآية الثامنة: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ..... ٦٥٧
- المطلب الثاني: دعوى أن هذه الآيات من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ..... ٦٥٩
- المطلب الثالث: الكلام عن آية أم خلقوا من غير شيء وقول ابن مطعم كاد قلبي أن يطير منها ..... ٦٦٥
- (أقوال المفسرين في آية «أم خلقوا من غير شيء» وأنها لإثبات الصانع الذي يشك فيه المشركون) ..... ٦٦٨

- قول ابن القيم: «فهل خلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا من  
المحال الممتنع» ..... ٦٧١
- خلاصة الباب الثاني ..... ٦٧٣
- إقرار السلفية بأن توحيد المشركين في الربوبية كان منقوصا بل  
منقوصا ..... ٦٧٣
- بعض الأقوام والملل التي أشركت في الربوبية ..... ٦٧٦
- الهذيل: إن المشركين واقعون فيما هو قاذح في توحيد  
الربوبية ومناقض له ..... ٦٧٨
- كيف هم مقرون بتوحيد الربوبية مع اعترافكم بأنهم نقضوه؟ ..... ٦٨٢
- هل تقولون بأنهم مشركون في الألوهية بشكل ناقص كما قلتم عنهم في  
الربوبية؟! ..... ٦٨٤
- اعتراض بأن نقض المشركين لتوحيدهم في الربوبية بمعنى أنهم أشركوا في  
الألوهية ..... ٦٨٦
- التلازم بين أقسام التوحيد وأن نقض توحيد الألوهية نقض لتوحيد  
الربوبية والعكس صحيح ..... ٦٨٨
- من صرف عبادة واحدة لغيره تعالى هل يقال عنه موحد في الألوهية  
بشكل ناقص؟ ..... ٦٨٨
- المبحث الثامن: دلالة شركهم في الألوهية على شركهم في الربوبية .. ٦٩٠
- المطلب الأول: لو كان المشركون موحدين في الربوبية لكانوا  
موحدين في الألوهية ..... ٦٩٠

- المطلب الثاني: تقرير قياس شرطي متصل ..... ٦٩٢
- المطلب الثالث: ينتفي الملزوم إن انتفى اللازم كما قال ابن تيمية  
٦٩٣ .....
- المطلب الرابع: شركهم في الألوهية ناتج عن شركهم في الربوبية  
٦٩٥ .....
- (فعبدوا الكراكي لذلك، وقالوا: هذه ربنا وهذه فعالاته هزم  
أعداءنا) ..... ٦٩٦
- (قول القاسمي لو كانوا موحدين في الربوبية لما عبدوا غيره)  
٦٩٧ .....
- المبحث التاسع: بيان القرآن مرارا أن أهتهم المزعومة هي إنها حجارة  
صماء لا تملك لهم ضرا ولا نفعا ..... ٦٩٧
- المطلب الأول: الآيات الدالة على ذلك ..... ٦٩٨
- المطلب الثاني: لو كانوا يعتقدون أنها لا تضر ولا تنفع لكانت  
الآيات في ذلك تحصيل حاصل! ..... ٧٠٠
- رواية مقاتل: أنه لما نزلت «هل هن كاشفات ضره» سكتوا  
٧٠٢ .....
- قول المشركين: لا تدفع شيئا من قدر الله ولكنها تشفع ٧٠٣
- قول الطبري: فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع ..... ٧٠٣
- الجواب عن استدلالهم بآية ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله  
زلفى﴾ ..... ٧٠٤

- أخذتم بقول المشركين وتركتم ما أخبر الله عنهم من أنهم  
 اتخذوا الأصنام للنصر وللعز ..... ٧٠٥
- المطلب الثالث: الرد على دعوى أنهم لو كانوا يعتقدون تأثير  
 أصنامهم لردوا على القرآن حين نفاه ..... ٧٠٦
- الآيات التي برهنت على أن آلهتهم جماد لا تخلق ولا تضر ولا  
 تنفع: ..... ٧٠٧
- الآية الأولى: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ  
 أَمْثَالُكُمْ.. أَهْمُ أَرْجُلٍ يَمْشُونَ بِهَا» ..... ٧٠٧
- الآية الثانية: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا  
 وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ..... ٧٠٨
- (قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ تمهيد للاستدلال على أن الأصنام  
 ليست بآلهة) ..... ٧١٠
- (أربّ يبول الثعلبان برأسه) ..... ٧١٢
- (لو كان الأمر كذلك لما فكّر ولما ترك عبادتها كما قال  
 الفوزان ولو بال عليها ألف ثعلب) ..... ٧١٣
- إقرار ابن القيم أن المشركين أعطوا الإلهية وقدراتها المطلقة  
 للتماثيل والصور ..... ٧١٤
- (الأصنام جمادات ولكن نُزِلت منزلة العقلاء لاعتقاد  
 المشركين فيها الضر والنفع) ..... ٧١٦

- (لم يطلب المشركون من الأصنام إلا لاعتقادهم أن فيها حظا  
من الربوبية) ..... ٧١٧
- المشركون لو كانوا يعتقدون العجز في أصنامهم لما كان في آية  
الرعْد حجة عليهم ..... ٧١٨
- المطلب الرابع: آيات تبرهن بأن آلهتهم لا تشفع ولا تملك شيئا ولا  
تعقل ..... ٧٢٠
- آية (إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ..) ..... ٧٢٠
- آية (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ  
شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ)، وقول الرازي بأنهم يعبدون الجمادات  
..... ٧٢٢
- نفْي الضر والنفع عن الأصنام جاء مع الأدلة العقلية في القرآن  
..... ٧٢٣
- المطلب الخامس: الجواب عن دعوى أن الرازي أقر بأن الكفار لا  
يعتقدون في أصنامهم سوى الشفاعة ..... ٧٢٤
- الخاتمة ..... ٧٢٨
- فهرس المحتويات ..... ٧٣٥